

هـ ——— هذا كتاب المدخل

للإمام العالم العلامة أبي عبد

الله محمد بن محمد بن محمد

العبدري المشهور

بابن الحاج

غفر الله

له

م

ترجمة المؤلف من كشف الفطنون وطبقات الشعراء وحسن المحاضرة هو
الإمام العالم العامل أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري القاسي المالكي
الشهير بابن الحاج كان فاضلاً عارفاً بقدري به يحب أرباب القلوب منهم أبو
محمد عبد الله بن أبي جرة وله التأليف النافعة من أجهال هذا الكتاب المسمى
بمدخل الشريعة الشريف على المذاهب قال العلامة ابن حجر هو كثير الفوائد
كشف فيه عن معائب وبدع يفتهاها الناس ويقتضاهاون فهموا أكثرها مما
ينكرون وبعضها مما يجهلون وذكر فيه أن شيخه أبا محمد عبد الله بن أبي جرة
أشار إلى تعليم الناس مقاصدهم في أعمالهم فكتبه وسماه المدخل إلى
تكملة الأعمال بتحسين النيات الخ فرغ من تأليفه في سابع محرم سنة ٧٢٢
عاش بضعا وثمانين سنة وتوفي بالقاهرة سنة ٧٣٧ نفعا الله به وبعلومه آمين

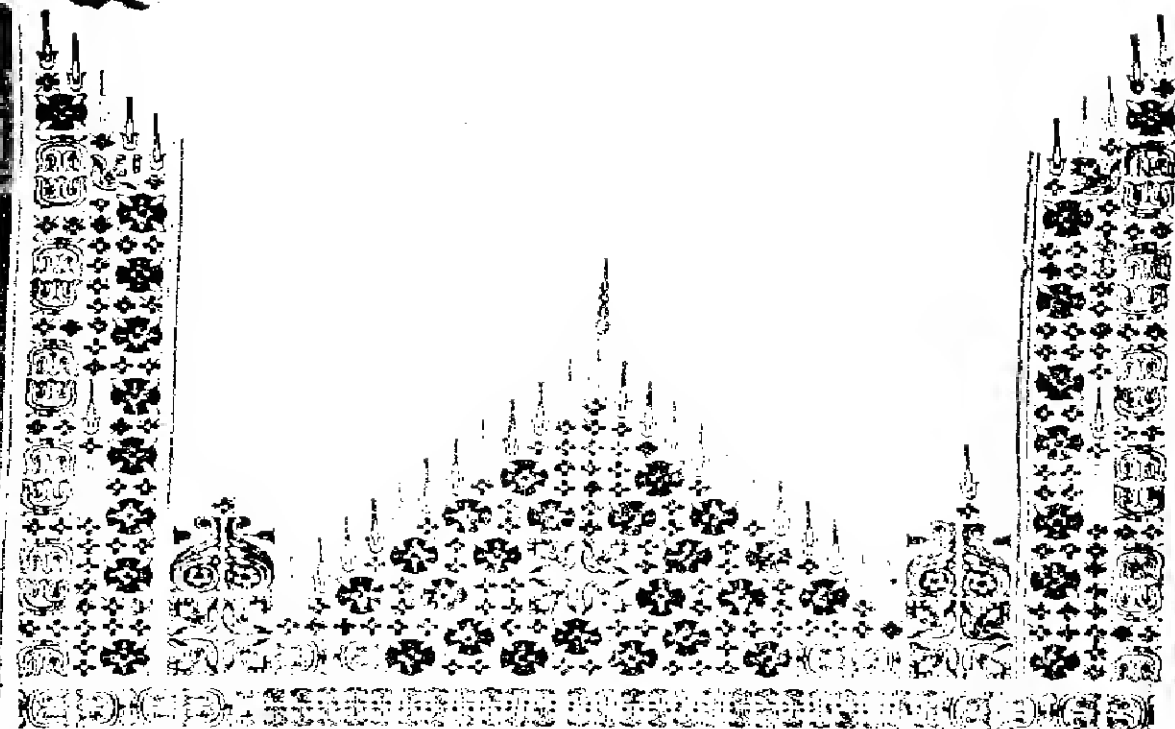
• فهرست الجزء الاول من كتاب المراحل لابن الحاج •

فصل في التحريض على الافعال كلها ان تكون بنية حاضرة	٥
فصل في كيفية محاولة الاعمال كلها ان ترجع الى الوجوب والندب	١٦
فصل في الاستبراه وكيفية النية فيه	٢١
فصل في الوضوء وكيفية النية فيه	٢٨
فصل في الركوع بعد الوضوء وكيفية النية فيه	٣١
فصل في الخروج الى المسجد وكيفية النية في ذلك	٣٢
فصل في العالم وكيفية نيته وهديه وادبه	٥٢
فصل وينبغي له ان يحترق في - ق غيره من مجالسه الخ	٧٠
فصل اذا شرع في اخذ الدرس	٧٥
فصل فيما ينبغي له اذا اوردت عليه المسائل الخ	٩٧
فصل في هذا الباب مع زيادة	٩٨
فصل في اخلاص نيته اذا قعد في مجالس العلم	١٠١
فصل في الدعوات المحدثه	١٠١
فصل في اللباس	١٠٨
فصل في القيام	١٣١
فصل وينبغي له ان لا يجالس على حائل مرتفع دون من معه	١٦٣
فصل في التحفظ عن المراءح	١٦٤
فصل في التحرز عن ابعاد الطلبة عن العالم في الدرس	١٦٥
فصل وينبغي له ان لا يكون في مجالسه مكان مميز لا حاد الناس	١٦٥
فصل وينبغي له ان لا ينزعج على من اذاه الخ	١٦٥
فصل يحذر من ان يتكلم على اليد اليسرى الخ	١٦٧
فصل ويجب عليه ان لا يسمع من ينم عنده الخ	١٦٧
فصل ويجب ان يتحرز على نفسه وعلى من حفره من الغيبة	١٦٧
فصل في الانكار على المنكرات وشروطه	١٦٩
فصل في التحرز من المراءح الخارج عن حد الوقار وفيه رجوع الى	١٧١

خروج العالم الى المسجد الح	
فصل في تفضله من شئ الناس معه ومن خافه	١٧٢
فصل في فعله في رجوعه كما في خروجه	١٧٣
فصل في ابتداء دخوله بيته	١٧٣
فصل في ركوعه في بيته قبل أن يجلس	١٧٤
فصل وينبغي له أن يتقدمه أحله بمسائل العلم الح	١٧٤
فصل في آداب الاكل	١٧٩
فصل منه وفيه شروط الضيف والمضيف وغير ذلك	١٨٠
فصل في عيادة المريض	١٩٧
رجوع الى بقية تصرفه في بيته	١٩٨
فصل في لبس النساء	٢٠٠
فصل في نهين عن العمائم التي كاستمعة البغت	٢٠١
فصل في منعهن من توسيع الاكمام الح	٢٠٢
فصل في تعليمهن السنة في الخروج عند الاضطرار	٢٠٣
فصل في خروجهن الى شراء حوائجهن وما يترتب على ذلك	٢٠٤
فصل في السكنى على البحر	٢٠٤
فصل في زيارة القبور وفيه جملة من حكم البناء فيها	٢٠٨
صفة السلام على الاموات	٢١١
فصل في زيارة سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم	٢١٥
رجوع الى زيارة محرم المؤمنين	٢٢١
فصل في خروجهن الى دور البركة	٢٢٥
فصل في منعهن من الدور التي على البساتين	٢٢٥
فصل في ركوبهن البحر	٢٢٦
فصل في خروجهن الى المحل	٢٢٦
فصل في اجتماع النساء بعضهم مع بعض	٢٢٩
في بعض عوائدها اتخذتها	٢٣١

- ٢٣٢ فصل فيما رفته عنه يوم السبت
- ٢٣٣ فصل فيما يفعلونه اذا نزلت الشمس في برج الحمل
- ٢٣٤ فصل في زعمهم ان من دخل الحمام اربعين اربعا يفتح عليه بالدنيا
- ٢٣٥ فصل في المواسم وهي على ثلاث مراتب الاولى المواسم الشرعية
الموسم الاول عيد الاضحي
- ٢٣٨ فصل في الموسم الثاني من المواسم الشرعية وهو عيد الفطر
- ٢٤٠ الموسم الثالث من المواسم الشرعية وهو عاشوراء
- ٢٤١ فصل في استعمال النساء الحناء والبخور يوم عاشورا
- ٢٤٢ فصل في المرتبة الثانية وهي المواسم التي ينسبونها الى الشرع
وايست فيها الموسم الاول اول ليلة من رجب وليلة السبع
والعشرين منه
- ٢٤٨ فصل في الموسم الثاني منها وهي ليلة النصف من شعبان
- ٢٦١ فصل في الموسم الثالث وهو مولد النبي صلى الله عليه وسلم
- ٢٦٢ فصل منه وفيه مباحث مع التنبيه على متصوفة هذا الزمان
- ٢٦٨ فصل منه وفيه زيادة تصفيق النساء ورقصهن والكلام على
القصاص في المسجد الح
- ٢٧٢ فصل منه بزيادة على ما تقدم من خروج النساء الى القبور
- ٢٧٣ فصل منه في شغاهن اللالي البيض وغيرها بعوائدهن الممنوعة
- ٢٧٤ فصل منه في شغاهن الايام بالزيارات
- ٢٧٤ فصل منه في الامر بهدم البنيان التي في القبور زيادة على ما تقدم
- ٢٧٧ فصل منه وفيه الكلام على الورع الذي هو اصل الشريعة
- ٢٧٨ فصل منه وفيه حكم عدم حضور الجنائز المترتب على ما قبله وفي آخره
رجوع الى المولد الشريف
- ٢٨٠ فصل فيمن يعمل المولد يجمع الفضة التي له عند الناس الح
- ٢٨١ فصل في حكمه ~~كون~~ المولد الشريف في شهر ربيع الاول
واختصاص يوم الاثنين وفيه مباحث رائدة والكلام على عاق

- النور المحمدى وفضل المدينة على مكة المح
 ٢٩٨ فصل في مواسم أهل الكتاب وهي المرتبة الثالثة أوها النيروز
 ٣٠٣ فصل منه بزيادة على ما تقدم
 ٣٠٥ فصل في خميس العدى
 ٣٠٦ فصل في اليوم الذى يسعونه سبت النور
 ٣٠٨ فصل في مولد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام
 ٣٠٩ فصل في عيد الزيتونة
 ٣٠٩ فصل في بعض عوائد اتخذها بعض النساء فيما لا خلال ببعض
 الفرائض
 ٣١١ فصل في صومهن أيام الحيض
 ٣١٢ فصل فيما يتعاطاه النساء من أسباب السمن وغيره من البدع
 ٣١٦ فصل في خروج العالم الى فضاء حاجته في السوق المح وفيه التنبيه
 على أشياء لا يجوز بيعها ولا شراؤها وفي جلوس الباعة في طريق
 المسلمين وعلى أبواب المساجد وفي آخره أول صفحة ٣٣٨ تنبيه العالم
 على أشياء تلزمه وفيه إيجات رائعة وفي آخره في ٣٣٢ رجوع الى
 تصرف العالم في السوق بزيادة على الأشياء التى تقدمت له أول الكتاب
 ٣٣٨ فصل في رجوع العالم من السوق الى بيته وكيفية نيته في ذلك وفيه
 الكلام على آداب الدرس فى البيت والمدرسة والكلام على أخذ
 المعلوم وغير ذلك من الفوائد
 ٣٥٢ فصل فى السعى لاخذ المعلوم وما يترتب عليه
 ٣٥٣ فصل ولا يحذر ان يترك الدرس لموارض تعرض له من جناسه المح
 ٣٥٥ فصل وينبغى له أن ينظر أولا فى المدرسة اذا عرضت عليه المح
 ٣٥٧ فصل وينبغى له أن يكون آكدا لا موراها عنده القناعة المح
 ٣٥٨ فصل فى مواضع الجلوس فى الدروس وغيرها من مواضع الاجتماع
 (تمت الفهرست)



بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)
 يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه المضطر لذلك أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد
 العبدري القليلي الفاسي الدارعة الله عنه ولطف به (الحمد لله) المنفرد
 بالذوام الباقي بعد فناء الأيام الموجد للخلق بعد انعدم المغيي لهم بعد أن
 ثبتت أعمالهم في الصحف كما جرى به القلم العالم بما انطوت عليه أسرارهم في
 الخصال وفي القدم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد
 مضطر إليها عند زلة القدم وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله إلى أكرم
 الأمم (وبعد) فإني كنت كثيرًا أسمع سيدي الشيخ العبد العبد العالم العامل
 المحقق القدوة أبا محمد عبد الله بن أبي جرة يقول وددت أنه لو كان من الفقهاء
 من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم وبقائه إلى
 التدريس في أعمال النيات ليس إلا أو كلامًا هذا معناه فإنه ما أنى على كثير
 من الناس الأمن تضييع النيات فقد رأيت في ذكرك بعض ما كان يجري
 عنده من بعض الفوائد في ذلك لبعض الأنواع فطاب أن أجمع له شيئًا لكي

يعرف تصرفه في نيته وفي عبادته وعلمه وتسببه فاحتسنت من ذلك خوفاً مما
ورد في الحديث منه صلوات الله عليه وسلامه في القوم الذين يعضون
السننهم يوم القيامة انهم العلماء الذين لا يعملون بما يعلمون ومن قوله عليه
الصلوة والسلام أول ما تسعرا النار يوم القيامة برجل عالم فتندلق أقتابه
خافة فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اليه أهل النار فيرقه ولون له
يا هذا أأنت كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت أمركم
بالمعروف ولا آتية وأنما كنتم عن المنكر وآتية أو كما قال وفي الحديث الوارد
أيضاً ان أشد الناس حسرة يوم القيامة رجلان رجل علم علماً فيرى غيره
يدخل به الجنة لعدم عمله به وهو يدخل النار لتضييعه العمل به ورجل جمع
المال من غير وجهه وتركه لوارثه فعمل به الخير فيرى غيره يدخل به الجنة
وهو يدخل النار أو كما قال عليه الصلاة والسلام وذكر أبو عمر بن عبد البر
وابن ماجه وابن وهب من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان من أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بماله
والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً فاحتسنت أن أتكم بشئ لم يحتموه عليه
هل فاقع فيما تقدم ذكره لكن عارضتني أحاديث أخر لم يكن في الامتناع
لأجلها إلا أن ترك العمل معصية وترك تبليغ العلم معصية أخرى سيما إذا طالب
منى فارتكاب معصية واحدة أخف بالمرء من ارتكاب معصيتين بالضرورة
القطعية والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة منها قوله عليه الصلاة
والسلام في حجة الوداع ألا فليبلغ الشاهد الغائب فعمل بعض من يبلغه أن
يكون أو يحل له من بعض من سمعه أو كما قال قال علياً وناجحة الله عليهم معناه
أعمل به من بلغه إليه ومنها قوله عليه الصلاة والسلام إذا ظهرت الفتن وشتم
أصحابي فمن كان عنده علم فليكتبه فهو كمن أحداً ما أنزل على محمد انتهى وهذا
أمر خطير وقد أخذ الله العهد على العلماء أن يعلموا وأخذوا ذلك العهد على
الجهال أن يسألوا فاشغقت من هذا أكثر من الأول فأثرته عليه مع أن فيه
فائدة أخرى كبيرة وهو أن يكون تذكرة في كل وقت وحين بالنظر فيه
ومطالعة فأتدكر به ما كان يمضي من بعض العلم في ذلك في مجالس سبدي
الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي جرة رحمه الله فرأيت أن الإجابة قد تعينت على

من وجوه الوجه الاول من قبل نفسي للتذكرة الثاني من قبل طالبه اثلا
 أدخل بذلك فيمن سئل عن علم فكتمه الثالث اعل بعض من يراه
 ويعمل به أو ببعضه يدعوا لمؤلفه المنكر خاطره من قلة العمل اعل أن يوفقه
 الله تعالى للعمل وقد قال الشيخ ابراهيم النخعي رحمه الله اني لا اكره القصص
 الا لثلاث قلت احدها من قوله تعالى أأمرون الناس بالبر وتفسون أنفسكم
 الثانية قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله
 أن تقولوا مالا تفعلون الثالثة قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى
 ما أنهاكم منه انتهى لكن قد روى مالك عن ربيعة بن عبد الرحمن انه سمع
 سعيد بن جبيرة يقول لو كان المرء لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر حتى
 لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر قال مالك صدق
 ومن هذا الذي ليس فيه شيء انتهى وعلى هذا العمل والفتوى لما
 تقدم من أن ارتكاب معصية واحدة أخف من ارتكاب معصيتين ولقد
 بدأت بآية من كتاب الله تعالى تبركا واستدلالا على ما أريد به آيات وأحاديث
 تمس الحاجة إليها في بعض المواضع فبعض الأحاديث أثبت بها بالنسب
 والنسبة لناقلها أو بعضها بالمعنى وعدم النسبة للضرورة الداعية إلى نقله كل
 ذلك لعدم الكتب المخاضرة في الوقت وفي بعض المواضع تمس الحاجة إلى
 بعض حكميات تكون تفسيرا أو بياضا للحاجة داعية إلى بيانها وربما انتهت
 على بعض الآداب ووجدت بعض الناس يقولون بضدها فاحتجت إلى
 البحث في ذلك معهم حتى يتبين وجه الصواب ويتضح بحسب ما يسر الله تعالى
 وبدأت فيه بما هو الأولي والآكد والأهم ثم الامثل فالأمثل بعد ذلك
 ورتبت ذلك على فصول ليكون كل فصل مستقلا بنفسه في المعنى المراد به
 فيكون أيسر للفهم وأهون على من يريد أن يطالع مسئلة معينة بحسب ما هو
 موجود ومسطور فيه وهذا بحسب ما يسر الله تعالى في الوقت من رزقه
 الله تعالى نورا لعل أن يكون له سلبا يترقى به إلى غيره وإن يدقق النظر فيما
 ذكرته فله يبالغ السكال ويعذر من اعترف بالتقصير والتفريط فان ظاهر
 غلط أو وهم أو تقصير أو غفلة أو جهل أو عي فالمل قابل لذلك كثيرا وهو مني
 ومن الشياطين وصدق الله ورسوله ورحم الله أمرا ظهرت له ضرورة أو عيب

فسترأ وعذر فاستعذر وان ظهر خيرا فبفضل الله ورحمته والمن له بد أو عودا
ولا بأس أن يصلح ما وجد من الغلط والوهم فقد أذنت له في الإصلاح لانه
من باب المعاونة على البر والتقوى وان البر خير (وسميته) بمقتضى وضعه
كتاب المدخل الى تفتيح الالهام بتحسين النيات والتنبه على بعض البدع
والعوائد التي انتقلت وبيان شناعتهما وقبحها فنسأل الله تعالى الكريم رب
العرش العظيم أن يجعله خالص الوجه وان يرينا بركاته يوم الوقوف بين يديه
وحين حلول الانسان في ربه وان ينفع به من طابه أو حرض عليه أو كتمه
أو كسبه أو طالعاه أو نظرفيه واعتبر وستر ونسأله العفو والرحمة والافالة
وستر العورات وتأمين الروعات لنساء ولوالديننا والديننا وأشائنا
ومشائناهم ولمن علمنا وان علمنا ولمن أفادنا ولمن أفدنا ومجميع المسلمين آمين
يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
مبارك فيه * بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله *

(فصل في التفرغ على الافعال كلها لتكون بنية حاضرة)

قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين قال علماء وناصرة
الله تعالى عليهم الاخلاص انما يكون بالقلب وذلك ان لا ين آدم جوارح
ظاهرة وجوارح باطنة فعلى الظاهرة العبادة والامتثال وهو قوله تعالى وما
أمروا الا ليعبدوا الله وعلى الباطنة أن تتقن أن لا اله الا الله وأن محمد رسول
الله مخلص في ذلك وهو قوله تعالى مخلصين له الدين فالأصل الذي تتفرع عنه
العبادات على أنواعها هو الاخلاص وذلك لا يكون الا بالقلب فعلى هذا
الجوارح الظاهرة تبع للباطنة فان استقام الباطن استقام الظاهر جبرا وإذا
دخل الحال في الباطن دخل في الظاهر من باب أولى وعلى هذا ينبغي
للؤمن أن تكون همه وكأنيته في تخليص باطنه واستقامته اذ أن أصل
الاستقامة منه تتفرع وهو معدنها وقد نص الحديث على هذا وبينه أتم
بيان فقال عليه الصلاة والسلام ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب وقال عليه
الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ انوى فن كانت هجرته
الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها

أو امرأة يتكحها فهـ جرتة إلى ماها جرائه فالحجزة على حد واحد في الفعل
 وإنما كانت هذه لله وهذه لغير الله على ما انطوت عليه الجوارح إلى ساطنة
 وهي النية وقد قال الامام أبو عبد الله مالك بن أنس رحمه الله تعالى
 ألا ترى أن الساجد لله تعالى والساجد للصنم في صورة واحدة وإنما كانت
 هذه عبادة وهذه كفر بالنية فينبغي أن يكون المؤمن محافظا على نيته ابتداء
 فإذا أراد أن يزيد في عمله ينظر أولا في نيته فيحسبها فإن كانت حسنة فيتم بها
 أن أمكن تقيتها وما افترق الناس في غالب أحوالهم إلا من هذا الباب
 لأن الغالب على بعضهم تقارب أفعالهم ثم انهم يفترقون في الخيرات
 والبركات بحسب مقاصدهم وتغية أفعالهم متمثال ذلك ثلاث رجال
 يخرجون إلى الصلاة أحدهم يخرج ويتنظر أن كانت له حاجة لنفسه أو
 لبيته قضاها في طريقه وهو ساه عن نية التقرب بذلك إلى الله تعالى فهذا له
 أجر الصلاة ليس الا والخطا التي استعملها المسلم قد ذهبت لقوله عليه
 الصلاة والسلام إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء وأقى المسجد لا يريد إلا
 الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة أخرجه أبو
 داود وفي البخاري ومسلم لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه
 بها خطيئة فشرط عليه الصلاة والسلام في حصول هذا الأجر أنه لا يريد
 إلا الصلاة وهذا المذكور قد أراد غيرها بالحاجة التي توى قضاها والثاني
 خرج إلى الصلاة ليس الا ولم يخط مع هذه النية غيرها فهذا أعظم أجرام
 الاول لأنه حصل له بركة الخطا إلى المسجد على ما أخبر به صاحب الشريعة
 صلوات الله وسلامه عليه والثالث خرج بما نرج به الثاني لكنه حين
 خروجه نظر في نيته أن كان يمكن تقيتها أم لا فوجد ذلك ممكنا فصلا ففعله
 فخرج وله من الأجور ما لا يعلمه إلا الله الذي من عليه بذلك فإذا كان الأمر
 كذلك فلا يمتنع على الخروج إلى المسجد ليس الا بل ذلك في كل الأفعال
 دقيقة أو جارية كبرها وصغيرها مما أمكن تقيتها فعل ذلك فيحصل له
 الخير العظيم والسعادة العظمى مع راحة البدن من التعب وغيره لكن ذلك
 بشرط يشترط فيه وهو أن يكون مهمما ظفربشي مما نواه وهو يقدّر على فعله
 من غير كراهية للشرع في فعله فليبادر إليه والمحذر المحذر من تركه لأنه

الاهتبال الاهتمام
هـ

اذا تركه وهو قادر عليه كان الاولى به والافضل ترك النية فيه لانه اذا فواه
وقدر عليه ولم يفعل دخل اذذاك في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون فتكون نيته تحصله
في هذا المقت والعياذ بالله تعالى وانما انهي هذه الطائفة اعمالها لاهتبالهم
بأمر دينهم وقوتهم فيه فاذا ظفروا بشئ منه لم يتركوه فيحصل لهم أجر النية
والعمل وما لم يحصل حصل لهم أجر النية وقد قال صلى الله عليه وسلم اوقع
الله أجره على قدر نيته انتهى فلا يزالون في خير دائم وأجورهم تزايد بخلاف
غيرهم فإنه قد استمر وحس الفعل أو يفعله بنية فاسدة أو يفعله وله فيه حسنة
واحدة ~~كتب~~ سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما
اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدرا النية فمن ثبتت نيته تم عون الله له ومن
فصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدرك ذلك ~~وكتب~~ بعض الصالحين
إلى أخيه أخاص النية في أعمالك بكفيل قليل العمل وقد قال علماء وناجحة
الله عليهم من لم يمتد إلى النية بنفسه فليحجب من يعلمه حسن النية وقد قال
الامام المحقق ع بن رزق رحمه الله تعالى نظرت في هذا الامر فلم يأتنا الا من
قبل الغفلة عن النية لاني نظرت فوجدت الانسان لا يخاف من أحد أمرين
أحركة وأما سكون وكلامه اعمل اه كلامه بالمعنى فان تحرك الانسان
أو سكن ساهيا أو غافلا كان ذلك عملا طاريا عن النية فيخرج أن يكون عملا
شرعا للعديد المتقدم اغما الاعمال بالنيات فاذا تقرر هذا وعلم تحصل
منه أن أعظم الناس منزلة وأكثرهم خيرا وبركة الواقف مع نيته في حركته
وسكونه وبهذا المعنى وقع الفرق بيننا وبين سلفنا وخيار من تقدمنا رضوان
الله عليهم لتحسين نياتهم وتحريرها فإسكانت حركاتهم وسكناتهم عبادة
ونحن اليوم اغما العبادة عندنا ما كان من الصلاة والزكاة والصوم والحج
والجهاد أصول الدين المعروفة وهذه اغما هي عند الموفقين منا أعنى
المحافظين على هذه الافعال المذكورة بواجبها ومنذوبها وبقي ما عدا هذه
الافعال عندنا على أقسام فمنها من يفعلها للدين أو منافعها راحة ومنها
من يفعلها غفلة ونسيانا إلى غير ذلك من الامور العارضة لنا في تصرفنا في
الفرق بيننا وبين سلفنا حكى القشيري رحمه الله تعالى في التعبير له قال قيل

أن رجلا من الصالحين رأى في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفرت لي
ورفع درجتي فقيل له بماذا قال له ههنا يعمدون بالبحر ولا بالكوع
والسجود ويعطون بالنية لا بالخدمة ويقفرون بالفضل لا بالفعل سمعت
سیدی ابا محمد رحمه الله يقول وقع قطبافريقية واحتاج الناس الى
الاستسقاء فأرسل بعض الاكابر الى أخيه في الله يسأله أن يخرج مع الناس
الى الاستسقاء فساء الرسول الى الشيخ فلم يجده في بيته فسأل عنه فقيل هو في
أرضه يعمل فعدتظاره الى أن جاء عشية ومعه البقرة وآلة الحرث فسلم عليه
الرسول وبلغ اليه ما جاء بسببه فسكت عنه ولم يعطه جوابا فبقى عنده ثلاثة
أيام منتظرا رد الجواب فلم يجبه فأراد أن يرجع الى الذي أرسله فخرج ومر
على الشيخ وهو يعمل في أرضه فقال له يا سيدي ما أردت سيدي فلان في
الجواب فقال له لو علم أنه يخرج مني نفس غير الله لقتلت نفسي فمن يراه
يتدب ويعمل في الأرض يظن أنه طالب دنيا أو متبع لها وهو في هذا الحال
ولا شك أنه في هذا مع غيره في الصورة واحد وهو لا يخرج منه نفس على
ما ذكره الله تعالى فافترق العملان بما احتوى عليه القلب وهي النية
وكيفيتها حكى صاحب الفتوح عن بعضهم أنه كان مع شيخه عشية عرفة
بالعراق في أرض له يزرع وإذا برجل يمر كالسحاب فوقف مع الشيخ يتحدث
معه ساعة والشيخ يقول لا أفدر ثم مضى فسأله من هذا الرجل فقال هذا
بدل الاقليم الفلاني فقلت له وما طلب منك حتى امتنعت من فعله فقال طلب
منى أن أقف معه الليلة بعرفة فقلت له يا سيدي وما منعك من ذلك فقال لي
كنت نويت زراعة تلك البقعة الليلة فانظر كيف ترك الوقوف بعرفة لأجل
زرع تلك البقعة فلمو كانت زراعتها عنده لا مرميا حلتها ولا كن لما كانت
النية فيها صالحة بحسب ما قوى لم يقدر أن يتركها التلايد خل في قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون
وفي قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم حكى لي عن بعض أصحاب سيدي أبي علي
حسن الزبيدي رحمه الله وكان أماما معظما محترما قدما عنده من أدراكه من
المشايخ مثل سيدي أبي محمد المرجاني وسيدي أبي محمد بن أبي جرة ونظائرها
قال كنت مع سيدي حسن في حائطه يعمل فيه وإذا بشخص يدق

السبب فثبت الى الباب لا نظرم من هو فاذا هو سيدي حسن قد لحقني
 فساأني من قياي بأى نية قت فقات قتت لا فتح الباب قال لا غير قلت هو
 ذلك أو كما قال قال فعاب ذلك على وانتهرني وقال فقير يتحرك بحركة عارية
 من النية ثم أخبرني أنه قام لفتح الباب وعددلى ما قام به من النيات فاذا هي
 نحو من خمس وعشرين نية ولا يعكر على هذا ما ذهب اليه بعض الناس
 من ان هذه الطائفة لا تخرج الا بنية واحدة واستدل على ذلك بفعل الامام
 أحمد بن حنبل رحمه الله لما جاء الى الحج ووجد بعض أئمة الحديث بمكة والناس
 يسمعون عليه الحديث فلم يجلس اليه ولم يسمع عليه شيئا فقبل له في ذلك فقال
 ما خرجت بهذه النية فلما ان حج ورجع الى بلده رحل الى الشيخ المذكوور الى
 بلده باليمن أو غيره فسمع عليه الحديث وهذا منه رحمه الله ليس على ظاهره
 بل لا مرأى له وهو واضح بين اذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا لى
 كقدح الراكب فأراد الامام أحمد رحمه الله أن يجعل الرحلة حديث النبي
 صلى الله عليه وسلم على الاصل والعمدة وما وقع بعدها من النيات فتبطل لها
 وفرغ عنها تحفظا منه رحمه الله أن يجعل حديث النبي صلى الله عليه وسلم تبعا
 فيكون كقدح الراكب وذلك ان قدح الراكب هو الذى يكون فيه الماء
 لقضاء ما ربه من شرب وغيره لانه لا يجعله على الدابة الا بعد أن يفرغ من
 تحميل حوائجه كلها عليها فأراد أن يجعل حديث النبي صلى الله عليه وسلم
 أصلا لا فرعا كما تقدم (وقد) روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه
 قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا وحاسبوا وزئجكم قبل أن توزنوا وتزينوا وللعرض
 الاكبر على الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية اهـ ومن محاسبة
 النفس تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بأن يجعله أصلا لا فرعاً تابعا
 (وقد) قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب الاربعين
 في أصول الدين له والنية والعمل بهما تمام العبادة فالنية أحد جزئى العبادة
 لكنها خيرا من الجزئين لان الأعمال بالجوارح ليست مرادة التأثيرها في القلب
 ليحيل الى الخير وينفر عن الشر فليس المقصود من وضع النية على الارض
 وضع النية بل خضوع القلب لأن القلب يتأثر بأعمال الجوارح وليس
 المقصود من إزالة المالك بل إزالة رذيلة البخل وهو قطع علاقة

الغلب من المال ثم قال فاجتهد أن ~~تكثر~~ من النية في جميع أعمالك حتى تنوى لعمل واحد نيات ~~كثيرة~~ ولوصدقت رغبة لك لهديت لطار يقه ويكفيك مثال واحد وهو أن الدخول إلى المسجد والقعود فيه عبادة ويمكن أن يكون فيه ثم نية أو ورأولها أن يعتقده أنه يدت الله عز وجل وأن داخله زائر الله تعالى فينوى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المازور أكرام زائره وثانيها المراقبة لقوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا قبل معناه انتظروا الصلاة بعد الصلاة وثالثها الاعتكاف ومعناه كف السمع والبصر والاعضاء عن المحركات المعتادة فانه نوع صوم قال صلى الله عليه وسلم رهبانية أمتي القعود في المساجد ورابعها الخلو ودفع الشواغل لازوم السر والفر في الآخرة وكيفية الاستعداد لها وخامسها التجرد لاندكروا سماعه واستماعه لقوله صلى الله عليه وسلم من غدا إلى المسجد يذكرك الله تعالى ويذكرك به كان كالجسماء في سبيل الله تعالى وسادسها أن يقصد إفادة علم وتذنيه من يسي الصلاة ونحوه عن منكر وأمر يعرف حتى ينتشر بسببه خيرات كثيرة ويحكون شريكها وسابعها أن يترك الذنوب حياء من الله عز وجل بأن يحسن نيته في قوله وعمله حتى يستحي منه من رآه أن يقارف ذنبا وقس على هذا سائر الأعمال فباجتماع هذه النيات تزكو الأعمال وتلتحق بأعمال القربين كما أنه بنيتها تلتحق بأعمال الشياطين كمن يقصد من القعود في المسجد التحدث بالباطل والتفكك بأعراض الناس ومجالسة اخوان اللهو واللاهب وملاحظة من يجتاز به من النسوان والصبيان ومناظرة من ينازعه من الأقران على سبيل المباحات والمراءات باقتناص قلوب المستمعين كالكلامه وما يجري مجراه وكذلك لا ينبغي أن يغفل في المباحات عن حسن النية ففي الخبر أن العبد يسئل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينه وعن فتات الطيب بأصبعيه وعن لمس ثوب أخيه فقال النية في المباحات أن من يتطيب يوم الجمعة يمكنه أن يقصد اتهم بالذته والتفاخر باظهار أثره والتزويق للنساء وأخذان الفساد ويتصور أن ينوى اتباع السنة وتعظيم بيت الله تعالى واحترام يوم الجمعة ودفع الأذى عن غيره بدفع الرائحة

الكرامة وايصال الراحة اليهم بالرائحة الطيبة وحسن باب الغيبة اذا شتموا منه رائحة كريهة والى الغريقتين الاشارة بقرينة صلى الله عليه وسلم من تطيب في الله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجحيفة انتهى (وقد نقل) الشيخ ابن عبد السلام رحمه الله تعالى اجماع العلماء على محاسبة النفس فالمحاسبة حديث الانفس وضبط الخواص ورعاية الاوقات وايشار المهمات يمين هذا ويوضحه قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قيل له لو قيل لك انك تموت الآن بماذا كنت تحترف احرترف لاهلى بالسوق ومعلوم بالضرورة القطعية انه لا يريد ان يموت الا على اكل المحالات فلما ان اختار الموت في هذه الساعة التي يكون فيها في السوق علم عند ذلك مقاصدهم بالسوق ما كانت ولاى شئ كانوا يخرجون اليها وهل هم معرضون في تلك الحال او حاضرون في العبادة والخير وقد قال رضى الله عنه انى لا نكح النساء والى اليهن حاجة واطامن ومالى اليهن شهوة قيل ولم ذلك يا أمير المؤمنين قال رجاء ان يخرج الله من ظهري من يكثريه محمد صلى الله عليه وسلم الامم يوم القيامة فهذا اعظم ما لذ وذات الدنيا رجع مجرد للآخرة يتقربون به الى ربهم فابالك بما هو اقل منه لذ وشهوة فسبحان من من عابهم وسقامهم بكائنات فيهم صلى الله عليه وسلم ونحن اليوم قد أخذنا في الضم من أحوالهم هذه أحوال دنياهم يتقربون بها الى ربهم ونحن اليوم قد أخذنا أعظم ما يعمل للآخرة ورددناه الى الدنيا ولا أسبابها بيان ذلك ما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال ما أعمل البر في الجهاد الا كبصقة في بحر وما أعمل البر والجهاد في طلب العلم الا كبصقة في بحر فتبين من هذا الحديث ان أعظم أعمال الآخرة انما هو طلب العلم ولا يخفى على ذى بصيرة أن الغالب من ذلك راجع الى الدنيا صرفا بقصد أخذنا بتعلم العلم ويبحث فيه ثم يطلب ما هو معلوم في الوقت من طلب المناصب به والرياسات ومحبة الظهور والرفعة به على أبناء جنسه ومحبة الخطوة عند الامراء والسلاطين والعلماء والعوام ان سلم من الدواعي العنصرية وهو التردد الى أبوابهم وانما هذا المنصب الشرعى العظيم بالوقوف به على أبواب النظم ومعاينة ما العلم الذى عنده يحرمه ويأمر بتغييره

قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم فجعل العلماء في ثاني درجة من ملائكته وفي ثالث مرتبة منه سبحانه وتعالى أعنى في الشهادة فانظر الى هذا المنصب العظيم والسعادة العظيمة كيف وقع ونزل به هذا الناقد المسكين المتشبه بالعلماء الدخيل فيهم تسمى باسم لم يستحقه فنزل به الى أسفل سافلين لكن العلم والمجد لله لم ينزل وانما نزل نفسه وبخسها لحظه الا يكون له لم يتصف بالعلم الذي من عليه به ترك علمه على رأسه حجة عليه يوضحه بين يدي ربه ويكون سبب الاهلاكه بين ذلك ويوضحه الاحاديث الواردة عنه صلوات الله عليه وسلامه فمنها ما ذكره الشيخ أبو عبيد الله القرطبي رحمه الله في كتاب التفسير له قال روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرّفه نعمه فعرّفها قال فاعلمت فيها قال قالت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنت قالت ليقال فلان جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرّفه نعمه فعرّفها قال فاعلمت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنت تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه الله من أصناف المال كله فأتى به فعرّفه نعمته فعرّفها قال فاعلمت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنت فاعلمت ليقال فلان جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار وقال الترمذي في هذا الحديث ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي وقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خاق الله تسعيرهم النار يوم القيامة قال ابن عبد البر وهذا الحديث فيمن لم يرد بعلمه وعمله وجه الله تعالى (وروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من طالب العلم لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ عقابه من النار وخرج ابن المبارك في رقايقه عن العباس ابن عبد المطالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى تنحاض البحار بالخيول في سبيل الله تبارك وتعالى ثم يأتي

أقوام يقرءون القرآن فاذا قرءوه قالوا من أقرأنا من أهل مناسم التفت الى أصحابه وقال هل ترون في أولئك من خير قالوا لا قال أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم رقدود النار (وروى) أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجهه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربهما قال الترمذي حديث حسن (وروى) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قالوا يا رسول الله ومن يدخله قال القراء المراءون بأعمالهم قال هذا حديث غريب (وفي كتاب) أسد بن موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم لواديا ان جهنم لتعوذ من شر ذلك الوادي كل يوم سبع مرات وان في ذلك الوادي نجبا ان جهنم وذلك الوادي ليتعوذ ان بالله من شر ذلك النجب وان في النجب نجبة ان جهنم والوادي والنجب ليتعوذون بالله من شر تلك النجبة سبع مرات أعدها الله تعالى للاشقياء من جملة القرآن الذين يعصون الله تعالى اما نقله القرطبي رحمه الله والاحاديث في هذا المعنى كثيرة فانظر الى ذلك المنصب العظيم والرتبة العاليا كيف رجعت في حق هذا القارئ المسكين بهذا الوعيد العظيم والمسكنة العظيم بسبب ما ذكر من حب الرياسات والمناصب والمفاخرة أسأل الله تعالى السلامة بعد أن كان في أعلى عليين رجع الى أسفل سافلين ولهذا المعنى كان سيدي أبو محمد رحمه الله اذا ذكر له واحد من علماء وقته ممن ينسب الى طرف مما ذكر ويثنى عليه اذ ذاك بفضيلة العلم يقول ناقل ناقل خوفا منه رحمه الله على منصب العلم أن ينسب الى غير أهله وخوفهم أن يكون ذلك كذبا أيضا لان الناقل ليس بعالم في الحقيقة وانما هو صانع من الصنائع كالتخياط والتخداد والقصار هذا اذا كان نقله على وجهه في الصحة والامانة والا كان دجالا فيستهزأ بالله منه لان العلم ليس هو النقل ليس الا وانما العلم ما قاله مالك رحمه الله ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يذفه الله تعالى في القلوب (ومن) كتاب سير السلف للحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله قال ابراهيم

الخواص رحمه الله ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم أن اتبع العلم واستعمله
واقته بالسنن وإن كان قليل العلم اهـ يبين هذا ويوضحه ما ذكره الشيخ
أبو عبد الله القرمي رحمه الله تعالى في تفسيره عن أبي بكر الأنباري بإسناده
عن خلف بن هشام البزازي قول ما أظن القرآن الأعرابي في أيدينا وذلك أنا
روينا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفظ سورة البقرة في بضع عشرة سنة
فلما سقطت فخرجوا يشكروا الله تعالى وإن الغلام في دهرنا هذا يجلس بين
يدي المعلم فيقرأ ثلث القرآن لا يستطمنه حرفا لحسب القرآن الأعرابي
في أيدينا (وقال) أهل العلم بالمحدث لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على
سماع الحديث وكتبه دون معرفته ونهجه فيكون قد أتعب نفسه من
غير أن يظفر بطائل (وقال) معاذ بن جبل أعلموا ما شئتم أن تعلموا فإني بأجركم
الله تعالى بعلمه حتى تعملوا (قال) ابن عبد البر وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم مثل قول معاذ وفيه زيادة أن العلماء هم الرعايا وإن السلفاء
هم الرواية اهـ قلنا القرمي رحمه الله تعالى فهذه الآثار والأحاديث كلها
تبين وتوضح مراد الإمام مالك رحمه الله لأن من فذف الله في قلبه نورا كان
بعيداً من كل ما ذكر من الأوصاف المذمومة قد حصلت له الرتبة العليا
المذكورة هتيماً له فن لم يحصل له طرف من ذلك النور بقي لئلا جالاً أو لصا
يكيد الدين وأهله أنه وديان الله من شره قال الله سبحانه وتعالى ومن لم يجعل الله
له نورا فجعله من نور وهذا البحث كله إنما هو إذا سلم طالب العلم من عوض
يأخذه عليه عما هو معلوم في الوقت فإن كان ثم معلوم يطلبه على علمه فقد زاد
ذهابه إلى مذمومات تقدم ذكرها ولو وقف أمرنا على هذا المكان ذلك رجة
بالأنه إذا علم المرء بهذه القاعدة القاسدة التي احتوى عليها علمه يرجي له أنه
مهما هدر على الترك أو إليه وناب واقف ورجع إلى الأعلى والأكمل لئلا
لمنهم عند هذا الحد بل قد ناعاه الدافع المضرب الذي لا يمكن معه توبة
ولا استغفار وهو أننا نرى أنفسنا في طاعة وخير وإن وقوفنا على أبواب من
تقدم ذكرهم من باب ما يجب أو يستحب بحسب ما سألنا أنفسنا وزين
لنا شيئاً أن قام توبة فحدث مع هذا الحال وأي أقالة تقع لأن التوبة إنما
ترجي من يرى نفسه أنه في غير طاعة وأما الطاعة فلا يتوب أحد منها وقد

قال صاحب الانوار رحمه الله تعالى لما تكلم في وقته على شئ ظهر له اقل من
هذا ان الله وانما اليه راجعون على موت الاخيار والبقاء مع قوم لا يستحيون
من فضيحة ولا عار اهـ وكذلك ايضا ما نأخذ من العلم من المعلوم بقول فيه
انه اعانة على طلب العلم والعلم في نفس طلبة انما هو لله وهذا كله خطر عظيم
اسأل الله السلامة منه ولو قطع عنا ما نأخذ من المعلوم وبقينا على طلب
العلم لا نبرح ولا نفترع ما كنا بصدده لكانت دعوانا صحيحة ولكن ننظر الى
انفسنا فنجدها لو احدثنا اذا قطع عنه المعلوم تسخط اذ ذاك وبقول اذا كان
مبتدئا كيف يقطع عنى وانا قد قرأت الكتاب الغلابي وحفظت كذا بل
لا تحتاج في هذا الى قطع المعلوم بل هو موجود فينا مع وجود المعلوم تجد
الطالب من اية قول كيف يأخذ ذل ان كذا وانا اكثر بحثا عنه واكثر فهمها
واكثر حفظا لا يكتب واكثر نقلا الى غير ذلك من الامور العارضة لنا
الظاهرة للصغير والكبير من ابل اذا اراد الطالب في اول امره ان يتدى
القراءة يتدب به هذا السمع ان كان هو الطالب يتدب به وان كان وليه فكذلك
فيدخل أولا بنية أن ينشط في العلم ويظهر حتى يحصل له من المعلوم كفايته
وحتى يحصل عدالته او غير ذلك من المناصب التي نحن عاملون عليها
فكيف يكون هذا العلم لله مع هذا الحال وان كان منتهى التجديده وبين
نظائره التنافس على مناصب التدريس والسمي فيه الى ابواب من تقدم
ذكرهم والتدريس بالمعلوم في الغالب لا يحصل الا بالوقوف على ابواب
هؤلاء ومباشرتهم فكيف يكون منه طرف من النور ذلك بعيد جدا ثم اذا
قطع المعلوم تسخط اذ ذاك وبقول اى فائدة لعمودي ويطلون المواضع من
الدروس حتى يأتى المعلوم فاذا أتى المعلوم وجدنا متسابق الى تلك المواضع
ونهرع اليها فصار حالنا كما قال يمين بن رزق رحمه الله تعالى فاصبحت اقدم
الدينى بالأسن ونجبرها اليها بالأيادي والأرجل اسأل الله السلامة من
هذا الامر العظيم هذا هو حال السالم من النية السوء اليوم في هذا الاصل
وهذا انما هو غميل في المعنى والافاعا لنا الغالب عليها هذا المعنى الا ترى
الى ما جاء في فضل الاذان وما فيه وفي فضل الامامة وما فيها والغالب على
أحوالنا اليوم ان كان المسجد له معلوم حينئذ يهر بالاذان والاقامة

في بعض الاوقات دون بعض وان لم يكن له معلوم ترك مغلفا حتى يخرب
فتساقط عليه من لا خير فيه بالمهدم والبيع فانظر بعين البصيرة وميز بين
هذين الحالتين حال سلفنا في أمر ديننا هم وحالنا في الامور والمذكورة التي
هي للاخرة تجد اذ ذاك الفرق الذي لا يخفى على من يعرف ان الاثنين اكثر
من الواحد وقس على هذا وانظر بنظره أي شبه بيننا وبين سلفنا رضى
الله عنهم اخذنا والله في الضد عما كانوا عليه في أكثر الاحوال فان الله
وانا اليه راجعون فاذا تقرر هذا وعلم من احوالنا واحوال من تقدمنا
فلا شك ان البقاء في هذا السخط في العقل وحرمان بين فيحتاج من له لب ان
يرجع الى الله تعالى ويتوب من هذه الاحوال الرديئة وينظر بعين العلم
فيما يصلحها قبل ان يدركه الموت ولا يفتن طائفة ان صلاحها لا يكون الا
بتركها بل يكون بتركها او بالاقامة فيها هذا راجع الى احوال الناس
قرب شخص لا يظفه الا الترك وآخر لا يحتاج الى الترك بل يبدل النية
ويحسنها ويستقيم حاله على ما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى عند اخذ
الدرس في المدارس فيلتمس هناك ان شاء الله تعالى ولا يقع الفرق بينهما
أعني من هو الاصلح له الترك أو غيره الا صاحب الواقعة أو من يباشره بعين
البصيرة والتمييز (فالخاص) من هذا كله ان الفرق الذي وقع بيننا وبين
سلفنا في غالب احوالنا انما هو من أجل هذه النية التي احتوت عليها اسويدها
العلوب اذ ان اوصلي كما كانوا يصلون ونصوم كما كانوا يصومون ونحج كما كانوا
يحجون واقتربنا لاجل افتراق النيات فبعضنا يكون افتراقه كثيرا وبعضنا
يكون افتراقه قليلا بحسب الاحوال فمن له عقل ينبغي له أو يجب عليه
بحسب حاله ان يصلح ما وقع من الخلل في نفسه بنفسه فيحسن نيته ويزيل
عنها الشوائب ثم يقيمها ما استطاع جهده ويلجأ في ذلك حركته الى مولاه
ويستغيث به لعل ينفعه ويحققه بسلفه وكيفية المأخذ في ذلك قريب ان
شاء الله تعالى

*(فصل في كيفية محاولة الاعمال كلها أن ترجع الى الوجوب أو الى الذنب) *

قد تقرر في الشرع عنه صلى الله عليه وسلم اخبارا عن ربه عز وجل يقول ان
يتقرب الى الملة يقربون بأحب من ادعاهم لافترضته عليهم ثم لا يزال العبد يتقرب

الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ويده التي يبطش بها قال علماؤنا راحة الله عليهم معناه أنه يبقى
تصرفه كله لله تعالى لا لغیره فان تكلم تكلم لله وان سكت سكت لله وان
نظر نظر لله وان غص غص لله وان بطش بطش لله الى غير ذلك من
حركاته وسكناته وقد كان سيدي محمد المرحاني رحمه الله تعالى يقول ان
المعبر حاله بين الباء والالف يعني ان حركاته وسكناته خالصة لربه قائما فيها
به اذ أنه لا يدعي لنفسه شيئا فهو به واليه وعلى هذا المعنى حمل المحققون
منهم قول المحلاج رحمه الله ونفع به الساقيل له ابن الله قال في الحجة يعني أنه
لم يبق في الحجة التي عليه انفسه تصرف وانما التصرف كله لله وبالله على
مقتضى ما في هذا الحديث الذي نحن بسبيله فافتي من يشار اليه في وقته من
العلماء والصالحين بقتله تحفظا منهم على منصب الشريعة أن يتعرض له غير
حق فيدعي شيئا من تلك الامور ويجعل قدوته في ذلك المحلاج رضي الله
عنه أعاد الله علينا من بركاتهم بحمد مدوا له وهذا الذي ذكره هو حقيقة
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلعوا باخذ لاق الله قال الشيخ أبو محمد
سهل رحمه الله تعالى من انتقل من نفس الى نفس من غير كرف قد ضيع
حاله وأدنى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيما لا يعنيه وتركه ما يعنيه
وقد قالوا ان الذكر على قسمين ذكر باللسان وذكر بالقلب وهو ما يحتوى
عليه من النيات ومن الوقوف مع الامر والنهي ونقل عن حسان بن أبي
سنان أنه قال ذات يوم لمن هذه الدار ثم رجع الى نفسه فقال مالي واهذا
السؤال وهل هذه الا كلمة لا تعينني فآلى على نفسه أن يموم سنة كاملة
كفارة لهذه الكلمة وسبب هذا الواقع منه وقوفه مع نيته والنظر فيها
وتحريمها والاهتمام بها فاذا تقر بأنه ان يقرب الله تقربا يعطيه من
أداء الفرائض فينبغي ان له اب ان قد رآه يعمل الشيء على جهة الفرض
كان أولى به اذ ان ذلك أقرب الى ربه من غيره فينظروا لاقى الفعل الذي
يريد أن يفعله والافعال بالنسبة الى أحكام الشرع خمسة واجب
ومندوب وهباح ومكروه ومحرم فالحرام قد ترك والحمد لله فلا
سبيل الى فعله لانه قد حرم والمكروه ما كان في تركه أجرة لا ينبغي فعله

لان في فعله ترك الاجر وذلك لا يمكن لان المؤمن ينبغي ان يكون في دينه نهيا
كما قال بعضهم الليل والنهار نهيان فيك فانهب فيها فهو ينيب في الاعمال
يفترسها كالاسد على فريسته يفتنمها ويحاصها لان اليوم الذي مضى عنده
لا يرجع اليه ابدا وهو شاهد عليه يوم المحشر والنشر واذا كان كذلك فلا يمكنه
فعله لاجل ترك الاجر فيه وما جاء في الحديث عنه صلوات الله عليه وسلامه
قال ان الحلال بين وان المحرام بين وبينهما متشابهات لا يعلمهن كثير من
الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات
وقع في المحرام كالراعي - وللمحامي يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حي
الا وان حي الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله
واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب رواه البخاري ومسلم واما
على مذهب اهل الطريق فالذكر ومعهدهم كالمحرم لا سبيل الى ذكره
فضلا عن فعله ومن المتبينة قال وسمعت يذكر ان رجلا من المحكمين قال
ما كنت لاعمالا اريد ان تلعب به فلا تلعبن بدينك قال ابن رشد رحمه الله
المعنى في هذا انه لا ينبغي لاحد ان يسامح احدا في شيء من دينه وان لم يكن
عليه في مسامحته فيه اثم وان سامحه في ماله او في مرضه وذلك مثل ان يصح
الرجل صائما تطوعا فبدهه الى الفطر من صنيعة يصنعه فقد قال مطرف
انه ان حلف عليه بالطلاق او بالعق لي فطر ولا يحنثه ولا يقطر وان حلف
هو فليكفر ولا يقطر وان عزم عليه والداه او احداهما في الفطر فليطعمهما
وان لم يحلفا عليه اذا كان ذلك رقة منه - جماعة عليه لاستدامة صومه انتهى
فثبتت الافعال ثلاثة واجب ومنسوب ومباح فالمباح ما استوى طرفاه
لا في فعله ثواب ولا في تركه عقاب وينبغي للمؤمن ان لا تمر عليه ساعة الا وهو
في طاعة لربه مماثل امره والساعة التي يفعل فيها المباح يكون عرابا عن ذلك
وذلك لا ينبغي واما اهل الطريق فالتصرف عندهم في المباح لا يمكن
اصلا لان تصرفهم انما يكون في واجب او مندوب فاذا تقرر ذلك نظرنا
الى المباح فوجدناه والحمد لله ينتقل الى الندب على ما سياتي بيانه في اثبات
المسكوك ان شاء الله تعالى فثبتت الافعال فعلين واجب ومنسوب
ليس الا وقد تقرر ان الواجب اعظم اجرا فاذا تقرر ذلك نظرنا الى المندوب

هل يمكن نقله الى الواجب أم لا فوجدناه ينتقل الى أكثر الأعمال والمجد لله على ما سألنا ان شاء الله تعالى فبقى التصرف في فعل واحد وهو الواجب أعني في غالب الحال والندوب في وقت دون وقت
(فصل في المنيب من النوم ولبس الثوب والتصرف الذي يكون بعده وكيفية النية في ذلك كله

فان انتبه الانسان من نومه وقام من فراشه يلبس ثوبه فان اللبس من جهة المباح فان اراد ان يرد الى جهة الوجوب فذلك موجود يلبسه بنية ستر العورة وذلك واجب ثم لا يخلو الثوب اما ان يكون مما يتزين به أم لا فان كان كذلك ضم الى نية الواجب امتثال السنة في اظهار نعم الله تعالى للحديث الوارد عنه صلوات الله عليه وسلامه اذا انعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى أثر نعمته عليه فينوي بذلك مبادرته الى ما يحبه الله منه وان كان الثوب مما لا يتزين به فينوي بلبسه التواضع لله تعالى والانكسار والتذلل بين يديه واظهار الحاجة والمسكنة والفقرا اليه وامتثال السنة ايضا للحديث الوارد عنه صلوات الله عليه وسلامه من ترك اللباس وهو قادر عليه كساء الله عز وجل يوم القيامة من طخت البياقوت أو كما قال ومن رواية أبي داود في سننه انه عليه الصلاة والسلام قال من ترك لبس جمال وهو يشر عليه قال بشر أحسبه قال تواضعا كساء الله حلة الكرامة هذا اذا كان ممن له اتساع وترك اللباس وهو قادر عليه واما ان لم يكن له غير ذلك الثوب فقد بقي على الوجوب ليس الا لكن يضم الى نية الوجوب الرضا بما قسم الله له وترك الاختيار على الله تعالى والتسليم له في حكمه وهذا أعظم أجرا اذا احسنت نيته فيما ذكر لانه مقام الرضا ومقام الرضا عزيز جدا لا يقوم فيه الا واحد عصره وان كان مما يحتاج الى ثياب كثيرة لا بد له منها يلبسها لاجل حر أو برد فينوي بذلك دفع الحر أو البرد عنه فمتثالي ذلك حكمه الله تعالى واظهار الحاجة اليه والاضطرار في لبسه مع اعتقاد النية ان ذلك لا يدفع الحر أو البرد الا بعشيرة الله تعالى وحكمته ولا جمل هذا المعنى الذي ذكره حتى بعض الفضلاء لانه كان في بعض الايام قاعدا لاجل الدرس واذا به قد اراد ان يحول ثوبه وأومأ لذلك وتحرك اليه ثم رجع عنه

قوله طخت
البياقوت هكذا
بالنسخ التي بأيدينا
والذي في الاحياء من
ترك زينة الله أو وضع
ثيابا حسنة تواضعا
لله وابتغاء لمرضاته
كان حقا على الله أن
يدخله عبقرى
الجنة وفي رواية في
كتاب الاكمال كان
حقا على الله أن
يكسوه من عبقرى
الجنة في نية

البياقوت والنجاة كما في القاموس الخاص فليتنظر ما معنى طخت البياقوت اه

وجعل لي يستغفر الله تعالى فستل عن ذلك فقال حانت مني التفاتة الى ثوبي
فوجدتني قد لبسته مقاربا فعزمت على تعديله ثم اني فكرت اني كنت لبسته
حين فلت من الفراش بنية ستر العورة فاستغفرت الله تعالى عما أردت فعلمه
أو كما قال وهذا السيد رحمه الله تعالى انما جعل يستغفر الله لانه قد يكون
لم يتخلص له النية بغيره من كان معه في الوقت أو خاضت وخاف أن يشوبها
شيء مما لاجل حضورهم فتركه اية أو أراد بترك ذلك على حاله واستغفاره مما
أراد فعلمه تعليم الطلبة كيفية التصرف في الافعال كلها فيكون لبس الثوب
منه تبيين على بقائهم والالوهية ذلك الوقت وعمله بنية الكمال الزينة
واظهار النعم على ترتيب حكمة الله تعالى في ذلك لم يكن ذلك مضادا لنيته
الاولى ~~ان~~ هذه الطائفة أخذت بالجود والمحرم ففهموا وقع لهم شيء آمن
الشواذب أو ثوبها بطرف ما تركوا القعر البتة كما حكى عن بعضهم أنه
مر بأفراوات وبنه مركب موسوق نجرا و ~~كان~~ صاحب الخمر من الظلمة
المسلطين على الخاق في وقتها لا يطاق أشد سطوته فطلع المركب وكسر
ما هناك فلم يبق أحد يتعرض له الا أنه لما ان بقي عليه من التمسك شجرة
واحدة وقف عندها يسيرا ثم تركها يعني لم يكسرها ثم انصرف عنهم ومضى
لسبيله فلما ان أخبروا الظالم بقصته أمر بإحضاره فاحضر فقال له ما جئت
على داوعلت فقال عمت ما خطر لي فاعمل ما خطر لك فقال له الظالم فلاي شيء
تركت الشجرة الواحدة لم تكسرها أو كسرت الجميع فقال ذلك لاني لما ان
رأيت المنكسر لم اتكسرك الا ان اغديره ففعلت فكان ذلك خالصا لربي عز
وجل ثم لما ان بقيت تلك الشجرة خطر لي في نفسي اني من غير المنكسر فرأيت
ان قد حصل لى في ذلك دعوى فخفت أن يكون كسر ما بقي فيه حظ لنفسي
فتركتها وانصرفت لاسلم من آفات ما أو كما قال فردا الظالم رأسه الى خدمه
وحشمه وقال لهم لا يكون بينكم وبين هذا معاملة يفعل ما يختار والامنة
السلامة أو كما قال فانظر رحمك الله شدة ملاحظتهم لثيابهم وانحلاصها
وتحريرها وتحريرهم من الشواذب عنها وترك الدعاوى والمباهاة لاجرم ان
الظالم كان لا يفرع لاجل بركة ما ذكر من حاله خائفة منه فزعا
وكذلك ~~من~~ من انخلص لله تعالى وسنته سبحانه وتعالى فيهم واحدا

لا يخذلهم ولا يتركهم لانفسهم لانه انما يترك لنفسه من كان معها اولوفى وقت
ما و ا. امن كان مع ربه عز وجل وقد ثبت طلاق نفسه فلا شك ان امره هذا
لا يطبق لانه انما ينطق عن ربه عز وجل عريا عن حظوظ نفسه مقبلا على
ما يلزمه و يعنيه معرضا عما سوى ذلك جاء ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام
اخبارا عن ربه عز وجل يقول لو كادته اهل السموات و اهل الارض لمجملت
له من امره فرجا و مخرجا و من كان الله عز وجل له على ما ذكر في دنياه
فكيف يكون حاله و كرامته حين القدوم عليه فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من
غرة أعين وهذا المخرك له أصله النية و تحريرها و الوقوف معها و اذاعتقاد
بها و كيف يغفل عنها أو تترك أو يرضى بما قل أن يترك لنفسه تذكرة ما هذا
غير كمال العقل ضرورة نسأل الله تعالى السلامة بمنه فحسن لنا
في لبس الثوب من النيات سبع عشرة نية و من نظر و أعناه الله نورا ازداد
على ذلك أكثر مما ذكر و بالله التوفيق

(فصل في الاستبراء و كيفية النية فيه)

فإذا لبس الثوب على ما ذكر يحتاج إذا كان يستبرأ أو يزيل حقنة و يدفع
عن نفسه ضررا فإذا دخل لراحة نفسه فله ما احتوت عليه نية و ان دخل
ساهيا أو غافلا فلا كالاول و قد تقدم ان الافعال قد بقيت على قسمين
واجب و مندوب و هذا على الوجوب لا شك فيه و من فعل الواجب كان
له الثواب الجزيل و الحمد لله ببيان وجوبه ما وقع من الاجماع على ان
الاستبراء واجب أعني استفراغ ما في المحل من مادة البول وكذلك إزالة
الحقنة أيضا واجبة لان صاحب الشرع صلى الله عليه و سلم
يقول لا يصالح أحدكم و هو يدافع الاخبثين و هذا هو و قد قال
عليه الصلاة والسلام ما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم و ما نهيتكم عنه فلا
تفربوا انتهى و لا يتصل الى الواجب الا به فهو واجب فالصلاة لا يمكن
إبقاؤها على ما تقر الا بإزالة الحقنة فصارت إزالتها واجبة فإذا قام الى هذا
الواجب بفعله فلا يقتصر على نية هذا الواجب ليس الا بل يضيف اليه نية
امثال السنة في ذلك و قد ذكر علماء و أئمة الله عليهم آداب التصرف
في ذلك كله و هي تنوف على سبعين خصلة يحتاج من قام الى قضاء حاجته

أن يتأدب بها وهي كلها ماشية على قانون الاتباع قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحبك الله الأولى الأبعاد حتى لا يرى له شخص ولا يسمع له صوت
الثانية الاستعداد لذلك قبل الدخول يسير من الماء والأجبار الثالثة
أن يقدم الشمال ويؤخر اليمين الرابعة إذا خرج فليقدم اليمين أولا ويؤخر
الشمال الخامسة أن يتعوذ التعوذ الوارد في ذلك عند الدخول وهو أن
يقول أمروا بالله من الخبث والخبائث الخبث الرجس من الشيطان الرجيم
السادسة أن لا يستقبل القبلة اذ ذاك السابعة أن لا يستدبرها الا في
المنازل المبنية فلا بأس في الاستقبال والاستدبار ما لم يكن في سطح
فاجيز وكره على الاستدبار في التعليل هل النهي اكرا مالا للقبلة فيكره
أو اكرا مالا لللائكة فيجوز وكذلك الجماع ان كان في البيت فيجوز وان
كان في السطح فيختلف فيه على مقتضى التعليل الثامنة أن لا يستقبل
الشمس والقمر بعورته فانه قد ورد انهما يلعنانه التاسعة أن يستتر
عند التبرز العاشرة ان يتوقى مسالك الطرق الحادية عشر ان يتوقى
مهباب الرياح وكذلك ينبغي له أن يتوقى البول في المراحيض التي في الديار
المصرية وغيرها مما يشبهها فيما كان منها في الربوعات وما أشبهها لانهم
يعملون السراب متسعا جدا والمراحيض التي للربيع كلها نافذة اليه فيمتسح
فيه الهواء لانه يدخل اليه من بعض المراحيض ويخرج من الاخرى والذي
يخرج منها موضع مهباب الرياح فيبول فيه يرجع الى بدنه وتو به فينبغي
أن يمنع ومن اضطر الى ذلك فينبغي أن يبول في وعاء ثم يفرغه في المرحاض
فيسلم من النجاسة وهذا بين والله تعالى أعلم الثانية عشر ان يتوقى ما علا
من الارض الثالثة عشر ان يبالغ في أكثر ما يجرد من الارض انخفضا
ومنه سمى الغائط غائط الان الغائط في لسان العرب هو المكان المنخفض
من الارض فكان أحدهم اذا ذهب الى قضاء حاجته قبل ذهب للغائط أي
المكان المنخفض من الارض ثم صكر استعمله فعموا الخارج بالموضع
الذي ينزل فيه تنزيها لاسماءها عما تنزه عنه أبصارها وكانت تنظر الى
المكان المنخفض من الارض لانه أبلغ في السخروا أمن من مهباب الرياح
الرابعة عشر ان لا يعمد حتى يلتفت يمينا وسمالا الخامسة عشر ان لا يكشف

ثوبه حتى يدن من الارض السادسة عشر اذا قدم لا يلتفت يمنة ولا شمسالا
السابعة عشر ان لا يمسن ذكره بيمينه الثامنة عشر ان لا ينظر الى عورته
التاسعة عشر ان لا ينظر الى ما يخرج منه الا ضرورة لا بد منها وكذلك
في النظر الى العورة ايضا العشرون ان يعطى رأسه اذا ذاك وكذلك عند
الجماع الحادية والعشرون ترك الكلام بالكسبة ذكر كان أو غيره
ولا بأس ان يستعبد عند الارتباع ويجب اذا اضطر الى ذلك في أمر يقع مثل
حرق أو أعمى يقع أو دابة وما أشبه ذلك الثانية والعشرون لا يسلم على أحد
ولا يسلم عليه أحد فان سلم عليه أحد فلا يرد عليه الثالثة والعشرون ان
يقيم عرفه بوجهه اليمنى على صدرها الرابعة والعشرون ان يستوطئ
اليسرى الخامسة والعشرون ان يتوكأ على ركبته اليسرى فان هذه
الصفات أسرع لخروج الحدث السادسة والعشرون يكره البول من
موضع عال الى أسفل خوفا من الريح أن يرد عليه السابعة والعشرون يكره
أن يبول في الموضع المتهددة اذا كان هو من أسفل لان بوله يرجع عليه
الثامنة والعشرون اختلاف في البول قائما أو جازواكره والمشي راجحوا
اذا كان في موضع لا يمكن الاطلاع عليه وكان الموضع رخو فانه يستشفى به
من وجع الصلب وعلى ذلك حملوا ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام انه قال
قائما التاسعة والعشرون يتدى بغسل قبله قبل دبره ثلاثا يطير عليه شيء
من النجاسة عند غسل دبره اللهم الا أن يكون مما لا يتنظف الا بعد ان
يقوم فلا فائدة لغسله أولا بل يغسل الدبر ويتقى من النجاسة ان تصيب
يدنه أو ثوبه الثلاثون يغسل يده بالتراب مع الماء عند الفراغ منها وتنظف
الحادية والثلاثون يستحجم وترا الثانية والثلاثون لا يستنحب في موضع
قضاء الحاجة الثالثة والثلاثون لا يسلط ذكره الا يرفق فان ذلك يؤدى
الى أن يصل بالنجاسة لان المحل كالضرع كلها تسلمه يعطى المسادة فيكون
ذلك سببا لعدم التنظيف الرابعة والثلاثون يفرج بين فخذه عند البول
والاستنجاء والاسهال ثلاثا يطير عليه شيء من النجاسة وهو لا يشربه
الخامسة والثلاثون أن لا يعيث بيده السادسة والثلاثون أن لا ينظر الى
السما السابعة والثلاثون اذا رجع من قضاء حاجته قال الحمد لله الذي

سوغنيه طيبا وأخرجه عن خبيثا الثامنة والثلاثون أن يجمع بين الأحجار
والماء فهو أحسن وأطيب للنفس التاسعة والثلاثون إذا أراد أن يستنجي
فليغسل يده اليسرى قبل أن يباشر النجاسة بيده لئلا تعاق بها
الرائحة الأربعون إذا لم يمكن عنده أحجار ليجمع بين الفضيلتين فلا يترك
الاستجمار بالسكابة بل يستجمر بأصبعه الوسطى أولا بعد غسلها فيصنع بها
المسربة وموضع النجاسة على سنة الاستجمار وما للناس فيه من المقالات
والاختيارات ثم يغسلها مما تعاق بها ثم يستجمر بها أيضا إلى أن ينقي فإذا
أنقى طلب الوتر ما لم يجاوز السبع فإن جاوزها سقط عنه طلب الوتر الحادية
والأربعون إذا استنجى بالماء فليكن الأناة بيده اليمنى يسكب بها الماء ويده
اليسرى على الجمل بعركه ويواصل صب الماء ويبالغ في التنظيف خيفة
أن يبقى معه شيء من الفضلات فيملى بالنجاسة وعذاب القبر من هذا الباب
الثانية والأربعون أن لا يتغوط تحت شجرة مثمرة الثالثة والأربعون
أن لا يتغوط في ماء راكد الرابعة والأربعون أن لا يفعل ذلك على شاطئ
نهر الخامسة والأربعون أن لا يفعل ذلك تحت ظل حائط لأن هذه كلها
ملاعن وقد جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال اتقوا الملاعن
الثلاث أه لان هذه الموضع كلها هي لراحة الناس في الغالب إذا أراد
التمتع أن يستريح يطلب ظلا أو يرد النهر لئلا فيجد ما يجعل هناك فيقول
اللهم العن من فعل هذا السادسة والأربعون أن يتجنب البول في كوة
في الأرض إذا لاقها به من الذكر واختلف إذا بعد عنها فوصل بوله إليها
في كوة خيفة من حشرات تنبعث عليه من الكوة وقيل يباح إبعده من
الحشرات إن كانت فيها السابعة والأربعون أن يتجنب بيع اليه والثامنة
والأربعون أن يتجنب كائنات النصارى سدا للذريعة لئلا يغفلوا ذلك
في مساجدنا كما نهى عن سب الآلهة المدعوة من دون الله عز وجل لئلا يسبوا
الله عز وجل التاسعة والأربعون يكره البول في الأواني النفيسة للسرف
وكذلك يمنع في أواني الذهب والفضة لتحريم اتخاذها واستعمالها الخمسون
يكره البول في مخازن الغلة الحادية والخمسون يكره البول في الدور
المسكونة التي قد نربت للأذى الثانية والخمسون يستترحي قليلا عند

الاستبراء لانه اذا لم يفعل يخاف عليه انه اذا خرج استرخى منه ذلك العضو
فيخرج شيء من الموضع الذي لم يغسله على ظاهره يدنه فيصلي بالنجاسة الثالثة
والخمسون يحذر أن يدخل أصبعه في دبره فانه من فعال أشرار الناس وهو
منهي عنه لانه يفعل بنفسه وذلك حرام الرابعة والخمسون يتفقد نفسه
في الاستبراء فيعمل على عادته فرب شخص يحصل له التنظيف عند انقراع
البول عنه وآخر لا يحصل له ذلك الا بعد أن يقوم ويقعد وذلك راجع الى
اختلاف أحوال الناس في أمر جنهم وفي ما كاهم واختلاف الأزمنة عليهم
فقد يتغير حاله بحسب اختلاف الامر عليه وهو يعهد من نفسه عادة فيعمل
عليها فيخاف عليه أن يصلي بالنجاسة أو يتوسوس في طهارته فيعمل على
ما يظهر له في كل وقت من حال مزاجه وغذائه وزمانه فليس الشيخ كالشاب
وايس من اكل البطيخ كن اكل المجبن وايس المحرك كالبرد الخامسة والخمسون
اذا قام للاستبراء فلا يخرج بين الناس وذكره في يده وان كانت تحت ثوبه
فان ذلك شوه ومثله وانما يفعل به بعض الناس وهذا قد نهى عنه وان
كانت له ضرورة في الاجتماع بالناس اذذاك فيجعل على فرجه خرقه يشدها
عليه ثم يخرج فاذا رجع من ضرورته تنظف اذذاك السادسة والخمسون
يكره له أن يشتغل بغير ما هو فيه من تنفابط أو غيره اثملا يطئ في خروج
المحدث والمقصود الاسراع في الخروج من ذلك المحل بذلك وردت السنة
قال الامام ابو عبد الله القرشي رحمه الله اذا اراد الله بعد خيرا يسرع عليه
الطهارة السابعة والخمسون لا يستجمر في حائط مسجد محرمته ولا في حائط
ملوك لغيره لانه تصرف في ملك الغير ولا في حائط وقف لانه تصرف فيه
وهو في حوز من وقف عليه وذلك لا يجوز وهذا كله حرام باتفاق وكثيرا
ما يتساهل اليوم في هذه الاشياء سيما في سبل لا وضوء فتجد الخيطان في غاية
ما يمكن أن تكون من القذر لا يصل استجمارهم فيها وذلك لا يجوز الثامنة
والخمسون يكره أن يستجمر في حائط ملكه لانه قد ينزل عليه المطر او
يصبه بالماء ويلتصق هو أو غيره ما عليه فتصيبه النجاسة فيصلي بها
ووجه آخر وهو أن يكون في الحائط حيوان فيتأذى به وقد رأيت عيانا
بعض الناس استجمر في حائط فادعته عقرب كانت هناك على رأس ذكره

ورأى من ذلك شدة عظمة التامة والخمسون لا يستجمر بفهم لانه الموت
المحل ولا بعظم لانه لا ينقى ويتعلق به حتى الغير لانه زاد اخواننا من مؤمنى
الجن ولا يزجاج لانه لا ينقى وهو مؤذولابروث لانه لا يثبت عند الدعك
ولا ينظف ويتفتت وهو زاد دواب مؤمنى الجن ولا بنجس لانه يزيد نجيسا
ولا بمائع لانه يلطخ المحل ويزيد تلويثا ولا بطعام محرمة ولا بذهب أو فضة
أو زبرجد او باقوت لاضاعة المال ولا بشوب حرير ولا بشوب رفيع من
غير الحرير لان ذلك كله سرف ويستجمر بما دام ذكر وقد حدث علماءنا
رحمة الله عليهم لهذا اجمع كل ما تقدم من آلات الاستجمار ينبغى الاعتناء
به فقالوا يجوز الاستجمار بكل جامد طاهر منقى قلاع للآخر غير مؤذ ليس
بذى حرمة ولا سرف ولا يتعلق به حتى الغير وهو ضابط جيد اه وينبغي له
اذا خرج منه خارج أن يعتبر اذ ذلك في الخارج وفي نفسه وقدره فان نفسه
تعافه وعلم ويتحقق أنه لا بد أن يرجع بنفسه كذلك سواء بسواء بطرح قدرا
منتزعا تعافه نفس كل من يراه يسان ذلك أنه يموت فاذا دفن في قبره تدق
فأكلته الديدان فاذا أكلته الديدان ومته من جوفها قدرا منتزعا يعلم أن ثم
فوما لا يدقون في قبورهم ولا تعدى عليهم الارض ولا يتغيرون المساجد
في الحديث وهم الانبياء والعلماء والشهداء والمؤذون المحتسبون فالقيام
الاول لاسبيل اليه اذ أن ذلك قد طوى بساطه بعد النبي صلى الله عليه وسلم
وبقيت المقامات الثلاث فينظر ما فيه الاهلية له من تلك المقامات فيعمل
عليه ايسلم به من هذا القدر والنتن ان كانت له همة سنية والافه ويعاين
ما يصار اليه في كل يوم يتذكر ذلك عليه في حال قضاء حاجته وذلك تنبيه من
الله سبحانه وتعالى اذا حتى يعلم كل واحد منا ما هو عليه صائر وما يدكر الا
اولو الاسباب فمن كان له لب نظر الى أوله فوجد نطفة كاعين ونظرا الى
آخره فوجد كمارأى كما تقدم ذكره والى وسطه فوجد حاملا يراه في كل
يوم يخرج منه ويعاينه فأى دعوى تبقى مع هذا الحال وأى نفس تشمخ ولو
كان ثم من الفضائل ما عسى أن يكون ان لم يكن الفيض الرباني والفضل
العظيم فيسترا القبيح ويظهر الجليل ويسترا العورات ويؤمن الروعات
والافا للمحل قابل لكل رذيلة ونقيصة كما ترى هذا وجه من النظر والاعتبار

وينبغي له أيضا أن ينظر ويعتبر فيما انفصل عنه وأنه كان طاهرا طيبا
المذاق شهيا للنفوس لا يوصل اليه الا بعوض والعوض في الغالب قد جرت
الحكمة بيان يكون في هذه الدنيا بمكابدة وتعب في الغالب كل على قدر حاله
فهو عزيزا ذا سر الله أسبابه من المطر وغيره وان منع الله شيئا من أسبابه
البحرية على حكمته سبحانه وتعالى فلا ية قدر عليه ولا يوصل اليه ثم مع هذه
العزة التي له والطهارة التي لديه اذا خالطنا قليلا لاسباب طهارته وذهب عزه
وصار منتنا قدرا يتحامي عنه ويتولى الوجه عنه فهذا كان سببه خلطته لنا
ومحارجه بنا وقد ذكر ابن عطفية رحمه الله هذا المعنى في كتابه حين تكلم
على تفسير قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه فقال رحمه الله ذهب أبي
ابن كعب وابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم الى ان المراد الى طعامه اذا
صار رجيعا ليتأمل حيث تصير عاقبة الدنيا وعلى أى شئ يتعانى أهلها
وهذا نظير ما روى عن ابن عمر رضي الله عنه ان الانسان اذا أحدث فان ما كان
بأخذ بنأصيته عند فراغه فيرد بصره الى ضره موقفا له ومهجبا فينفع ذلك من
له عقل اه ثم انه لم نجد هذا في الطعام وحده بل في كل ما نبأثره ان لبسنا
ثوبا جديدا فنقبل يتوسخ ويتقذر وعن قليل يفرق ويمزق وان مسسنا
طيبا فنقبل تذهب رائحته ويستقذر واشباه هذا كثير فتع لنام هذه
القاعدة ان المؤمن يعتبر اذ ذاك وبأخذ نفسه في الادب به من وجهين الوجه
الاول الهرب من خلطة من لا ينفعه في دينه لانه يخاف على نفسه من آثار هذه
الخلطة لغير الجحس كما صار الطعام في جوفه هو فليحذر من ذلك الوجه الثاني
ان يكون اذا خلطه أحد من اخوانه المسلمين من ينفعه في دينه أو ينفعه
هو فليحذر منه أن يغرا أحد منهم بسبب خلطته كما يتغير كل ما تقدم مما ذكر
ذان ذلك في طبعه ومزاجه أعنى التغيير الامن رحم ربك وهذا وجهان
عظيمان في السلوك وهما وجودان في قضاء الحاجة مع الفوائد الماضية
كلها فهذه جملة عبادات كثيرة وهي عندنا على طريق الراحة والاباحة
شأن ما بينهما فتحصل لنا من انبيات في الاستبراء تسعة وسبعون وهذه
الآداب منها ما يختص بالسفر ومنها ما يختص بالمحضر ومنها ما هو مشترك
بين السفر والمحضر وهو الغالب فيها وذلك كله بين لا يحتاج الى الكلام عليه

أعني ما يختص بالسفر دون المحضر أو في المحضر دون السفر والله الموفق

(فصل في الوضوء وكيفية النية)

فإذا فرغ من الاستبراء وأزاله المحققة على الوجه الذي مر يحتاج إذا كان يتوضأ للصلاة فيفرغ قلبه وذممه لذلك وينشط إليه ويمر به إلى الطهارة لما إذا ولاى شئ تراءد وأنه يريد أن يقف بها بين يدي من هو أعلم بباطنه وما احتوى عليه منه هو بنفسه وينظر إلى حكمة الشرع في غسل هذه الأعضاء الملوثة دون ما عداها من سائر البدن وذلك أنه ليس في البدن ما يتحرك للمخالفات أسرع من هذه الأعضاء فأمر الشارع صلوات الله عليه وسلامه أولاً بغسلها تنبيهاً منه عليه السلام على طهارتها الباطنة أن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ما يفعل الله بكم ان شئكم ترون وآمنتم فالطوبى والمقصود هو الباطن وتخليصه من غمرات هموم الدنيا وسكايدتها والفكرة فيها والتعمري من ذلك مرة واحدة هذه هي الطهارة الباطنة والظاهرة تبع لها وإشارة إليها وتحريص عليها حتى يتنبه الغافل والساهي للرادق قد قال الشيخ الإمام عبد المجيد في شعب الإيمان له فالوضوء الذي هو غسل الجوارح كلها من الإسلام وطهارة الباطن على معنى التوبة من اكتساب الجوارح إيمان وبه يكمل الوضوء ثم إذا رتب غسلها على ترتيب سرعة الحركة في المخالفة فما كان منها على التحريك أسرع من غيره أمر بغسله قبل صاحبه فأمر بغسل الوجه أولاً وفيه الفم والأنف والعيون فابتدأ بالمضمضة أولاً على سبيل السنة لأنها أكثر الأعضاء وأشدّها حركة أعني اللسان فيما ذكر لأن غيره من الأعضاء قد يسهل وهو كثير العطب قليل السلامة في الغالب ألا ترى إلى ما ورد في الحديث من شأنه وهو أن الأعضاء في كل يوم تناسل في أن يسهل من آفاته لأنه إذا هلك لا يهلك وحده بل يهلك نفسه ويهلك أخوانه فإذا جاء المؤمن إلى غسل فله يذكّر إذا كان طهارة الظاهر إنما هي إشارة إلى تطهير الباطن فوجد إذا كان أنه مطلوب منه الطهارة الباطنة فتأبى إلى الله وأقلع عما تكلم به لسانه ونطق ثم يتوب إلى الله تعالى عما شتم بنفسه واستنشق ثم يتوب إلى الله تعالى عما نظرت عيناه وأتذت فاذا تأبى من هذه الأمور دخل إذا كان في قوله عليه

الصلاة والسلام التوبة تجب ما قبلها اجاء الحديث فاذا غسل وجهه
خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت اشفار عينيه ثم بعد ذلك أمره
الشرع بغسل اليدين لانه اذا تكلم اللسان ونظرت العينان بطشت
اليدين ولست افي اليدين بعدهما في ترتيب المخالفة فأمر بطهارتهما فاذا جاء
الي ما هارتها ابتداء بطهارتهما باطناً فتاب مما است يده أو تحركت الندم
توبة التوبة تجب ما قبلها اجاء الحديث فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من
يديه حتى تخرج من تحت اظفار يديه ثم بعد ذلك أمره الشرع بمسح رأسه وانما
أمره بالمسح ولم يأمره والله أعلم بالغسل لاجل أنه لم يقع منه مخالفة بنفسه وانما
هو مجتهد وان يقع منه المخالفة وهو اللسان والعينان فلما لم يكن بنفسه هو
المخالف لكن كان مجتهداً والمخالف أعلى حكما بين حكمتين فأمر بالمسح ولم
يؤمر بالغسل وايضا قد اختلف الناس في الاذن هل هما من الرأس أم لا
والاذنان قد يسمعان ما لا ينبغي لكن لما كان السمع قد يطرأ على الانسان
في غالب الحال وهو لا يتعمده نخف أمره فكان المسح فاذا مسح قدم
طهارته الباطنة بالتوبة مما سمعت الاذنان ومما وقع فيه من مجتاه وره من ذلك
الاعضاء الندم توبة التوبة تجب ما قبلها اجاء الحديث فاذا مسح رأسه
خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من اذنيه ثم أمره الشرع بعد ذلك
بغسل الرجلين لان العينين اذا نظرتا وكلام اللسان ولست اليدين وسمعت
الاذن حينئذ تسمى الرجل فالرجل آخر الجميع في المخالفة فجاءت آخر الجميع
في الغسل فغسلها اذ ذلك أو قدم طهارتها الباطنة فتاب ما سمعت فيه
من المخالفة الندم توبة التوبة تجب ما قبلها اجاء الحديث فاذا غسل رجله
خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت اظفار رجله فلما ان غسل
رجليه على هذا الترتيب أراد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه
ان يقيمه في اكل المحاللات وأتتها فقال عليه الصلاة والسلام من توضأ
فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية
يدخل من أيها شاء إشارة منه عليه الصلاة والسلام الى تطهير القلب من
الآثفات الى العوارض والخواطر والوساوس والتمنجات ففهم المؤمن اذ ذلك

المراد فامتثل طهارة القلب على ما ينبغي من تجديد الايمان وتجديد التوبة
والاخلاص ولهذا المعنى كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول ينبغي للمؤمن أن
يكون ايمانه في كل وقت جديدا يحترز عليه لئلا يكون خافا والحق ان لا
يتعهد نفسه بتجديد الشهادة وقد كان بعض الفضلاء يستفيق من الليل
فيمر يده على وجهه ويتشهد فقل له في ذلك فقال أما تشهدى فاتفقده
الايمان هل بقي أم لا لأن أعمالى لا تشبه أعمال المؤمنين وأما تشبهى يدي
على وجهى فاتفقده ان يكون حول الى القفا أو مسخ أم لا فإذا وجدته سالما
أجد الله الذى ستر على بفضله ولم يعاقبنى ويفضحنى بعملى هذا قوله وكان
له قدم في الدين وسبق وتقدم فساياك بأحوالنا اليوم على ما يشاهد بعضنا
من بعض في الأخرى والأولى ان تتفقد الايمان اليوم في كل وقت وحين فلما
ان أمره صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه بتطهير الباطن وتطهير
الظاهر على ما مضى شرع له عند نطقه بالشهادتين الدعاء المذكور اذ ذلك
وهو قوله اللهم اجعلى من التوابين واجعلى من المتطهرين وقوله الحمد لله
على اسبغ الوضوء واتباع السنة اشارة منه عليه الصلاة والسلام ان يسأل
الله تعالى في قبول ما قد أتى به لقوله عليه الصلاة والسلام الدعاء مع العبادة
كل الحال وتمت النعمة وقبل الدعاء بتخير على أى أبواب الجنة يدخل لان
هذا عيد قد تاب من كل ما جنى وتطهر باطنا وظاهرا ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ولا جيل هذا المعنى جاء الحديث فيمن امتثل ما ذكر من
اسبغ الوضوء وكماله ان صلاته نافله له والنوافل الزوائد لم تجسد من
الذنوب شيئا تكون الصلاة للتوبة المتقدمة والتطهير الظاهر والباطن فبقيت
صلاته نافله أى زائدة فكان موضعه ارفع الدرجات لا غير لأنه ما ثم شيء
تكفره على ما تقدم فتحصل له من هذا أنه يتوب بمساقاة لسانه وشم
الانف ونظرت العينان وسمعت الأذنان وبعثت اليدين ومشت الرجلان
وخطر بالقلب فان كان سالما من ذلك كله كانت التوبة للغفلات الواقعة
فان كان سالما من الغفلات كانت التوبة لعدم التوبة بحق الربوبية
كما يجب لها وذلك لا يقدر عليه العبد أصلا فهذه سبعة من ذنوبه الى شر وطا
وجوب الطهارة والفرائض والسنن والفضائل التى نص عليها العلماء

فيه فاشروط خمسة وهي الاسلام والبلوغ والعقل وارتقاء دم الحيض
والنفاس ودخول وقت الصلاة والفرائض ثمانية أربعة متفق عليها
عند أكثر أهل العلم وهي ما ذكره الله في كتابه واثنان متفق عليهما عند
الاكثر وهما النية والماء المطلق واثنان مختلف فيهما وهما الفور والترتيب
وسننه اثنا عشر أربعة متفق عليها عند الاكثر وهي المضمضة والاستنشاق
والاستنثار ومسح الاذنين مع تجديد الماء لهما او ثمانية مختلف فيها قيل
انها من السنن وقيل من الفضايل وهي غسل اليدين قبل ادخالهما في الاناء
ان ايقن بطهارتهما وما زاد على الواحدة بعد التعميم والابتداء باليمين قبل
الثمال والابتداء بمقدم الرايس ورد اليدين في مسحه وغسل البيضا
الذي بين العارضين والاذن واسقيهما بمسح الاذنين وترتيب المفروض
مع المستنون واسقيهما بثلاثة عشرة وهي السواك ويجزى الاصابع الخمس
عنه وجعل الاناء على اليمين والشمية وان لا يتوضأ في الخلاء ولا على
موضع نجس وتخليل اصابع اليدين وتخليل اصابع الرجلين وتخليل
للحية وذكر الله وان يقعد على موضع مرتفع عن الارض لثلاثة طائر عليه
ما ينزل في الارض من الماء والصمت الا عند ذكر الله تعالى واستقبال
القبة والاقبال من الماء مع احكام الغسل في الاعضاء بجملة هذه
الآداب خمسة واربعون والله الموفق للصواب

• (فصل في الركوع بعد الوضوء وكيفية النية فيه) •

فاذا أسبغ الوضوء على هذا الترتيب الذي ذكره يحتاج اذ ذاك ان يركع
ركعتين فان صلاهما بنية النفل فله ذلك وان اراد الفرغ من قدر محقق
بالندراكن يخاف عليه ان يندرها انهم يعجز عن الاتيان بهما فله ان يركع
فيحذر من هذا ويترك النذر اللهم الا ان يندر ذلك عند الاحرام
حسن فيحصل بذلك فعل الواجب مع عدم العائق اذ ذاك ما ذكره
قسمين قسم اوجبه الله تعالى على العبد وقسم اوجبه العبد لنفسه
وكلاهما اعظم اجرام النفل ثم يضيف الى ذلك نية امتثال امر الله
الركوع بعد الوضوء لما ورد في ذلك من الترغيب والندب فان كان
الله عليه وسلم كان يفعلها ثم يضيف الى ذلك نية امتثال امر الله

الركوع للحديث الوارد عنه صلوات الله عليه وسلامه اخبارا عن ربه عز وجل حيث يقول من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ ولم يركع فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ ولم يدعني فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ وركع ودعاني فلم أجبه فقد جفوته واست بررب جاف واست بررب جاف وينوي مع ذلك امثال السنة بالصلاة في بيته لقوله عليه الصلاة والسلام جعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تجعلوا بها قبورا فيحصل له خير عظيم بجميع ما ذكر من النيات والحمد لله فقصل لنا من ذلك أربع نيات والله الموفق للصواب

(فصل في الخروج الى المسجد وكيفية النية في ذلك)

ثم ياخذ بعد ما ذكر في الخروج الى المسجد فينوي بخروجه المشي الى أداء فرض الله تعالى لا يخطأ العلم غير ذلك من الامور الدنيوية من قضاء حاجة او غيرها لا يخطأ بل اجر الخطا الى المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام لا يريد غير الصلاة على ما تقدم فاذا فعل ذلك كانت له باحدى خطوتيها حسنة والاخرى تحجب عنه بهما سيئة فاذا كان سالما من السيئات كانت الاثنتان بالحسنات وكذلك ان كان عند الوضوء ليست له سيئة كان في مقابلة خروج الخطايا بحسنات ورفع درجات مع أنه قل ان يكون انسان سالما من الذنوب كل على قدر حاله ومرتبته حسنات الا برار سيئات المقربين ثم يضيف الى نية الخروج الى أداء فرض الله تعالى نية زيارة بيت الله تعالى واظهار شعار الاسلام ونهضة المسجد وازالة الاذى منه والاعتكاف فيه على مذهب من يرى ذلك أو المجوار فيه على مذهب مالك وغيره ممن يشترط في الاعتكاف أيام معلومة وأمور معلومة على ما هو وجود في كتبهم وأخذ الزينة مسجد لقوله تعالى خذوا زينةكم عند كل مسجد وتعلم العلم من العالم وتعلم الجاهل والبحث فيه مع الاخوان وزيارة الاخوان فيه وزيارة العلماء فيه وزيارة الصالحين فيه واقتباس بركة الاجتماع بهم فيه واقتباس بركة الصلاة معهم فيه وعمادة الريض ان وجد ذلك لما ورد من خرج يعود مريضا خرج يخوض في الرحمة فاذا استقر عند استقرت الرحمة فيه أو كما قال عليه الصلاة والسلام وتزينة المساكين لما ورد عنه عليه السلام من عزى مصابا

فله أجر مثل المصاب فيحصل له هذا الخبر العظيم وينوي مع ذلك تشييت
العامس وينوي مع ذلك أنه ان رأى شيئاً يعتبر فيه وينوي السلام على
المسلمين وينوي رد السلام عليهم وينوي ذكر الله تعالى في السرق واستئصال
السنة في السعي الى المسجد والصدقة على محتاج اذا وجد به الذي يمكنه
واعانة ذي الحاجة الملهوف وقضاء حاجة مضطربان وبعدها ان كان يشترط
في هذا ان يخرج بشئ معه من النفقة ولو يسيراً ويخرج معه عدة لانه قد
يصيب شاة أو غيرها تريد أن تموت بنفسها فتكون معه آلة الذبح فيغيث
صاحبها ويحبرها عليه بالذكاة وكثيرا ما يقع هذا وكذلك أيضا في النفقة
قد يصادف مضطرا لها فيحصل له أجر التنية والعمل والا اذا خرج عريضا
ذكر وقد نوى اعانة ذي الحاجة الى غير ذلك يكون ذلك دعوى يخاف على
صاحبها

كل من يدعي بما ليس فيه كذبه شواهد الامتحان
وينوي ارشاد الضال وان يأمر بالمعروف وان ينهي عن المنكر ان قدر
عليه بشرطه وان يصلي على الجنائزة وان يحضرها ان وجد ذلك على
ما ينبغي من الاتباع وترك الابتداع وان يحمى بدعة ويظهر سنة مهما
قدر على ذلك وان ياتي المسلمين ببشاشة الوجه لقوله عليه الصلاة والسلام
لقاء المسلم لآخيه ببشاشة الوجه صدقة وان يمثل السنة في خروجه من بيته
بتقديم اليمين وتأخير الشمال وان يتمم ذلك التعمد والوارد في ذلك وهو ان
يقول الله -م اني أعوذ بك ان أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم
أو أجهل أو يجهل -ل على ويقول عند ذلك أيضا بسم الله آمين بالله
وتوكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانه اذا قال ذلك
اعتزله الشيطان يقول قد هدى روقي فليس لي عليه سبيل وكذلك أيضا
يقرأ آية الكرسي عند خروجه من منزله لما ورد في ذلك ان الله عز وجل
يجعل غنا بين يديه وينوي اتباع السنة في دخوله المسجد بان يقدم
اليمن ويؤخر الشمال وان يخضع الشمال أولا ثم يعمد اليمن سفتان في فعل
والسنة كيفية ما يفعل أن يخضع الشمال أولا ثم يعمد اليمن من فوقها
ثم يخضع يده اليمن فيدخلها في المسجد ثم يدخل رجله الشمال بعد ذلك

فيجتمع السنتان خالع الشمال أولا وتقدم اليمين في المسجد أولا وينوي
اتباع السنة عند دخول المسجد ببيان يسمع نعليه عند الباب عند دخوله
وينظر في قدر نعليه فان كان ثم شيء أزاله والادخل وقد ورد أن من فعل هذا
تقول له الملائكة ادخل فقد غفر لك وينوي انتظار الصلاة لما جاء فيه
فذلكم الرباط فذلكم الرباط مرتين وينوي جلوسه في مصلاه لما جاء فيه
عنه عليه الصلاة والسلام الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي
صلى فيه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه وينوي الاقتداء والاقتباس
بآثار من أمرنا باتباعهم من العلماء والصالحين ويتأدب بأدابهم أعني بالنظر
إلى تعبدتهم وتصرفهم لانه ليس الخبر كالمعاينة حكى عن بعضهم أنه صلى
بجنبه بعض الناس فجعل يدعو في السجود يرفع صوته بذلك وتكرر ذلك منه
فقال يا أخي عسى أنك تذهب إلى فلان وكان فلان من أكابر وقته فوصل إلى
جنبه واستمع إلى الدعاء الذي يدعو به أعلاك تفيدني آياه قضى إليه فصل إلى
جنبه أي ما ثم رجع إلى الأول فقال له يا سيدي لم أسمع منه شيئا فقال له
يا أخي هؤلاء قد وتنسأ إلى الله تعالى فان لم نقتديهم فبهم نقتدي فعلمه برفق
والطيف وعلمه كيفية الاقتباس من أحوالهم وأفعالهم فينوي حين خروجه
الاتفات إلى هذه الأشياء ومراعاتها فانها أمر مهم في الدين فيحصل له من
الاجرام الله به ما لم وهذا بشرط أن يكون الشخص المنظور إليه أهلا
للاقتداء سالما من البدع والافال تغفل عنه يجب ان كان الذي يراه غير قادر
على الاخذ على يده وان كان قادرا فيجب عليه نهيه وذلك بحسب قدرته على
ما نص عليه العلماء في حد تغيير البدع والمناسك وكذلك مسطور في كتبهم
موجود بمطالعة أو بالسؤال عنه من أهله وله من الاجر في ذلك اجر من ذب
عن السنة وحماها وينوي مع ذلك إزالة الأذى من طريق المسلمين من حجر
ومدروسوك وغير ذلك وينبغي له أن ينوي إذا رأى ميتة لي في بدنه أو في
اعتقاده أو في عمله ان يمثل السنة في الدعاء الذي ورد عنه عليه الصلاة
والسلام من رأى منكم ميتة فقل الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به
وفضاني على كثير من خلقه تفضيلا عوفي من ذلك البلاء اهـ ان كان ينبغي أن
يكون ذلك سرا في نفسه خيفة من كسر الخواطر في حق بعضهم أو التشويش

الواقع من بعض الناس وقد يجهت به ان ينوى ان يرفع ويكرم ويعظم ما يجد في المسجد أو الطريق بين الأثر رجل من الأوراق التي فيها اسم الله تعالى أو اسم نبي من الأنبياء عليهم السلام وقد ورد في هذا أجور ~~كثيرة~~ مشهورة عند العلماء فمنها ما ذكره الامام القشيري رحمه الله في أول كتاب التخيير له في شرح أسماء الله الحسنى قال يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتاب يأتي بضیعة من الأرض فيه اسم من أسماء الله تعالى أو اسم نبي الا بعث الله اليه ملائكة يحفون به يا جنحهم حتى يبعث الله اليه وليا من أوليائه فيرفعه من الأرض ومن رفع كتابا من الأرض فيه اسم من أسماء الله رفعه الله في عليين وخفف عن أبيه وان كانا مشركين ويروى عن منصور بن عمار انه قال كنت مولعا في صباى برفع القرامطيس من الأرض حتى عرفت بذلك فبينما أنا ذات يوم في صحراء إذ وجدت قرامطاسا فيه لا اله الا الله فرفعته ولم يكن بازاى حائط ولا شئ أرفعه فيه فباعته فرأيت في النوم تلك الليلة ها تهايفت بي وهو يقول يا منصور ان الله عز وجل سبرى لك ما فعلت وينوى ان يرفع ويكرم ويعظم ما يجد في المسجد أو الطريق بين الأثر رجل من نعم الله تعالى عتمة فيعظمها ويرفعه لها وصيانتها وينوى غرض البصر وقد نص العلماء على هذا ويذنبونه فقالوا ليس للرجل اذا خرج في السوق أن ينظر الا لموضع قدمه اللهم الا أن تكون زجة يخاف على نفسه من الأذى فله ان يرفع عينيه بقدر الحاجة لذلك وقد ورد في الحديث اعطوا الطريق حقه اقلوا يا رسول الله وما حق الطريق قال غرض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمره معروف ونهى عن منكر وكراه الله وينوى خفض الجناح وهو التواضع لا خوانه المسلمين ومعاماتهم بالحسنى وينوى مع ذلك تحسيس الخلق لا خوانه المسلمين ويحمل على نفسه في عدم اغراضه لا غراضهم وينوى حمل الأذى من اخوانه من المسلمين وترك الأذى لا خوانه المسلمين ووجود الراحة لهم ويدعو الناس الى الله تعالى ويدلهم عليه وعلى أمره ونهيه وسنة نبيه ويلقى اخوانه المسلمين بسلامة الصدر لما جاء فيه قال عليه الصلاة والسلام سلامة الصدر لا تباع بعمل اه وينوى ترك التكبر على اخوانه المسلمين وغيرهم وينوى ترك الاجحاب بنية

وعمله وينوي السؤال عن غاب من الاخوان لعل طارضا يعرض لاحد هم
فيكون قادرا على اعانتته وازالته وينوي السؤال عن جيوش المسلمين
لعل يسمع عليهم خيرا فيسريه فيشاركونهم في غزورهم في الاجور بالسرور
الذي وجدته وقد ورد عن بعض الناس انه مات فلم توجد له حسنة فغفر الله
له لمروره يوما واحدا بما ذكر وهذا خير عظيم مغفول عنه وينوي
السؤال عن امر العدو وشانه لعل يسمع خيرا يتشوشون منه فيسريه فله اجر
في ذلك ايضا كالذي قبله وكذلك في العكس ان يسمع عنهم ما يسرهم تشوش
هو فله الاجر في ذلك وكذلك في الوجه الذي قبله ان يسمع عن المسلمين
ما يعلقهم بخرع على ذلك واسترجع فيحصل له الاجر ~~الكثير~~ اجر بلا عمل
ولا تعب ولا نصب وينوي السؤال عن ثغور المسلمين فله لعل يسمع ما يسريه
ايضا مثل الوجه الاول الذي قبله سواء في الخير وضده ~~ا~~ كن هذا بشرط
يشترط فيه وهو ان يكون بقدر السؤال فاذا حصل المراد سكنت واقبل على
ما يعنيه لئلا يكون السؤال ذريعة الى التحدث فيما لا يعنيه وقد ورد التحذير
عنه لما اتى على رجل مات بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعله كان
يتحدث فيما لا يعنيه او كما قال وهذا الباب كثير ما يدخل منه الشيطان على
بعض العلماء والصالحين بدتئون بمثل ما ذكره مسائل العلم والاقراء تم
يدرجهم الى الحديث فيما لا يعنى ان وقعت السلامة من ذكر غائب او جدال
يقع او مفاوضة وقد قال الشيخ الامام ابو الحسن الماوردي رحمه الله في كتاب
آداب الدين والديانة اعلم ان الكلام شروطا اربعة لا يسلم المتكلم من
الزال الابهاس ولا يعرى من النقص الا ان يسترعياها فالشرط الاول ان
يكون الكلام لداع بدعو اليه اما ان يكون في اجتهاب نفع او دفع ضرر
والشرط الثاني ان ياتي به في موضعه والشرط الثالث ان يقتصر منه على
قدر حاجته والشرط الرابع ان يتخير اللفظ الذي يتكلم به اه وقد تقدم ان
المؤمن لا ينبغي له ان يتصرف في مباح والكلام فيما لا يعنى اقل درجاته ان
يكون في مباح وقد قال الشيخ الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في
كتاب منهاج العابدين له واما المباح ففيه اربعة امور احدها شغل الكرام
البررة الكاتبين بما لا خير فيه ولا فائدة وحق للمرء ان يستغنى عنها فلا يؤذيها

قال الله تعالى ما بلغظ من قول الالديه رقيب عتيد والثاني رفع الكتاب الى
الله تعالى وفيه الاغور والهيدز فليحذر العبد من ذلك وليخش الله تعالى عز
وجل وذكر ان بعضه - ثم نظر الى رجل يتكلم في المخرافة قال يا هذا انما على كتابا
الى ربك فانظر ما على والثالث قراءته بين يدي الملك الجبار يوم القيامة
على رؤس الاشهاد بين يدي الشرائد والاهوال عطشان عريان جيعان
والرابع اللوم والتعير لما اذا قلت راحة طاع الحجة والحياه من رب العزة وقد
قيل اياك والفضول فان حسابيه يطول وكفى به هذه الاصول واعظا لمن
اتعظ اه لكان ان اشتغل بعد السؤال بالقضاء المسائل عليهم او باقتباسها منهم
او يدخل عليهم سرور السكونهم يسرون بكلامه منهم او يسرهو بكلامهم
معهم فحسن وهذا راجع الى حال من يقع له ذلك والمقصود اجتناب البطالة
وهو ان يمضي وقت هو فيه عرى عن الطاعة وينوى مع ذلك امتثال السنة
في المشي الى المسجد بالسكينة والوقار لما ورد في ذلك عنه صلوات الله
وسلامه عليه اذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وانتم تسرعون واتوها وعليكم
السكينة والوقار وينوى امتثال السنة حين دخوله المسجد في الدعاء الوارد
في ذلك وهو ان يقول بسم الله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وينوى ايضا امتثال السنة حين
خروجه من المسجد بان يقدم الشمال ويؤخر اليمين وينوى امتثال السنة
حين خروجه بالدعاء الوارد ايضا فيه وهو ان يقول بسم الله ثم يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك
وينوى امتثال السنة في أخذ القدم بالشمال حين دخوله المسجد ودحين
خروجه منه فان السنة قد وردت ان كل مستقذر يتناول بالشمال وكل طاهر
يتناول باليمين ولاجل هذا المعنى كان المستحب في القحتم أن يكون في الشمال
لانه يأخذ به بيمينه لانه طاهر فيجعل في الشمال فاذا نوى ذلك وخرج بذلك
النية لعلة يسلم من هذه البدعة التي يفعلها كثير من ينسب الى العلم فتراهم
اذا دخل أحدهم المسجد يأخذ قدمه باليمين وقل ان يخلوا أحدهم من كتاب
فيكون الكتاب في شماله فيحصل بذلك في أمورهم محذورات منها أن
يجعل السنة في هذا النزول يسير فاذا جهل الطالب السنة في مناداة كلبه

وقدمه فكيف حاله في غيرها نسال الله السلامة ومنها مخالفة السنة عند
 اول دخوله بيت ربه والى اداء فرضه ومنها ارتكابه البدعة فيستفتح
 عبادته بها ومنها اقتداء الناس به وقلة تحفظهم على اتباع السنة في تصرفهم
 لاجل تصرفه ومنها ما فيه من التفاؤل وهذا اعظم من الجميع وهو اخذ
 كتابه بسم الله نسال الله تعالى السلامة وحسن العاقبة بحمدوا له وينوي
 مع ذلك امتثال السنة بان لا يجعل نعله في قبلته ولا عن يمينه ولا من خلفه لانه
 اذا كان خلفه يتشوش في صلاته وقل ان يحصل له جوع خاطرفها وان كان
 عن يمينه فالسنة ان تكون اليمين للطهارات فابقى الا ان يكون على اليسار
 وقد ورد النهي عن ذلك خرجه أبو داود ونصا صريحاً فيه وقد ورد في البخاري
 ومسلم النهي عما هو اقل من هذا وهو حين رأى عليه الصلاة والسلام
 الخنامة في القبلة فكها بيده ورؤى منه الكراهية لذلك ووقع منه النهي
 عن ذلك فاذا وقع النهي عن الخنامة وهي طاهرة فسابك بالقدم التي قل
 ان تسلم في الطريق عما هو معلوم فيجعله على يساره اللهم الا ان يكون على
 يساره احد فلا يفعل لانه يكون على يمين غيره فيجعله اذذاك بين يديه فاذا
 سجد كان بين ذقنه وركبتيه ويتحفظ من أن يحركه في صلاته لئلا يكون
 مباشر له فيها فيستحب له لاجل ذلك أن تكون له خرقة أو محفظة يجعل
 فيها قدمه فهو أولى وينوي مع ذلك ادخال السرور على اخوانه المسلمين بما
 أمكنه على حسب حاله وينوي امتثال ما وجب عليه من مناصرة أهل
 البدع والاهواء والمناكر لما قد نص العلماء عليه من أنه يجب هجران
 من هو مجاهر بشئ من ذلك وينوي ترفيع بيت ربه وتوفيره بان لا ينشد فيه
 شعرا ولا ينشد فيه ضالة ولا يرفع فيه صوتا ولا يصفق فيه بكفيه ولا يضع كتابا
 من يده وهو قائم وكذلك ان كان بيده ثوب فلا يضعه وهو قائم فيكون لوقعه
 في الارض صوت ورفع الصوت في المسجد منهي عنه مع ما فيه من قلة الادب
 مع بيت الله تعالى وكذلك ان كانت بيده مفاتيح فلا يلقها من يده وهو
 قائم فيكون لوقعها في المسجد صوت وهو منهي عنه كما تقدم وكذلك
 كل ما ألقاه من يده وهو قائم ويكون له صوت فلا يفعله لئلا يقع في النهي وان
 كان من محتاج أن يلبس داخل المسجد فيتحفظ ان يلقى نعله في الارض

وهو قائم فيكون لو وقوعه في الارض صوت وان كان قد بقي فيه شيء من
 اثر الطريق فيقع لقوة الرمية في المسجد وكذلك ان كان بصق في نعله
 في المسجد فلا قوة الرمية ينزل ذلك في المسجد وكثيرا ما يفعل به بعض الناس هذا
 وذلك كله منهي عنه منصوص عليه موجود في كتب الفقهاء قال الله تعالى
 في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال عليه الصلاة والسلام
 عرضت على اجور رامتني القذاة يخرجها الرجل من المسجد والقذاة هي
 ما يقع في العين ولا تبالى العين بها فاذا كان يؤجر في مثل هذا النزول اليسير
 فكيف يدخل له شيء مما ذكر فيخاف على فاعل ذلك ان لا يقوم بماتوا كلمة
 وما فعله في جنب ما قل من الادب مع بيت ربه فيحصل له النقصان وينوي
 اجتناب اللفظ فيه والكلام فيما لا يعنى فانه قد ورد ما معناه ان الكلام
 في المسجد بغير اعمال الاخرة كالنار في المحطوب يا كل الحسنات فيحفظ من
 ذلك املا لا يكون قد خرج الى تجارة فيرجع خاسرا بسبب اغطه وكلامه
 وينوي الصلاة بالسلاح ويحمل ذلك معه لما ورد من ان الصلاة بالسلاح
 افضل من غيرها اظنه بسبعين وينوي الاجتناب والكراهة لما يباشر في
 المسجد في زمانها هذا من البدع سمعت سيدي ابا محمد رحمه الله تعالى يذكر
 عن شيخه القدوة الامام العالم المحقق سيدي أبي الحسن الزيات رحمه الله تعالى
 انه كان يقول والله ما أبالي بكثرة المنكرات والبدع وانما أبالي وأخاف من
 تأنيس القلب بها لان الاشياء اذا توالى مباشرتها اشتبهت بالنفوس واذا
 أنست النفوس بشئ قيل ان تأثره وكان سيدي أبو محمد رحمه الله تعالى
 يبين ذلك ويوضحه من الحديث الوارد في تغيير المنكر وهو قوله عليه الصلاة
 والسلام من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبأسانه فمن لم يستطع
 فبقلبه وهو اضعف الايمان فأخبر صلى الله عليه وسلم ان التغيير بالقلب
 هو اضعف الايمان والتغيير بالقلب هو ما يجده الانسان في قلبه من البعض
 لذلك الفعل المرءى وانزعاجه اذ ذاك وفاقه وهذا في الغالب انما يحصل
 لما يندرو وقوعه وأما الاشياء التي تهدي في كل وقت وحسين فقد أنستها
 النفوس ولا يجد العاق والانزعاج منها اذ ذاك أعنى مع تكررها واستمرارها
 لأهل العلم المنتبهون للسنة والبدعة العارفون بذلك فان كان الامر كذلك

والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن التغيير بالقلب هو أضعف الإيمان
والتغيير قد عديم في القلب لاستئناس النفوس بما يشاهد من تلك
الاشياء فذهب أضعف الإيمان وإذا عديم أضعفه فماذا يرجي أن يبقى بعد
عدم هذا الأضعف أسأل الله تعالى السلامة بحمد وآله يبين هذا ويزيده
ايضا حقا حكام صاحب القوت رحمه الله تعالى عن بعض السلف أنه قال
أول بدعة رأيت بآل الدم ثم بعد ذلك بآله أصفر ثم تغير الامر الى العادة أو كما
قال فلنقوة الإيمان اذذاك عنده ومباشرة عالم بهوده من السنة قوى انزعاج
تلك النفس الظاهرة حتى تغير مزاجه فظهر ذلك في مائه الا ترى ان الأطباء
يستدلون على ما بالمرضى من الشكاية بالنظر الى مائه فلما ان استقر أمر تلك
البدعة ولم يقدر على تغييرها لالزام الممانعة له في وقته تغير من ذلك الانزعاج
الاول لاستئناس النفس بالعوائد وبقي عنده ما يلزمه من التغيير بالقلب
والله أعلم أي بدعة هي التي بال منها هذا السيد الدم ثم ~~سكن~~ أمره
بعد ذلك ولعلها ما حدثت عندهم من المنخل أو الاشتان أو الخوان أو
ما يشاكل هذه الاشياء التي ظهرت في زمانهم وأما زماننا هذا فعاذ الله وما
ذاك الا راجع لما قال المجيد رحمه الله تعالى ولقد أحسن فيه حسنة
الابرار سياآت المقر بين أعني مما رأى هذا السيد العظيم وهو المحسن
البصري رحمه الله عليه من البدعة روى مالك في موطائه عن عمه أبي سهيل
ابن مالك عن أبيه أنه قال ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس الا النداء
بالصلاة فاطر كيف وقع منه الانكار لكل أفعالم في ذلك الزمان الا ما كان
من الاذان وقد روى عن المحسن البصري وكان من كبار التابعين وهو أول
من فتح المسكن في طريق القوم وهو رضيع احدى زوجات النبي صلى الله
عليه وسلم وهي أم سلمة رضي الله عنها لما تعرف الناس عنها من صلاة
الجمعة وجدوه في ناحية من المسجد يبكي فاستلهم بكاءه فقال وما لي لا أبكي
وما أعرف لكم شيئا مما أدركت عليه الناس الا القبلة هذا في زمان المحسن
البصري فما بالك وظنك بزماننا هذا ومساجدنا هذه له كن قد أخبر الشارع
صلى الله عليه وسلم ان ذلك يكون فكأن كما قال الا ترى الى قوله
عليه الصلاة والسلام كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة

لان السنة اذا أطلقها العلماء فالمراد بها طريقة صاحب الشرع صلوات الله
وسلامه عليه وعادته المستمرة على ذلك قال الله تعالى سنة الله التي قد خلت
من قبل سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا أي عادة الله التي قد خلت من
قبل وعادة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا فلما ان ارتكبنا ما نؤثم اصطلمنا
عليها بحسب ما سئولنا أنفسنا صارت تلك العوائد التي ارتكبناها
ومضينا عليها سنة لنا فاذا جاءنا من يعرف السنة ويعمل بها انكرناها عليه
لانه يعمل بخلاف سنتنا وقلنا هذا يعمل بدعة بالنسبة الى سنتنا التي اصطلمنا
عليها فاذا انها من عادتنا وأمرنا بتركها او تركها هو قلنا هذا يترك السنة أي
يترك السنة التي اصطلمنا عليها فجاء ما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث
المتقدم سواء بسواء فانا لله وانا اليه راجعون وقد روى مالك في موطائه عن
الاعلامين عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج يوما الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان
شاء الله عن قريب بكم لاحقون وددت اني قد رايت اخواننا فقالوا يا رسول
الله السناباخوانك قال بل انتم اهل بي وأخواننا الذين يأتوا بعدنا وانا
فرطهم على المحوض فقالوا يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمته
فقال أرايت لو كانت لرجل خيل غر محجلة دهم الا يعرف خيله من غيرها
قالوا بلى يا رسول الله قال فانهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء
وانا فرطهم على المحوض فليذا دن رجال عن حوضي كما يذاذ الله ببر الضال
أنادي بهم ألا هلم ألا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول صدقا
فصدقا أم فأني عليه الصلاة والسلام بلفظ التبديل على طريق العموم
فبدل في ذلك التبديل في الاعتقاد والقول والعمل في القليل والكثير فاذا
تقرر هذا وعلم من أحوالنا اننا لا نلجأ الى الرجوع الى العوائد من غير علم بها
والاستمرار على ما نحن فيه من الاصطلاحات مخففة في العقل وحرمان بين
فيحتاج لاجل هذا ان ينوي حين الخروج التحفظ من هذه الاشياء كلها حتى
يكون متيقظا اذا وقع له شيء منها فيغيره بالذي يقدر عليه جهده مرة باليد
وأخرى باللسان وأخرى بالقاب وما وراء ذلك وراءه فيتحفظ من ترك الثالث
فان تركه خطر وقد تقدم مثال ذلك مما هو معلوم بوجود اليوم بيننا

في المساجد وغيرها من التغني بالقرآن والزيادة فيه بالمدا الفاحش والنقص
بحسب ما يوافق نعماتهم في الطريقة التي ارتكبوها ومضت عليها سنتهم
الذميمة وإن كان قد اختلف علم وفارحة الله عليهم هل يجوز التغني بالقرآن
أم لا للحديث الوارد في ذلك عنه صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول ليس
منّا من لم يتغن بالقرآن فذهب مالك وجهه ورأى أهل العلم رجحة الله عليهم إلى
أن ذلك لا يجوز وروى ابن القاسم عن مالك رحمه الله أنه سئل عن الأحناف
فقال لا يجزئني وإنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم وذهب
الشافعي ومن تبعه إلى أن ذلك يجوز وأحقيقوا بالحديث المتقدم فحمله على
ظاهره وهو عند الجماعة مؤول على أن معنى يتغن يستغني به من الاستغناء
الذي هو ضد الفقر وقيل يجهر به لقوله عليه الصلاة والسلام ما أذن الله
لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغن بالقرآن يجهر به قال علماء وفارحة الله
عليهم معناه يسمع نفسه ومن يليه وقال عليه السلام الجاهر بالقرآن كالجاهر
بالصدقة قال الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى وقد روى عن
سفيان وجه آخر ذكره إسحاق بن راهويه أي يستغني به عما سواه من
الأخبار وإلى هذا التأويل ذهب البخاري رحمه الله لا تباعه الترجمة في
كتابه بقوله تعالى أولم يكن لهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والمراد
الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم قاله أهل التأويل وقيل إن معنى
يتغن به يتحزن به أي يظهر في قارئه الحزن الذي هو ضد السرور عند قراءته
وتلاوته وليس من الغنية لأنه لو كان من الغنية لقال يتغاني به ولم يقل يتغن
به ذهب إلى هذا جماعة من العلماء منهم الحليمي وهو قول الليث بن سعد
وأبي عبيد ومحمد بن حبان والنسائي وأحقيقوا بما رواه مطرف بن عبد الله
ابن الشخير عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وأصدره
أزين كآزين الرجل من البكاء الأزين بز من صوت الرعد وغلبان القدر
وقد روى عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم
بالناس فطرب في قراءته فأرسل إليه سعيد يقول أصلحك الله إن الأئمة
لا تقرأ هكذا فترك عمر التطريب بعد وروى عن مالك رحمه الله أنه سئل
عن النبي في قراءة القرآن في الصلاة فأذكر ذلك وكرهه كراهة شديدة

وانكر رفع الصوت به وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله
عنه قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مودن يطرب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمع فان كان اذانك سهلا سمعوا والا فلا
تؤذن آخره المدايق في سنده فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم منع ذلك
في الاذان فاحرى انه لا يجوز في قراءة القرآن الذي حفظه الرحمن سبحانه
وتعالى فقال وقوله الحق اننا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون وقال عز وجل
وانما كتاب عزيز لا يأتى بالباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
خبير فقال وااما الخلف به المخالف من قوله عليه الصلاة والسلام زينوا القرآن
بالاصواتكم فليس هو على ظاهره وانما هو من باب المقلوب اى زينوا اصواتكم
بالقرآن قال الخطابي وكذلك فسر غير واحد من ائمة الحديث زينوا
اصواتكم بالقرآن وقالوا هو من باب المقلوب كما قالوا عرضت المحرض على
الناقة وانما هو عرضت الناقة على المحرض قال ورواه معمر عن منصور عن
طلحة فقدم الاصوات على القرآن وهو الصحيح ورواه طلحة عن عبد الرحمن
ابن عوسجة عن البراء بن عازب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال زينوا اصواتكم بالقرآن اى اللججوا بقراءته واشغلوا به اصواتكم
واخذوه شفاء وقيل معناه المحض على قراءة القرآن والدأب عليه وقد روى
عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول زينوا اصواتكم
بالقرآن وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال حسبنوا اصواتكم بالقرآن
ثم قال المراد به رضى الله عنه وماذا الله ان يتأول عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يقول ان القرآن يزين بالاصوات او بغيرها فن تأول هذا فقد واقع
امر عظيم وهو ان يحوج القرآن الى من يزينه كيف هو والنور والضياء
والزينة الاعلى من الابدس بهجة واسعدنا رضى الله عنه ثم قال ان في الترجيع
والتطريب همز ما ليس به موزون وما ليس بممدود فترجع الالف الواحدة
الغات كثيرة فيؤدى ذلك الى زيادة في القرآن وذلك ممنوع وان وافق ذلك
موضع نبرة صيرها نبرات وهمزات والنبرة حينما وقعت من الحروف فانما هي
همزة واحدة لا غيرا ممدودة واما مقصورة فان قيل فقد روى عن عبد الله
ابن مغفل رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير له عام

الفتح على راحلته فرجع في قراءته وذكره البخاري وقال في صفة الترجيع
 ثلاث مرات قلنا ذلك محمول على اشباع المد في موضعه ويحتمل ان يكون
 حكاية صوته عنده زال الراحلة كما يعثرى رافع صوته اذا كان راكعا ان تضغط
 صوته وتقطيعه لاجل هذا المركوب واذا احتمل هذا فلاحجة فيه قال وهذا
 المخلاف انما هو ما لم يبههم معنى القرآن بتريد الاصوات وكثرة الترجيعات
 فاذا زاد الامر على ذلك حتى لا يعرف معناه فذلك حرام باتفاق كما يفعله القراء
 بالدار المصرية الذين يقرءون امام الملوك والمجنائز وياخذون عليهم الاجور
 والجواهر ضد لسمعهم وخاب عما هم فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله تعالى
 ويهونون على انفسهم الاجترار على الله بان يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه
 جهلا بدينهم ومروقات سنة تديهم ورفض السيرة الصالحين فيه من سافهم
 وتزيغهم الى ما يزين لهم الشيطان من اعمالهم وهم يحبسون انهم يحسنون
 صنعاء فهم في غيرهم يترددون وكتاب الله يتلاعبون فان الله وانا اليه راجعون
 لكن قد اخبر الشارح صلوات الله عليه وسلامه ان ذلك يكون في مكان كما
 اخبر صلى الله عليه وسلم ذكر الامام الحافظ ابو الحسن بن رزين وابو عبد
 الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث حذيفة رضي الله عنه ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرءوا القرآن بلحون العرب واصواتها
 واياكم ولحون اهل الفسق ولحون اهل الكتابين وسيجي به عدى اقوام
 يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم
 وقلوب الذين يبههم شأنهم اللحن جمع لحن وهو التعاريف وترجيع الصوت
 وتحسينه بالقراءة كالشعر والغناء قال علماء نازحة الله عليهم ويشبه هذا
 الذي يفعله قراء زماننا بين يدي الوعاظ في المجالس من اللحن الاعجمية
 التي يقرءون بها ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم والترجيع في القراءة
 تريد الحروف صك قراءة النصارى والترتيل في القراءة هو التاني فيها
 والفهل وتبيين الحروف والحركات تشبهها بالاشعر المراتل وهو المطلوب في
 قراءة القرآن قال وقال الحامي والذي يظهر بدلالة الاخبار انه اراد بالتغني
 ان يحسن القارئ صوته مكان ما يحسن الغنى صوته بغنائه الا انه يعمل به نحو
 القهر دون التطريب اى قد عوض الله من غناء الجاهلية خيرا منه وهو

القرآن فن لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرض به بدلا من ذلك الغناء فليس
منه الا أن قراءة القرآن لا يدخاها شيء من التغنى وفضول الاحسان وترديد
الصوت بما يابس المعنى ويقطع أوصال الكلام كما قد دخل ذلك كله في الغناء
وانما يليق بالقرآن حسن الصوت والتخزين به دون ما عداهما وسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس قراءة فقال صلى الله عليه
وسلم أحسن الناس قراءة من اذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى
وقال ان هذا القرآن نزل بحزن فاقره وبحزن فابكوا فان لم تبكوا فتبكوا
اه كلام القرطبي رحمه الله لكن يشترط في التخزن أن يكون القارى
في حال قراءته متلبسا بحزن القلوب فان لم يقدر عليه تعاط أسباب الحزن بمثل
نفسه أنه على الصراط وان النار تحت قدميه وان الجنة بين يديه الى غير
ذلك وهو كثير وذلك ليكون ظاهره موافقا لباطنه فلم يحد أن يظهر بلسانه
من التخزين ما لم يكن في قلبه فانه من باب خشوع النفاق وهو أن يكون
البدن خاشعا والقلب ليس كذلك نسأل الله السلامة عنه وقد رأى عمر بن
المختاب رضي الله عنه رجلا يمشي وهو منحني الرأس فخر به بالدرية وقال
ارفع رأسك الخشوع هاهنا وأشار الى قلبه فاذا كان الامر كما وصف فيحتاج
الخارج الى المسجد لأن يكون كما تقدم ذكره لئلا يجبه شيء من ذلك ولا يتأثر
قلبه عند رؤية ما يرى وكذلك ما يفعل في المساجد من غير الجائز من جنس
ما ذكر مما تأباه السنة المحمدية وذلك كثير يطول تتبعه فن وفقه الله تعالى
وطاب العلم من أهله تنبه لذلك كله فيعرفه حين رؤيته وقد صارت كلئها
شعائر الدين وقل من ينكرها فانا لله وانا اليه راجعون (وينوي) مع ما ذكرناه
الايمان والاحتساب في حال تلبسه بالفعل لان من أحضر فيه الإيمان
والاحتساب اذ ذلك كان أعظم أجرا من كان غافلا عنها أو ساهيا لا ترى الى
ما ورد عنه صلوات الله عليه وسلامه في الصوم الواجب من صام رمضان
ايامنا واحتسابا غفر له ما بين رمضان الى رمضان وقد تقرر في الصوم ما قد
تقرر فيه من قوله عليه الصلاة والسلام مخبرا عن ربه عز وجل يقول كل عمل
ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا اجزي به فهذا أجره كما ترى لكن لسان زاد
هذه الآية الايمان والاحتساب زيد له في مقابله مغفرة ما بين رمضان الى

رمضان وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام من قام رمضان ايمانا واحتسابا
 غفر له ما تقدم من ذنبه وقيام رمضان فيه الاجر ابتداء لكن لما ان زاد هذا
 في نيته احضار الايمان والاحتساب زيد له في مقايسته مغفرة ما تقدم من ذنبه
 وكذلك ايضا قوله عليه الصلاة والسلام اذا انفق الرجل على اهله محتسبا
 فهو له صدقة والزفقة على الاهل واجبة والواجب على ما تقر راجحه اعظم
 وافضل من غيره لكن لما ان زاد هذا نية الاحتساب في فعله زيد له على اجر
 الواجب اجر صدقة اه واحضار ذلك هو انه اذا فعل الفعل يستحضر الايمان
 اذ ذلك وأنه يمثل امر الله عز وجل على ما امر به صاحب الشرع بعبادة صلوات
 الله عليه وسلامه منقادا مطيعا من قبل نفسه لا محبة ولا مستحيلا بل يمثل
 الامر ليس الا والاحتساب ان يحتسب تعب الفعل الذي يفعله ومشقة
 على الله تعالى لا على غيره من عوض يأخذه أو ثناء أو مدحة أو مظاهرة ترتفع
 عنه أو يرجع اليه أو يسمع قوله أو اشارته بل يكون ذلك خالصا لربه عز
 وجل لا يريد به بدلا فاذا فعل الفعل الذي يفعله على هذه الصفة وهذا
 الترتيب فقد أتى بالمقصود والمراد وقد كل النية واتمها ونماها فبرجى له ان
 يحصل له ما وعد به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه على ذلك الفعل
 ان شاء الله تعالى ومن صدق من الله قولا ومن صدق من الله حديثا
 وهذه القاعدة مطردة في جميع الاحمال كلها ادقها وجايلها واجبها
 ومن دبرها واعل قائلها قول كل ما ذكرته متعذرا لا يمكن تحصيله لان هذا
 كله يحتاج الى زمان طويل والاكثر من الناس ارباب ضروا فلا يمكنهم
 الوقوف لمراعاة ما ذكره فيجيب عن ذلك بما ذكره ابن العربي رحمه الله
 تعالى في شان نية الصلاة قال قال لنا ابو الحسن القروي رحمه الله تعالى
 بغير عسقلان سمعت امام الحرمين يقول يحضر الانسان عند ان تلبس بالصلاة
 النية ويجرد النظر في الصانع وحدوث العالم حتى ينتهي نظره الى نية الصلاة
 قال ولا يحتاج في ذلك الى زمان طويل وانما يكون ذلك في أم في لحظة لان
 تعام ذلك المجاهل يفتقر الى الزمان الطويل وقد كرها يكون في لحظة اه
 ومن تمام النية وتسكمتها وحسنها وتتميتها ان تكون مستهبة في كل فعل
 يفعله لكن هذا في الغالب صعب عسير في حق اكثر الناس وذلك حرج

ومشقة فيجزى بالنية التي خرج بها ان شاء الله تعالى (فتحصل) لزمان النيات
في الخروج الى المسجد انسان وتسعون مع ما يضاف الى ذلك من نية شروط
وجوب الصلاة وفرائضها وسننها ووضاؤها وذلك سبع وستون فالشروط
خمسة وهي الاسلام والعقل والبلوغ وانقطاع دم الحيض والنفاس
ودخول وقت الصلاة وتختص الجمعة بثانية شروط اربع للوجوب
واربع للاداء فاما الاربع التي للوجوب فهي المذكورة والمحورية
والاقامة وموضع الاستيطان وأما التي للاداء فهي امام وجماعة
ومسجد وخطبة والفرائض ثمانية عشر وكذلك من السنن وكذلك من
لفضاءل فالفرائض المتفق عليها عند الجميع عشرة وهي النية والطهارة
معرفة الوقت والتوجه الى القبلة والركوع والسجود ورفع
الرأس من السجود والقيام والجلوس الاخير وترتيب افعال الصلاة
يتمها ثلاث متفق عليها في مذهب مالك رحمه الله تعالى وهي تكبيرة
لاحرام والسلام وقراءة أم القرآن على الامام والقدوم منها خمس مختلف
فيها في مذهب مالك رحمه الله تعالى وهي الرفع من الركوع وطهارة
الثوب والبقعة وسترا لمودة وترك الكلام والاعتدال في الفصل بين أركان
الصلاة واثنان مختلف فيهما هل هما شرط صحة أو شرط كمال وهما
المحشوع ودوام النية وأما السنن فأولها إقامة الصلاة في المساجد ورفع
اليدين عند الاحرام ويختلف في الرفع عند الركوع ورفع الرأس منه
والسورة التي تقرأ مع أم القرآن والجهر بالقراءة في موضع الجهر والاسرار
بها في موضع السر والاضاحات مع الامام فيما يجهر فيه والتكبير سوى
تكبيرة الاحرام وقد قيل ان كل تكبيرة باقرا دها سنة وسمع الله ان
حمده للامام والقدوم والتشهد الاول والجلوس له والتشهد الاخير
والجلوس له وهو ما كان منه زائدا على ما يقع فيه السلام والصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم في الصلاة سنة وفريضة مظافة في غيرها ورد السلام
على الامام وتأمين المأموم اذا قال الامام ولا الضالين وقوله ربنا ولا الحمد
اذا قال الامام سمع الله ان حمده والقناعات للراءة والتسليم في الركوع
والسجود وأما الفضائل فأولها أخذ الرداء والقيام بسلام وقراءة

المأموم مع الإمام فيما يسرف فيه وإطالة القراءة في الصبح والظهر وتخفيفها في العصر والمغرب وتوسطها في العشاء وتقسيمها بالجمعة الأولى والتأمين بعد قراءة أم القرآن للغد والإمام فيما يسرف فيه وقول الغدير بناولك الحمد وصفة الجلوس والإشارة بالاصبع فيه والقنوت في الصبح والقيام من موضعه ساعة يسلم والسترة واعتدال الصفوف والاعتماد على اليدين في الفريضة واختلاف في وضع أحد أقدامه على الأخرى في الصلاة وقد ذكرها في الدعوة ومعنى كراهيتها أن تعمد من واجبات الصلاة والصلاة على الأرض أو على ما أنبتته الأرض والصلاة في الجماعة مستحبة للرجل في خاصة نفسه وأما إقامة الجماعة في الصلوات فأنها فرض في الجملة وسنة في كل مسجد وهذا منتهى ما عده علماءنا رجعة الله عليهم فيجتمع مع ما تقدم من الآداب فيكون الجميع مائة وتسعة وخمسين فإن أضاف إلى ذلك سنة امتثال السنة في الدعاء عند التوجه إلى الصلاة وعند اصطفاة الناس إلى الصلاة فإنه مأثور بالدعاء فيه وهو موضع مرجوف فيه قبول الدعاء ثم ينوي الدعاء بعد الصلاة أيضا لأنه من السنة أعني دعاء كل إنسان في سره لنفسه ولاخوانه دون جهر اللهم إلا أن يكون إماما ويريد أن يعلم المأمومين على ما قاله الشافعي رحمه الله فإذا رأى أنهم قد تعلموا سكت ثم يضيف إلى ذلك التوبة بين الدخول في الصلاة مما تقدم له من السقطات في الكلام أو الغفلات والمخاطرات أو غير ذلك كل على قدر حاله وهذا مثل ما قاله بعض العلماء رجعة الله عليهم في العاقل لذلك يحاسب بنبي أن يتوب قبل العقد ليحصل العقد من ثأب فتكون عدالة الولي حاصلة بالتوبة الواقعة اذذاك فيخرج به من الخلاف الذي في الولي غير العدل وكذلك فيما نحن بسبيله يحصل التوبة السلي يتصف بها قبل الدخول في الصلاة له يدخل اذذاك في قوله تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحكون ذلك منه تجديد لما تقدم من توبته عند الوضوء فإذا حصل ذلك حينئذ ينبغي أن يقرع باب الملك بالدخول في مناجاته بتكبيره الاحرام والوقوف بين يدي مولاه في صلواته والله الموفق للصواب فهذه أربع مضافة إلى ما تقدم ذكره فيكون الجميع مائة وثلاثة وستين من الآداب فينوي ذلك كله فاصادفه

بادر الى عمله ومالم يصادفه حصل له اجر النية وهذا الذي ذكر من العدد
على جهة التخصيص في النظر ومن رزقه الله نورا وتأييدا وتوفيقا يرى أكثر
من هذا **ذكر** روية علماء ان شاء الله فيحصل له من الاجر ما هو أكثر لان النور
لا يشبه الظلام ونظر العالم ليس كنظر العاقل ونظر العام ليس كنظر
الباطل ونظر المتبع ليس كنظر المبتدع فاذا اجتمعت هذه الفضائل
في الشخص وتعمى من هذه النقائص حصل ما هو أكثر من ذلك فابن هذا
من خرج بنية أداء الصلاة ليس الا **يمكن** ان يبقى في هذا شيء وهو ان علماءنا
رحمة الله عليهم قد اختلفوا في اغتسل للجنابة والجمعة هل يجزى عنهما
اولا يجزى او يجزى عن احدهما أربعة أقوال مشهورة يجزى عنهما لا يجزى
عنهما يجزى عن الجنابة ليس الا يجزى عن الجمعة ليس الا واتفقوا على
انه لو اغتسل للجنابة ويقول أرجو ان يجزى عن غسل جمعة اعني أنه لو
بذلك ان ذلك يجزىه ومثلهما مثلهما سواء بسواء فان أراد ان يخرج من
المخلاف فينوي بالصلاة المشي الى اداء فرض الله تعالى وما يختص بالصلاة
نفسها ثم يقول وأرجو ان يجزى عن كذا وكذا فيتمد ما ذكره يزيد عليه
بحسب ما وافقه الله تعالى فاذا خرج مما تقدم فاوافق مما نواه بادر اليه يفترسه
فيحصل له اجر النية والعمل ومالم يوافقه في الوقت حصل له اجر النية وقد
قال عليه الصلاة والسلام اوقع الله اجره على قدر نيته ولا جمل هذا المعنى
حكى عن بعض العلماء والصالحين انه دخل عليه وهو في سباق الموت فقل
لاصحابه انور ابنا الحجا انور ابنا جاهد انور ابنا رباطا رباطا رباطا رباطا
وكثر فقالوا له يا سيدنا كيف وانت على هذا الحال فقال رحمه الله ان عشنا
وفيننا وان متنا حصل لنا اجر النية **يمكن** ان يبين ان يكون النظر
في النية وتنميتها بما تقدم ذكره والغافل المسكين صريح معا في وهو في عني عن
أعمال البرساء عن نفسه وعن نفسه لكن اذا نوى ما ذكره يحتاج ان يكون
متيقظا مهما قدر على فعله مع اتساع الزمان عليه فعمله لا لا يدخل في عهده وله
تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه وفي قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون فيقع في المقت
والعيبا ذبا لله تعالى فاذا خرج الى الصلاة على ما سبق فليحذر ان يخطئه

في نفسه أنه خير من أحد من اخوانه المسلمين فيقع في البلية العظمى فكان تركه لزيادة تلك النيات أولى به لان الحب محبط للأعمال اذا صحت فكيف به في عمل لم يعرف صحته من سقمه بل يخرج بحسن الظن باخوانه المسلمين يسمى الظن بنفسه فيتهم نفسه في فعل الخير انها ارادت به الشر وبعثت في غيره من اخوانه المسلمين اذا رآه يفعل الشر انه اراد به الخير كما حكى عن بعضهم اظنه محمد بن واسع رحمه الله زفعا ببركاته واعاد علينا من سره انه مر مع اصحابه بموضع فرمى عليه من كوة دار رما دأراد اصحابه ان يهتفوا اهل ذلك الموضع فقال لا تفعلوا هذه رجة من الله تعالى وقال حسن ان استحق النار ثم صفح عنه ووقع الصلح على الرما درجة عظيمة في حقه وما كان سبب هذا الخلق منه الا سوء ظنه بنفسه وحكى عن آخره مر مع اصحابه بموضع وكان رحمه الله قل ان يغير منكرا فهو ابد كان ورجل يجامع امرأة على مسطبة الدكان فغمض الشيخ عينيه ومرتجاء بعض اصحابه فأمسكه وقال له يا سيدي ما بقي لك ههنا تأويل او بعد هذا شيء فقال له الشيخ امانة زهرهم يا اخي كثرت العيال وضافت البيوت حتى احتاج انه يخرج بزوجته مثل هذا الموضع وانما سمعته على هذا تحسين ظنه باخوانه المسلمين لكن هذا والله اعلم كان صاحب حال فحمله حاله على ما فعل والافتحسين الظن ~~مممكن~~ ونفيه واجب ايضا وان كانت زوجته لان علماء نارجة الله عليهم قد نصوا على أنه لا ينبغي للرجال ان يهتموا بالنساء في الطرق لمحدث ولا غيره وان كانت زوجته او امته لكن الحال حامل لا محمول سمعت سيدي ابا محمد بن أبي جرة رحمه الله تعالى يقول اذا مر عليك انسان بجمرة خمر ثم غاب عنك ورجع عريا عنها لا يحمل لك ان تقول شربها ولا اوصلها لمن يفعل ذلك بها وانما تقول الحمد لله الذي هداه لهذا وما كان عليه هكذا تكون نية المؤمن مع اخوانه المسلمين أعني هذه سبيله معهم مع عدم الخطاة فيدخل اذذاك في قوله عليه الصلاة والسلام سلامة الصدر لا تباع به عمل وأما مع الخطاة فالسنة سوء الظن حتى يتبين منهم سبب لتحسين الظن بهم وعلى هذا حملوا قوله عليه الصلاة والسلام من الحزم سوء الظن فاذا خرج الى المسجد على ما وصف ودخل اليه يجيبه فهو في تحيته بالخيار ان شاء فعل ذلك على الوجوب وان شاء فعله على الاستقباب فالاستقباب بين

والواجب بتذره المختصير واجبة ثم بعد وجوبها عليه يحرم بها وفعل الواجب
فيه من الثواب ما فيه فاذا فرغ من تحية المسجد فلا يخلو امره من احدى امور
اما ان يكون ممن يتعاق به امره - ثم في الدين كالعالم والمتعلم والامام والمؤذن
والمؤدب والمجاهد والفقير المنقطع للعبادة التارك للأسباب فهو لا سبعة
عليهم يدور امر الدين فاهمهم واعظهم هو العالم اذ ان الستة الباقين كلهم
راجعون اليه داخلون تحت أحكامه واشارته ألا ترى الى قوله عليه الصلاة
والسلام العالم امام والعلم تابعه وقوله عليه الصلاة والسلام يؤم القوم
أقرؤهم - كتاب الله وكان في عصره عليه الصلاة والسلام أقرؤهم - كتاب
الله وأعلمهم بالحلال والحرام وبقواعد الاحكام قال الشيخ أبو عبد الله
القرطبي في كتاب التفسير له ذكر أبو عمر والداني في كتاب البيان له بإسناده عن
عثمان وابن مسعود وأبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر
فلا يجاوزونها الى عشر أخرى - حتى يتعلمون ما فيها من العمل فيتعلمون القرآن
والعلم جميعا وذكر عبد الرزاق بن معمر عن عطاء بن السائب عن أبي عبد
الرحمن بن يسار السلي قال كنا اذا تعلمنا مشرايات من القرآن لم نتعلم العشرة التي
بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها اه فتبين من هذا ان الامام
يكون أعلم القوم لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم يؤم القوم
أقرؤهم - كتاب الله واذا كان الامر كذلك فهو أكثر الناس حاجة الى العلم
والامامة أعلى المناصب واجلها فلا بد ان يكون الامام عالما أعنى على طريق
الكمال والافعال السؤال من العالم يستقيم حاله ويصير عالما بأحكام شريعته
ومرقيته وكذلك غيره من الخمسة الباقين كل محتاج الى العلم في العلم الذي
أهل اليه اما بالتعليم او بالسؤال من العالم وقد ورد ان الله عز وجل يأمر يوم
القيامة بأهل البلاء الى الجنة والعلماء وقوف في المحشر فيقولون يا ربنا بفضل
علمنا دخلوا الجنة أي انهم علموه ما يلزمهم من الاحكام في بلادهم ومالهم على
ذلك من الاجور وكيفية الصبر ومال الصابرين فامتلأوا ذلك منهم فكانوا سببا
لما جرى ثم يأمر الله عز وجل بالمجاهدين والمصابين الى غير ذلك من الطوائف
الذين يدخلون الجنة بغير حساب والعلماء وقوف فيقولون يا ربنا بفضل علمنا
دخلوا الجنة فيقول الله عز وجل أنتم عندي صكاً نبياني اذهبوا فاختروا

الصفوف فاستمعوا وتشفعوا وإذا كان الامر كذلك فينبغي الاعتناء بامر العالم
وتقدم رتبته بالذم **مكرر** على غيره من الرتب الباقية اذ انه غير محتاج لهم في
مقامه الذي اقيم فيه والباقيون محتاجون اليه مضطرون لا تتم لهم صفقة
ولا يتقوم لهم امر الا بدخول العالم بينهم والا كان معهم هباء منثورا فغناء
ما قال عليه الصلاة والسلام سواء بسواء نعم الرجل العالم ان احتجج اليه نفع
وان استغنى عنه اغنى نفسه بالله وبالكلام على العالم وتعيينه مقامه يندرج
غيره فيه من متعلم أو غيره وابقيت بقية من الكلام على الباقيين وسنذكر كلاما
منهم على انفراد ان شاء الله تعالى

(فصل في العالم وكيفية نيته وهديه وأدبه)

فأول ما ينبغي له ان يحسن نيته جهده ما استطاع اكثر من كل من ذكر اذ ان
ما هو فيه هو اصل الدين ومجاده وكل من بقي من غيره فهو فرع عنه وتابع له
كلصل الثمرة ان استقام استقامت القروع وان أصابت الاصل آفة
هالكت القروع والنية هي الاصل لا حراز هذا الاصل ان كان حسنا سلم
صاحبه من العاهات والآفات والبلات قال عليه الصلاة والسلام نية
المرء خير من عمله ولا يوجد في الاعمال كلها الى ما تم في أول الكتاب
أفضل من العلم وذلك بشرط ان تكون النية فيه حسنة فاذا كانت النية
حسنة كان أفضل الاعمال والافتك كون الاعمال تفضله بحسب ما كانت
النية فيه ألا ترى الى قول مالك رحمه الله لابن وهب لما ان قام الى الصلاة ما
الذي قلت اليه بأوجب عليك من الذي قلت عنه وانما قال له ذلك لما كانت
نياتهم في طاب العلم ما كانت فكان طالب العلم لا يفوقه غيره والصلاة تدرك
لان وقتها ممتدوم مسائل العلم تغوت لانها لا تكون ولا تحصل للانسان وحده
في غالب الامر بذلك مضت الحكمة وبه وقع التكليف لقوله صلى الله عليه
وسلم وانما العالم بالعلم وهو الآن متيسر عليه بسبب بحالته الامام مالك
الذي كان معه في ذلك الوقت فقد تفوقه بحالته بعد الصلاة فاذا كان كذلك
فالنية أولى ما يراعى العالم اولاً ثم يغيبها بعد ذلك ويحسبها اولى بتغيبها
وتحسينها اذ العلم الذي عنده يبصره بذلك ويدله عليه قال الله سبحانه
وتعالى وما يعقلها الا العالمون وكيفية اخلاص النية ان يكون تعلم العلم بنية

يا بسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم - م كقلوب المذئاب استنهم أحلى
من العسل وقلوبهم أمر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزئون لا تبعن لهم
فتنة تذر المحلیم فیها حیرانا وخرج الطبرانی فی کتاب آداب النفوس باسناده
الى ابن صدقة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو من حديثه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخادعوا الله فانه من يخادع الله
يخادعه الله ونفسه يخدع لو كان يشعر قالوا يا رسول الله وكيف يخادع الله
قال تعمل بما أمرك الله به وتطلب به غيره واتقوا الرياء فانه الشرك وان المرأى
يدعى يوم القيامة على رؤس الأشهاد باربعة أسماء ينسب اليها يا كافرا يا فاجرا
يا غادرا يا خاسرا ضل عملك وبطل أجرک فلا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك عن
كنت تعمل له يا مخادع اه وهذا الحديث هو ما جاء في نص التزويل سواء
بسواء قال الله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم - م قال علماؤنا رحمة الله
عليهم معناه يقاتلهم على أفعالهم ومن كتاب القرطبي أيضا رحمة الله تعالى
وروى عاقبة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كيف أنتم اذ البستكم
فتنة يربوا ويشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وتخذ سنة مبتدعة فتجربى
عليها الناس فاذا غير منها شئ قيل غيرت السنة قيل متى ذلك يا أبا عبد الرحمن
قال اذا كثرت تراؤكم وقل فقه ساؤكم وكثرت امراؤكم وقل امن ساؤكم والتمست
الدنيا بعمل الآخرة وتفقه الرجل لغير الدين وقال سفيان بن عيينة بلغنا عن
ابن عباس رضى الله عنه قال لو أن جملة القرآن أخذوه بصحة أو كما ينسبني
لأحبهم الله ولا يكن طابوا به الدنيا فابغضهم الله وما أنواعا للناس وروى
عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله عز وجل فكبروا فيها هم والغاؤون
قال قوم وصفوا الحق والعدل بالسننهم وخالفوه بقلوبهم الى غيره اه ومن
كتاب مراقي الزاقي للامام الفقيه أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى قال
في الانكار على من ينسب المحكمة لغير أهلها اما المحكمة فقد صار هذا
الاسم يطلق على الطبيب وعلى الشاعر وعلى المنجم حتى على الذى يخرج
القرعة والذى يجلس على شوارع الطرق للحساب فان الله وانا اليه راجعون
والمحكمة فى الحقيقة هى التى أثنى الله عليها قال ومن يؤت المحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من المحكمة يعلمها الرجل

خبر له من الدنيا ثم قال واظن كل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس
وماركب الناس عليه اليوم فأكثره مبتدع حدث وقد صح قول النبي
صلى الله عليه وسلم بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء
قيل ومن الغرباء فقال الذين يصلحون ما أفسد الناس من سننى والذين يحبون
ما أماتوه من سننى وفى خبر آخر مروي هم المتسكون بما أنتم عليه اليوم
وفى حديث آخر ناس قليلون صالحون بين ناس كثير من يبغضهم أكثر من
يحبهم وقال الثوري إذا رأيتم العالم كثيراً لصدقاء فاعلموا أنه غلط لأنه
أن نطق بالحق أبغضوه أهو من القرطبي أيضاً وينبغى للعالم أن يأخذ نفسه
بالصون عن طوق الشهوات ويقال الضحك والكلام بما لا فائدة فيه
وبأخذ نفسه بالحلم والوقار وينبغى له أن يتواضع للفقراء ويحذنب التكبر
والاعجاب ويحجافى عن الدنيا وأبنائها أن خاف على نفسه الفتنة أهوان
لم يخف خالطهم بالظاهر مع سلامة باطنه إيبانهم أحكام ربهم عليهم ثم قال
القرطبي ويترك الجدال والمراءى ويأخذ نفسه بالرفق والأدب وينبغى له أن
يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره ويسلم من ضره وإن لا يسمع ممن ثم عنده
ويصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق ويرزقه
ولا يشينه أه وينبغى أن يكون خائفاً على نفسه من التقصير مشغفاً على
نفسه في التبليغ يرى نفسه التواضع أهلاً لذلك ويرى نفسه أنه أقل عبداً
الله وأكثراً حاجته إليه وأقربهم إلى التعلم كما قيل العالم عالم ما كان يرى
نفسه أنه جاهل فإذا رأى نفسه أنه عالم فقد جهل بل مسترشد متعلم يقدم مع
أخوانه يرشدهم ويسترشد منهم ويعلمهم ويتعلم منهم وقع في سؤال مع
سیدی ابی محمد رحمه الله سبحانه أريد أن أقرأ عليك فقال لي أقرأ على
العلماء فقلت أريد أن أقرأ عليك فقال لي كيف تترك العلماء وتأتني تقرأ على
مثلي فقلت أريد أن أقرأ عليك فقال استخبر الله تعالى فاستخبرت الله تعالى
ثم جئت إليه فقلت أقرأ قال عزمت قلت نعم فقال لي لا يخطر بخطر ولا
يعرب باللك ألك تقرأ على عالم ولا ألك بين يدي شيخنا نحن أخوان محبتهم عون
تذاكر أشياء من أحكام الله تعالى علينا فلي أي أسان خلق الله الصواب
والحق قبلنا وإن كان صدياً من المكاتب فإذا قعد الإنسان للتعليم على هذا

الترتيب الذي ذكر فلا شك أنه من أعظم الناس منزلة وأكثرتهم عبرا
 وبركة الأثرى إلى ما جاء في الحديث من صلى الفريضة ثم قعد يعلم الناس
 الخير نودي في السموات عظيم أجره ذاتوا طاعات الأخبار ونقلت الأمة خلفا
 عن سلف أعني تعظيم العالم ورفع منزلته على غيره إذا نهى عن شيء بدرجة
 الانبياء إلا العلماء ثم بدرجة الشهادة وقد روى في الحديث
 لو وزن مداد العلماء ودم الشهداء مرجح عليه مداد العلماء وهذا بين لأن
 دم الشهداء أغلى من سعة من نهار أو ساعات ثم انفصل الأمر فيه لأحدى
 الحسين ومداد العلماء ووظيفة العمر لا ولا ونهارا ثم انه يحتاج فيه
 لمباشرة غيره لا بد من ذلك إما أن يعلم أو يتعلم وكلاهما يحتاج فيه إلى مجاهدة
 عظيمة لأجل خلطة الناس ومباشرة بهم وذلك أمر عسير لأنه يحتاج أن كل من
 اجتمع به يفصل وهو طبيب النفس مفرح الصدور بذلك مضت السنة
 وانقرض السلف عليه وهذا مع مراعاة الأصل الذي هو تخليص الذمة مما
 يترتب فيها وعليها من حقوق الإخوان في الحضرة والغيبة والسلامة من
 أعراضهم والذب عنهم وسلامة الصدر لهم ومراعاة أحوالهم وانصافهم في
 المخاطبة والتوفيق لهم في ذلك كله صعب عسير فضلا عن تكابدة فهم المسائل
 والوقوف على معانيها وغوامض خباياها أثناء الليل وأطراف النهار مع ما ينزل
 من النوازل من الأمور التي تقع في زمانه كما قال صاحب الأنوار رحمه الله وقد
 خص الله تعالى العلماء بفضيلة لا يشاؤكم فيها غيرهم لأن الله عز وجل يعبد
 بفتواهم ويمرّف بحلاله وحرامه بهم غير أنهم مطالبون بشكر النعمة
 مدافعون لوجود كل فتنة ومحنة وحادثة وبدعة اه وهذا مقام عظيم اذ به
 يعبد الله تعالى ويطاع وبه ينهى عن معاصيه وتركه في كل من ترك معصية
 أو بدعة ففي صحيفته بل وكل من أطاع الله وعبد الله فذلك في صحيفته أيضا
 وقد قال عليه الصلاة والسلام لي بن أبي طالب لأن يهدي الله بك رجلا
 واحدا خير لك من حمر النعم فكيف تكون صحيفته هذا العالم وكيف تكون
 منزلته وكيف يكون حاله عند الوفود على ربه عند ظاهور الأمر اثره والمخبات
 فلا تعلم نفس ما يخفى لهم من قوة أعين وقد نقل الامام أبو حامد الغزالي
 في كتاب الاحياء عنه عن علي رضي الله عنه قال العلم خير من المال العلم يحرّسك

والمال محروسه والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة
والعلم ينكح بالنفقة قال النبي صلى الله عليه وسلم العالم أفضل من الصائم
القائم المجاهد وإذا مات العالم أثبتت في الإسلام نطفة لا يسدها الاغلاف منه
وقال أبو الاسود ليس شيء أعز من العلم المملوك حكام على الناس والعلماء
حكام على المملوك قال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بن داود
عليه السلام بين العلم والمال والمال فاختار العلم فاعطى المال واثبت
معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن المملوك قال الزهاد
قيل فمن السفلة قال الذي يأكل بدينه دنياه فلم يجعل غير العلم من الناس
لأن الخاصية التي يميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم والآنسان انسان بما
هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة الشفص فان الجمال أقوى منه ولا يعظم
جسمه فان الغيل أعظم منه ولا يشجعاعته فان السبع اشجع منه ولا بابا
الجمال أوسع بطناً منه ولا يجمع سامعته فان أخص العصفاء أقوى منه على
السفاد بل لم يخاف الإنسان إلا العلم وقد ذكر رحمه الله في فضل العلم وما جاء
فيه ما هو أكثر من هذا وأكبر فمن أراد فليقف عليه في أوائل كتابه فإنه
أطرب في ذلك وامن فيه تفعلنا الله به محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم
لكن بحسب عظم المنزلة عند الله تعالى تكون المزاخمة أشد إذا نهى صاحب
على أمور لا يؤخذ فيها غيره كما حكى من بعضهم انه كان جالسا مع بعض
أصحابه في المسجد فدرج له ليستر يرح ثم قبضها وجعل يستغفر الله تعالى عما
تقدم وهذا موجود عندنا حسا لان الملك عندنا لا يؤخذ السائق بما يؤخذ
به الخائب والوزير كل في مرتبته وكل مخاطب على قدر حاله وعقله وإذا كان
ذلك كذلك فينبغي لهذا العالم أو يجب عليه بحسب حاله أن يحفظ على هذا
المنصب الشريف من أن يدنس بمخالفة أو بدعة يتأولها أو يبيحها أو يسهو عن
سنة أو يغفل عنها أو يترك بدعة مع رؤيتها بسبب الغفلة عنها أو يمر عليه مجلس
من مجالس علمه لا يهضم فيه على السنة ولا يأمر فيه باجتناب البدعة لأنه على
هذا انعقدت مجالس الفقهاء المتقدمين وبهذه الاشياء كانوا يكررون مجالسهم
حين كانت السنن قائمة والبدع خامدة فكيف به اليوم ولا شك ولا ريب ان
هذا الذي ذكر تعين اليوم على كل من يتكلم في مسألة واحدة فضلا عن مسائل

لكثرة البدع والمنكرات في زماننا هذا وشاعتها وقبحها إذا نها كاه اصارت
كأنهم شاءوا التدين ومن الامور المفترضة علينا وهذا موجود في أقوالنا
وتصرفنا وليس لنا طريق لمعرفة الصواب في ذلك الا من بحال من علمائنا
فيان من هذا أتم بيان ان الكلام في هذه الاشياء متعين وهذا كله ما لم يباشروا
البدع بنفسه ولم يرهاوا. امع رويته فلا يمكن للعالم تركها لما ورد في قوله
تعالى حين قرأ القارئ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا
اعتديتم فقال الصديق رضى الله عنه لا تأخذوا هذه الآية على ظاهرها فان
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ظهر فيكم المنكر فليمنعوه
يوشك ان يعم الله السكل بعذاب وسيأتي لهذا زيادة بيان قريب ان شاء الله
تعالى وما ورد في الحديث المتقدم في التغيير باليد ثم باللسان ثم بالقلب على
ما مر وقد قال العلماء راحة الله عليهم ان التغيير باليد متعين على الامراء
وباللسان متعين على العلماء وبالقلب متعين على غيرهما وما قالوه في
غالب الحسالي والافقه فجد كثير منه يتعين تغييره باليد على غير الامير وغير
العالم فضلا عنهما واذا كان الامر كذلك فينقسم التغيير بالنسبة الى العالم
قسمين قسم يتغير باليد وقسم يتغير باللسان والشاذا الفساد الذي يتعين عليه
بالقلب وقد نقل ابن رشد رحمه الله تعالى في البيان والتحصيل ما هو هذا اللفظ
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بثلاثة شروط احدها
ان يكون عارفا بالمعروف والمنكر لانه ان لم يكن عارفا به - عالم يصح له امر
ولانهى اذا لا يامن من ان ينهى عن المعروف ويأمر بالمنكر لجهله بهما
وتمييز كل منهما عن الآخر والثاني ان لا يؤدي انكاره المنكر الى منكر
أكبر منه مثل ان ينهى عن شرب الخمر فيشول نهيه عن ذلك الى قتل
نفس وما أشبه ذلك لانه اذا لم يامن ذلك لم يجز له امر ولا نهى والثالث ان يعلم
أو يغلب على ظنه ان انكاره المنكر من يزل له وان أمره مؤثر وقانع لانه اذا
لم يعلم ذلك ولا يغلب على ظنه لم يجب عليه امر ولا نهى فالشرطان الاول
والثاني مشترطان في الجواز والشرط الثالث مشترك في الوجوب فاذا
عدم الشرط الاول والثاني لم يجز ان يأمر ولا ينهى واذا عدم الشرط الثالث
وجد الشرط الاول والثاني جاز له ان يأمر وينهى ولم يجب ذلك عليه بقي

عليه رابع وهو ان يأمن على نفسه القتل فادونه فيجوز ان يأمن بمحدث
 أعظم الجهاد كلمة حق تقال عند سلطان جائر وقول الله تعالى يا أيها
 الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل آل آية معناه في الزمان الذي
 لا ينقفع فيه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا آية سوى من يترك الأمر
 القدرة على القيام بالواجب في ذلك الزمان فيسقط الغرض عنه ويرجع أمره
 الى خاصة نفسه ولا يكون عليه سوى الانكار بقلبه ولا يضركم ذلك من
 ضل يبين هذا ما روى عن أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله متى يترك الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر قال اذا ظهر فيكم ما ظهر في بني اسرائيل قيل وما
 ذلك يا رسول الله قال اذا ظهر الادهاش في خياركم والفساحشة في شراركم
 ونحول الملك في صغاركم والفققة في اراذلكم وروى عن ابي امية قال سألت
 ابا ثعلبة الخشني فقلت كيف تصنع بهذه الآية قال آية قلت يا أيها الذين
 آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل آل آية فقال لي أبا والله لقد سألت عنها
 خبيراً سألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف
 وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحاطاً طاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة
 والعجب كل ذي رأي برأيه ورايت أمراً لا بد لك منه فعليك نفسك ودع أمر
 العوام فان من ورائكم ايام الصبر فمن صبر فبين قبس على البحر للعامل فيهن
 مثل أخرج من رجال منكم يعملون مثل عملكم وما أشبه زماننا هذا هذا
 الزمان نغمنا الله بمقوماته وغفران الله واذا كان ذلك كذلك فيجب على
 العالم في زماننا هذا ان يكون متيقظاً لمتغير ما يقع له منها لان ذلك كثير
 عندنا موجود ما شرف في بعض محاسن علمنا فاضلا عن غيرها من المجالس
 وباليقظة لو كانت باشره على انه بدعة أو مكر أو اذلو كان ذلك لنا كذلك لرجي
 لاحدنا ان يقاتل عن ذلك ويتوب ولا شك قد اخذنا أكثر ذلك فجعلنا شعبة
 لنا وديننا وتقوى مقتفين في ذلك آثار من غلط أو سهواً أو غفل من بعض
 المتأخرين وأقام على ذلك حجة أو حجة مردودة عليه من نفس حاله واختياره
 وقوله وحجته ونجعل ذلك قدوة لنا فاذا جاء أحد يدعي غير علينا ما ارتكبنا من
 تلك الأمور شنعنا عليه الأمر وقلنا ان حسابه الظن وكان له توفير في قلوبنا هذا
 ورجع أو مربوط قد أفتى فلان بجوازه وان كان المخبر علينا عن لا نعرفه

ولا تعتقده فيصير عليه من لا يظنه ولا يخطر بباله كل ذلك سببه الجهل
 المركب فينا فصار حالنا بالنظر الى ما ذكرنا ان يقيننا من القسم الرابع الذي
 قسمه علماء ائمة اربعة الله عليهم وذلك انهم قالوا ان الناس على اربعة اقسام
 عالم وهو يعلم انه عالم فاعلموا منه وجاهل وهو يعلم انه جاهل فاعلموه وعالم
 وهو يجهل انه عالم فجهلوه وتنفقوا به وجاهل وهو يجهل انه جاهل فاهربوا
 منه فقد صارت احوالنا اليوم من هذا القسم الرابع وهو الجهل والجهل
 بالجهل هذا هو اسم القتاتل لانا لو رأينا انفسنا على ما هي عليه من الجهل
 لرجي لنا الانتقال عن هذه الصفة الذميمة وان كان من يتنقل من العلم والخير
 لا يتنقل احد من ذلك وظننا بانفسنا اكثر من هذا كله ولولا ما تركب فينا
 من سم الجهل ما كنا الحجة في ديننا بمن ساء أو غلط أو غفل لانه لا يجوز ان يقد
 الانسان في دينه الا من هو معصوم وذلك صاحب الشريعة صلى الله عليه
 وسلم امس الا من شهد له صاحب العصمة صلى الله عليه وسلم بالخبر وهو
 القرن الاول والثاني والثالث لقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتي
 وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات
 الامم فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقوله
 عليه الصلاة والسلام لا تنقضون الجوامع بايهم اقدمتم احدثتم وقوله
 عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فقبل
 له فبعد هذه القرون التي ذكرت فأومأ يده يعني لاثني وهذا الكلام منه
 عليه الصلاة والسلام في القرون المذكورة يعني في غالب الحال منهم ما ذكر
 والا فقد كان منهم قوم لا يقتدى بهم وانما اعني به أهل العلم الا ترى الى مالك
 رحمه الله اذا قال في موطائه وعلى هذا أدركت الناس وما رأيت الناس فافغا
 يعني بهم العلماء فالناس عندهم هم العلماء فالحديث من باب أولى ان
 يحمل على العلماء العامة ليس الا في ذلك الزمان المخصوص المشار اليه من
 صاحب العصمة بالخبر صلى الله عليه وسلم وانظر الى حكمة الشارع صلوات
 الله عليه وسلامه في هذه القرون وكيف خصهم بالفضيلة دون غيرهم
 وان كان غيرهم من القرون في كثير منهم البركة والخير لكن اختصت تلك
 القرون بمنزلة لا يوازيهم فيها غيرهم وهي ان الله عز وجل خصهم لاقامة دينه

واعلام كلمته فالقرن الاول خصهم الله عز وجل بخصوصية لا سبيل لاحد
ان يلحق غير ارا حدهم فضلاء من عمله لان الله عز وجل قد خصهم برؤية نبيه
عليه الصلاة والسلام ومشاهدته ونزول القرآن عليه غضا طريا ثلاثة وثلاثين
في النبي صلى الله عليه وسلم حين يتلقاه من جبريل عليه السلام وخصهم
بالقاء بين يدي نبيه ونصرتهم وحايته واذلال الكفر واخضاعه ورفع منابر
الاسلام واعلانه وحفظهم آي القرآن الذي كان ينزل نجوا من نجوس اهلهم
الله لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحد بحمده وبشره وان بعدهم وفقحوا
الادب والاقاليم للمسلمين وهدوا لهم وحفظوا احاديث بينهم عليه الصلاة
والسلام في صدورهم واثبتوها على ما ينبغي من عدم اللحن والغلط والسهو
والغفلة وقد كان مالك رحمه الله اذا شك في الحديث تركه البتة فلا يحدث به
وهو وليس من قرنهم بل من القرن الثاني فبالكثير منهم خيرا خيار وصفهم
في الحفظ والضبط لا يمان الاحاطة به ولا يصل اليه احد فخرهم الله عن امة
نبيه خيرا لقد اخلصوا الله تعالى الدعوة وذبوا عن دينه بالحجة قال ابن مسعود
رضي الله عنه من كان منكم متاسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فانهم كانوا ابرر هذه الامة قلوبا واعمة واعلماء واقلاء تكافوا واقومها همديا
واحسنها حالا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه
فاعرفوا لهم فضاهم واتبعوهم في آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم اه فلما
ان مضوا السبيلاهم طاهرين عقيمهم التابون لهم رضى الله عنهم فجمعا وما كان
من الاحاديث متفرقا وبقي احدثهم يرحل في طلب الحديث الواحد وفي
المسئلة الواحدة الشهر والشهرين وضبطوا امر الشريعة اتم ضبط وتلقوا
الاحكام والتفسير من في العجوبة رضوان الله عليهم مثل علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهم ما كان علي بن ابي طالب رضي الله
عنه يقول سلوني ما دمت بين أظهركم فاني اعرف بازقة السماء كما انا اعرف
بازقة الارض وقال عليه الصلاة والسلام في ابن عباس نرحمان القرآن فمن
لقى مثل هؤلاء كيف يكون علمه وكيف يكون حاله عند حفص للقرن الثاني
نصيب وافرا ايضا في قامة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا خير من
الشريعة صلوات الله عليه وسلامه ماشاء كانوا خير من ابن عباس

عقبهم التابعون لهم وهم تابعوا التابعين رضي الله عنهم فيهم حدث الفقهاء
المقلدون المرجوع اليهم في النوازل المكشوفون للكروب فوجدوا القرآن
والحمد لله مجموعا ميسرا ووجدوا الاحاديث قد ضبطت وأحرزت فجمعوا
ما كان متفرقا رتفقهوا في القرآن والاحاديث على مقتضى قواعد الشريعة
واستخرجوا فوائد القرآن والاحاديث واستنبطوا منها فوائد واحكاما
وبينوا على مقتضى المنقول والمعقول ودقوا الدواوين ويسروا على الناس
وبينوا المشكلات باستخراج الفروع من الاصول وردوا الفرع الى أصله
وبينوا الاصل من فرعه فانظم المحال واستقر من الدين لامة محمد صلى الله
عليه وسلم بسببهم الخير اجمع فحصلت لهم في اقامة هذا الدين خصوصية ايضا
بلعناهم من رأى من رأى صاحب العروة صلات الله عليه وسلامه ومع ذلك
لم يبقوا من بعدهم شيئا يحتاج ان يقوم به بل كل من اتى بعدهم انما هو قلد لهم
في الغالب وتابع لهم فان ظهر لهم فقه غير فقههم أو فائدة غير فائدتهم فردد
كل ذلك عليه أعني بذلك ان يريد في حكم من الاحكام التي تقررت أو يفتى
منها فذلك مردود بالاجماع وأما ما استخرج من بعدهم من الفوائد غير
المتعلقة بالاحكام فقبول لقوله عليه الصلاة والسلام في القرآن لا تنقض
حجائبه ولا يخاف على كثرة الرد فثبت القرآن والحديث لا تنقض الى يوم
القيامة كل قرن لا بد له ان يأخذ منه فوائد جمة خصه الله بها وضعها اليه
لتكون بركة هذه الامة مستمرة الى قيام الساعة قال عليه الصلاة والسلام
أمتي مثل المطر لا يدري ايه انفع اوله أو آخره وكما قال عليه الصلاة والسلام
يعني في البركة والخير والدعوة الى الله تعالى وتبيين الاحكام لانهم يجدون
حكما من الاحكام اللهم الا ما يندروا وقوه مما لم يقع في زمان من تقدم ذكرهم
لا بالقول ولا بالفعل ولا بالبيان فيجب اذ كان ينظر الحكم فيه على مقتضى
قواعدهم في الاحكام الثابتة عنهم المبينة الصريحة فاذا كان ذلك على مقتضى
اصولهم قبلناه فلما ان مضوا السبيل طاهرين ثم اتى من جاء بعدهم فلم يجدوا في
هذا الدين وظيفة يقوم بها ويختص بها بل وجد الامر على اكل الحمال فلم
يبقى له الا ان يحفظ ما دونوه واستنبطوه واستخرجوه وافادوه فاختصت
اقامة هذا الدين بالقرون المذكورة في الحديث ليس الا فلجل ذلك كانوا

قوله الرذاي التكرار

هـ

خير امن اتى بعدهم ولا يحصل ان ياتي بعدهم هذه القرون المشهورة لهم بالخبر
 خبر الابا لا تباع ان شهد له صاحب العصمة صلوات الله عليه و آله بالخبر
 فبقى كل من ياتي بعدهم في ميزانهم ومن بعض حسناهم فيه . . .
 الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فادعهم
 ذلك وعلم فكل من اتى بعدهم يقول في بدعة ما مستحبة ثم ياتي على ذلك
 بدائل خارج عن اصولهم فذلك مردود عليه غير مقبول بل يحتاج ان يعرف
 احوالهم في البدع اولا كيف كانت وكيف كانوا يراعون هذا الاصل
 ويستحفظون عليه فن ذلك ما جرى بينهم في اصل الدين وعمدته وهو القرآن
 وكيف جمعوه وما قالوا بسبب ذلك واشفاقهم من الاختلاف فيه مع الحاجة
 الداعية الى جمعه اذ انه لولا جمعه لذهب هذا الدين فانظر مع جمعه وضبطه
 كيف وقع الاختلاف الكثير في التأويل ولولم يكن ذلك لوقع الاختلاف في
 اصل التلاوة فيكون ذلك كفرا والعياذ بالله ولكن الله مسلم روى الخبر
 عن زيد بن ثابت قال ارسل الى ابوبكر بعثه مقل اهل البعثة وعنده عمر بن الخطاب
 ابوبكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحق يوم البعثة بالناس واني اخشى
 ان يستحق القتل بالقراءة في المواطن فيذهب كثير من القرآن الا ان يحضره
 واني ارى ان يجمع القرآن قال ابوبكر فقلت لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح
 الله تعالى ذلك صدرى فرأيت الذي رآه عمر قال زيد وغيره وعمر حاس
 لا يتكلم فقال ابوبكر انك رجل شاب عاقل ولا تنهمن قد كنت تكتب الوحي
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجعه فوالله لو كانني نفل جعل
 من الجبال ما كان أثقل علي مما امرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعل شيئا
 لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا امر به فقال ابوبكر هو والله خير فلم
 ازل اراجع حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر ابوبكر وعمر فتمت
 فتتبع القرآن اجمعه من الرقاع والاكثاف والعصب وصدور الرجال حتى
 وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الانصاري لم اجدهما مع غيره اشد
 جاءكم رسول الى آخر السورة اه فانظر مع هذا النفع العظيم الذي وقع بجمعه
 اشفقوا ان يفشلوه وخافوا ان يكون ذلك حدا يجمع ثوبه بعد نبيهم عليه الصلاة

قوله يستحق بوزن
 يستبد ويستقل
 ومعناه اه

والسلام فبالك ببدة لا يترتب عليها نفع أو يترتب عليها حظوظ النفوس
أو الركون إلى العوائد معاذ الله أن يضع أحدهم لهم فضلا عن الكلام
فيها بنفي أو اثبات ومن ذلك أيضا اختلافهم في شـ كل المصحف ونقطة
وتعشيرهم من أنكره وإن كان يتعلق به هذه المصلحة العظمى التي قد
ظهرت في الأمة قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره ذكر أبو عمرو والداني
في كتاب البيان له عن عبد الله بن مسعود أنه كره التعشير في المصحف وأنه كان
يحكمه وعن مجاهد أنه كره التعشير والطيب في المصحف وقال اشهب
سمعت مالكا حين سئل عن العشور التي تكون في المصحف بالجمرة وفيها من
اللون فذكره ذلك وقال تعشير المصحف بالحبر لا بأس به وسئل عن
المصاحف تكتب فيها أخوات السور في كل سورة ما فيها من آية قال إنى أكره
ذلك في أمهات المصاحف أن يكتب فيها شيء أو تشـ كل فاما ما يتعلم به العلمان
من المصاحف فلا أرى في ذلك بأسا وقال قتادة بدءوا فتنقطوا ثم تحسوا ثم
عشروا وقال يحيى بن أبي كثير كان القرآن محكما مجردا في المصاحف فأول
ما حدثوا فيه النقطة على الباء والياء والفاء وقالوا لا بأس به ونور له ثم أحدثوا
قطعا عند منتهى الآية ثم أحدثوا الفواشح والمخواتم وعن أبي حمزة قال رأى
أبراهيم النخعي في مصحف فاتحة سورة كذا فقال أحبه فان عبد الله بن مسعود
قال لا تخطوا في كتاب الله تعالى ما ليس منه اه فأنظره ترتب على نقطه
وشكاه وغير ذلك من المصلحة العظمى للصغار ومن لا يقرأ من البكار كيف
كرهوا ذلك مع هذه الفائدة العظمى على هذا كان منها جهم في تحريرهم
للبدع الا ترى الى عبد الله بن عمر لما ان دخل الخلاه ورأى ذبابا قد وقع على
فضلة كانت هناك ثم طار ووقع على ثوبه فعزم على أنه يغسل موضع الذباب
اذا خرج فلما ان اراد غسله اشفق من ذلك وقال والله ما اكون بأول من
أحدث بدعة في الاسلام اه فأنظر كيف كانت البدع عندهم وكيف كان
تحريرهم لها قال الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى وروى عن زياد
الغفري أنه جاء مع القراء إلى انس بن مالك فقبل له اقرأ فرفع صوته وطرب
وكان رفيع الصوت فكشف انس عن وجهه وكان على وجهه خرقعة سوداء
فقال له يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون وكان إذا رأى شيئا يذكره كشف الخرقعة

من وجهه وروى عن قيس بن عباد أنه قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون رفع الصوت بالذكر والقرآن ومن روى عنه كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد والحسن وابن سيرين والنخعي وغيرهم وكرهه مالك بن أنس وأحمد بن حنبل كلهم كرهوا رفع الصوت بالقرآن والتطريب فيه اهـ الا ترى الى ما ورد عنهم في أورادهم بعد الصبح والعصر فانهم كانوا في مساجدهم في هذين الوقتين كأنهم منتظرون صلاة الجمعة ويسمع لهم في المساجد دوى كدوى الفحل كل هذا اتفاق منهم ان يرفع أحد صوته فيكون ذلك حدثا لا سيما في المساجد التي هي موضع التمسك وقد خرج صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يرفعون أصواتهم بالقرآن فذكر ذلك وقال لا يجهر بعضهم على بعض بالقرآن ومن ذلك ما خرج صاحب الحاية رحمه الله وغيره عن أبي بصير قال أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا لله كذا وكذا وسبحوا لله كذا وكذا وأوحوا لله كذا وكذا قال عبد الله بن مسعود أولون ذلك قال نعم قال فاذا رأيتمهم فملاوا ذلك فأتوني فأخبرني بعاسهم قال فأتيتهم فأخبرته بمجلسهم فأتاهم وعليه يرتس له بخاس فلما سمع مائة ولون قام وكان رجلا حديثا فقال أنا عبد الله بن مسعود والله الذي لا اله غيره لقد جئتم بي بدعة ظلموا ولقد فقهتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما فقال أحدهم معتذرا والله ما جئنا ببدعة ظلموا ولا فقهنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما فقال عمرو بن عتبة يا أبا عبد الرحمن نستغفر الله قال هاتكم بالطريق فالزموه فوالله لئن فعلتم لقدسية تم سيقا بعيدا واثن أخذتم عينا وشعالا لتضاون ضلالا بعيدا وقد نقل الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب الجاه في ذم العوام له اتفاق الامم قاطبة على ذم البدعة ووجوب الابتدع وتعذيب من يعرف بالبدعة فهذه افهوم على الضرورة بالشرع وهو غير واقع في محل الظن وذم رسول الله صلى الله عليه وسلم البدعة وعلم يتواتر مجموع أخبار تفيد العلم القطعي جاتها فمن ذلك ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عايكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بانواجدوا ياكم ومحدثات الامم ورفان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

وكل ضلالة في النار وقال صلى الله عليه وسلم اتبعوا ولا تتبعوا عوافتهم هلك
من كان قبلكم بما ابتدعوا في دينهم وتركوا سنن أنبيائهم وقالوا يا آرائهم
فضلوا وأضلوا وقال صلى الله عليه وسلم إذا مات صاحب بدعة فقد فسخ على
الاسلام فتح وقال صلى الله عليه وسلم من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد
أعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم من أعرض عن صاحب
بدعة بغضه في الله ملائكة الله قلبه آمنا وإيماننا ومن انتهر صاحب بدعة رفع الله
له مائة درجة ومن سلم على صاحب بدعة أو لقى به بالبشر أو استقبله بما يسره
فقد استخف بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان
الله لا يقبل لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا زكاة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا
ولا صرفا ولا عدلا ويخرج من الاسلام كما يخرج السهم من الرمية أو كما يخرج
الشعر من الجبين اه ما نقله بالغة والاحاديث في هذا المعنى كثيرة
وأقول الساف وأحوالهم متعددة لا يمكن حصرها ولا عدها والكتاب
يضيق من الاكثار منها وفيما ذكرناه كفاية فانظر رحمنا الله وإياك كيف
كنت أحوالهم في هذه الاشياء التي هي عندنا مما نتقرب بها إلى ربنا وكيف
كان اسراعهم إلى تغييرها وانزعاجهم عند سماعها وشدة هم في أمرها فانظر
بتفرك في هذا الامر العجيب ما بين حالنا وحالهم إذا ما تقرب به اليوم كان
يحصل لهم منه من الانزعاج ما تقدم ذكره ها بالاك بخيره ولاجل هذا المعنى
اقتصر في التمثيل من أسوأهم على ما هو متعلق بأصل الدين وعنده الذي
من يفعله اليوم عندنا والرجل الاعظم الذي يغتنم خيره وبركته فما بالك
بفعل غيره وعبادته وتصرفه وإذا كان ذلك كذلك فأصل الدين وعنده
وقوامه ليس بكثرة العبادة والتلاوة والمجاهدة بالمجوع وغيره وانما هو
بالنظر إلى احراز هذا الأصل العظيم من العاهات والآفات التي تأتي عليه من
البدع والمنكرات وغيرها والقيام بوظيفة ما لا انسان مخاطب به في تغيير شيء
من ذلك إذا ظهر في هذا الأصل الشريف فيبدأ أولا بالتغيير على نفسه ثم يبد
ذلك على غيره كل على حسب حاله ويتطرق إلى ما حدث في زمان من شهد فيهم
بالخير فيقبل عليه ويتدين به وما حدث بعد هذه القرون فالترك لذلك أولى
ما يتقرب به إلى الله تعالى وهو أفضل من الصيام والقيام ومواصلة الليالي

والايام والتدين الى الله تعالى به بعض ذلك والاخذ على يد فاعله ان كان
 لا انسان شوكة على ذلك فهو افضل العلوم وافضل العبادات قال تعالى
 في محكم التنزيل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى
 وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا والعالم له الشوكة
 بالضرورة القطعية وهي العلم الذي عنده كما قيل من درس والناس نيام
 فكلم والناس قيام وما عليه هو ان يغير ما امر بتغييره وانما عليه ان يتكلم
 في ذلك بالقول فيذكر المحكم فيه فان سمع منه ورجع اليه حصل المراد وان
 ترك قوله كان قد اقام عند الله عذره وقام بما وجب عليه وبسلم ايضا من
 الآفة العظيمة التي عليه في عدم الكلام فانه قد ورد ان يوم القيامة
 يتعاقب الرجل بالرجل لا يعرفه فيقول له مالك ما رايتك قط فيقول بلى رايتني
 يوما على منكر فلم تغبره على او كما قال وهذا امر خطر قل ان تقع السلامة منه
 وبالكلام ينجم من هذا الخطر والكلام ليس فيه مشقة ولا تعب واكثر
 المناكر والبدع في زماننا هذا ليس على العالم مشقة ولا خوف في الكلام
 فيها ولا في المحض على تركها وانما يتركها مع رؤيتها ولا يحض عليها في
 محاسنها في الغالب لاستئناس النفوس بالعوائد الرديئة وذلك هو الذي اهلك
 من مضى من الامم حكى الله سبحانه عنهم ذلك في كتابه فقال تعالى بل قالوا انا
 وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من
 قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على
 آثارهم مقتدون وقد ورد ان موسى عليه السلام مر على قرية وقد اهلكها
 الله فقال يا رب كيف اهلكتهم وكنت اعرف فيها رجلا صالحا فاجاب الله
 به الى اليه يا موسى انه لم يغير لي من ذكر افافاده ذا الخبر انه لو غير عليهم اى
 منهم من فعل المنكر ما اهلك ولا هلكوا والحكمة في ذلك هي انه ما مور
 بالتغيير عليهم كما انهم ما مورون بترك ما احدثوا من المخالفات فلما ان وقعوا
 في المخالفات وسكت هو كان ذلك وقوعا منه لانه ارتكب ما نهى عنه من
 السكوت عند رؤيته المخالفات فاستوى معهم في ارتكاب المنهيات فلم يكن
 في القرية اذ ذلك من يدفع البلاء عنهم اذ نزل بهم لان العذاب انما يرفع
 الامثال فلم يكن ثم اذ ذلك ممثلا فحصل ما حصل وما هو اليوم لاشك فيه ولا

خفاء في وقوع هذا الامر عندنا لوقوع ما يقع وسكوت علماءنا في الجميع
فلا يتسكاهون عند رؤيته ولا يحضون في مجالس علمهم على تركه فلا شك ان
موجبات نزول العذاب كلها متوفرة عندنا في الغالب الامن عصمه الله
لاجرم انه قد وقع الخسف بسبب ذلك وهم الآفاق ومن الاحياء قال بعض
الساف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين
وفي معنى القضاة كل فقيه قصد طالب الدنيا بعلمه قال واشد من هذا ما روى
ان رجلا كان يخدم موسى صلى الله عليه وسلم فجعل يقول حدثني موسى صلى
الله عليه وسلم حدثني موسى صلى الله عليه وسلم قال لا تنظر في الدنيا ولا في الآخرة
موسى يقول يسأل عنه فلا يحس له أثر حتى جاءه ذات يوم رجل وفي يده خنزير
وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى صلى الله عليه وسلم انظر في الدنيا ولا تنظر في الآخرة
هو هذا الخنزير فقال موسى عليه السلام يا رب أسألك ان تردّه الى حاله حتى
أسأله يم أصابه هذا فأوحى الله عز وجل اليه يا موسى لودعته وتني بالذي دعاني
به آدم فمن دونه ما أحببت فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان طالب
الدنيا بالدين (وقد) كان سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله يقول كان الخسف
لمن قبلنا بالاعدام والكرامة هذه الامة صلى الله تعالى وشفاعته نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم فينا رفع عنا خسف الظاهر لانه عليه الصلاة والسلام طالب
من الله تعالى أن لا يخسف بامته كما فعل بمن مضى من الامم فشفعه الله فيهما
طالب في الظاهر ليوقع بذلك السر (وأما) خسف الباطن فلم يرفعه على ما ورد
وذلك موجودا ظاهريا بين لا يرتاب أحد فيه ولا يشك (الأتري) الى الخنزير
وحالته وما هو فيه من التجهيس والتقدير فانظر الى شارب الخمر هل تجد
بينهما فرقا الا في الصورة الظاهرة والمعاني قد جمعت بينهما وكذلك أيضا
اذا نظرت الى الشبان تجدنا عسا أماس ملجج المنظر فاذا قربته قتلك بسهم
وانت ترى كثيرا من اهل الوقت كذلك فننظر في أحدهم ترى العبارة
العذبة والكلام الطيب وكأنه أعظم الناس لك في المحبة فاذا اطمانت اليه
أوركنت الى جانبه أو غبت عنه أهلك بحسب حاله وحالك اما في مالك أو
مرضك أو دينك وذلك سمعته فأي فرق بينهما الا في الصورة الظاهرة والمعاني
جامعة بينهما (الأتري) الى السبع وحالته وايدائه ورعيه فلنا وسخوفهم

منه اذا سمعوا بحسه فضلا عن رؤيته بل من الناس من لا يستطيع رؤيته
فصار آه الا ويهلك وهو مطبوع على الضرر والكلى الا ترى الى حاله اذ قد
يكون شبعانا ريانا ومع ذلك اذا راى آدميا او ماشية لم يتمالك نفسه الا ان
ينقض عليه بعث به ويقتله ثم يعضى ويتركه على ذلك الحال لا حاجة لديه
لشبعه فانظر الى هؤلاء الظلمة وما توسع الله عليهم في دنياهم حتى لم يبق لهم
امنية الا وهي حاصلة فضلا عن الضرورات ثم فضلت الاموال عندهم ليس
لهم بها حاجة يدبرون على بعضها بالدفن وعلى بعضها بالمحرمات وفي البقاع
والاسراف ثم مع ما مد لهم من كثرة الاموال لا يقدر احد منهم في الغالب ان
يتركه لاضفاف المسكين درهمين يكتب به لنفسه وغائلته بل يضربون الناس
الفقراء على الشئ اليسير لضرب المؤلم ويسوون على ذلك بالمحبس والقرامة
وغير ذلك مما عندهم من أنواع العذاب والرعب للمساكين وكثير من الضعفاء
والمساكين لا يستطيعون رؤيتهم اشدة سخطهم فأي فرق بينهم وبين السبع
الافى الصورة الظاهرة والمعاني بينهما (الا ترى) الى الكلاب وحالتها
وايذا شامت تسلب طها على رعب الناس مرة برؤيتها ومرة بصوتها ومرة
بتقطيعها الثياب وايذا شامت في البدن وقد يشول أمرها ان كل من قامت عليه
من الاذمة سواء كان صديقا صغيرا او كبيرا ضعيفا الى الاعدام البتة وقد
يكون فيها من هو كلب قهلاك من قرب منه مرة واحدة وقد وقع هذا كثيرا
وهو كثير متعارف فانظر الى هؤلاء المحرس المجترئة المجسدة في اربابهم
المسلمين وتليطهم عليهم بالاذية العظيمة في الدين والبدن والمال والروح
والرعب المحاصل عند رؤيتهم للصبيان الصغار والكبار الضعفاء المساكين
فأي فرق بينهم وبين الكلاب الافي الصورة الظاهرة والمعاني بينهما
(الا ترى) الى العقرب وحالتها وايذا شامت وكثرة تعذيبها وعضها وانها ليس لها
صدر فانظر الى بعضهم تجده كذلك ضيق الصدر ومعة الوجه لا يستطيع
رؤيته لتمعق وجهه وضيق صدره فان قرينه وأنت لا تحفظ على نفسك منه
حصل لك منه الاذية العظيمة اما في مالك او بدنك او عرضك وذلك سمه فأي
فرق بينهما الافي الصورة الظاهرة والمعاني بينهما ام بالمعنى وهذا
كثير لا يمكن حصره ولا عده وانما ذكر هذا رجه الله تعالى ان له اب فينظر

الى كيفية الخسف الواقع لكل انسان بحسب حاله وحال دينه فان الله وانما اليه
 راجعون على خسف القلوب وعدم الاستحياء من ارتكاب الذنوب كل هذا
 سببه المواطاة من البعض على ارتكاب المخالفات ومن البعض على السكوت
 عند رؤية ذلك أو سماعه وقد تقدم ان تغيير ذلك متعين على العلماء باليد
 مرة وباللسان مرة والشاذل وم ذلك بالقاب وه والتأثير والبعض الذي يجده
 في قلبه لذلك الفعل وقد تقدم أيضا ان من الآداب في ذلك والسكوت ان
 يغبر على نفسه أولا قبل غيره باليد أو باللسان فاذا استقامت النفس على
 ما ينبغي من الامتناع حينئذ يرجع الى غيره يعبر عليه باليد أو باللسان بحسب
 ما يجب عليه في وقته واذا كان ذلك كذلك فاول شيء يحتاج ان ينظر فيه
 اول دخوله ارضع التدريس ثم بعد ذلك يرجع الى ما يعمده قليلا قليلا فلا يخلو
 موضع التدريس من ثلاثة احوال اما ان يكون بيتا او مدرسة او مسجدا
 وأفضل مواضع التدريس المسجد لان المجلس للتدريس انما فائده ان
 تظهر به سنة أو تخدم به بدعة أو يتعلم به حكم من احكام الله تعالى علينا
 والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوفرا لانه موضع مجتمع للناس رفيعهم
 ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم بخلاف البيت فانه محجور على الناس الا من ابيع
 له وذلك لاناس مخصوصين وان كان العالم قد اباح بيته لكل من اتى امكن
 جرت العادة أن البيوت تحترم ونهاب وايس كل الناس يحصل له الادلال على
 ذلك فكان المسجد اولى لانداعهم في توصيل الاحكام وتبليغها للامة وكذلك
 ايضا بالنظر الى هذا المعنى ~~بمكون~~ المسجد افضل من المدرسة لوجهين
 أحدهما ان السلف رضوان الله عليهم لم تكن لهم مدارس وانما كانوا
 يدرسون في المساجد وان كان ذلك في المدرسة فيه المنفعة والخير والبركة
 لكن لما ان لم يقع ذلك للسلف رضي الله عنهم كان اخذهم في المساجد فيه
 صورة الاقتداء بهم في الظاهر وان كان غيره يجوز وكفى لنا اسوة بهم الوجه
 الثاني ان المدرسة لا يدخلها في الغالب الا آحاد الناس بالنسبة الى المسجد
 لانه ليس كل الناس يقصد المدرسة وانما يقصدونها المساجد وايس كل
 الناس ايضا له رغبة في طلب العلم واذا كان التدريس ايضا في المدرسة امتنع
 توصيل العلم على من لا رغبة له فيه والمقصود بالتدريس كما تقدم انما هو

التيبين للامنة وارشاد الضال وتعليمه ودلالة الخيرات وذلك موجود في
 المسجد أكثر من المدرسة ضرورة وإذا كان المسجد أفضل فينبغي ان يبادر
 الى الافضل ويترك ما عداه الله سم الا ضرورة والضرورات لها احكام آخر
 وإذا قعد في المسجد أيضا فيستحب له ان يكون بارزا للناس بوضع يمينه الى
 الضيف والمسكين والعامي الجاهل لكي يستمعوا احكام ربهم عليهم ومن
 كانت له مسئلة يتجهاها ولم يسأل عنها سمها واستفادها حين اللقاء المسائل
 والايراد عليها والجواب عنها وقد يكون ذلك تضييطة لطلب العلم والبحث
 عنه والعمل على تحصيله فيرجع الى الله تعالى ويتوب من جهله وقد يكون
 ثم آخر يسأل عما وقع له من غير قصد كان له في ذلك لانه صادف المحل قابلا
 للسؤال فسأل قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
 الاثم والعدوان وآخر تحصل له بركة العلم وحضور المجلس وآخر تحصل له
 بركة مشاهدة ذلك المجلس لان هذا المجلس الذي جالسه هذا العالم هو المجلس
 المشهود وخبره المعروف بركته المستفيض بين العلماء براء واحترامه الشائع
 الذائع الذي وردت به الاحاديث الصحيحة المبرجة فيها ما رواه أبو سعيد
 الخدرى وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
 ما من قوم يذكرون الله تعالى الاحققت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة
 ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال الترمذى حديث حسن
 صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه
 بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحففتهم الملائكة وذكرهم الله
 فيمن عنده أخرجه مسلم وأبو داود وعن معاوية رضي الله عنه ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما عجبتكم قالوا اجلسنا
 نذكر الله تعالى ونحمد الله ما هدانا للاسلام ومن علينا به فقال أنا في جبريل
 عليه السلام فأخبرني ان الله تبارك وتعالى يباهي بك الملائكة رواه
 الترمذى والنسائي وقال الترمذى حديث حسن صحيح اه قال علماؤنا رحمة
 الله عليهم المذكور والمجالس المذكورات في هذه الاحاديث مجالس العلم وهي
 مجالس الحلال والمحرام هل يجوز أو لا يجوز كيف يتوضأ وما يجب فيه وما

يسن ويستحب ويكره ويمتنع وكيف يصلي وما يجب فيها ويسن ويستحب
ويكره ويمتنع وكيف ينكح وما يجب في ذلك ويسن ويستحب ويكره ويمتنع
وكيف يبيع وكيف يشتري وما يجب في ذلك ويسن ويستحب ويكره ويمتنع
إلى غير ذلك حتى المحركات والسككات والنطق والصمت فيجب أن تعرف
الأحكام عليك في ذلك كله ولهذا هي الإشارة بل التصریح من الهادي وهو
أبو هريرة رضي الله عنه حين خرج إلى الناس بسوق المدينة فنسأله فيهم
ما بالكم ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم بقسم في المسجدين أمته وأنتم
مشتغلون في الأسواق فتمروا بالسوق واتوا إلى الممجد ~~فخرجوا~~ والناس
حلقا حلقا لتعلم القرآن والحديث والحلال والمحرام فقالوا وأين ما ذكرت
يا أبا هريرة قال هذا ميراث نبيكم صلى الله عليه وسلم وإن الأنبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم وهما وذاؤكما قال فقد بين هذا الهادي
رضي الله عنه المراد وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال عليه
الصلاة والسلام في حقه إن الله جعل المحق على لسان عمر وقلبه وقالت
الصحابة في حقه ما كنا نرى إلا أن ملكا على لسانه ينطق وإن ملكا معه يسده
يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يجبه فمن طالب بابا من العلم رداه
الله عز وجل برده فإن أذنب استعقبه ثلاث مرات أثلا يسلبه رداه ذلك
وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت فعلى هذا الكلام ذكر الله عند أمره
ونفيه أفضل من ذكره باللسان اهـ ولأنه ليس المقصود والمراد ~~الذكر~~
باللسان خاصة بل المقصود معرفة الإيمان وأحكامه وفروعه وأشياء على ثلاث
الأحكام ويتعين عليه من ذلك ما يخصه في نفسه من الأحكام التي هو محتاج
إليها يتصرف فيها وبها وما عدا ذلك يكون من باب فرض الكفاية إن قام
به فقد حصل له الأجر الكثير والثواب الجزيل وإن عجز عنه فقد أدى بها
تعيين عليه فإذا حصل ذلك حينئذ يكون الذكر باللسان فرعا عن هذا
الأصل الذي حصل وهذا بين والله أعلم لأنه عليه الصلاة والسلام طيب
الدين وقد عهدنا في مرض البدن أن الطبيب لا يعطى الدواء إلا بعد الحمية
فاذا أحسن العليل حينئذ يعطيه الطبيب الدواء وكثير من المرضى من ينتفع
بالحمية ويستغنى بها عن أخذ الدواء فإن لم يحتم العليل فقل أن يعطيه

الطيب الدواء وان أعطاه قل ان ينتفع به بل يعود عليه بالضرر فكذلك
 فيما نحن بسبيله سواء بسواء الحمية أو لا وهي بحسب العلم فيعرف منها
 الانسان ما يحل ويحرم ويجب ويستحب ويكره وما هو الاولي والاوجب
 فيعمل على مقتضى ما يحصل عنده من ذلك فاذا كان ذلك كذلك حصل
 له الذكر بالاسان في الامثال ومع ذلك فلا بد من الاستشهاد على المسائل بما
 يأتي من كتاب الله تعالى وباحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبفعل
 الصحابة رضوان الله عليهم فتحصل له تلاوة الكتاب العزيز والصلاة والسلام
 على النبي صلى الله عليه وسلم والترضى عن اصحابه ومعرفة فضاهم ومحبتهم
 والافتداء بهم وهذا أعظم ما يكون من الذكر بالاسان تلاوة كتاب الله العزيز
 والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحصل لقلبه الذكر ايضا وهو
 الفكرة في تلك الاحكام وتفهمها ويحصل لاجزائه ايضا كسماها وهو ما
 امتثلت من الامر والنهي وبما استفادت من ذلك كله ثم يتعدى هذا الذكر
 لولده وأقاربه وأمه له لمحله لهم على تلك الاحكام ومعرفة قول الله عليه
 الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فيذكرون الله عز
 وجل في الاحكام التي يجب عليهم لاجل ذكره وهو ثم يتعدى ذلك لعارفه
 واخوانه وسائر المسلمين كل على قدر حاله امامته لهم بذلك وتصرفه معهم به
 والافتداء به عن خالطه أو اقتبس منه أو رآه أو رآه ثم يتعدى ذلك
 لثلاثة ائمة منهم وانهم مؤمنهم وكافرهم ثم يتعدى ذلك لسائر الخلق لوقات لتعلم
 حكم الله في الجميع وتعليم ذلك مثل قوله عليه الصلاة والسلام اذا قاتلتم
 فاحسنوا القتلة ولهذا المعنى الذي ينتفع به الخلق كلهم كان العالم اذا مات
 بكى عليه كل الخلق حتى الطير في الهواء والسمك في الماء لا تتفاهم به في تبين
 الاحكام عليهم فيرتفع عنهم العذاب لاجل علمه لان التصرف فيه بمجهول
 عذاب لهم نهى عليه الصلاة والسلام ان تصبر بهيمة أو فبرها لاقتل ونهى
 ان يحرق بالنار احدى وان الله تعالى يسأل العود لم يحدش العود الى غير ذلك
 وهو كثير ولهذا قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون قال
 علماء نارحة الله عليهم اهل الذكر في الالية هم العلماء فهم يسئلون عن التوازل
 وبقية واهم يعبد الله وطاع ويعتلى أمره ويجتنب نهيه فعلى هذا فاهل الذكر

هم العلماء انص الله تعالى على ذلك في كتابه ولهذا الخیر المتعدى المذکور قد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لمجس عالم عند الله أفضل من عبادة ألف سنة لا يعصى الله فيها طرفه عين وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولا خلاف بين الأئمة في ان الخشية لله تعالى أفضل من الذكر باللسان لان الخشية لله تعالى هي المقصود والمطلوب ولا يراد بالذكر الا لاجلها وهي لا تحصل الا للعلماء لانه عز وجل قال انما يخشى الله وانما للحصر على ما قاله الخويون وقال تعالى وما يعقها الا العالمون وأين هذا الخیر كله وهذا الفضل كله من الذكر باللسان ولا خلاف بين الأئمة في ان الخیر المتعدى أفضل من الخیر القاصر على المرة نفسه فبان ان هذا أفضل الذكر والقاعدة في الفاظ صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه ان تحمل على ما هو اعم وأولى وأفضل بل الاقتصار على الذكر باللسان دون علم مكره الساكن ان الله عز وجل أوحى الى نبي من أنبيائه أظنه داود عليه السلام يا داود قل للظالمين لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكركه فانهم ذكروني ذكرتهم بالغضب وقد قالت عائشة رضي الله عنها كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه يقرأ الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم اه لا يتوهم ان الظلم انما هو فيمن مديده لاموال المسلمين بل الظلم اعم فقد يكون يظلم نفسه في ارتكابه للخطايات أو ترك شيء من الأمور فاذا كان ذلك كذلك فيكون يتلو القرآن والقرآن يلعنه ولان المقصود من القرآن انما هو ما يؤخذ من أحكامه ومعانيه وذلك في مجالس العلماء وتلاوته باللسان فرع عن هذا الاصل الى المقصود ولا ينبغي ان يجعل قول الطبيب الاعظم وصاحب النور الاكل الاعلى الاصل والمقصود والذي يجمع الخيرات كلها (وقد ذكر) بعض المتأخرين رحمه الله تعالى وعفا عنه هذه الاحاديث المتقدم ذكرها وساقها في فصل استحباب قراءة الجماعة مجتمعين وفضل القارئين والسامعين وبيان فضيلة من حضهم وجمعهم عليهم ساند بهم اليها ثم قال اعلم ان قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة لهم بالدلائل الظاهرة وأفعال السلف والخلف المتظافرة اه وأيسر في شيء من تلك الاحاديث المذكورة شيء من أفعال السلف والخلف وقد ذكر ابن بطال رحمه الله في شرح البخاري عن

العلماء انهم قالوا الاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج فيها الى معرفة تالقي الصحابة لها كيف تلقوها من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه فانهم اعرف بالمقال وافقه بالتحال اهـ (وما ذكره) من الاحاديث ليس في شيء منها ما ينعى على انهم اجتمعوا على ما ترجم عليه (أما) قوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله فلم يذكروا فيه انهم اجتمعوا على ذلك يترا ائيين بينهم صوتا واحدا بل ذلك عام هل كان على صوت واحد ام لا وقد دل الدلائل على انهم لم يكونوا يفعلون ذلك بل دل الدلائل على عدم اركانهم ذلك ونهيم عنه (وقد ذكر) رحمه الله نبذنا من ذلك في الفصل نفسه وقال وعن حسان بن عطية والاوزاعي انهما قالوا اول من أحدث الدراسة في مسجد دمشق هشام بن اسماعيل في قدومه على عبد الملك وروى ابن أبي داود عن الضحاك بن عبد الرحمن انه أنكر هذه الدراسة وقال ما رأيت ولا سمعت ولا أدركت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلها وعن ابن وهب قال قالت لمالك رضى الله عنه رأيت القوم يجتمعون فيقرأون جميعا سورة واحدة حتى يجمعوها فافكر ذلك وعابه وقال ليس هكذا كان يصنع الناس انما كان يقرأ الرجل على الآخر يعرضه فقد نقل رحمه الله ما كان عليه السلف ويذمه وقد قال في الترجمة التي ترجمها ما قال من ان ذلك فعل السلف والخلف ثم نقل فعلهم على الضد مما ترجم عليه سواء بسواء وقد تقدم ذكرهم وكيف كان بعد صلاة الصبح والعصر وانهم كانوا يجتمعون في المسجد يسمع لهم فيه دوى كدوى الفحل كل انسان يذكر لنفسه على ما نقل عنهم وقد تقدم انهم كانوا لا يرفعون أصواتهم بالذكر ولا بالقراءة ولا يفعلون ذلك جماعة وقد تقدم حديث ابن عمر عن حين انكاره على من فعل ذلك بعدهم وقوله لهم والله لقد جئتم ببدة ظلماتا وقد فقم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما وقد تقدم نهيه عليه الصلاة والسلام بيقوله لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن ومجان في حقهم ان يكون عليه الصلاة والسلام نهىهم عن رفع الصوت بالقرآن فيجتمعون لذلك كرافع بين أصواتهم به لانهم كانوا أعظم الناس مبادرة لامثال أو امره عليه الصلاة والسلام واجتناب مناهيه ولا يظن فيهم غير ما وصف المولى سبحانه عنهم في كتابه

العزير بقوله عز من قائل **وكانوا أحق بها وأهلها** وقد قدمت حكاية
 هذا الله بن عمر رضي الله عنهما في شفاقة من غسل الموضع الذي وقع عليه
 الذباب بعد أن كان على النجاسة وقوله والله ما أكون بأول من أحدث
 بدعة في الإسلام (وأما) قوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع قوم في بيت من
 بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة
 فالدراسة المذكورة تشعر بأنهم لم يجتمعوا على التلاوة صوتا واحدا
 متراسين لأن المدارس إنما تكون تلقينا أو عرضا وهذا ما مروى عنهم
 وأما الاجتماع على صوت واحد فلا يسبى مروى عنهم كما تقدم وأما خروجه عليه
 الصلاة والسلام على صلاة من أصحابه فقال ما يجلسكم فقالوا جلسنا نذكر الله
 فهذا أفصح بالمراد في الجميع وكيف كان اجتماعهم لأنهم لو كانوا يذكرون الله
 جهر المصحح عليه السلام إلى أن يستفهمهم بل كان يخبرهم بالحكم من غير
 استفهام فلما استفهمهم دل على أن ذكرهم كان سرا وكذلك جوابهم
 له عليه الصلاة والسلام بقوله لم جلسنا نذكر الله أدل دليل على أنهم
 كانوا يذكرون الله تعالى سرا إذا نه لو كان ذكرهم جهر لما كان
 لاخبارهم بذلك معنى زائدا لأنه عليه الصلاة والسلام قد سمع ذلك منهم
 فكان جوابهم أن يقولوا جلسنا لمسمعه أو لما رأيته مننا إلى غير ذلك من
 هذا المعنى لأنهم يتحاشون أن يكون منهم الجواب غير فائدة فبان واتضح أن
 ذكرهم كان سرا لا جهر را على ما روى عنهم في عبادتهم وقد قال تعالى في
 محكم التنزيل ادعوا ربكم تضرعا وخفية أو كانوا يذكرون بينهم ما كان منهم
 في أمر الجاهلية من عبادة الأوثان وغير ذلك وما من الله عليهم به من معرفة
 الأيمان والكتاب والسنة فتعظم عندهم النعم عند تذكري ذلك فيحمدون
 الله على ما من به عليهم من تلك النعم التي يذكرونها ألا ترى إلى ما روى
 عنهم أنهم كانوا يقدون في المسجد بعد صلاة الصبح يتذاكرون بينهم الأشياء
 التي كانوا يفعلونها في الجاهلية ويتعجبون من أنفسهم والنبي صلى الله عليه
 وسلم قاعد في المسجد يسمعونهم فيتبسم أحبا نأمن حكاياتهم عن أنفسهم فقد
 تكون تلك المحادثة التي خرج عليه الصلاة والسلام عليها قاعة لذلك
 المعنى فحصل لهم ما حصل من المباهاة بها لأنهم إذا تذكروا ذلك فيه يعرفون

قد رزقهم الله عليهم وان ما من به عليهم ليس بايديهم ولا بقدرتهم فمقتهم نعم
الله تعالى عليهم ان هداهم وانقذهم وأضل غيرهم وأضاعهم وأعماهم فهم
لا يسمعون ولا يبصرون كما جاء في محكم التنزيل وقد ورد أن الذكرا الخفي بفضل
الجبلى بسبعين درجة ومحال في حقهم ان يتركوا ما هو أفضل ويفعلون
المفضول ومحال في حقهم عليه الصلاة والسلام ان يراهم يفعلون المفضول
ولا يرشدتهم الى الافضل ولا يبينهم عليهم على انه قد ورد من طريق آخر انه
عليه الصلاة والسلام خرج ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعو الله
عز وجل ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال أما هؤلاء فيسألون الله
عز وجل ان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وانما
بعثت معلمائهم عند اليوم وجلس معهم ثم اه فقد فسرت في هذه الرواية الذكرا
الذى كان بالحكمة الثانية انه الدعاء والدعاء بين الجماعة لا يكون الا جهرا
اذ انهم يؤمنون على دعاء الداعي ويتعلمون منه كيفية الدعاء وقد تقدم ذلك
فهذه الثلاثة الاحاديث ليس في شئ منها نص على المراد الذي ترجم عليه
الامن طريق الاحتمال وقد نقل عنهم وقرر من أحوالهم رضى الله عنهم
ترك ذلك المحتمل واذا كان ذلك كذلك فأي فعل السالف والخالف (ثم قال)
بعد هذه الاحاديث وروى الدارمي بإسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا (فانظر) ان كان في هذا شئ
يس مراده اذ انه لم يذكر فيه من استمع الى آية من كتاب الله تعالى من أصوات
جملة على نسي واحد بل ذلك أعم واذا كان أعم فيصح على عرفهم وعادتهم
ولاسبيل الى عرف غيرهم وعادتهم (ثم قال) وروى ابن أبي داود عن أبي
الدرداء رضى الله عنه كان يدرس القرآن معه نفر يقرهون جميعا (فهذا)
أدل دليل على انهم لم يكتفوا على الهيئة التي أراد في ترجمته اذ لا تدريس
لا يكون لواحد دون غيره من حضر بذلك وردت السنة وتعليمه لواحد ليس
الا فيه كتمه عن غيره ومن كتم علما أجه الله بلجاس من نار على ما ورد وهذا
معارف ما هدم من زمانهم الى زماننا هذا فعل التدريس للقرآن والعلم
مجتمعين هذا في آية وهذا في آية أخرى وهذا في سورة وهذا في سورة أخرى
وهذا في حزب وهذا في آخر وقد اختلف قول مالك رحمه الله في الجماعة اذا

اجتمعوا يريدون القراءة على الشيخ ولا يسبهم الوقت واحد بعد واحد هل
يقرأ الاثنان والثلاثة في حزب واحد لعذر ضيق الوقت أو لا يقرأ الا واحد
بعد واحد فقال مرة يجوز لا ضرورة الداعية الى ذلك لانه ان قرأ واحد بعد
واحد بقي بعضهم بقراءة اكثر منهم وضيق الوقت مرة قال لا يجوز لانه
لم يكن من فعل من مضى على ما نقله عنه ابن رشد رحمه الله في البيان
والتحصيل فانظر رحمه الله واباك لقول مالك رحمه الله لم يكن من فعل من
مضى فلو كانت القراءة على أبي الدرداء رضى الله عنه على ما فهم هذا الناقل
رحمه الله لم يقل مالك لم يكن من فعل من مضى وهو على ما هو عليه في النقل
عنهم وأبو الدرداء من كبار الصحابة رضى الله عنهم فلم يبق الا انه كان يدرسهم
القرآن اما تلقينا أو في الألواح أو في المصاحف أو غير ذلك مما عيّن أن يجتمع
الجماعة يقرءون ~~كل~~ واحد في الموضع الذي يريد أن يحفظه على سبيل
التعليم وأما الحفاظ يجتمعون للقراءة يقرءون معاً لا ثواب فليس من فعلهم
ولا يروى عنهم وهذا مثل ما قاله علماءنا رحمه الله عليهم في الاذان ان
السنة أن يؤذن واحد بعد واحد اذ أن ذلك كان يفعل على زمان من مضى
رضى الله عنهم وعلى رأس نبينهم صلى الله عليه وسلم والحديث الوارد يدل على
ذلك وبصرح به وهو قوله عليه السلام لو يعلم الناس ما في النداء والصف
الاول ثم لم يجدوا الا أن يسبهم واعليه لاسبهم واعليه ولو يعلمون ما في
التهجير لاستبقوا اليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا
فذكر عليه السلام في كل شيء مما يمكن فيه فالتهجير ذكر له الاستباق اذ أن ذلك
ممكن فيه والعتمة والصبح ذكرهما المحبولا لأن ذلك وقت راحة وغفلة وتوم
وكسل فذكر له ما يبق بالاكسل وهو المحب وولما كان الاذان قد يتعذر
فيه الاستباق من أجل أنهم قد يأتون معادفة واحدة والزمان لا يسبهم
للاذان واحد بعد واحد وكذلك الصف الاول لا يسبهم من آخرهم فاذا
كان ذلك كذلك وليس أحدهم أولى به هذه الطاعة من غيره وقد استورا
في الاتيان فاحتاجوا الى القرعة في ذلك لهذه الضرورة ~~لم~~ كان قد قال
علمائنا رحمه الله عليهم اذا تزامن المؤذنون على الاذان وكان ذلك منهم
ابتغاء الثواب وضائق الوقت عليهم ولم يكن واحد منهم أولى من الآخر فيجوز

الاذان جماعة وشرطوا في جوازها ان لا يكون نسقا واحدا بل كل واحد
يؤذن لنفسه فيكون احدهم في الشهادتين والاخر في التكبير والاخر في
الحيلة الى غير ذلك من غير ان يمشي احدهم على صوت صاحبه هذا الذي
اجازه علماءنا واما ما اعتاده المؤذنون اليوم من الاذان جماعة متراسين
نسقا واحدا يجتمعون فلم يعرف عن احدهم جوازه وما هو اليوم هو المعروف
المحمول به ومن فعل غيره او تكلم به كانه ابتدع بدعة في الدين واقبح شيء
لا يعرف ولا يهدو وكذلك في المدارس سواء بسواء كانوا يدرسون القرآن
والحديث والفروع والاحكام مجتمعين يتلقى بعضهم من بعض حفظ ذلك
وفوائده فانه ~~حس~~ الامر اليوم وصار لا يفهم منه اليوم الا العوائد التي
ارتكبتها وما مضت عليها عادتنا وما نقل عنهم تركناه ورجعنا تنقل عن
عوائدنا نحننا لانفسنا واصطلمنا على الهه اسنة السلف والخلف بالنسبة
الى سلفنا وخلفنا الا ترى أن الناقل المذكور روجه الله قد نص على أن ذلك
فعل السلف والخلف وقد نقل مالك رحمه الله فعل السلف حين ذكر له ابن
وهب ما ذكرناه من ذلك وعابه وقال ليس هكذا كان يصنع الناس ولا يقدر
أحد ان ينكر نقل مالك رحمه الله عن فعل السلف ولا يرد له ما أجبه واعليه من
ثبته وامانتهم في نقله عنهم واما ما أخبر به عن مذهبه فهذا الذي الانسان
مخبر فيه ان شاء قلده وان شاء قلده غيره وامانتهم عن السلف فليس الى
مخالفتهم من سبيل الا أن يتناول فعل السلف فذلك ممكن ان كان التأويل
تقبله أحوالهم وليس لقائل أن يقول هذا مما يختص به مالك رحمه الله
لأنه يكون مذهبه مبنيا على الأخذ بعمل أهل المدينة اذ أن لفظه لا يحتمل ذلك
ولا يدل عليه لان ما يكون عنه مختصا ببلده يقول فيه وعلى ذلك أدركت
أهل العلم ببلدنا وما أشبه ذلك من الالفاظ التي يختص بها ببلده على ما هو
موجود عنه في لفظه بذلك في كتبه فلما أنكر ذلك على العموم دل على أنه لم يرد
أهل ببلده دون غيرهم وأيضا فقد نقل غيره ذلك وصرح به وليس ببلده بل
بدمشق وغيرها فكان ذلك دليلا واضحا على ان الانكار منه ومن غيره عام
بالمدينة وغيرها وهذا كله راجع الى ما تقدم من ان سبب هذا كله التقليد
في أمور الدين لمن سها أو غفل أو غلط وأن التقليد انما يكون لخير القرون

الذين شهد لهم صاحب العصمة صلوات الله عليه وسلامه بالخبر كما تقدم
الآثرى أنه لم يختلف قول مالك رحمه الله في القراءة جماعة والذكر جماعة أنها
من البدع المكرهة على ما نقله عنه ابن رشد رحمه الله في البيان والتحصيل
فلو صح عنده أو نقل له عن أحد من سلفه أنه فعل ذلك كيف يمكنه التصريح
بكرهيته أو لم يمكنه أن يتوقف فيه أو يكرهه فلما لم يختلف قوله
في كراهيته دل ذلك على أنه لم ينقل عنهم فيه إلا الترك بالكيفية والالتزام له
كما تقدم وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه
من شغل القرآن عن ذكرى ومساكن أعطيت أفضل ما أعطى السائلين إذا
شغل عبادي فتاؤه على أعطيت أفضل ما أعطى السائلين وروى عن
أنس رضي الله عنه أنه قال لأن أجاهد مع قوم يذكرون الله سبحانه من
خدوة إلى طلوع الشمس أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وقال هم قوم
يتعلمون الحقائق ويعلمون القرآن والفقهاء هذا تفسير خادم صاحب الشريعة
صلى الله عليه وسلم فكيف يقابل به تفسيره أخرى هذا الزمان وروى عن
إبراهيم النخعي رحمه الله أنه قال لا يزال الفقهاء يصلي قبل وكيف ذلك قال
لا تلقاه الا وذكرك الله على لسانه يحل حلالا ويحرم حراما قال الطرطوشي
رحمه الله وقد ظفرت بهذا المعنى في كتاب الله المهيمن قال الله تعالى هارون
وموسى لمابعثتهما الى فرعون ولا تنيا في ذكرى فسمي تبليغ الرسالة ذكر
فعل هذا لتحقيق ان حاق العلم وما يتحاورون فيه في العلم ويتراجعون من سؤال
وجواب انها حاق الذكر وهذا قوله سبحانه فاستلوا أهل الذكر يعني
أهل العلم والفقهاء نقل ذلك الطرطوشي رحمه الله في كتاب الذكر له واذا كان
ذلك كذلك فالذي ينبغي للعالم اليوم بل يجب عليه أنه لا ينظر الى العوائد التي
اصطلحنا عليها ولا تكون سلفنا ضوا عليها الذوق يكون في بعضها غفلة أو
غاط أو سهو ولكن ينظر الى القرون المتقدم ذكرها فان فعل هو ومنها
شيئا ما ابراه مصلحة في وقته فينبغي له أو يجب عليه أن يبين ذلك ويعترف بين
الناس أنه محدث وبين السبب الذي لاجله فعل ذلك قد كان سيدي أبو محمد
المرجاني رحمه الله يأخذ هذه الاخبار ويقرؤها جماعة ويذكرها جماعة
بعد الصبح والعصر ولم يزل على ذلك دأبه رحمه الله تعالى الى موته وكان

رحمه الله يخبر أن ذلك بدعة وانما فعله لضرورة وهي أن المصنف قد قات وقيل فقير
 أن يصلي الصبح أو العصر ثم يقوم يذكر الله تعالى ويقرأ في هذين الوقتين
 المشهورين إلا أنهم يقولون من مصلاتهم أن لا يناموا في الصبح أو لا يتحدث
 فيما لا يعنى أن كان في العصر أن سلبوا من الغيبة والنميمة فلما ان تحققوا
 وقوع هذا المحذور ودعوه لهذا المكروه لأن ارتكاب المكروهات أولى بل
 أوجب من ارتكاب المحذورات هكذا يجب أن تكون المحافظة على السنن
 وحفظها فينبه الناس عليها ويعلمهم بالعوائد المتخذة إنما ليست منها
 ويخبرهم بالضرورات التي كانت سبب الفعلها ولا جسد الغفلة عن هذا
 التنبيه وقع ما وقع من الادعاء بها بأنها سنة السلف والخلف لأن الغالب على
 الناس تحسين ظنهم بمشايخهم وعلمائهم وانهم لا يخالفون وانهم على سبيل
 الاتباع وترك الابتداع ألا ترى أنهم قالوا من لم يخطأ شيخه صوابا لم ينتفع به
 فيعمل لأجل هذا ما يصدر منهم على أنه سنة ما مورس بها فكان سيدي أبو
 محمد المرجاني رحمه الله يتحفظ من هذا الأصل بذكره لذلك وتعليله لئلا
 يعتقده من يعتقده أنه سنة ما مورس بها وقد حكى عن شيخه القدوة الامام
 العالم العامل المحقق أبي علي بن السمياط رحمه الله حكى لي ذلك عنه سيدي
 أبو محمد بن أبي جرة رحمه الله قال كان عارفا بالفقهاء معرفة جيدة وكان الفقهاء
 عنده في جميع المسائل بعضهم مع بعض ليس لهم شغل في الغالب إلا البحث في الامر
 والنهي وهل يجوز ولا يجوز فاذا أشكل عليهم شيء ولم يرجع بعضهم الى بعض
 فيه يأتون اليه فيسألونه عن المسائل التي يريدونها فيأمرهم بالخروج الى
 الفقهاء يسألونهم عنها فمثل عن ذلك ولم يصيلاهم على غيره وهو أعرف الناس
 بالنوازل التي كانت تنزل بهم فقال رحمه الله أخاف أن أفتيهم فيقع لهم الخلل
 بسبب اني ان مت بقي الامر بينهم موقفا على لا يعرفون أمر دينهم الا من جهتي
 فيقولون قال الشيخ كذا وذهب الشيخ الى كذا وكان طريق الشيخ كذا
 فيظنون ان الشريعة نروجها من قبل المشايخ فيرسلهم الى الفقهاء لاسد
 هذه الثامة ولا كي يعلمون ان ما نحن فيه انما أصله وعمله والذي يقع به
 المحل والربط عندنا هو من الفقهاء وما نحن فيه فرع عن ذلك فينتظم الحال
 أو كلاهما هذا معناه فانظر رحمك الله الى محافظة هذا السيد رحمه الله عليه

على منصب الشريعة كيف ترك أن يجيب الفقراء في مسائل الفقه مع أن
 ذلك مندوب اليه ~~لكن~~ لما كان معروفا ومنسوبا إلى تربية المريدين
 ونسايكهم وترقيهم في المقامات والاحوال والمنازلات خاف أن ينسب ما يفتي
 به من الفقه إلى ما كان يصدره من التربية فترك المندوب وهو الفتوى فيما
 تقدم ذكره تحفظا منه رجه الله أن ينسب شيء من الشريعة إلى غير أهله
 الذي عنه يؤخذ واليه يرجع وهذا المعنى الذي تحفظ منه هذا السيد رجه
 الله هو الذي أفسد اليوم كثيرا من أحوال بعض أهل الوقت تجد أحدهم
 يعمل البدعة ويتهاون بها فتناه عن ذلك أو ترشده إلى الترك فيستدل على
 أن ذلك هو السنة وإن ذلك ليس بمكر ولا ~~مكر~~ وبه رأى شيخه ومن يعتقد أنه
 يفعل ذلك فيقول كيف يكون مكرها أو بدعة وقد كان سيدي فلان يعملها
 فيستدل بفعل سلفه وخالفه وشيخه على جواز تلك البدعة وانها مشروعة
 فصار فعل المشايخ حجة على ما تقرربا يدين من أمر الشريعة وليسوا بمصومين
 ولا بمن شهد لهم صاحب العصمة صلوات الله عليه وسلامه وهذا أمر قد
 اتفقت الأمة على أنه مردود إذ أن ذلك لو جاز لوقع الخل في الشريعة بسببه
 فأى من استحس شيئا أو فعله وأى من ~~مكر~~ مكره شيئا وترك دفع الاقتداء به
 فيكون ذلك نقصا معاذ الله ولو كان ذلك كذلك لم يبق بأيدينا اليوم شيء من
 أمر هذه الشريعة المحمدية وقد عصم الله هذه الأمة والمحمد لله من التبديل فكل
 من أتى بشيء يخالف لما كان عليه متقدم وهذه الأمة وسلفها فهو مردود عليه
 محجوج بفعلهم وبما نقل عنهم وهذا هو الذي أذهب شريعة عيسى عليه
 السلام أعني التقاليد لأخبارهم ورهبانهم دون دليل يدلهم على ذلك حتى صار
 أمرهم أنه في كل جمعة من الأحد إلى الأحد يحددهم القسيس شريعة جديدة
 بحسب ما يراه لهم من المصلحة في وقته على ما يقتضيه نظره وتسايد به على زعمه
 فتجدهم يخرجون من كنائسهم وهم يقولون لقد جدد اليوم شريعة مريحة وقد
 عصم الله والمحمد لله هذه الشريعة فاحذروا الحذر من هذا الداء العضال فإنه سم
 قاتل مغفول عنه وقل من يسلم منه إلا من كان مراقبا لهم في أفعالهم وأقوالهم
 يزنها على أفعال السلف على ما تقدم أعني أنه لا يفعل ذلك حتى لا يقتدى من
 أفعالهم إلا بما كان منها على سبيل الاقتداء بما للتقدمين أن ~~كان~~ كان من أهل

العلم والافعال السؤال من العلماء المتبعين منهم في أفعالهم يعلم ذلك ويتبين له وأما
 ان نظرا الى أفعالهم ووزنها بغرض غيرهم فلا ينبغي ذلك لانه من باب
 التشاغل بعيوب الناس والبحث عن منالهم وذلك منتهى عتبه (ثم ترجع) الى
 ما كتابه عليه من الاجتماع على الذكر والقراءة لكن نذكر أولا ما بقي من
 الفصل الذي ذكره هذا الناقل رحمه الله في اجازة ذلك (فقال) رحمه الله
 بعد نقله للاحاديث التي نقلها في ذلك وليس فيها دليل على ما تقدم الامن
 طريق الاحتمال وقد ذكر عن الأئمة المذكورين ما ذكر من انكار ذلك
 على من فعل فلما أن نقل قول مالك لابن وهب وانه عاب ما ذكره من
 الاجتماع على القراءة وكرهه وانه قال ليس هكذا كان يصنع الناس فقال
 رحمه الله حين نقل هذا عنه فهذا الانكار منه مخالف لما عليه السلف والخلف
 وما يقتضيه الدليل فهو متروك والاعتماد على ما تقدم من استنباطها
 (فانظر) رحمه الله وايانا الى هذه السنة من هذا الناقل مع حذفه وحفظه
 كيف أتى بنقل مالك وغيره من الأئمة المة تقدم في انكار ذلك واعابته ولم
 يرد ذلك بتأويل ولا بنقل عن غيرهم بضد ما نقل عنهم فلم يأت الا بالاحاديث
 المذكورة وهو صحيح بها من فعلهم كما تقدم فقابل ما نقله عن هؤلاء الأئمة
 بقوله انهم مخالفون في ذلك فعل السلف والخلف وهم لم ينقلوا من مذهبهم
 ولم يتكلموا عليه بل نقلوا عن سلفهم ولم يقاتلواهم بان غيرهم خالفهم من
 الأئمة المقادين ونقل هؤلاء انما يردون النقل عن هو مذهبهم أو أعلى درجة منهم
 ونقلهم يرد كل ما ترجم عليه وقرره ويبين ان فعل السلف والخلف غير ما
 ذهب اليه فتبين ذلك وتفهيمه يظهر لك الصواب ان شاء الله تعالى (ثم
 قال) بعد هذا وأما فضيلة جمعهم على القراءة فغير انصوص كثيرة
 كقوله عليه الصلاة والسلام الدال على الخير كفاعله وقوله صلى الله عليه
 وسلم لأن يهدي الله بك رجلا واحد خير لك من حمر النعم وقد قال
 الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى اه (فانظر) رحمه الله هل في شيء مما
 أتى به ما عمن مراده في ذلك شيء الا انه يقرر عنده وفي نفسه ان ذلك طاعة
 بالنسبة الى ما عهد عليه من أدرك ومضوا عليه فظن ان ما ورد من الاحاديث
 والآثار عنهم في الجهر بالقراءة والذكر انه على تلك الصورة من الاجتماع

بصوت واحد فأتى بكل ما يدل على النذب الى الاتباع والقرب ففعله فيما
 ظهر له من ذلك وقد قال بعض العلماء رجة الله عليهم يا هذا عليك باتباع
 السنة وآكد من اتباع السنة اتباع السلف فانهم أعرف بالسنة منها هكذا
 ينبغي أن يكون الانسان مع خير القرون المشهود لهم بذلك وقد تقدم عن
 سيدى أبى محمد المرحاني رجة الله انه كان يفعل ذلك ويبين السبب في فعله
 والضرورة الداعية اليه مخافة منه رجة الله أن ينسب الى المتقدمين ما لم
 يفعلوا وان يختلط على الناس أمر المحدث من غيره وقد كان سيدى محمد بن أبى
 جرة رجة الله يذهب الى غير ما كان يذهب اليه سيدى أبى محمد المرحاني رجة
 الله في هذا فيمكن أن يقول ان بطالة ذلك الوقت بالنوم أفضل من الذكر
 جهر ان كان الذكر جهر اسالم من الدسائس المذورة المتوقعة فيه فان
 دخله شيء من الدسائس فهو الخسران والعياذ بالله من الخسران وكان يبين
 ما ذهب اليه من ذلك ويستدل عليه بأدلة منها الحديث الوارد عنه عليه
 الصلاة والسلام في ان الذكر الخفي يفضل المجلى بسبعين درجة والحديث
 الآخر الجاهر بالقرآن كما جاهر بالصدقة والحديث الآخر بسبعة يظلمهم
 الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وذكر فيهم ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى
 لا تعلم شئ منه ما تنفق بيمينه ومن الكتاب العزيز قوله تعالى يا أيها الذين
 آمنوا هل أداكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم وقد تقرر عندنا وعلم ان التاجر
 اذا وجد الربح في سبعة سبعين دينار او أخرى واحد انه يأخذ ما فيه ربح
 سبعين ولا يأخذ السبعة التي يحصل له فيها الدينار الواحد فان عكس التاجر
 ذلك وأخذ السبعة التي يحصل فيها الدينار الواحد وترك السبعة التي يأخذ
 فيها السبعين قلنا عنه تاجر سفيه والتاجر الحقيقي هو المؤمن لانه يتجر فيما
 يبقى وغيره يتجر فيما يفنى واذا كان ذلك كذلك فكيف يقدم على فعل له
 فيه أجر واحد مع قدرته على ان يحصل له سبعون هذا سفيه فأين هذا من هذه
 التجارة وقد تقدم ان الناس انما تفاضلوا بحسب نياتهم ومحاولاتهم
 ونتميتهم فيحتاج على هذا ان يبادر الى تلاوة السر والذكر في السر ان ذلك
 أفضل بسبعين كما تقدم فاذا صلي الصبح ثم ذكر الله تعالى سرا فلو ذكر الله
 مثلا ثلاث مرات ثم غلب عليه النوم في كل واحدة بسبعين فتكون الثلاث

تسبيلات بمائتي حسنة وعشر حسنات ولا بد أن يخفف رأسه في نومه
من وقته ذلك إلى طلوع الشمس مرات وفي كل مرة لا بد أن يستغيق على نفسه
قليلًا يصح عيظه ويذكر الله ما قدر له كل واحدة بسبعين ثم يغلب عليه
النوم بعد ذلك إلى طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس قام وهو منكسر الخاطر
يرى نفسه أنه ليس أهلاً بشيء ويرى أن غيره قد غنم وحصل في هذا الوقت
المشهود خير أو هو في غفلة وتوم فيحصل له التذلل والانكسار فيكون ما تحصل
له من ذلك أعظم مما فاتته لقوله عليه الصلاة والسلام اختياراً عن ربه عز وجل
يقول اطلبوني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي هذا مقام عظيم لا يصل إليه إلا
الأفذاذ فان زاد على هذا بأن قد رقى مصلاته الذي صلى فيه فهو وأعظم وأعلى
لقوله عليه السلام الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه
ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقد ورد أن دعاء الأخ لا يخيه في ظهر
الغيب مستجاب هذا وأخوه ليس بمعصوم من الخطاء ولا من الزلل فما بالك
بأسه تنفارا للملائكة الكرام الذي لا يكون إلا عن رضى عن أمرهم بذلك قال الله
سبحانه وتعالى في وصفهم ولا يشفعون إلا من ارتضى فتكون الملائكة
يستغفرون له اللهم اغفر له اللهم ارحمه إلى أن يقوم بعد طلوع الشمس من
مصلاه فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقد ورد عن النبي صلى الله عليه
وسلم ما معناه أن من جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس فيصلي سبعة الفصحى
كجمرة معه عليه الصلاة والسلام ومن يقع له ذلك أبقى عليه ذنب معاذ الله أن
يظن ذلك أحد وقد روى أبو داود في سننه ما هذا الفظ أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح
ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً غفرت خطايا ما وإن كانت أكثر من زبد البحر
أه فاجتمع له استغفار الملائكة مع بركة الذكر الخفي على ما تقدم مع راحة
البدن في المشي أو رفع الصوت أو غير ذلك من التعب مع التحقق بالسلامة
من الآفات والعاهات التي تلحقه في الذكر بالجهر مع ترك التعب ومع
حصول فضيلة ترك الأحلام لما نقل ابن رشد رحمه الله في البيان والتحصيل له
أن من ترك الكلام بعد صلاة الصبح وأقبل على الذكر أجر على الذكر وعلى
ترك الكلام وإن ترك الكلام ولم يذكر الله أجر على ترك الكلام عند مالك

رحمه الله وهذا اذا فرضنا انه نام من حين صلاته الى طلوع الشمس على ما تقدم وقد يكون في بعض الايام اوفى اكثرها متيقظا مقبلا على التلاوة والذكر فيحصل له من الاجور بتهمة النية والاعمال ومحاولته ذلك ونجته مالا يعلم الا الذي من عليه بذلك فابن هذا من صلى الصبح وقام من حينه من صلاة حتى لا تجد الملائكة الاكرام سبيلا الى الصلاة عليه والدعاء له والاستغفار ثم بعد ذلك كرجه رافق يدع بماء يرفع صوته وهو بعيد لم يصل الى المائتين والعشرة المتقدمة ذكرها في الثلاث تسبيحات ان تقدم ذكره فتطلع الشمس على هذا وهو لم يصل بعد الى اجر من تقدم ذكره لاجل تضعيف الاجور لذلك على ما تقدم وهذا اذا كان سالما من كل ما يكره من رفع الصوت انه يحصل له به رياء او سمعة او حظوة عند شيخه او عند احد من الحاضرين او يقال عنه اري شار اليه او تقبل يده او يثنى عليه وهذا ايضا اذا سلم من العجب لانه قد يرى انه على خير عظيم بسبب تعميده لذلك الوقت بالذكر والاجتهاد والبطالة لانه نسبة يدينها وبين العجب وهذا ايضا اذا سلم من ان يكون ذلك في جماعة مجتمعين على ذلك صوتا واحدا فاذا كان ذلك كذلك فقد خرج من هذا الباب الذي هو باب الجواز الى باب هل يكره او يجوز لان الذكر على هذه الصورة يختلف الشيوخ رحمة الله عليهم فيه هل يعمل رعييا لمحق الفقراء لكي يسلموا من البطالة والكلام في مالا يعني اولا يعمل فذهب بعضهم الى فعله رعييا للصحة المتقدمة ذكرها وذهب بعضهم الى منعه لان تلك صورة لم تكن ان مضى وكفى بها ولو كان فيها التماسيط وغيره اذ انه في الصورة الظاهرة مخالف للالفة داء الا ترى الى جواب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لعامله حين كتب له اما بعد فانه قد كثر عندنا شرب الخمر وكثرت المحذود عليهم وهم لا يرجعون أفترى ان ازيد على المحذود الذي اتفق عليه الحساب فكتب اليه اما بعد فخن شرب الخمر فخذ فان شرب فخذ فن لم يرجع الى المحذود المشروع فلارده الله او كما قال وكذلك فيما نحن بسبيله من لم يرجع عن النوم والكلام فيما لا يعني بما كان عليه السالف من الذكر والتلاوة ومحال السالع لم فلارده الله ولو سومع في هذا ذهب الدين مرة واحدة كما تقدم قبل لانه اذا وجدنا من لم

يرجع بالسنة أحد ثمانية في الذكر والقراءة وغيرهما شيئا يرجع به عما
لا ينبغي وفيه - إذا ذهب الدين والعباد بالله تعالى رضى الله عنهما حيث
سده هذا الباب فمن لم يرجع من الباب الذي فتح له الشرع فلا حاجة به
(ثم نرجع) إلى كتابه - وهذا أيضا إذا سلم من الاجتماع على الذكر من
تقطيع الآيات لانه يقطع نفسه في آية فيمتنع ثم يريد أن يتم الآية فيجد
الجماعة الذين يقرءون معه قد سبقوه بالآية والآيتين والثلاث فلا يجد سبيلا
إلى أن يقرأ ما فاتة لاجل أنه يريد أن يقرأ معهم حرفا بحرف فيحتاج لاجل
هذه العلة أن يقرأ بعض آيات ويترك أخرى فقرأ القرآن على غير ترتيبه الذي
عليه أنزل وفيه ما فيه من التخليط في كتاب الله تعالى فقد خطلت آية رجمة بآية
عذاب وآية عذاب بآية رجمة إلى غير ذلك مما هو فيه معلوم مشاهدا لا بقدر
من يقرأ مع جماعة أن يقرأ على غير ما وصف ولو احترز ما عسى وهذا أيضا إذا
سلم من الجهر بذلك إلى أن يخرج به عن حد السمت والوقار لأن ذلك منهي
عنه ألا ترى أن السنة في التلبية في الحج الجهر بها كثرهم كرهوا أن يرفع
صوته بحيث يعقر حلقه فإذا كرهوا ذلك فيما شرع فيه الجهر فما بالك فيما
شرع فيه الأسرار والأخفاء وكثيرا ما تجد من الفقراء الذين يقدعون لقراءة
هذه الآحزاب تنعقر أصواتهم لشدة انزعاجهم في جهرهم ويخرجون بذلك
عن حد السمت والوقار وهذا أيضا مشاهد لا يخفى على أحد ممن باشرهم وهذا
أيضا إذا سلم من أن يكون ذلك في مسجد فإن كان في مسجد فهو في موضع النهي
سواء بسواء لقوله عليه السلام حين خرج إلى أصحابه فوجدهم يتفعلون
ويجهرون بالقرآن فقال لا يجهر بعضهم على بعض بالقرآن ولأن المسجد إنما
بني للصلاة وقراءة القرآن تبع للصلاة ما لم تضرب التلاوة بالصلاة التي بنيت
المساجد لها فإذا أضرت بها منعت وقل أن يخلو مسجد من الصلاة وإن خلت
فهو معرض للصلاة فإذا دخل الداخل فهو مأمر بتحيته أن لم يدخل
لغير رخصة فإن دخل لغير رخصة فن باب أولى فعلى كلاً الأمرين فالداخل إلى
المسجد يجب التشويش برفع الصوت بالذكر في المسجد على صلواته فيجمع
كل ما يشوش على المصلي وقد قال علماءنا رجمة الله عليهم في قوله عليه
الصلاة والسلام أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة إن ذلك راجع

الى احوال الناس فمن لم يكن عنده في بيته شيء يتشوش منه في البيت أفضل
على كل حال انص الحديث وان كان معه في البيت أولاد وعائلة يشتغل
خاطره بحديثهم وكلامهم ففي المسجد وان كان مفضولاً لأنه أجمع لخاطره
وهمه وتحصيل جمع خاطره ومعه في الصلاة أفضل من فضيلة التنفل في
البيت وإذا كان ذلك كذلك فإذا جاء الإنسان الى المسجد ليحصل هذه
الفضيلة لكونها مدومة في بيته فيجدي المسجد من رفع الصوت ما هو أكثر
وأعظم مما في بيته فيكون ذلك من باب الضرر بالمسلمين وقد قال عليه
الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار وقد ورد لأن تلقى الله عز وجل بقراب
الارض ذنوباً فيما بينك وبينه أيسر من أن تلقاه بتبعية من التبعات لأنك إذا
أقبلت بذنوب بينك وبينه تلقاه غنياً كريماً مفضلاً منا لا تضره السيئات
ولا تنفعه الحسنات ولا يبعث منه العطاء غنياً عن عذابك غير محتاج لحسناتك
وإذا ألقى بين يديه من التبعات فصاحب التبعات فقير مضطرب شحيح خائب على
نفسه فزع مدعور مشفق من عدم الخلاص يعني أن لو وجد حقه على أبيه
أو بنيه لعله يتخلص مما هو فيه فإذا كان له قبل أحد حق قبل أن يتركه
ولو كان ذرة وهذه المسئلة لا يعلم فيها خلاف بين أحد من المتقدمين من أهل
العلم انتهى منع رفع الصوت بالقراءة والذكر في المسجد مع وجوده يصل يقع
له التشويش ببيته ألا ترى أن علماء نارجة الله عليهم قد قالوا فيمن فاتته
الركعة الأولى أو الأولى والثانية من صلاة الجهر أنه إذا قام انضاء ما فاتته فإنه
يخفض صوته فيما يجهر فيه فيجهر في ذلك بأقل مراتب الجهر وهو أن يسمع
نفسه ومن يليه خيفة أن يشوش على غيره من المسجد وقين هذا وهو في نفس
الصلاة التي لأجلها بنيت المساجد فالأكثر برفع صوت من ليس في صلاة من
باب أولى أن يمنع منه ولا أجل هذا المعنى كأن الكلام في المسجد بغير ذكر الله
تعالى أو ذكر أمره ونواهيته بأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب
ولأجل هذه الأذية وإن لم يكن فيه أحد تاذت الملائكة قال عليه السلام
فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم وليس لقاتل أن يقول إن القراءة
والذكر جهر أو جهاة يجوز في المسجد لنص العلماء وعلماهم وهو أخذ العلم
في المسجد لأن ما لك أرحم الله سئل عن رفع الصوت بالعلم في المسجد فأنكر

ذلك وقال علم و رفع صوت فانكر ان يكون ثم علم فيه رفع صوت وقد كانوا
يقعدون في مجالس علمهم كانوا السرايا فاذا كان مجلس علم على سبيل الاتباع
فليس فيه رفع صوت فان وجد رفع صوت منع منه وأخرج من فعل ذلك
لما ورد من مسجدنا هذا لا ترفع فيه الأصوات وهو عام والضرب به واقع فيمنع
واذا كان في الذكر بياكجهرو والاجتماع عليه هذه المفاصد وان سلم واحد
أو جماعة من تلك المفاصد أو من بعضها فقد لا يسلم منها الباقون والمؤمن
يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه فإذا سلمت أنت من هذه المفاصد لمحسن
نيتك وقصدك الظاهر فيحتاج أن تراعى حق أخيك المؤمن وجليلك أن
الله يسأل عن صحة ساعة فقد لا يكون عنده من فضيلة العلم ما يعرف به
ما ردد عليه من هذه الدساتر وغيرها فيقع في المحذور وتكون أنت بنيتك
الصالحية في هذا الفعل الذي أصلحته سبباً لأخيك وجليلك وشريكك في ذكر
ربك لعدم العلم عنده أو عنده وحصلت له حتى وقع في شيء منها فأين هذا من
نام على الحالة المتقدمة ذكرها ذكر الله قابلاً ثم غلب عليه النوم أقل ما يمكن
فيه من الفائدة أنه في أمان من هذه المفاصد كلها وغيره معرض لها وقد
قيل لا أعديل بالسلامة شيئاً فان قيل قد وردت أحاديث تدل على جواز
الذكر والقراءة جهراً وجماعة فاجواب أن الأحاديث الواردة في ذلك
محتملة للوجهين وجاء فعل السلف بأحد هما فلا شك أنه المرجوع إليه وأما
ما رواه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا سلم من صلاته يقول بصوته الأعلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ولا تعبد إلاياه له
النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن الجليل لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو
كراه الكافرون وما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رفع
الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجواب من وجهين أحدهما ما ذكره الامام الشافعي
رحمه الله في الام حيث قال واختار الامام والمأموم أن يذكر الله بعد
الانصراف من الصلاة ويخفيان الذكر إلا أن يكون اماماً يجب أن يتعلم منه
فيجهر حتى يرى أنه قد تعلم منه ثم يسرفان الله تعالى يقول ولا تجهر بصلاتك

ولا تخافت بها يعني والله أعلم لم بالدعاء لا تجهر وترفع ولا تخافت حتى لا تسمع نفسك وأحسب ما روى ابن الزبير من تهليل النبي صلى الله عليه وسلم وما روى عن ابن عباس من تكبيره كما رويناه انما جهر قليلا لئلا يعلم الناس منه وذلك ان عامة الروايات التي كتبناها مع هذا وغيرها ليس يذكر فيها بعد التسليم تهليل ولا تكبير وقد يذكرانه ذكر بعد الصلاة بما وصفت و يذكر انصرافه بلا ذكر وقد ذكرته أم سلمة رضي الله عنها مكثه ولم تذكر جهرها وأحسب انه لم يأت الا ليدكر ذكره كراغ يجهر فان قال قائل وما مثل ذا قلت مثل انه صلى على المنبر يكون قيامه وركوعه عليه ويقهقر حتى يسجد على الارض وأكثرهم لم يصل عليه ولا مكثه مما رأى أحب ان يعلم من لم يكن يراه من بعده عنه كيف القيام والركوع والرفع يعلمهم ان في ذلك كلمة سعة اه كلامه بلفظه فهذا الامام الشافعي رحمه الله حمل ذلك على سبيل التعليم فان حصل التعليم أمست وهذا بخلاف ما بعده اليوم من القراءة والذكر جهرها وجماعة فانه لم لا يريدون التعليم بل الثواب والمجواب الثاني ما ذكره الشيخ الامام أبو الحسن بن بطال رحمه الله في شرح البخاري لما ان تكلم على حديث ابن عباس فقال يحتمل ان يكون اراد به المجاهدين فان كان كذلك فهو الى الآن وعليه العمل وهو ان المجاهدين اذا صلوا الخمس فيستحب لهم ان يكبروا جهر ايرفعون أصواتهم ليرهبوا العدو وقال فان لم يعمل على هذا فيه يكون منبوذا بالاجماع قال لا بد لا يعلم أحد من العلماء بقول به والاجماع لا يحتاج عليه اه وقال القاضي عياض رحمه الله وأما رفع الصوت بالذكر فان كانوا جماعة فستحسن ليرهبوا العدو بذلك وان كان وحده فغير مستحسن وأما ما رواه ابن أبي داود عن علي رضي الله عنه أنه سمع ضحيج الناس بالمسجد يقرءون القرآن فقال طوبى لمؤلا كانوا أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا الحديث ظاهره المجهر ليس الا ولا يؤخذ منه القراءة جماعة على ما بعده اليوم لان لفظ الحديث لا يقتضي ذلك وعادتهم وسيرتهم وما روى عنهم لم يكن على ذلك وانما يحمل الامر على عادتهم وعادتهم انما كانت قراءة القرآن على سبيل التلقين أو العرض فقط لا يكون في ذلك الوقت يتلقنون في القرآن أو يعرضون أو يدرسون كل واحد لنفسه أو على شيخه أو على رفيقه

وجالسه فسمع عـلى بن أبى طالب ضجبتهم فذكر ما ذكر فى حقهم مـ وهذا
 كما راجع الى فضيلة مجلس العلم على غيره من المجالس على ما تقدم ذكره لان
 القرآن ومدارسته هو أصل العلوم كلها وهو معدن الجميع فاذا حفظ فقد
 حفظ على الناس أصل دينهم المرجوع اليه عند التنازع والاختلاف فلاجل
 ذلك كانوا أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقد) استدل
 الناقل المذکور بأول رحمه الله على اباحة القرآن جماعة وجهرا ايضا بان
 قال وفى اثبات الجهر أحاديث كثيرة وأما الآثار عن الصحابة والتابعين من
 أقوالهم وأفعالهم فأكثر من أن تحصر رواشهر من أن تذكر (فهذا)
 الاستدلال منه رحمه الله بين فى الجهر ليس الادون ان يكونوا على ما يعهد
 اليوم من الجمع على ذلك وذلك أيضا راجع الى المواضع التى روى عنهم فيها
 الجهر فانهم لم يرو عنهم ذلك مطلقا بل فى وقت دون وقت فكانوا يجهررون فى
 قيام الليل قد كان أهل المدينة يتواعدون اضرورائهم لقيام القراء بالليل
 وكذلك عند اجتماعهم فيقرأ لهم واحد منهم لكي يسمعوا كلام ربهم
 وكذلك عند احرامهم بالمحج وتلييتهم طویل احرامهم وذكرهم بعد الاحلال من
 احرامهم بمعنى كانوا يسمعون تكبير أهل منى وهم بمكة لاجل اتصال التكبير
 وكثرة الناس وكذلك فى مجالس علمهم وفى تعليمهم وتعاليمهم وفى اقراءتهم وفى
 مذاكرتهم وبجنتهم مـ وكذلك عند ارادة الامام تعليم المأمومين عـلى
 ما تأوله الشافعى رحمه الله عليه وغير ذلك مما ثبت به ما ذكر من جهرهم فى
 مواضع مخصوصة معلومة والمقصود أن يحمل ماورد عنهم من الجهر على ماورد
 عنهم وعلى ما تأوله العلماء عنهم وعلى ماوقع منهم من الاجتماع المتقدم ذكره
 وهو ما نقله ابن بطال والقاضى عياض رحمه الله تعالى وقد تقدم وكل
 ماورد عليك مما يشبه هذه الاحاديث المتقدم ذكرها فهو هذا هو الجواب
 عنها ان رجع الى نقل العلماء ومن يتأول الاحاديث بحسب فهمه
 ويترك تأويل الأئمة والعلماء فلا يرجع اليه (فالحاصل) من هذا البحث كله
 وزيدته وفائدته وان ماورد من الاحاديث من ذكر الفضائل والخبرات
 فى مجالس الذكر فالمراد بها هذا المجلس الذى جالسه هذا العالم لتعليم
 الاحكام وغيره من الاذكار داخل منطوقه فضيلة هذا المجلس واذا

كان ذلك كذلك فينبغي له ان يحترمها ويعظمها اذانه اعظم شعائر الدين
 وازكاها واربعها قال الله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى
 القلوب وقال تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن جملة
 التعظيم لهذه الشهيرة العظمى الاجلال لها بالافعال فاذا نطق بلسانه في شيء
 من الاحكام بالوجوب او الندب فيكون هو اول من يبادر الى فعل الواجب
 او الندب ليتصف بالعمل كما اتصف بالقول للتلايد عمل في قوله تعالى كبر
 مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (وهذا) مثل ما قاله علماؤنا راحة الله
 عليهم في المؤذن يستحب له ان يؤذن على طهارة ليكون عقب اذانه يركع
 لانه مناد الى الصلاة فيكون اول من يبادر لما نادى اليه لينتفع الناس
 باذانه لاجل عمله لان الامر اذا خرج من عامل انتفع به من سمعه واذا خرج
 من غير عامل لم ينتفع به فيستحب لاجل هذا ان يكون العالم اول من يبادر
 الى ما يأمربه حتى ينتفع الناس بأمره (وكذلك) ايضا ينبغي له بل يجب عليه
 اذا ذكر المحرم او المكروه ان يكون اول من يبادر الى الترك فيكون سالما
 من ارتكاب المحذورات والمكروهات بحسب جهده وطاقته ومروءته وهذا
 اكدم من الاول لقوله عليه الصلاة والسلام لا منعه من قبلكم فاجتنبوه وما
 أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم
 واختلافهم على انبيائهم رواه البخاري ومسلم لم يرض الله عنهم ما وقع
 النهي عنه فلا يقرب لنص هذا الحديث والنهي اذا وردت ساول المحرم
 والمكروه كما ان الامر اذا وردت ساول الواجب والندوب فان لم يقدر هذا
 العالم على الترك بالكلية وغلبته نفسه في ارتكاب شيء من المكروهات
 او البدع فليحذر كل المحذر ان يطالع عليه احد من خلق الله فيكون مستترا
 ويتوب الى الله تعالى في كل وقت يقع ذلك منه وهو اقل المراتب في حقه
 وان كان هذا معتبرا في حق الناس كما هم أعني التستر بالبدع والمخالفات لقوله
 عليه الصلاة والسلام من بلى منكم من هذه القاذورات بشيء فليستتر به من الله
 فانه من أبدى لنا صفحة وجهه أقنعا عليه المحذور كما قال والمحدود راجعة الى
 حال ما يقع من الشخص قرب فعل حده المجرد وآخر حده المجران وآخر
 حده البغض وآخر حده الزجر الى غير ذلك مما قد نص عليه علماؤنا ورحمة الله

عليهم السكن العالم يحب عليه التستر أكثر من غيره لان شره ومهيبته
ومخالفته وبدته ان ابتلى بشئ من ذلك يتعدى الى غيره كما ان خيره
كذلك متعدد لكن التعدى بهذا الفن أكثر لان الغالب على النفوس
الاقتداء في شهواتها وملذذاتها وعاداتها أكثر مما تقتدى به في التعمد
الذى ليس لها فيه حظا فاذارت ذلك من عالم وان أيقنت انه محرم أو مكروه
أو بدعة تعذر نفسها في ارتكابها لذلك ان سلمت من سم المجمل تقول لعل عند
هذا العالم العلم يحوز ذلك لم تطاع عليه أو رخص فيه العلماء الى غير ذلك مما يقع
لهم وهو كثير شاهد فاذارت من هو أفضل منها في العلم والتحير يرتكب شيئا
من ذلك فأقل ما فيه من القبح الاستصغار والتهاون بمعاصي الله تعالى وهو
السم القاتل وقد قالوا ارتكب البكائر أهون من الاستصغار بالصغائر لان
مرتكب الكبيرة يرجي له ان يرجع الى الله ويتوب ومن تهاون بالصغائر قل
ان يرجع عن ذلك لأنها عنده ليست بشئ وقد قالوا لا كبيرة مع الاستغفار ولا
صغيرة مع الاصرار وهذا بين لان الصغائر اذا اجتمعت صارت بكائرا فيكون هذا
العالم الذى يتعاطى شيئا من المكروهات أو البدع سببا لعطب من يراه من هو
أقل منه رتبة في الدين لاقتدائه به واستسهاله بشئ من ذلك وقد سبك الفقيه
أبو المنصور فتح بن علي الدمي على هذا المعنى المتقدم ذكره في قصيدة له منها

أيها العالم أياك الزل * واحذر الهفوة فالخطب جال
هفوة العالم مستعظمة * ان هفا أصبح في الخلق مثل
وعلى زلته عمدتهم * فبها يخرج من أخطا وزل
لا تقل يستر على زاتى * بل بها يحصل في العلم الخال
ان تكن عنده مستحقرة * فهي عند الله والناس جبل
ليس من يتبعه العالم في * كل مادي من الامر وجل
مثل من يدفع عنه جهله * ان ألقى فاحشة قيل جهل
انظر الانجم مهماسة ط * من رأها وهي تهوى لم يبل
فاذا الشمس بدت كاسفة * وجل الخلق لها كل الوجل
وترامت فحوها ابصارهم * في انزعاج واضطراب وزجل
وسرى النقص لهم من نقصها * فغدت مظلة منها السبل

وهكذا العالم في زاته * يغتن العالم طرا ويضل
 يقتدى منه بما فيه دقا * لا بما استعصم فيه واستقل
 فهو ملح الارض ما يصلحه * ان بدا فيه فساد أو حال
 * (فصل لـ) * وينبغي له أيضا ان يحترز في حق غيره من يجالس
 أو يباشره كما يحترز في حق نفسه لحق أخوة الايمان ولحق الصلوة والمشاركة
 في مجالس العلم والخير وللا واجب عليه من الخير والارشاد والتغيير وقد تقدم
 ان ذلك متعين على العلماء بالله ان فاذا رأى أحدا من جلسائه قد خالف
 سنة أو ارتكب بدعة أو تهاون بشئ من ذلك نهاه بلطف وعلمه برفق قال
 تعالى في التغيير على عدو من أعدائه منازع له في ملكه فقول له فوالاينا
 فاذا كان هذا الامر في حق هذا العدو والمتردد بالالك في حق أخ مسلم رفيق
 جالس جاه مسترشد اعتدما فيجب ان يرفق به فيما خذ أمره باللطف والسياسة
 لئلا يتغير لان الغالب على النفوس النفور عند زجرها عن الشئ فيحتاج العالم
 اذ ذلك الى أمرين ضدين لا بد له من اجقاعهما مراعاة جانب السنة والتغيير
 والانزعاج عند مخالفة شئ منها والرفق بالمأمور به في حق اخوانه المؤمنين كل
 على قدر حاله قال عليه السلام علموا وارفعوا ويسروا ولا تفسروا ولا تنفروا
 أو كما قال فيكون هذا العالم اذا رأى شيئا من هذه الاخلاق في أحد من
 اخوانه أو جلسائه أو المسترشدين منه ينظر فيهم بمقتضى السنة والاتباع
 فيرضى لرضى الشرع وبغضب ان غضب الشرع فاذا كان كذلك فيسبرجى له
 الخير والبركة ويكون قريبا من صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه
 أعني في اتباعه لانه عليه السلام قال الواصف له كان أحسن الناس خلقا
 فاذا رأى شيئا من حرم الله ينتهك كان أمرع الناس اليه انصرة اه فاذا حصت
 هذه الحمية والنصرة للعالم فيحتاج ان يكون معهم ما الرفق فلا ينفروا بل
 يستجابهم ويسرق طبائهم بالسياسة حتى يردوها الى قانون الاتباع الا ترى
 الى ما ورد عنه عليه السلام في حديث الاعرابي الذي بال في المسجد وصاح
 الناس به فقال عليه السلام لا ترزموه وتركه حتى أتم بوله ثم صب عليه ذنوبا
 من ماء ثم علمه بعد ذلك وهذا كله راجع الى أحوال الناس والى من يقع له
 ذلك فيعامل كل أحد على حسب حاله وما يليق به من اللطف والسياسة

قوله لا ترزموه
 من أرزم الرعد
 اذا اشتد صوته
 وبابه منع اه

والشدة والغلبة لان الناس لم يتساووا قرب شخص لا يرجع الا بالالطف فان
أخذته بالشدة نفرته ورب شخص لا يرجع الا بالغلظة فان أخذته بالالطف
ألمعته وقل ان ينتهي . (فصل) فاذا شرع هذا العالم في أخذ المدرس
وقرأ القارى فيحتاج اذ ذلك ان تكون عليه السكينة والوقار فيخشع قلبه
وتخشع جوارحه لهذا المقام الذى أقيم فيه وهو انه يبين عن الله تعالى احكامه
واعمل بركة ما يحصل له هو من ذلك ان ينتفع به جالساؤه فيتأذون بأدبه
ويتأسونه الا ترى الى ما روى عن محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة
حين دخل على مالك في أصحابه من أهل العراق يريدون سماع الحديث قال
فدخلت فوجدت أصحابه قعودا بين يديه كأنهم على رؤسهم الطير فقلت
سلام عليكم فلم يرد على أحد منهم سلاما الا مالكا فإنه رد السلام فقلت ما بالكم
أفى الصلاة أنتم فرمقوني بأطراف أعينهم ولم يتكلموا فى قصة يطول ذكرها
والقصود منها ان مالكا كان عنده التظيم للمقام الذى أقيم فيه فسرى
ذلك لطلبته وكذلك سنة الله أبدا فى خاقه أى من قرأ على شخص لا بد وان
يسرق طباعه وطريقه واصطلاحه فان لم تكن كلها كان بعضها فاذا كان
ذلك كذلك فينبغى للعالم ان يأخذ نفسه أولا بالادب فيما ذكر فيجمع همهته
وخاطره عند قراءة القارى فاذا فرغ القارئ استفتح هو الاقراء فيستعيد اذا
ذاك من الشيطان الرجيم الذى يكفى شره فى مجلسه ذلك ثم يسمي الله تعالى لى
يعتزله الشيطان لان كل شئ سعى الله تعالى عليه فى ابتدائه عزله منه الشيطان
وحرم عليه حضوره ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لتحصل البركة
فى مجلسه لان البركة معه عليه السلام حيث ذكر وحيث كان ثم يتعرض عن
أصحابه لتكامل بذلك البركة فى مجلسه لانهم الاصل الذين اسسوا ما جاس اليه
ثم يجعل المحول والقوة لله تعالى ويتعري من حوله وقوته بقوله لا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم بقوله ثلاث مرات وان قدرا ان يكون سبعا كان
أحسن كذلك كان المحققون من العلماء يفعلون ذلك ثم يستدأمره الى الله
تعالى ويتوكل عليه فى تسديده وتوفيقه ويفتقر فى ذلك ويضطر اليه أتم
يحب المضطر اذا دعاء ويتعري اذ ذلك من فهمه وذممه ومطالعته وبحبته
وأنه الا أن كانه لا يعرف شيئا فان فتح الله عليه بشئ اذ ذلك كان من الله تعالى

فقد آمنه وكرمالا لاجل مائة قدم من محاولة المطالعة والدرس والفهم ثم
يستجبر به من ثمرات اللسان ومن نزغات الشيطان ومن الخطأ والزلل ثم
يتكلم بما قد تحصل عنده من العلم في تلك المسئلة التي قرأ القارئ ويذكر
ما ذكره العلماء فيها ويوجه أقوالهم ويرد ما ذهبوا اليه الى أصولهم التي
استخرجوا الاحكام منها وهو الكتاب والسنة ويكون في اثناء ذكره للعلماء
يترضى عنهم ويترحم عليهم ويعرف من حضره بقدرهم وفضيلتهم وحق
سبهم قال الفقيه الامام أبو بكر بن العربي في مراقي الزاني له قال أبو حنيفة
المحكيات عن العلماء ومجالاتهم أحب الي من كثير من الفقه لانها آداب
القوم واخلاقهم ثم يوجه مذهبه وينتصر له وذلك بشرط التحفظ على
منصب غير امامه ان ينسب اليه ما ينسب لبعض المتعصبين من الغلط والوهم
لغير امامه فان كنت على مذهب مالك مثلا فلا يدع لك غضاصة لمذهب
الشافعي أو غيره من الائمة رضى الله عنهم لانهم الكل جاءهم الله رجة لك
لانهم اطباء دينك كلها عوج أمر في الدين قومه وكما وقع لك خال في دينك
اتفق الكل على ذمها به عنك وتلا في أمرك واصلاحه واختلافوا في كيفية
الدواء لك على ما اقتضى اجتهاد كل واحد منهم على مقتضى الاصول في
تخليصك من علتك وجنتك واعطاء الدوائ لك فاذا رجعت الى طبيب منهم
وسكنت الى وصفه وما اقتضاه نظره من المصلحة لك فلا يكن في قلبك خرازة
من الاطباء الباقين الذين قد شغلهم مرض غيرك من اخوانك المؤمنين وقد
اقامهم الله لمصلحة الامة وتديبر دينهم فاياك اياك ان تجدى قلبك خرازة
لبعضهم وان قام لك الدليل ووضح على بطلان قول من قال لان من قال
ما قال ما قاله مجانا بل مستندا الى الاصول ولو كان حاضرا يبحث معك لرأيت
مذهبه هو الصواب لما يظهر لك من بحته واستدلالة لا ترى الى قول مالك
رجحه الله لسان سئل عن أبي حنيفة فقال رأيت رجلا لو اراد أن يستدل على
هذا العمود أنه من ذهب لفعل فيكون قلبك واعتقادك مع لسانك مجالهم
ومعظم او محترما وان كنت قد خالفهم بالرجوع الى امامك في بعض الفروع
فانك لم تخالفهم في أكثر الفروع فالاصول قد جعت للجميع والمحمد لله
الا ترى الى جواب مالك رحمه الله للخليفة لسان اراد ان يكتب الى الاقاليم

بكتاب الموطأ وبالأمر أن لا يقرأ أحد الا اياه فقال له مالك لا تفعل يا أمير المؤمنين فان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد تفرقوا في الاقاليم وقد أخذ الناس عنهم فانظر اني هذا الكلام منه مع اعتقاده فيما ذهب اليه انه هو الاولى والارجح على مقتضى الاصول والنظر فلم يطعن على ما ذهب اليه غيره ولم يعبه ولم يقل الاولى ان يرجع الى ما رأيت فيكون هذا العالم يتأسي بهذا الامام في التسليم لمذهب الناس في الفروع والاحكام مع اعتقاد الصواب فيما ذهب اليه دون تغليب غيره أو توهمه ثم بحث في عاقد اليه على ما جالس اليه اولامن التأديب والاحترام في كلام بلطف ورفق ويحذر ان يرفع صوته وان يزعج فيؤذي بيت ربه ان كان فيه ويرفع صوته يخرج عن آدين العلم وعن حد السمت والوقار ويوقع من جالسه في ذلك لاقتدائهم به وكذا ايضا يحذر ان يرفع احد صوته من جلسائه فان رفع احد صوته نهاه برفق واخبره بما في ذلك من المنكر وه لان رفع الصوت اذ ذاك فيه محذورات منها رفع الصوت في العلم وقد تقدم انه كمال ملك رجه الله لذلك ومنها رفع الصوت في المسجد ان كان فيه وقد وقع النهي عنه ومنها قلة الادب مع العالم الذي حكي مذهبه أو كلامه اذ ذاك وان كانوا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم تذاكروه أو اوردوه اذ ذاك شاهد المسائلهم فهو اعظم في النهي وابلغ في الزجر لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تعلمون فيقعون بسبب ذلك في حبط العمل والعياذ بالله اذ لا فرق بين رفع الصوت عابه في حياته عليه السلام وبين رفعه على حديثه كذا قال امام المحدثين مالك بن انس رحمه الله

(فصل) وينبغي له اذا اخذ بتسكلم في الدرس فأوردت عليه المسائل والاعتراضات والتنظيرات أن لا يجيب أحدا عن مسأله ولهم فيها هو بسبيله ويسكت من أورد عليه برفق أو يأمر من يسكته لان الأبراد اذ ذاك يحاط المجاس ولا يحصل بسببه كبير فائدة فيبين هو المسألة لنفسه ويوجهها ويستدل لها ويورد عليها ويعترض عليها ثم يجيب عن ذلك كله بما تحصل عنده من أقوال العلماء في ذلك ثم ينظرها بما يشبهها من المسائل وما يقرب

منها ثم يفرغ عليها ما يحتمل من التفريع بعد حله أولا لفظ الكتاب وتبينه
حتى يبين صورة مسألة الكتاب لجميع من حضر الصغير والكبير لأن حل لفظ
الكتاب مطلوب من الجميع من الصغير والكبير من يحفظ الكتاب ومن
لا يحفظه وهو أقل فائدة حضور مجالس العلم وما يقع عليها بهد ذلك من
الكلام فذلك الذي تختلف أحوال الناس في فهمه ففهم من يحصل الجميع
ومنهم من يحصل البعض على قدر ما رزق الله تعالى كل واحد من الفهم
فيكون في أدل مرة يسير سير الضعيف للحديث الوارد عنه عليه الصلاة
والسلام سير وابسير أضعفكم فإذا تحصل للضعيف مقصوده وهو حل لفظ
الكتاب حيث تدرج في البيان إلى من هو أقوى منه ثم يتدرج بعد ذلك قليلا
قليلًا إلى ما مر والتأديب وحسن السمات والوقار مستحب معه في ذلك
كله فإذا فرغ ما عنده من العلم في ذلك والبيان فليعط اذذاك سكتة ويعلم من
حضره عن يريد الكلام فن كان عنده شيء فليورده الآن فإذا كان بقي شيء
أوردوه اذذاك فيتنبه الشيخ إليه فيتكلم فيه والغالب أنه لا يبقى اذذاك لاحد
ما يقول لأن كل ما يريد القائل ان يقول اذا سكت لا يخرج المجلس بحمد الشيخ
قد أوردته وتكلم عليه وبينه الا ان يكون شيء شئت عنه فيستدرك عليه
اذذاك فإذا فرغ من جواب ما أورد عليه وبيانه فليقرأ القارئ اذذاك ثم يمضي
على ما تقدم ذكره فإذا فعل ذلك تبينت المسائل لكل الحاضرين وانفعوا
وقد يقطعون الكتاب في الزمن اليسير بخلاف ان لو بقي يجيب كل من سأل في
أول الاقراء اذلك لكل واحد ايراد وسؤال وغرض فقد لا يتخلص من جواب
البعض الا وقد طال المجلس وثقل على الحاضرين ولم تحصل بعد فائدة فإذا
سكتوا إلى ان يفرغ كلام الشيخ انتفع الجميع وقل ان يبقى بعد ذلك اشكال
أو سؤال لان الشيخ هو المقصود بهذا المجلس وهو القائم بوظيفته فقد نظر إليه
وحصل ما لم يحصل غيره

(فصل) وينبغي له أيضا اذا أوردت عليه المسائل والاعتراضات ان
لا يجيب عن ذلك حتى يفرغ صاحب السؤال بكلامه إلى آخره أو المعتبر
باعتراضه إلى آخره لان الكلام انما هو بآخره وكذلك ينبغي له ان يحفظ في
حق من جالسه ان لا يجيبه واعن المسائل حتى يفرغ من يلقيها إلى آخر كلامه

وكثيرا ما يقع هذا اليوم تجداً أحد الطلبة يريد أن يتكلم على مسألة أو يعترض عليها أو يعارضها أو ينظر بها أو يستدل لها فيقطع الكلام في نفسه وهو يعلم ينطق منه الاشئ مما وكذلك أيضا يسرق منه بعض الناس ما يريد أن يقول فيقطع الكلام عليه ويستبد به وبالحجواب أو القاء المسئلة لنفسه وهذا كله لا يجوز وأصله الرياء والحب والمباهاة والفخر ومحببة النقل عنه ومحببة الظهور على الاقران قال أحمد بن حنبل رحمه الله أدركت الناس وهم يتعلمون السكوت ثم هم اليوم يتعلمون الكلام اه فيحذروا أن يفعل ذلك في نفسه وكذلك يحذروا أن يقع ذلك في محاسنه فان وقع امثل ما ذكر من التغيير على ما تقدم كان السافر ضوا ان الله عليهم يأتون بالمسائل العظيمة والفوائد النفيسة ولا يريدون ان تنسب اليهم خوفا على أنفسهم من الرياء والسمعة فكأنوا من ذلك براء لشدة اخلاصهم ومراقبتهم لهم في أعمالهم وقد قال الفقيه الامام أبو بكر بن العربي رحمه الله في مراقي الزلفي له روى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال وددت أن الناس اتفقهوا بهذا العلم ولا ينسب الي منه شيء (وقال) أيضا رضي الله عنه ما ناظرت أحدا قط فاحببت أن يخطئ (وقال) رضي الله عنه ما كتبت أحدا قط الا احببت أن يوفق ويستدوي بعان وتسكون عليه رعاية من الله تعالى اه ونحن اليوم مع قلة الاخلاص وقلة اليقين والمجزع من الخلق والطمع فيما في أيديهم من المال والجاه نحب أن نسمع ما نلقيه ونحبر عنابه ويشاع ويداع كل هذا سببه المواطاة لبعضنا بعضا فاذا كان العالم حين جلوسه يعمل على التحفظ من هذه الاشياء ويتنبه في نفسه لما وينبه أصحابه عليها فحسنت وقل ان يقع في محاسنه خلال ان شاء الله تعالى (وكذلك) أيضا ينبغي له بل يجب عليه ان لا يحد ضرورة وان لا ينزعج عند ايراد المسائل عليه والا كثار منها والاحتجاج عليه بها الان الانزعاج ليس من شيم العلماء ولا من اخلاصهم وكذلك يجد الحق ليس من شيمهم بل من شيم من لا خيرة فيه فيحذرون هذا أيضا في نفسه وفي محاسنه (وينبغي) له أيضا ان تكون نيته حين جلوسه لاصابة الحق والصواب على لسان من خاف الله ذلك قبله ويسر به ولا يختار بنية ان يكون هو الذي يأتي بالصواب في كل درسه ليس الا بل يختار الحق والصواب

لله لم يعلم من الناس وان عدم في بعضهم فهو موجود في آخرين
 • (فصل — ل) • وينبغي له أيضا اذا قعد في مجالس العلم ان يخلص نيته
 لله تعالى اتعلم احكام ربه وتعاليمها اعلمه يدخل في عموم ما ورد عنه عليه
 الصلاة والسلام من صلى الفريضة ثم قعد بعلم الناس الخير فودي في السموات
 عظيمه او كما قال عليه السلام وينفي عنه الشوائب ما استطاع جهده وهذا
 الذي يلزمه لانه الذي يقدر عليه واما ما يقع في قلبه فليس هو كما قال ان لا
 يقع انما عليه اذا وقع بدفعه عن نفسه ويبغضه لان تكليفه ان لا يقع على
 لا يطاق فو قدره الله والمجد لله عن هذه الامة فلا يقعد لآن يرأس به على
 غيره او يقال فلان مدرس او مفيد او يبحث او يذيع او صاحب فهم
 مع انه قل ان يقع هذا اليوم لكثرة تغاليهم في الشخص فاذا راوا احدا
 يتكلم في مسألة على ما ينبغي قالوا عنه مجتهد هذا الشافعي الصغير هذا مالك
 الصغير وانصاغ له ذلك وموت عليه نفسه وحسب انه كما قالوا فيكون مثله
 اذ ذاك كما قالوا مثل نائم يرى في نومه ما يسره ويحببه فيفرح به ويخجل له انه
 حق ثم ينتبه فلا يجد شيئا من ذلك وكذلك حال هذا سواء بسواء لما ان تكلم
 الناس بما تكلموا به حسب نفسه اذ ذاك كما قالوا وهذا ضرب من الحلم فلو تيقظ
 من هذه السنة والعقلة التي وقع فيها ونظر الى ما ميز الله به مالكا والشافعي
 وغيرهما من العلماء المقتد من الفهم العظيم والقوى المتينة لتلاشي
 علمه اذ ذاك وفهمه وتقواه ويجد نفسه كما قال اسد بن القرات رحمه الله لما ان
 رأى بعض العلماء يجامع صروده يقول قال مالك كذا وهو خطا وذهب
 مالك كذا وهو وهم والمواب كذا فقال ما أرى هذا الا مثل رجل جاء
 الى البحر فرأى أمواجه وعجيجها فقام الى جانبه فبال بولة وقال هذا بحر آخر
 اه فكذا ذلك هذا يجد نفسه سواء أو أعظم فاذا تيقظ من سنة غفلته لكثرة
 ما يجد عند من تقدمه من الفضائل تلاشى ما يجد في نفسه وراى ما في
 نفسه من التقصير والمجود ودارت بكاب ما لا ينبغي في علمه وأصرفه
 • (فصل) • في ذكر النعوت ويتمن عليه ان يحفظ من هذه البدعة
 التي عمت بها البلوى وقل ان يسلم منها كبير أو صغير وهي ما اصطلموا عليه من
 تسميتهم بهذه الاسماء القريبة العهد بالحدث التي لم تكن لاحد من

مضى بل هي مخالفة للشرع الشريف وهي فلان الدين وفلان الدين والعالم
أولى من يحفظ على نفسه من هذه الأشياء ويذب عن السنة في حق نفسه وفي
حق غيره وهو الآن راع على كل من حضر وكلكم راع وكلكم مسئول عن
رعيته فإذا نطق أحدهم بهذه الأسماء برفق وتلطف به في التعاليم ونبيه بما
ورد في التزكية من النهي وكذلك إذا ناداه أحدكم بهذا الاسم فيعلمه كما ذكر
وأقل ما يمكن في حقه في غير هذا المجلس أن لا يستجيب لمن ناداه بهذا الاسم
حتى يناديه بالاسم الم شروع لأن في هذا المجلس يتعين عليه خصوصا التغيير
باللسان والتعاليم بالرفق لانه لذلك قعد (ألا ترى) أن هذه الأسماء فيها من
التزكية ما فيها فيقع بسببها في المخالفة بدليل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم وأقوال العلماء أما الكتاب فقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقوله
تعالى ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا
انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به أثاما مبينا وأما السنة فقوله
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا على الله أحدا ولا كن قولوا أخاله كذا
وأظنه كذا وأما قول العلماء فقد قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه
شرح أسماء الله المحسنى فقد دل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الانسان
نفسه ثم قال قال علماءنا ويجرى هذا المجرى ما قد كثرت في الديار المصرية
وغيرها من بلاد العراق والهمم من نعمتهم أنفسهم بالنعوت التي تقتضى التزكية
والثناء كزكى الدين ومحى الدين وعلم الدين وشبه ذلك اه فاذا نادى المناد
بهذا الاسم فقد ارتكب ما لا ينبغي للحديث المتقدم لانه قد زكى الغير وهو
موضع النهي وانت اذا استجبت له صرت مثله لما تقدم ألا ترى إلى ما روى في
الحديث من رواية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلى البروان البر يهدي
إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا
وأيكم والكذب فان الكذب يهدي إلى الفجور وان الفجور يهدي إلى النار
وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا رواه
الترمذي ومنه أيضا عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ملامن تنن ما جاء به وقد ورد

أيضا لا يزال الرجل يفتري الصادق حتى يكتب عند الله صادقا ولا يزال
الرجل يفتري الكاذب حتى يكتب عند الله كاذبا وقد سئل عليه الصلاة
والسلام أي سرق المؤمن قال قد يكون ذلك قيل أيرزى المؤمن قال قد يكون
ذلك قيل أي يكذب المؤمن قال نعم لا يفتري الكاذب الذين لا يؤمنون بآيات
الله وفي رواية قال لا اه وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وقد ورد فيمن انفلتت دابته فلم يقدر على امساكها فاماراه بالخلا فتأقح على
ان العلف فيها فيمسكها انها كتب عليه كذبة يحاسب عليها يوم القيامة مع
انه معذور في ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال وفعله
ذلك من باب صيانة الاترى الى البخارى رحمه الله لما ان رحل من بلاده الى
بعض الشيوخ ليسمع عليه الحديث فلما ان جلس عنده جاء صغيرا يبيع من
موضع فقبط الشيخ يده لكي يظن الصبي ان في يده شيئا يعطيه اياه لياقي
فياخذ ما فيها فقام البخارى رضى الله عنه وتركه ولم يسمع عليه شيئا الا انه رأى
ان ذلك كذب وقدح في الرواية عنه فاذا قال متلاحى الدين او زكى الدين
فلا بد ان يسئل عن ذلك يوم القيامة ويقال له هذا هو الذى احبى الدين
وهذا هو الذى زكى الدين الى غير ذلك فيكف يصكون حاله اذ ذاك حين
السؤال بل حين اخذه بحقيقته فيجدها مشحونة بما تقدم ذكره من التزكية
وقد اختلف علماء وارجحة الله عليهم في معنى الآية المتقدمة وهى قوله تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد هل الملائكة الكرام يكتبون كل ما يلفظ
به الشخص المكلف كان ما كان أولا يكتبون الاما تضعه الامرو النهى وعلى
هذا القول الثانى هى المسئلة التى نحن بسبيلها اذا نهى الله عن شيء
مذمومة فى الشرع الشريف وهى تزكية الانسان نفسه وتزكيت غيره
والكذب ومخالفة السلف رضى الله عنهم فان الله وانا اليه راجعون ولو وقف
امرنا على هذا لكان قريبا ان لو كان سائغا لانه اذا تقرر عندنا ان هذا كذب
وتزكية يرجى لاحدنا التوبة والاقلاع ولكن زدنا على ذلك الامرا الخوف
وهو انا نرى ان ذلك جائز او مندوب اليه بحسب ما سالت لانا انفسنا من ان
الناس اذا خوطبوا بغير هذه الاسماء تشوشوا ومن اجل ذلك وتولد الشبهة
والبغضاء فوضعتهم التزكية المخالصة حتى لا يتشوشوا ولا تولد البغضاء

ولا العداوة لا يجرم ان العداوة والبغضاء والشحناء قد كانت عند بعضهم
وحمل منها أو فر نصيب كل ذلك بسبب هذه البدعة فبقيت البواطن
متنافرة مع الآدهان في الظاهر فأدت هذه البدعة الى الامر بالخوف لان
صفة المنافق ان يكون باطنه ومعتقده بخلاف ظاهره نسو بذاته من ذلك
ولو كانت هذه الاسماء تجوز لما كان أحد أولى بها من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ انهم شعوس الهدى وأنوار الظلم وهم أنصار الدين حقاً كما نطق
به القرآن والخبر كله في الاتباع لهم في الاعتقاد والقول والعمل الا ترى الى
أرواح النبي صلى الله عليه وسلم الاتي اختارهن الله له عليه الصلاة والسلام
واصفاهن لما علم الله سبحانه وتعالى ما فيهن من الشيم الكريمة والاحوال
العالية المرضية لما ان دخل عليه الصلاة والسلام بزيت أم المؤمنين
رضي الله عنهما قال لها ما اسمك فقالت برة فذكره ذلك الاسم وقال لا تزكوا
أنفسكم لما فيه من اشتقاق اسم البر ومعلوم بالضرورة انها ما اختيرت لاسيد
الاولين والآخرين الا وفيها من البر بحيث المنتهى لكنه عليه الصلاة
والسلام كره ذلك الاسم وان كان حقيقة لما فيه من التزكية فقد داسمها
زيت وكذلك فعله عليه الصلاة والسلام مع جويرة أم المؤمنين وجدد
اسمها كما تقدم فسمها جويرية فاذا كره عليه الصلاة والسلام ذلك
في حق من فيه ذلك حقيقة ونهى عنه بقوله لا تزكوا أنفسكم فابالك
بأحوالنا اليوم (ومن) هذا الباب أيضاً ما نرجه أبو داود في سننه عن شريح
عن أبيه هاني رضي الله عنه انه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
قومهم سمعهم يكتفون به أبي الحكم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
الله هو المحكم واليه المحكم فلم يكتفى أباه المحكم فقال ان قومي اذا اختلفوا
في شيء اتوني فحكمت بينهم فرضى كلا الفريقين بحكمي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما أحسن هذا فقال من الولد فقال لي شريح ومسلم وعبد الله
قال فنأ كبرهم قال شريح قال فانت أبو شريح (فان) قال قائل انما هذه
الاسماء مجاز لا عبرة بها وقد صارت أيضاً كاشمساء الاعلام حتى لا يعرف
أحد الايها فقد خرجت عن باب التزكية الى باب اسماء الاعلام كالعباس
وعلى (فالجواب) ان هذا يرده ما نشاهده في الوجود مباشرة وهو أن الواحد

٣ وكان اسمها برة
أيضا كما في اسد
العالية اه

منا اذا قيل له اسم العلم الشرعي كالعباس وعلى تشوش من ذلك على من ناداه بذلك ووجد عليه الحق لكونه ترك ذلك الاسم وعدل عنه الى غيره فهذا يوضح ويبين ان التزكية باقية مقصودة في هذه الاسماء وانها لم تخرج ولم تخرج عن موضعه الذي وضعت له مع انه لو لم يكن فيها الا ~~الحك~~ ذب والتزكية لكان منها عنة لان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التشبه بالاعاجم وهذه الاسماء ما ظهرت الا من قبلهم وقد رأيت لبعض الشيوخ من يقتدى به في العلم والفتوى والدين يقول انه أدرك آباءه ومن كان في سبيله لا يسمون بهذه الاسماء ولا يعرفونها وكان سببها ان التزكية لما تطلبوا الى الخلافة تسموا اذ كان هذا شمس الدولة وهذا ناصر الدولة وهذا نجم الدولة الى غير ذلك فتشوقت نفوس بعض العوام من ليس له علم الى تلك الاسماء لما فيها من التعظيم والفخر فلم يجدوا سبيلا اليها لاجل عدم دخولهم في الدولة فرجعوا الى امر الدين فكانوا في اول ما حدثت عندهم هذه الاسماء اذا ولد لاحدهم مولود لا يقدر ان يسميه بغير لان الدين الا بامر يخرج من جهة السلطنة فكانوا يعطون على ذلك الاموال حتى يسمى ولداً أحدهم بفلان الدين فلما ان طال المداد صار الامر الى الترك فلم يبق لهم بالتسمية بالدولة معنى اذا انها قد حصلت لهم فانتقلوا الى الدين ثم فشا الامر وزاد حتى رجعوا ويسمون اولادهم بغير ما لم يعطونه على ذلك ثم انتقل اليه بعض من لا علم عنده ولا عمل ثم صار الامر متعارفا متعاهدا حتى أنس به بعض العلماء فاطنوا واعياه فان الله وانا اليه راجعون كان الناس يقتدون بالعالم ويقتدون بهديه فصار الامر الى ان يحدث الاعاجم ومن لا علم عنده شيئا فيقتدى العالم بهم فان الله وانا اليه راجعون على عكس الامور وانقلاب الحقائق ألا ترى الى الامام المحافظ النووي رحمه الله من المتأخرين لم يرض قط بهذا الاسم وكان يكرهه كراهة شديدة على ما نقل عنه وصح وقد وقع في بعض الكتب المذكورة اليه رحمه الله انه قال اني لا اجعل احدا في حن من يسميني بمجي الدين وكذلك غيره من العلماء الاعاين بعلمهم وقد رأيت بعض الفضلاء من اشافعية من أهل الخير والصالح اذا حكى شيئا عن النووي رحمه الله يقول قال يحيى النووي فسأته عن ذلك فقال انا انكره ان تسميه باسم كان يكرهه في حياته فعلى هذا

فهذه الاسماء انما وضعت عليهم افقها الا وهم يرمونها من ذلك وقد قال مالك
رحمه الله ولا ينبغي ان يسمى الرجل بيس ولا بجبريل ولا بهدي قيل
فالله ادى قال هذا اقرب لان الهادي الهادي الطريق وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يكره سب الاسماء مثل حرب ومرة وجبرة وحفظلة انتهى ثم العجب
من يسمي بهذه الاسماء في كونهم أكثروا التكبير على مالك رحمه الله في
أخذة بعمل أهل المدينة وكان في القرن الثاني ثم انهم اقتدوا في هذه الاسماء
عن أحدثها في القرن السابع وليسوا بالمدينة بل بالعراق وغيره وقد قال
مالك رحمه الله العمل أثبت من الأحاديث قال من اقتدى به وأنه أضعف
أن يقال في مثل ذلك حدثني فلان عن فلان وكان رجال من التابعين
تباعهم عن غيرهم أحاديث فيقولون ما نجهل هذا ولكن مضى العمل
على غيره وكان محمد بن أبي بكر بن جرير رحمه الله قال له أخوه لم تقض بحديث
كذا فيقول لم أجدها للناس عليه قال النخعي لو رأيت الصحابة رضي الله عنهم
يتوضئون إلى السكوة عين ما توضأت كذلك وأنا أقرؤها إلى المرافق وذلك
لأنهم لا يهتمون في ترك السنن وهم أرباب العلم وهم أحسن خلق الله على
اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يظن ذلك بهم أحد الا ذوريمة في دينه
قال عبد الرحمن بن مهدي السنة المتقدمة من سنة أهل المدينة خير من
الحديث قال ابن عيينة الحديث مضلة الا للفقهاء يريد أن غيرهم قد يحمل
الشيء على ظاهره وله تأويل من حديث غيره أو دليل يخفى عليه أو متروك
أو يجب تركه غير شيء مما لا يقوم به الا من استبحر وتفقه قال مالك رحمه الله
وانما فسدت الاشياء حين تعدى بها ما نزلها وليس هذا المجدل من الدين
بشيء فله ابن يونس ومن البيان والتحصيل قال مالك رحمه الله العلم الذي
هو العلم معرفة السنن والامر الماضي المعروف المعمول به ثم انظر رحمه الله
إلى مكيدة الشيطان في هذه الاسماء وما أوقع فيها من سوء السوء الا ترى
ان الغالب على الاسماء الشرعية ان يكون فيها اسم من أسماء الله تعالى
أو اسم من أسماء الانبياء عليهم السلام أو اسم من أسماء الصحابة رضي الله عنهم
وقد ورد في الحديث عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من أهل بيت فيه اسم نبي الا بعث الله تبارك وتعالى اليهم ملكا يقصدتهم

بالغداة والعشي اه وقد ورد عن الحسن البصري انه قال ان الله اوقف
العبد بين يديه يوم القيامة اسمه اجد او محمدا قال فيقول الله تعالى له عبي
اما استحييني وانت تمصيني واسمك اسم حبيبي محمدا فينكس العبد رأسه
حياء ويقول الله -م اني قد فعلت فيقول الله عز وجل يا جبريل خذ به
عبي وادخله الجنة فاني استحي ان أعذب بالنار من اسمه اسم حبيبي اه
فاذا كانت هذه العناية العظيمة في اسم من أسماء الانبياء فكيف بها في اسم
من أسماء الله تعالى كفي بها بركة انهم ينطقون باسم من أسماء الله تعالى
او باسم من أسماء الانبياء عليهم السلام او اسم من أسماء الصحابة رضي الله
عنهم فتعود عليهم بركتها فلما رأى الشيطان هذه البركة وعمومها أراد ان
يزاها عنهم بعادته الذميمة وشيطنته الكريمة فلم يتمكن ان يراها الا بضدها
وهو ان يكون الاسم يعود عليهم بالضد ثم انه لا ياتي لاحد الا من الوجه
الذي يعرف انه يقبل منه فلما ان كان اهل المشرق الغالب على بعضهم
حب الفخر والرياسة أبدل لهم تلك الاسماء المباركة بما فيه ذلك نحو وعز
الدين وشمس الدين الى غير ذلك مما قد علم فنزل التزكية موضع تلك الاسماء
المباركة ولما ان كان اهل المغرب الغالب عليهم التواضع وترك الفخر
والخيلاء اتي بعضهم من الوجه الذي يعلم انهم يقبلونه منه فأوقعهم في
الالقاب المنهي عنها بنص كتاب الله تعالى فقالوا الحمد لله ولا حمد حمدوس
وايوسف يسودا عبد الرحمن ربحوا الى غير ذلك مما هو معروف معروف
عندهم متعارف بينهم فاعطى لكل اقليم الشيء الذي يعلم انهم يقبلونه منه
وهو ذبا لله من ذلك فاذا كان الاصل هذا فكيف يتبع او كيف يرجع اليه
هذا اذا كان المسلم من التزكية والكذب فكيف مع وجودهما والعالم
اولي بل اوجب ان ينصح نفسه وينصح جالساه واخوانه المسلمين بانظار
سنة والارشاد اليها واجساد بدعة والنهي عنها والتهاون بها ولو لم يكن في
ذلك من الفائدة الا معرفة الذنوب لكان ذلك كافيا والله الموفق فيمتاح
ان يغتنم ما سبق اليه من هذه النعمة الشاملة لانه اذا فعل هذا أو تفرد حصل
له اذالك وصار من المشهود لهم بالجنة ومن لم يهتدوا للمشهود لهم بالجنة
العشرة رضوان الله عليهم ثم اهل بيعة الرضوان رضوان الله عليهم ثم اهل

بدورضوان الله عليهم ثم ما جاء من الافراد المشهورة ولهم بالجنته ثم هذا العالم
الذي هو راقوله عليه الصلاة والسلام من احيى سنة من سنتي قد اُميتت
فكأنما احياني ومن احياني كان معي في الجنة واتى غنيمة أعظم من هذه
ان يكون مشهودا بالجنة وهو في هذا الزمان الجعيب نسال الله تعالى ان
يعيننا على ما يقربنا اليه بمنه وسياق باقي الكلام على كنى الرجال الشرعية
مع الكلام في نعوت النساء في موضعه ان شاء الله تعالى وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(فصل — ل) في اللباس وينبغي له ايضا ان يتحفظ في نفسه بالفعل
وفيمن يجالس بالقول من هذه البدعة التي يفعلها كثير من ينسب الى العلم
في تفصيل ثيابهم من طول هذا الكم والاتساع والكبر الخارج عن
عادة الناس فيخرجون به عن حد السمت والوقار ويقعون بسببه في المذمور
المنهي عنه لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاءة المال ولا يخفى على
ذي بصيرة ان كم بعض من ينسب الى العلم اليوم فيه اضاءة مال لانه قد يفصل
من ذلك الكم ثوب غيره وقد روى مالك رحمه الله في موطائه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ازرة المسلم الى انصاف ساقيه لاجناح عليه فيما بينه وبين
الكعبين ما أسفل من ذلك ففي النار ما أسفل من ذلك ففي النار لا ينظر الله يوم
القيامة الى من جازاه بطرافه فانص صريح منه عليه السلام انه لا يجوز
للانسان ان يزيد في ثوبه ما ليس فيه حاجة اليه اذ ان ماتحت الكعبين ليس
للانسان به حاجة فنه منه وأباح ذلك للنساء فلها ان تجر مرطها خافقها شيئا
أو ذرا عا للحاجة الداعية الى ذلك وهي التستر والابلاغ فيه اذ ان المرأة كلها
عورة الا ما استثنى وذلك في اختلاف الرجال وكره مالك للرجل سعة الثوب
وطوله عليه ذكره ابن يونس وقد حكى الامام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى
الطرموشى رحمه الله في كتاب سراج الملوك والخلفاء قال ولما دخل محمد
ابن واسع سيد العباد في زمانه رحمه الله على بلال بن أبي بردة أمير البصرة
وكان ثوبه الى نصف ساقيه قال له بلال ما هذه الشهرة يا ابن واسع فقال له
ابن واسع انتم شهرتمونا هكذا كان لباس من مضى وانما انتم طوائف ذيوكم
فصارت السنة بينكم بدعة وشهرة اه فتوسيع الثوب وكبره وتوسيع الكم

وكبره ليس للرجل به حاجة فيمنع من لما زاد على الكعبين سواء بشواء وان
كان للانسان أن يتصرف في ماله لكن تصرفا غير تام محجور عليه فيه لانه
لا يملك الملك التمام لانه أبيع له أن يصرفه في مواضع ومنع أن يصرفه في
مواضع فالمال في الحقيقة ليس هو ماله وانما هو في يده على سبيل العارية على
أن يصرفه في كذا ولا يصرفه في كذا وهذا بين منصوص عليه في القرآن
والمحدث أما القرآن فقولہ تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى غير
ذلك وأما الحديث فقولہ عليه السلام يقول أحدهم مالي مالي وايس لك من
مالك الاما كالت فافنيت وماليت فابليت ومات صدقت فابقيت ومن ذلك
قولہ عليه الصلاة والسلام يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد
يرجع أهله وماله ويبقى معه عمله أو كما قال عليه السلام الى غير ذلك فهو
عبد محجور عليه في كل تصرفه فليس له أن يضع المال الا حيث أجزله أن
يضعه اذا أنه متصرف فيه الا يؤذن له فيه وما يفعله لونه من صفة الاتساع
والكبر في الثياب فليس بمشروع اذا أن ذلك ليس به حاجة فيمنع الا ترى
الى ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين لبس ثوبا فوجدكم يزيد
على أطراف أصابعه فطاب شيئا يقطع به فلم يجده فأخذ حجرا وألقى كره عليه
ثم أخذ حجرا آخر فجعل يرضه به حتى قطع ما فضل عن أصابعه ثم تركه كذلك
مدلى حتى خرجت الخيوط ولمنه وتدللت ففعل له في حياطة طمته فقال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل بثوب كذلك ولم يخطه بعد حتى تقطع
الثوب قال ابن القاسم بالغى أن عمر رضي الله عنه قطع كم رجل الى قدر
أصابع كفيه ثم أعطاها فضل ذلك وقال له خذ هذا واجعله في حاجتك قال
ابن رشد رحمه الله انما فعل عمر رضي الله عنه هذا لانه رأى أن الزيادة في طول
الكعبين على قدر الأصابع مما لا يحتاج اليه فراءه من السرف وخشى عليه
أن يدخله منه عجب فابن الحال من الحال فانا لله واننا اليه راجعون وقد
نقل الامام ابو طالب المكي في كتابه قال ومما أحدثوه من البدع ليس الثياب
الكثيرة الاثمان قال وقد كان الساف رضي الله عنهم ثوب أحدهم من
سبعة دراهم الى عشرة دراهم وكانوا لا يجاوزون هذا الا نادرا أو كما قال وأما
الخروج به عن حد السمات والوقار فلا يخفى على ذي بصيرة طالع به كيف

هو مخروجهم به عن زى سائر الناس وتكافهم في جملة ان تركوه مدلى ثقل
عليهم في مشيهم فتقل مرودة أحدهم بسببه فلا يقدر على المشى الكثير بسببه
ولا يقدر على تعاطى قضاء الخواشج بسببه وان رفع يده به احتاج الى حمله
وفي جملة كلفة وان كان يصلى ثقل عليه في صلاته سيما اذا كان يبطانة وتركه
مدلى وان رفع يده به كان حاملة الثقل في صلاته فهو مشغل في الصلاة واذا كان
شغلا في الصلاة فيمنع منه الا ترى انه عليه السلام نهى عن أن يكفت أحد
شعره في الصلاة أو يضم ثوبه وما ذاك الا أنه مشغل في الصلاة فاذا ضم ثوبه حين
الركوع والسجود وقع في هذا النهى الصريح وان لم يضم وتركه على حاله
انفرش على الارض حين السجود والجلوس فيمسك به ان كان في المسجد
ما ليس له أن يمسكه الا ترى الى ما روى عن الصحابة رضى الله عنهم ان
ثيابهم كانت تنقطع من عند مناكبهم أشد تراصهم في صلاتهم لانه عليه
السلام كان لا يدخل في الصلاة حتى يستويهم ويعلمهم ترصيص الصفوف
وكيف هي وكذلك الخلفاء بعده وقد قال ابن حبيب أدركت الناس
بالمدينة ورجال موكلون بالصلاة فان رأوا أحدا صلى في صف والصف الذي
يأيه الى القبلة يحتمل أن يدخله ذهبوا به بعد الصلاة الى الحبس ولانه ليس له
في المسجد الا موضع قيامه وسجوده وجلوسه وما زاد على ذلك فليسائر المسلمين
والمحصر اليوم على ما يعهد ويعلم ولو كانت طاهرة فلا بد لبعضهم من بدعة
هذه السجادة فاذا بسط لنفسه شيئا يصلى عليه احتاج لاجل سعة ثوبه ان
يبسط شيئا كبيرا ليعم ثوبه على سجادته فيمكنه في سجادته اتساع
خارج فيمسك بسبب ذلك موضع رجائين او فخرهما ان سلم من الكبر من
انه لا يضم الى سجادته احد فان لم يسلم من ذلك وولى الناس عنه وتباعدا
منه هيبته اكتم وثوبه وتركهم هو ولم يأمرهم بالقرب اليه فيمسك ما هو اكثر
من ذلك فيكون غاصبا لذلك القدر من المسجد فيقع بسبب ذلك في الحرم
المتفق عليه المتصو من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه قال
عليه الصلاة والسلام من غصب شبرا من ارض طوقه الله يوم القيامة الى
سبع ارضين او كما قال عليه السلام وذلك الموضع الذي امسكه بسبب قاشه
وسجادته ليس للمسلمين به حاجة في الغالب الا في وقت الصلاة وهو في وقت

الصلاة غاصب له فيقع في هذا الوعيد بسبب فاشه وسجادة وزيه فان
بعث سجادة الى الممجد في اول الوقت أو قبله ففرشت له هناك وقعد هو
الى أن يجلي المسجد بالناس ثم يأتي فيتخطى رقابهم فيقع في محذورات سجدة
منها غصبه لذلك الموضع الذي جمعت السجادة فيه لانه ليس له أن يجبره
وليس لاحد فيه الاموضع صلاته ومن سبق كان أولى ولا تعلم احدا يقول
بأن السبق للسجادات وانما هو ابني آدم فيقع في الغصب اول الكونه منع
ذلك الموضع من سبقه فاذا جاء كان غاصبا لما زاد على موضع صلاته بل غاصبا
للموضع كله لانه لما ان سبقه غيره كان أحق بذلك الموضع منه فيكون غيره
هو المتقدم ويتأخر هو فلما ان تقدم على من سبقه كان غاصبا ومنها تخطيه لرقاب
المسلمين حين اتيانهم للسجادة وقد نص عليه الصلاة والسلام على فاعل ذلك
انه مؤذون عن فعله عليه السلام للذي دخل يتخطى رقاب الناس اجلس
فقد أذيت فتهاء وأخبر بأن فاعل ذلك مؤذوق قد ورد كل مؤذوق النار فيقع في
هذا الوعيد والعياذ بالله تعالى فان زاد على ذلك ما يفعله بعض الناس أيضا
من نصب بساط كبير في المسجد لكي يصل عليه هو وبعض خدعه وحشعه ثم
يبسط على البساط هذه السجادة فقد أفسد في المسجد واضع كثيرة غاصبا لما
في كل ما تقدم ذكره مع ما ينضاف الى ذلك من الخيلاء وهذا أمر لو فعله بعض
الاعاجم أو الجاهل بدينهم لوجب على العالم تحذيرهم من ذلك وزجرهم ونهيهم
والاخذ على أيديهم أو وعظهم ان كانوا يخاف شوكتهم فكيف يفعل له العالم في
نفسه ~~كان~~ الناس يقتبسون آثار العالم ويقتدون بهديه ويرجعون عن
عوائدهم لعوائده فاعكس الامر فصار من لا علم عندهم من الاعاجم وغيرهم
يحدثون أشياء مثل هذا وغيره فيسكت لهم عن ذلك ثم يأتي العالم فيتشبه بهم
في فعلهم فكان الناس يقتدون بالعلماء فرجعنا نقف على فعل الجاهل وهذا
السبب هو الاصل الذي تركت منه السنن ظاهرا عنى اتخاذ عوائد يقع
الاصطلاح عليها وعشى عليها فينشأ الناس عليها لا يعرفون غيرها ويتركون
ما وراءها فجاء ما قال صاحب الانوار رحمه الله سواء بسواء وبالك يوم عاشور
العلماء السوء الجاهلة بدينهم جلسوا على باب الجنة تدعون الناس الى النار
يا عمالكم فلا أنتم دخلتم الجنة بفضل أفعالكم ولا أنتم ادخلتم الناس بها بصالح

أعمالكم قطعتم الطريق على المرید وصددتم الجاهل عن الحق فاظنكم قد
عند ربكم اذا ذهب الباطل بأهله وقرب الحق أتباعه اه على انه لم ينقل
عن أحد من مضي أنه كان لعلمائهم لباس يعرفون به غير لباس الناس جميعا
لامزية لهم على غيرهم في الثوب ولا في التفصيل بل لباس بعضهم كان أقل
من لباس الناس لتواضعهم وورعهم وزهدهم ولمعرفة الحق والرجوع
اليه ونقضه لئلا ذلك عند الشرع والعالم أولى من يسادر الى الافضل
والأزج والأزكى في الشرع نعم ان عمر رضي الله عنه قال استحب للفقهاء
ان يكون ثوبه أبيض يعني يفعل ذلك توقيرا للعالم فلا يلبس ثوبا وسخا
ولا قدرا بل نظيفا من الاوساخ ولم يقل أحدا انه يخالف لباس الناس
بسبب علمه وقد كان لما لك رحمه الله ثياب كثيرة يوقر بها مجلس الحديث
حين كان يقرؤه على ما نقل عنه ولم ينقل عنه انه كان في غير مجلس الحديث
الاعلى العادة فقد صح عنه انه كان اذا طلبه الفقهاء للدرس سألهم
ما يريدون فان أخبروه انهم يريدون مسائل الفقه خرج على الحالة التي
يحدونه عليهم الا يزيد على نفسه شيئا وان أخبروه انهم يريدون الحديث دخل
الى بيته واغتسل ولبس أحسن ثيابه وتبخر بالمسك والعود ثم يخرج الى
الحديث ويطلق البخور بالمسك والعود طول مجلسه ذلك حتى يفرغ تعظيما
للحديث ولقد حكى عنه ابن وهب رحمه الله انه كان يوما يحدث ولونه يتغير
ويصفر ويقلون الى ان فرغ المجلس وانقضى الناس خرج الخف من رجله
فاذا فيه عقر بقداسعته سبع عشرة مرة قال فقلت له يا امام ما منعك ان
تخلعه في اول ضربة ضربت فقال استحييت من النبي عليه السلام ان يكون
حديثه بقر او اقطمه اضراصاب بدني أو كما قال فكان تعظيمه الحديث كما
تري وهذا اللباس اليوم لم يجعله لمجلس الحديث بل لمجالس غيره ولو
كانوا في مجلس الحديث فتجدهم يرفعون اصواتهم اذ ذاك وهو مكره لقوله
تم الى لا ترفعوا اصواتكم الآية قال مالك رحمه الله ولا فرق بين رفع الصوت
عليه في حياته او بعد مماته على حديثه فيوقرون بمجالس الحديث في اللباس
ويقللون الادب في رفع الصوت والبحث والانتزاع اذ ذاك على ان الحديث
الذي يقرءونه ينهاتهم عن ذلك اللباس لما تقدم من نهيه عليه السلام

عن اضاءة المال ومن أمره بإزرة المؤمن الى انصاف ساقيه وقد تقدم معناه وما ورد عنه عليه السلام من التاكيد في لبس الحسن من الثياب الا في الجمع والاعياد ولم يرد عنه في ذلك مخالفة لباس الناس افقيه ولا غيره ومجالس العلم اللبس لها اخفض رتبة من الجمع والاعياد وقد جعلت اليوم هذه الثياب للفقهاء كأنها فرض عليه وأنه لا بد للطالب منها ولا يمكن ان يتعدى في الدرس الا بها فان قد يغيرها قيل عنه مهين يتهاون بمنصب العلم لا يعطى العلم حقه لا يقوم بما يجب له فانه كس الامر ودثرت السنة ونسى فعل السلف بفتوى من غفل أو وهم واتباعها وشدايد عايلها لكونها جاءت فيها حفاظ النفس وملكها ذاتها وهي التميز عن الاصحاب والاقربان لأن من لبس ذلك الثوب عندهم قيل هو فقيه فيتميز بذلك عن العوام وهذه درجة لا تحصل له لولم يكن ذلك الا بعد مدة طويلة حتى تحصل له درجة فضيلة تنقله عن درجة العوام فينفس الالبس لتلك الثياب انتقلت درجته عنهم ورجع لموقفا بالفقهاء فان الله وانا اليه راجعون ورجع الفقه بالزى دون الدوس والفهم ولهذا والله أعلم الاشارة من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه بقوله ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ولا ~~كن~~ يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جاهلا فمئلوا فاقهوا وبغير علم فضلوا واضلوا اهـ ومعلوم بالضرورة ان العوام لا يأتون العوام يسألونهم ولا يرأس عامي على آخر من جهة الفقه لكن لما صار الفقه عندهم له غلبة يختص بها فجاء هذا المبتدئ فلبس تلك الخلعة وهو بهدلم يعرف شيئا أو عرف البعض ولم يعرف البعض ورآه العوام على زى من هو عندهم من العلماء في زمانهم فسألوه عن مسائل تقع لهم في دينهم وما عليه من الخلعة بمنعه ان يقول لا أعلم لئلا ينسب الى قلة العلم والمعرفة فيسقط من أعينهم بعد ان حصل عندهم أنه من الفقهاء فتجتمع عليه هذه الدسيسة السمية مع نزغ الشيطان وتسويله وتزيينه فيفتي برأيه ويأمره من المصلحة ويقين مسئلة على غير ما ظننا منه انها مثلها أو تقاربها وليس المحكم كذلك وان كان له منصب فيكون ذلك عليه أعظم فيرتكب الخطور ويدخل نفسه في الخطر ويفتي فيضل بارتكابه للباطل ويضل غيره فخصات هذه المفسدة العظمى

سبب مخالفة السنة في اللباس وهذا امر مجرب عند العلماء مشهور بينهم ان
السنة اذا تركت في شئ لا يأتي ما عمل عوضا منها الا ترك الخير والخير كما
يحذفه في قدمه عليه الصلاة والسلام كما جاء في الحديث الخير بخذا فيره
في الجنة والجنة لا تنال الا من تحت قدمه عليه السلام أعني باتباعه فأن
هذا ما حكى عن عمر رضي الله عنه فيما تقدم وما حكى عنه أيضا انه كان له ثوب
فيه إحدى عشرة رقعة أحدها من آدم وما زال الناس لا يفرقون بين العالم
وغيره الا بحسن هديه وسمة أو حسن كلامه (قال) ابن مسعود رضي
الله عنه العالم يعرف بلبه اذا الناس نامون وبتهاره اذا الناس مغرطون
وببكاؤه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا
الناس يمتثلون وبجزئه اذا الناس يفرحون (وقال) عبد الله بن عمر رضي
الله عنه لا ينبغي له ان يخوض مع من يخوض ولا يجهل مع من يجهل ولكن
يعفو ويصفح اه فانظر رحمك الله الى قول عبد الله بن مسعود وعبد الله بن
عمر رضي الله عنهما هل قالوا العالم يعرف بوسع كفه وطوله ووسع ثوبه وحسنه
بل وصفوه بما تقدم ذكره وذلك بعيد من أوصافنا اليوم كثيرا وكذلك
غيرهما من الحساب والتابعين والعلماء المتقدمين لم يصفوا العالم الا
بمثل تلك الأوصاف قالوا وينبغي للعالم ان يكون لله حامدا وناثقا
شاكرا وله ذاكرا وعليه متوكلا وبه مستعينا واليه راغبا
وبه معتمدا وللاوت ذاكرا وله مستعدا وينبغي ان يكون خائفا من ذنبه
راجيا عفوره ويكون خوفه في صحته أغلب عليه اه فلم يذكر أحدهما
يكون زيه كذا وإيأسه كذا حين كان العلماء على هذا انتفع الناس بهم
ووجدوا البركة والخير والراحة على أيديهم (حكى) لي سيدي أبو محمد رحمه
الله عن شيخه سيدي أبي الحسن الزيات رحمه الله أنه خرج الى بستانه ليعمل
فيه لانه كان من عادته يخرج الى حائطه يعمل بيده واذا ببعض الظلمة
أخذوه مع غيره في السخرة ابستان الساطان فضى معهم وقد يعمل معهم الى
ان جاء الوزير ودخل البستان لينظر ما يعمل فيه فاذا به وقد وقعت عينه على
الشيخ وهو يعمل فطأ طأ على قدميه يقبلها ما ويقول يا سيدي ما جاء بك هنا
فقال اعوانكم الظلمة فقال يا سيدي عسى انك تظلمنا وتخرج فأبى فقال له

ولم قال هؤلاء اخواني من المسلمين كيف اخرجوهم في ظلمكم لا أفعل ذلك
فسأله أن يخرجهم فخرجهم فاني ففقال له ولم ففقال له غدا تأخذونهم أنتم ان
كانت لكم بهم حاجة فلم يخرج من هناك حتى تابوا الى الله تعالى أن لا يستعملوا
أحد من المسلمين ظلما اه فانظر الى بركة زى العالم اذا كان مثل زى الناس
وما يحصل لهم به من الخير والبركة هذا في واحدة فسايا لك بغيرها وبغيرها
فلو كان على الشيخ اذ ذاك لباس يعرف به لم يؤخذ فبكانت تلك البركة تمتنع
على هؤلاء المساكين الذين أخذوا اذ ذاك في ظلم السلطان فانظر رحمك الله
الى هذه الحكاية التي وقعت لهذا السيد الجليل يؤخذ منها الاستعجاب للعالم
أن يكون لباسه مثل لباس سائر الناس لتحصل به المنفعة لآخوانه المسلمين
في هذا وما شا كاه قال الفضيل بن عياض رحمه الله لو أن أهل العلم أكرموا
أنفسهم وشهدوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزل الله تعالى
لخصمت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس وكانوا لهم تبعاء وعز الاسلام
وأهله ولا كنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم
وبذلوا علمهم لآبناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في أيديهم فذلوا وهانوا على الناس
اه فهذه المفاصد كلها ظاهرة بيينة لا يكابر فيها لوجودها حسية مشاهدة
عند الصغير والكبير منافع ما يحصل فيها من المغفرة والمباهاة والخيلاء فإين
هذا ما حكى عن عمر رضي الله عنه حين قدم الى الشام وكان على جبل خطابه
ليف ورحله وزاده تحته ومرتبة عليه فسأله الأجناد أن يلبس ثيابا بيضا
وان يركب برذونا ليرهب العدو بذلك ففعل قلما ان استوى على البرذون
نادى يا على صوته أقبلوا عر عثرته أقالكم الله عثرته فمرجع الى ثوبه وجعله
وقال بالايمن ان اعترزنا فسا كان ذلك سببا لفتح البلاد على ما نقله أهل التاريخ
وكذلك فيما نحن فيه سواء بسواء وانما عز الفقهاء بفهم المسائل وشرحها
ومعرفتها ومعرفة السنن والعمل عليها وتعظيمها وترقيتها وتعليم ما حصل
من بركتها وخيرها ومعرفة البدع وتجنبها وتبيين شؤمها ومقتضاها وظلالها
وما يحصل من المقت لفاعله والمستحقين للقليل منها وتبيين ما يحصل لفاعل
هذا كله من الخير والبركة ومن الواضح لله تعالى والمعرفة به
وخشيته ومعرفة أحكامه والعامل بها قال الله تعالى انما يخشى الله

من عبادة العلماء فجعل عز وجل خلع العمامة الخشية وجعل بعض هؤلاء
خلعة العالم توسيع الثياب والاكمام وكبرها وحبسها وصقلها وان كان
من يحتاج مع العمامة الى طيلسان فتجد بعضهم قد خنق نفسه به ويتفقد
في كل وقت وحين من جوانب خديه أن يكون مال الى احد الجانبين فيظهر
وجهه للناس كانه امرأة مخجبة تخاف ان تبين وجهها للرجال حتى ان
بعضهم لا يفرزالا يرى الطيلسان مع العمامة حتى لا يكشفه الهواء عن رأسه
ووجهه وهكذا تفعل المرأة بالقناع والخمار سواء بسواء تمسك ذلك بالابر
وتحفظ على نفسها أن تنكشف رأسها من قناعها أو يبين وجهها لغير
محارمها وقد وقع النهي عن تشبه الرجال بالنساء وان كان الرداء وردت به
السنة وكذلك العمامة والعذبة ~~لكن~~ الرداء كان أربعة أذرع ونصفا
ونحوها والعمامة سبعة أذرع ونحوها يخرجون منها التلبية والعذبة
والباقي عمامة صلى ما نقله الامام الطبري رحمه الله في كتابه قال الامام
الطرموشي رحمه الله تعالى روى أبو بكر بن يحيى الصولي في غريب الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتلحى ونهى عن الاقتعاط قال ابن قتيبة في
كتاب المحكم قطع الرجل عمامته بقطعها الاقتعاط أي ادارها على رأسه ولم يطلع
بها وقد نهى عنه وكذلك فسر الاقتعاط أبو عبيدة وغيره من أئمة اللغة ومن
مختصر العين الاقتعاط أن يعتم الرجل بالعمامة ولا يتلحى والمقتعطة العمامة
وقد اقتعطها قال القاضي أبو الوليد بن رشد رحمه الله وقد سئل مالك رضي
الله عنه عن المعتم لا يدخل تحت ذقنه منها فذكره ذلك قال القاضي أبو
الوليد إنما كره مالك رحمه الله ذلك لخلافه فعل السلف الصالح رضي الله
عنهم قال الامام أبو بكر الطرموشي رحمه الله اقتعاط العمامة هو التعميم دون
حذك وهو بدعة منكرة قد شاعت في بلاد الاسلام ونظر مجاهد رحمه الله
يوما الى رجل قد اعتم ولم يحتمك فقال اقتعاط كافتعاط الشيطان ذلك عمامة
الشياطين وعمائم قوم لوط وأصحاب المؤتفكات قال عبد الملك بن حبيب
رحمه الله في كتاب الواضحة ولا بأس أن يصلي الرجل في بيته وداره بالعمامة
دون تلحى وأما بين الجماعات والمساجد فلا ينبغي ترك الاقتعاط فان تركه من
بقايا عمائم قوم لوط قال بعضهم وقد شد العلماء رضي الله عنهم الكراهة

في ترك التحنيك قال صاحب الجواهر وفي المختصر روى ابن وهب عن
مالك رضي الله عنهما أنه سئل عن الإمامة يعم بها الرجل ولا يجهلها تحت
حلقه فانكرها وقال انها من عثم القبط فقبيل له فان صلى بها كذلك قال
لاباس وليست من عمل الناس الا أن تكون عمامة قصيرة لا تبلغ وقال
أشهب رحمه الله كان مالك رضي الله عنه اذا عثم جعل منها تحت ذقنه
وسدل طرفها بين كتفيه قال القاضي أبو محمد رحمه الله باب رحمه الله في كتاب
المعونة له ومن المكروه ما خالف زى العرب وأشباه زى الجهم كالتمعيم من غير
حذك قال رحمه الله وقد روى انها عمامة الشياطين وقال بعض العلماء
السنة في الإمامة أن يسدل طرفها ان شاء أمامه بين يديه وان شاء من
خلفه بين كتفيه وقال لا بد من التحنيك في الهيئتين وأما حكم طرف الإمامة
فقد تقدم تظهير العلماء في سدلها ان شاء بين يديه وان شاء بين كتفيه وفي مسلم
وأبي داود والنسائي عنه عليه الصلاة والسلام انه ارخى طرف عمامة بين
كتفيه قال مالك رحمه الله لم أر أحدا ممن أدركته يرخى بين كتفيه الذؤابة
ولكن يرسلها بين يديه ثم العجب من قول بعض المتأخرين ان ارسال الذؤابة
بين اليدين بدعة مع وجود هذه النصوص الصحيحة الصريحة من الأئمة
المتقدمين من السلف فيكون هو قد أصاب السنة وهم قد أخطأوها
وابتدعوها أسأل الله السلامة بمنه قال القرافي رحمه الله ما أفتى مالك حتى
أجازه أربعون محمداً وما حكاها القرافي رحمه الله من ان مالك رحمه
الله ما أفتى حتى أجازه أربعون محمداً دليل على ان العذبة دون تحنيك يخرج
بها عن المكروه لان وصفهم بالتحنيك دليل على انهم قد امتازوا به دون غيرهم
والا فما كان لوصفهم بالتحنيك فائدة اذا السكل محققون فيه وقد كان سيدي
أبو محمد رحمه الله يقول انما المكروه في الإمامة التي ليست بهما فان كانا معافوه
الكمال في امتثال السنة وان كان أحدهما فقد خرج به عن المكروه والله أعلم
فعلى هذا اذا ارخى العذبة وتقع أكل السنة كما لو صحت وأرخى العذبة وقد
نقل عن مالك رحمه الله انهم كانوا يعثمون حتى تطالع الثريا ومعنى ذلك ان طلوعها
انما يكون في زمان الحرف فيزولونها عن رؤسهم ومن فعل مثل هذا في هذا
الزمان كأنه ابتدع بدعة في الدين حتى انهم لم يردون شهادته ويقعون في حقه

بنسبته انه داخل بذلك في جملة المولدين وأنه ليست له مروءة بسبب ما ارتكب
 من ذلك فراجع فعل السلف جرحه في حق من اقتدى بهم وهذا عندهم بخلاف
 من حضر المصاح ودرقص وسقطت عمامته وظهر منه فعل المجانين وما يذهب
 المروءة والمحشمة بالكفاية فانهم لا يسقطونه وربما نسبوه الى الخير والصلاح
 وربما اعتقدوه على ذلك فان الله وانما اليه راجعون (فانظر) رحك الله وايانا
 الى هذه النصوص الصريحة من أئمتنا في العمامة وما تكلموا عليها (ثم) قال
 بعض المتأخرين ان العمامة دون تحريك ودون عذبة جائزة ليست بمكرهه
 واستدل على ذلك بأن اللبس من باب المباح وتركه ومضى (فانظر) الى هذا
 الاستدلال الجيب مع ما تقدم للعلماء فيه من النصوص ومع ذلك فليس
 اللبس من قبيل المباح مطلقا الا ترى ان الفرض منه في حق الرجل ان
 يستتر من سرته الى رصكته وفي حق المرأة ان تستتر جميع بدنها الا الوجه
 والكفين والسنة في حق الرجل ان يستتر جميع جسده على الوجه المشروع
 فيه فهو مطلوب بذلك لاجل الامتثال ثم العمامة على صفتها في السنة كما
 تقدم ذكره والزداعي في الصلاة مطلوب شرعا وكذلك هو مطلوب في الشرع
 بالخروج الى المجمع والاعياد بقباب غير ثياب مهنته فأن المباح المطلق وهذا
 الذي ذكره كله مطلوب في الشرع الشريف ثم لو تنزاعنا معه الى ما قاله انه من
 قبيل المباح فالكل ايضا من قبيل المباح لكن السنة فيه ان يسمى الله تعالى
 عند آوله ويأكل بيئته ولا يأكل بيئته وأن لا ينوش الخبز كاللحم وان يصغر
 اللقمة ويكثر مضغها وان يكون المساء حاضرا وان يحمد الله تعالى عند آخره
 وكذلك في شربه المساء وان كان مباحا وكذلك الدخول الى البيت والخروج
 منه هو من باب المباح والسنة فيه ان يقدم اليمنى ويسمى الله تعالى في
 الدخول والخروج فاذا كان نفس لبس العمامة من باب المباح فلا بد فيها من
 فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمن وقوله بسم الله والذكر الوارد
 ان كان ما لبسه جديدا وامتنال السنة في صيغة التعميم من فعل التحنيك
 والعذبة وتصغير العمامة على ما تقدم بيانه وقد قال علماء نازحة الله عليهم
 في تاركه من السنن والآداب ان الواجب ان يقبح له فعله ويذم على ذلك
 فان أبي ان يرجع والاهجر من أجل ما أتى به من خلاف السنة فكيف يمكن

ان يقول بالجواز دون كراهة مع هذه النصوص وقد قال مالك رحمه الله
 بانني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه على اليمن وانه ارتدى بردة
 وكانت ماوية فاجرت من خافه فقبل له ارفع ارفع فاجرت من بين يديه
 فقال له هكذا الشئ يجعل بغير قدرو وعزله قال ابن رشد رحمه الله اغشا قيل له
 ارفع ارفع لما اجرت خافه لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم
 القيامة الى من جازاره بطراف طول الرداء كروه مخافة أن يغفل عنه فيجره
 من خافه وقد جاء النهي عن ذلك لمن فعله بطراف التوقي من ذلك على كل حال
 من الامر الذي ينبغي وقد قال الشيخ الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله في كتاب
 الاربعين له اعلم ان مفتاح السعادة في اتباع السنة والاقتداء برسول الله
 صلى الله عليه وسلم في جميع مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى في هيئة
 اكله وقيامه ونومه وكلامه لست أقول ذلك في آدابه فقط لانه لا وجه
 لاهمال السنن الواردة فيها بل ذلك في جميع امور العادات فيه يحصل الاتباع
 المطلق كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى
 وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك بأن تتسرع في قاعدا
 وتعمم قائما وتاكل يمينك وتعلم اظافرك وتبتدي بمسحاة اليد اليمنى وتختتم
 بأبهامها وفي الرجل تبتدي بخنصر اليمنى وتختتم بخنصر اليسرى وكذلك في
 جميع حركات وسكناتك فإلقد كان محمد بن اسلم لا يأكل البطيخ لانه لم تنقل
 كيفية اكله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهوا أحدهم فلبس الخف
 وابتدأ باليسار فكفر عنه بكر حنطة فلا ينبغي أن تتساهل في امثال ذلك
 فتقول هذا مما عاقى بالعادات فلا معنى للاتباع فيه فان ذلك يغلق عنك بابا
 عظيما من ابواب السعادات اه قال المروى في غريبه قال النضر بن شميل
 السكر بالبصرة ستة أوقار وقال الازهرى السكر ستون قفيرا والقهيز ثمانية
 مكاتيك والسكر صاع ونصف وهو ثلاث كيلجات فالسكر على هذا
 الحساب اثنا عشر وسقا كل وسق ستون صاعا اه (فان) زاد في كبر العمامة
 قليلا لاجل حرأ وبرد فيساح فيه والذؤابة لم يكونوا يرسلون منها الا القليل نحو
 الذراع أو اكثر منه قليلا لا اقل منه قليلا وقد ورد في الطيلسان أنه ربة
 بالليل ومذلة بالنهار وقد ورد ان احبار اليهود اغشا كانوا يعرفون في زمان

نبينا صلى الله عليه وسلم بصفة هذا الطيبان اليوم فيكون ذلك تشبيهاً بهما
ومن البيان والتحصيل قال مالك باغنى أن سكة بنت حسين أوقاطمة بنت
حسين رأت بهض ولدها مقنعا رأسه فقالت له اكشف عن رأسك فإن القناع
ريبة بالليل ومذلة بالنهار وقال مالك وأما من تقنع من حر أو برد فلا بأس
بذلك قال ابن رشد رحمه الله المعنى في هذا بين لأنه إذا تقنع بالليل استريب
منه مخافة أن يكون تقنع أسوء ويريد أن يفعله من اغتيال أحد أو شبه ذلك
وإذا تقنع بالنهار لم يكرمه من لقيه ولا وفاء حقه ولا عرف منزلته واضطره إلى
أضيق الطرق وذلك اذلال له ومن كتاب مختصر العين والمقنعة ما تقنع به
المرأة رأسها والقناع أوسع منها ومن صحاح الجوهرى والمقنعة والمقنعة
بالكسر ما تقنع به المرأة رأسها والقناع أوسع من المقنعة ومن النهاية لابن
الاثير أن أس موضع القناع قال وفي حديث بدر فأنكشفت قناع قلبه فمات
قناع القلب غشاؤه تشبهاً بقناع المرأة وهو أكبر من المقنعة ومنه
حديث عمر أنه رأى جارية عليها قناع فضربها بالذرة وقال أتتشبهين
بالحرائر وقد كان يومئذ من لباسهن اه فمات قلبه دليل على أن المقنعة
والقناع معاً يختصان بالمرأة وأما قناع الرجل وهو أن يغطي رأسه بردائه
ويرد طرفه على أحد كتفيه فهو مكروه لأنه يختص بالنساء إلا من ضرورة كحر
أو برد على ما تقدم من قول مالك رحمه الله أو غير ذلك من الاعتذار والرداء
هو السنة وهو أن يجعله على كتفيه دون أن يغطي به رأسه فإن غطى به رأسه
صار قناعاً كما تقدم وأما الطيبان الممهور في هذا الزمان فيكره ما ساق تقدم
ذكره فإن كان لضرورة كحر أو برد فلا بأس به لكن بشرط أن لا يتكاف
هذا التكاف الذي يفعله بعض الناس اليوم فيه وما لم يخرج به إلى حد
هذا الكبير الشنيع وكذلك العمامة أيضاً والبقية بار ٣ الذي يرسلونه بين
أكفهم لا بأس به بشرط أن لا يكون حراً خالصاً ولا غالبه ولم يخرج به إلى
حد هذا الكبير وأن ينظر إلى عطفه في كل وقت وحين فيعده لأن هذا إنما
ينبغي للمرأة أن تنظر إلى لباسها وزينتها وتمد بها لأنها محل الشهوة فالزينة
والتعديل لها زيادة للرجل في باعث الشهوة لها وذلك بخلاف الرجل فيكفيه
من الزينة لباس المحسن من الثياب لا غير دون أن يخرج به إلى ما يفعله النساء

٣ قوله والبقية
المخ في القساموس
البقية كالكبير
مرد تشق فتلبس
بلاكين كالبقية

من الزينة والتعديل الخارج عن عوائد من مضى من الرجال أو لبس حرير
أو غير ذلك مما يفعله بعض من ينسب إلى العلم اليوم فتجدكم أحدهم له سجايف
من حرير نحو شير وكذلك في أذيال ثوبه وذلك سرف ونحوه وانما يجوز من
الحرير في ثوب الرجل الخيط الرقيق وذلك قدر الأصبع على المشهور
من مذهب مالك رحمه الله والخلاف مشهور معروف إلى كمال أربعة
أصابع وكثير من بعضهم يجسد سراويله قد نزلت عن حد الكعبين وهو
موضع النهي سواء لبسوا ويوسعون ذلك كثيرا ويخذونه من أرفع القماش
حتى تكشف العورة بسببه من وجهين لأنه لا بد له أن يتخفف في بيته
وخلوته مع أصحابه والسرار إلى لا تستمر لفة قاشه فالبشرة ظاهرة من تحتها
وكذلك إذا وقف يصمم ركبتيه وهو قاعد أو اضطجع ورفع ركبتيه فإنه قد
تسكف العورة أيضا لسهة كنه وهذا بين مشاهد مرئي وكذلك أيضا
ما يفعله بعضهم من الطرز في أكاف ثوبه فتجدهم يرفع الطيلسان من كتفيه
ويشهره خيفة على الطرز أن يتخبا عن الناس فلا يرونه وهذا من فعل
النساء وزينتهن فهو تشبيه بهن وانما أبيع ذلك للمرأة لوجهين أحدهما
ما تقدم من أنها محل الشهوة والثاني أنها ناقصة كما جاء في الحديث أن كثر
ناقصات عقل ودين فأبيع لمن الحرير والقطن بالذهب والفضة وغير
ذلك لضعفهن وأما الرجل فهو محل السكال فقد كلف الله تعالى وزينه
فقاله ولزينة الناقصات فكل ما يفعله مما ذكرنا من ناقص من كمال
زينته التي زينها الله بها وأما المالم فقد زاده الله تعالى كمالا على كمال
وزينه وتوجه بتأج الرئاسة الحقيقية فباله ولا زينة بالرياسة بالقماش
بل هي عاهة وآفة أنت على الزينة التي زينها الله بها فيجب عليه أن يتوب
ويرجع إلى الله تعالى منها قبل أن يدركه الموت فلا يجده سيرا لك وانظر
رحمنا الله تعالى وإياك إلى ما جرت إليه بدعة هذه الالبسة التي جعلوها
علامة على العقية فكيف جرت إلى محرم اتفاقا وهو أن بعض المخاييلين
من أهل الله والعب إذا عملوا الخيال بحضرة بعض العوام وغيرهم في بعض
الآوقات يخرجون في أئناسهم ماعية يسمونها بآية القمامي فيلبسون زيه
من كبر العمامة وسعة الأكمام وطولها وطول الطيلسان فيردصون به

ويذكرون عليه فواحش كثيرة ينسبونها اليه فيكثر ضحكك من هناك
ويستخزون به ويكثر ون النقوط عليهم بسبب ذلك فلو أنهم اتبعوا السنة
المطهرة لسلوا من هذه الالهانة التي تقدم ذكرها فان المتبع للسنة المطهرة
أعزه الله تعالى وحماه عن ذلك في كل موطن سوء حتى لو وقع فيه أحد لكان
محاربا لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام وكثر التشجيع عليه وأخذ
على يده ولم يترك لشي من ذلك اذا الجنب رقيق جدا لا يتحمل الدنس نعم انما
يحتاج العالم ان يتزين ويزين مازينه الله به بالزهد في الدنيا والتمسك بها
واطراحها وترك البهائم بها وليس الحشن وأكل الغليظ والمهرب من الدنيا
ومن زينتها ومن ابتسأهم النصيحة لهم والرغبة في الآخرة والاقبال عليها
وطاها والعمل عليها ومحبة أهلها وخدمتهم والنصيحة لهم والتواضع لهم
وما أشبه ذلك هذه هي زينة العالم التي تزينه وترفعه وتعظمه وتريد رياسته
بسببها ويرتفع قدره ويعلم أمره ويظهر علمه ويتقرب به وواضع له من يراه
ويسمع به من سلطان أو أمير أو عامي ألا ترى الى ما يحكى عن الامام أبي محمد
عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله من هيبته الامراء والولاة والعوام
له مع جلوسه في الدروس وغيرها مرة بكاونة على رأسه ومرة بقاء الى غير ذلك
ما يحكى عنه فلم يزد ذلك الارتفاع وعزالاته بانه قد ذكره من الاوصاف
المجيدة وما يقوله أهل الوقت من استباحة ما يلبسونه من هذه الثياب ان
ذلك بفتواه فان كان استنادهم في ذلك الى فتواه فهو غلط محض وخطأ صراح
ووقوع في حقه بما لا ينبغي وادعاء عليه بشئ لا يميزه ولا يرضاه لنفسه ولا
لأحد من اخوانه المسلمين يبين ذلك ويوضحه جوابه في فتاويه المنسوبة اليه
رحمه الله لما ان سئل فيها فقيل له هل في لبس هذه الثياب الموسعة الاردان
والعمائم الكبيرة بأس أو بدعة تستعقب توبيخا في القيامة والمبالغة في تحسين
الخياطة والزينة والتضرع بلبسها هل الورع أم لا فأجاب رحمه الله بما هذا
نصه الاولى بالانسان ان يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في
الاقتصاد في اللباس واقرارا توسيع الاكمام والثياب بدعة وسرف
وتضييع للمال ولا تجاوز الثياب الا عقاب فما زاد على الا عقاب ففي النار
ولا بأس بلبس شعائر العلماء من أهل الدين ليعرفوا بذلك فيستلوا فاني

كنت محرماً فأنكرت على جماعة من المحرمين لا يعرفونني ما أخذوا به من
آداب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت على الطائفين
ما أخذوا به من آداب الطواف معوا وأطاعوا فان لبس شعرا الفقهاء لمثل
هذا الغرض كان فيه أجراً لأنه سبب إلى امتثال أمر الله والانتفاء عما نهى الله
عنه وأما المبالغة في تحسين الخبثاة وغير ذلك فن فعل أهل الرعونة
والالتفات إلى الأغراض الخبيثة التي لا تليق بأولي الأسباب والله أعلم
بالصواب اه (فانظر) رحمك الله وإيانا بنظر الانصاف في جواب هذا العالم
هل فيه شيء يبيح ما ذكره معاذ الله ان يفهم عنه ذلك من هذا الكلام
الترى انه قدم في أول كلامه بأن قال عن ذلك بدعة وسرف وتضييع للمال
فبعد أن قدم هذه القاعدة وصرح بها حينئذ قال ولا بأس بلبس شعرا
العلماء من أهل الدين ليعرفوا بذلك فتحفظ أولاً بدكر البدعة والسرف
واضاعة المال ثم تحفظ ثانياً بقوله العلماء من أهل الدين فلو قال العلماء وسكت
لكان للمنازع فيه طريق مما إلى الميل إلى غرضه الخسيس فلما ان وصف العلماء
بقوله من أهل الدين أزال الاحتمال بالكلية لان العالم اذا كان ذا دين لم يسامح
نفسه في ارتكاب شيء من المنكر وهات ولأني ترك شيئاً من المندوبات على ما قد
علم واستقر من أسرارهم سابقاً وخلفاً انقلا عن من مضى ومباشرة فيمن يباشره منهم
وبعائنه فاذا كان حاضراً في المندوب والمنكر وه على ما ذكر فكيف يرتكبون
المحرم الممنوع وقوله ولا يختلف أحد من العلماء في أن اضاعة المال والسرف
ممنوعان محرمان لا قائل منهم بغيره فكيف يأتي العالم الدين يقع في محرمات
ثلاث وهي البدعة والسرف واطاعة المال هذا ما لا يتعقل لاحد فاحاصل
من أحوالنا لبسة تلك الثياب وتعلقنا بقوله ولا بأس بلبس شعرا العلماء
من أهل الدين ورأيت لبعض من ينسب اليوم إلى العلم والدين بلبس تلك
الثياب فقلنا هذه تلك الثياب جهلاً من باب أهل الدين والعلم منهم وصفهم
(وانظر) رحمك الله وإيانا إلى حال من تعلقوا بفتواه وما جرى له حين سأل
السائل فلم يكن معه في الطريق شيء فقطع نصف حمامته ودفعها ثم مر
وسأله آخر فاعطاه النصف الآخر فقال له بعض من معه خذها متى فأتى
عليه فقال له يا سيدي انك كذا بين الناس مكشوف الرأس فلم يرد عليه

جواباً وشي لسبيله وشق الطريق من باب زويلة الى ما بين القصرين والناس
يتزاحون عليه ويستفتونه ويتبركون به فلما ان جلس في المدرسة قال ان
أراد ان يعطيه العمامة لمن جاء الناس يستفتون اليك أو كما قال فكيف
يحتاج من هذا حاله ان يقرب اليه شيء مما استباحوه في هذا الوقت ولهذا المعنى
وما شابهه قال رزين رحمه الله ما أتى على بعض العلماء من المتأخرين الا لوضعهم
الاسماء على غير سميات لان لباس العلماء كان على وجه معروف فمن مضى
على ما تقدم ذكره عنهم ثم تغير ذلك وصار لباسهم اليوم على ما عهد فجاء هذا
العالم فقال لا بأس بلبس شعار العلماء من أهل الدين فظن من سمع هذا المقال
ان هؤلاء هم العلماء المذكورون وان هذه الثياب هي المراد وليس الامر
كذلك بل المراد من تقدم من العلماء ولباسهم ومن اقتدى بهم من المتأخرين
فوقع الاسم على غير مسمى فوقع ما وقع بسبب وضع الاسماء على غير سميات
(وانظر) رحمه الله واياتنا الى قوله في تحسين الخياطة وغير ذلك انه من فعل
أهل الرعونة والاتفات الى الاغراض الخبيثة مع ان تحسين الخياطة ليس
فيه حظ بل من قبيل المباح ثم ذكر فيه ما ذكره فكيف يكون المحرم المتفق
عليه يديعه أو يستعبه أو يهككون ذلك من شعار العلماء ذلك بعيد عن
الصواب ولا يتعقل لذوى الالباب والذي تكلم عليه رحمه الله وشنع أمره
وأعظم القول فيه انما هو تحسين الخياطة فكيف به اليوم ترى هذه الازياق
وهذه التضاريب وهذه السجف التي رجعت اليوم كلها حبراً الخرقه والخيط
معافيان واتضح بطلان ما نسبوه الى هذا الامام ان كان تعلقهم بفتواه وان
كان تعلقهم بفتوى غيره فذلك لم يوجد وان وجد هذا فخذول على الثوب
النقي التنظيف الشرعي الذي ليس بمحرم ولا مكروه لان من ثبتت عدالته
لا يمكن ان يحمل ما ينقل عنه الا على الوجه الجائز ليس الا ومن لم تثبت
عدالته فلا سبيل ان يرجع الى نقله لانه لا يؤمن على الدين وقد تقررت قواعد
الشريعة والمحمد لله وعرفت فأي من خالفها عرف بذلك في قوله وعمله والله
الموفق (وقد) حكى عن الشيخ المحافظ الجليل أبي عبد الله القرماني رحمه الله
تعالى في هذا لباس أشياء كثيرة لا يأخذها حصر لكن نشير الى شيء منها
ليستدل بها على ما عداها فتم اذ كررناه انه كان في بيته يعمل له ثوبه ولم يجد

شيئا باليسه فليس ثوب زوجته وجلس يشغل ولده حتى تفرغ امه من غسله ثم
احتاج الى خبز البجين في القرن فاعذ الطبق على يده والولد على ذراعه
الاخر ونرج لان يخبز واذا بالمرأة محجوزة لقيته فطلبت منه اداء شهادة عند
الحاكم فذهب معها في الوقت وهو على تلك الحالة والبجين على يده وولده
على ذراعه حتى جاء الى القاضي وجماعة الشهود عنده فأدى الشهادة فقال له
القاضي وما جالك على ان تأتي على هذه الحالة فقال له غسالت ثوبي ولم أجد
شيئا اليسه فلبست ثوب الزوجة وصككت أشغل الولد عن أمه ثم احتجبت
الى الخبز فخرجت لأخبر فلفيتني هذه المرأة وطلبت مني اداء الشهادة وهي
واجبة على نفي أنه لا يطول العمر فسادرت الى خلاص الذمة وبعدها
أدرك قضاهما حتى فردا العاضى رأسه الى العدول فقال لهم أفبكم من
يقدر أن يفعل مثل هذا فقد ألوا لا فقال وابن العدالة وكذلك غيره من العلماء
متقدمهم ومتأخرهم مع ان علماء المغرب الى الآن لا يعرفون ثياب الدروس
ولا يعرفون عليها فالحمد لله الذي بقى من الامر بقية تعرف في بلاد المغرب
العالم الكبير المرجوع اليه في الفتوى والمسل في النوازل الذي يحضر عنده
من الفقهاء الجمع الكثير اذا قعد لا تحسد الدروس لا يعرف من بينهم بل هو
أقامهم لئلا ياله لأنه أرهدهم وأورعهم فله وأقلهم تكافأ من الدنيا ويرى يخرج
للسوق لشرايط جته بيده لانهم لا يتخذون لأنفسهم خادما ولا يتبرون عبدا
ولا يتخذون مراكوبا بل يعمل أحدهم حابته بيده ويرى الجمع في يده الحضرة
والسكانون واللحم والجبن وغير ذلك ويرى أتمام القاضي بجماعته ليستفتيه
في بعض النوازل وهو على تلك الحالة في السوق فيقف معهم ويفتيهم وهو
على تلك الحالة ثم يرجعون ويأمره والى بيته وليس فيهم من يجسر على ان
ياخذ من يده شيئا أو يعشى معه اتقاء على خاطره وعملا على ما يحتمساره منهم
واذا تفرق الناس عنه من الدرس خرج وحده لا سبيل الى من يتبعه اتقاء
على خاطره (وقد) كان سيدى أبو الحسن الزيات رحمه الله اذا خرج من أخذ
الدروس ووجد عند باب المسجد بعض الجماعة ينتظرونه يسألهم ما تريدون
فان أخبروه أجابهم وان لم يكن لهم حاجة يسألهم أى طريق تريدون فيخبرونه
بالطريق التي يريدونها والى كى يشاءوا معه فيقول هو أنا مضى من هذه

الطريق غير الطريق التي يريدونها فيبعد على نفسه الطريق وكذلك ان كان
 مارا بالطريق فلقية أحدها له وقف معه حتى يجيبه فان اراد ذلك الشخص
 ان يمشى معه سأل أي طريق تريد فيقول له الشخص هذه الطريق للطريق
 التي يرى الشيخ مارا اليها فيقول هو وأنا أريد هذه الطريق الطريق غير تلك
 وربما رجع الى الطريق التي أتى منها ويبعد على نفسه خوفا منه رجه الله
 ان يوطأ عقبه أو يقال عنه وقد كان سيدي أبو محمد رجه الله يخرج للسجود
 والدرس بما تيسر من اللباس ولا يقصد لذلك لباسا معينا الا ما كان
 من الاعياد والجمع وكان يخرج في زمان الصيف بقميص خام غليظ يصل الى
 نصف ساقه أو نحوها والباس الى نصف ساقه وعلى رأسه طاقية طاق واحد
 وعند بل أو خروقة يجمعها على أكفاه حين الصلاة ثم يزيلها اذا فرغ منها
 ويجمعها بين يديه وان كان في زمن الشتاء زاد على ذلك دقاوا احدا
 فابطا وفوطا تساوي سبعة دراهم أو نحوها وعمامة خمس طيات أو نحوها
 وكان رجه الله يخرج علاء المساء من البحر بيده ثم يأتي به الى بيته فان لقيه
 أحد وسأله ان يحمل عنه أبي ذلك عليه الا أن يحلف فيبر قسمه وتحن اليوم
 عكس هذا سواء به وانه ليس هذه الخراج المتقدم ذكرها لعل ان تنسب
 بسببها الى العلماء ولعل أن يسمع منا ويرجع اليها في حنوطا نفسنا واما اخذ
 العلم النافع منا والافتداء بنا في الخير فبعبدا لامن رحم ربك وان وطئ أحد
 عقيمنا ومشى معنا ترى له تلك الحرمة وننظر له في المصلحة بتزيل أو غيره من
 المنافع كل هذا سببه حب الرياسة منا والخطوة وايتار انظر ورعى الخمول
 ومحبة القيل والقال والجاه وما فعلناه والذي يذهب ذلك كاه عنا ويأتي
 بضده لا ترى الى ما ورد في الاثر ما من آدمي الا وبرأسه حلقة مثل حكمة الدابة
 يبرم لك فان تواضع رفعه الملك وقال له ارفع رفعك الله وان ارفع مع ضربه
 الملك وقال له اضع وضعك الله أو كما قال مع ان العالم انما يزينه ما تقدم
 ذكره مع زيادة الفضيلة بمعرفة مذاهب الناس واختلافهم والشاركة في
 فنون العلم واللباس الحسن على زى ما يغلونه اليوم لا مدخل له في العلم بل
 يزيل بهجته ويكون سببا الى ضدهما يورثه العلم من الوقار والهيبة والسكون
 ولو كانت الزينة تزيد في العلم شيئا لم يجز على يوسف عليه السلام ما جرى

لأجل حسن وجهه الذي هو خالقة خلقه الله عليه السلام عبارة لأنه على ما روي أنه أيمس في ولد آدم عليه السلام أجل من يوسف عليه السلام بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأندسجن وضيق عليه من أجل حسن وجهه بعد أن وقف على برأته بالشاهد الذي أنطقه الله بتصديقه وبيان برأته وبعد إقرار امرأة العزيز بها هي التي راودته عن نفسه فاستعصم فحبس بعد ذلك كله لحسن وجهه قال الله عز وجل ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسبحنّه حتى حين فبدل قوله تعالى على أنه سجن بغير ذنب له لـ حسن وجهه وليغيّبوه عنها وعن غيرها فطال في السجن حبسه حتى إذا عبر الرؤيا وقف الملك على علمه ومعرفة فاشتاق إليه وغب في صحبته قال عز وجل وقال الملك انتوني به استغصمه لنفسى وكان هذا القول من الملك عند ما وقف عليه من علم يوسف ومعرفة قبل أن يسمع كلامه فلما ان دخل عليه وسمع كلامه وحسن عبارته صيره على خزائن الأرض وفوض إليه الأمور كلها فتم أمانها وصار يمين الملك كأنه من تحت يده فكان هذا الذي باخه صلى الله عليه وسلم بكلامه وعلمه لأبحسنه ولا يحسماله قال الله عز وجل فلما تكلم قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجهاني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم ولم يقل اني حسن جميل قال الله عز وجل وكذلك مكنا يوسف في الأرض يتبوا منها حيث يشاء فوالله ما يبالي المرء على هذا بحسن وجهه أو قبحه ولا بحسن ثوبه وكفه كان ما كان لا منفعة في ذلك كله وإنما الذي يشينه عدم علمه وسوء فهمه والذي يزينه كثرة علمه وجودة فهمه قال عليه الصلاة والسلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولا ~~يكن~~ ينظر الى قلوبكم مع انه لم يرد عنه عليه الصلاة والسلام انه كان له لباس خاص لا يلبس الاياه بل كان عليه الصلاة والسلام يلبس ما تبسّر من غير أن يتكلف فكان يخرج بالقانسوة والعمامة والرداء وربما خرج بالقانسوة والعمامة دون الرداء وربما خرج بالعمامة والرداء دون القانسوة وربما خرج عرياً من الجميع على ما نقله الامام الطبري رحمه الله في كتابه قال ابن رشد رحمه الله والقانس ما كان اهما ارتفاع في الرأس على أي شكل كانت اه وقد لبس عليه السلام القباء والضيق من الثياب والواسع منها وكذلك

العصابة والتابعون ولم يرد عنه عليه السلام ولا عن أحد منهم صفة هذه
 الثياب التي في وقتنا هذا والعالم أولى من يطالب بالاتباع والافتداء والفضائل
 ولولم يكن في ذلك من النقص شيء إلا أن صاحب تلك الثياب لا يتصف
 بالتواضع غالباً والتواضع أصل في الدين كبير وإن كان يزعم في نفسه
 التواضع فالتواضع في النفس دعوى بغير حقيقة ولو كان صادقا في دعواه
 التواضع لظهر في اتباعه أسلفه في اللبس وغيره وإن كان ليس ذلك منه حرمة
 للعالم ليس إلا واعتقد أن حرمة العلم إنما تظهر بتلك الخلعة فهذا أمر يجب عليه
 أن يتوب منه ويستغفر ويعترف بخطائه لأن اعتقاد ذلك ازدراء بالمسكينين
 إذا لم يرفعوا ذلك أصلاً فيكون هو أعرف منهم بأقامة حرمة العلم وهم
 لا يعرفون كيف يقيمون حرمة فيكون هو أعرف من سالفه وأفضل (وانظر)
 رحمة الله إلى هذه المفسدة التي وقعت بهذا اللباس كيف جرت إلى حرمان
 تعلم العلم فلم تدر أيت وبأشرفت من له أولاد يريد أن يشغلهم بالعلم فلم فيمتنع
 عليه ذلك لأجل قلة ذات اليد لا يتدر أن يحصل لأحد منهم تلك الثياب التي
 اصطالحوا عليها ولا يتدر على ولد أن يحضره بحباس العلم بغيرها فقر كوا تعلم
 العلم لأجل ذلك وهذا هو المقصود الأعظم لا ليس وجوده إذا كان العلم به
 يخالف إبليس ويتركه يطاع فأى مفسدة أعظم من هذه فتنبه لها وسبب هذا
 كله والوقوع فيما وقعنا فيه من قلة العلم والفهم إذا أنه لو كان لنا علم وفهم لعرفنا
 أن الفضائل والخيرات أن تقدم وأن ذلك لا يوصل إليه إلا باتباعهم فإذا
 خالفناهم فما يحصل لنا إلا النقص والعياذ بالله قال ابن رشد رحمه الله تعالى
 كان العلم أولاً في صدور الرجال ثم انتقل إلى جلود الأضان وبقيت مفاتيحه
 في صدور الرجال وكان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول وقدوات المفاتيح
 وإن وجد مفتاح فقل أن يكون مستقيماً أه وأما الآن فتدعى بمدت
 المفاتيح في الغالب وقد صارت العلوم عند بعضهم بحسن الثياب وطولها
 ووسعها (وانظر) رحمة الله إلى هذه المفسدة التي ترتبت على هذا اللباس
 ما أشنعها الآن العلم كان مصاناً مرفعاً معظم لا ينسب إليه إلا أهله المتصفون
 به فلما ان بسوا له خلعة يختص بها بقي يدهيه من ليس عنده علم بل
 منغموس في الجهل واختلط على المسلمين العالم مع العاصي لا يفرقون بينهم

جواب لو محذوف
 تقديره لكناه
 ردعا وزجرا اه

حتى لقد قيل لبعض هذول هذا الوقت المشهورين تيمم عن جرح أصاب يده
 ليجمع بين الماء والتيمم على مذهب امامه الشافعي رحمه الله فسمع أصابعه
 الجريح في حائط وقال هذا التيمم ظنا منه ان ما قاله في شرح التيمم ويتيمم
 عن الجريح ان ذلك هو المراد بالتيمم عنه فلو بقي العلماء على ما كان عليه
 سافهم في هدى العالم وسعته وزهده ورعه وتنشقه وخوفه وقلة وهربه
 والاعراض عن الدنيا وأبنائها وحسن منطقه وعذوبة عبارته وقوفه
 على باب ربه ودعوى الناس الى ذلك وتواضعه واشغافه عالميا بأهل زمانه
 متحفظا من ساطانه ساعيا في خلاص نفسه ونجاة مهجته مقبلا بين يديه
 ما يقدر عليه من عرض دنياه يحسها هذا النفس في ذلك ما استطاع ويكون أهم
 أموره عنده الورع في دينه واستعمال تقوى الله تعالى ومراقبته فيما أمر به
 ونهاه عنه فلو بقي العلماء على بعض هذا المحفظ بهم العلم وتميز أهلهم من غيرهم
 ولكن تباطؤا فحفظ الامر واندرس وصار لا يعرف العالم من العامى لتقارب
 النسبة بينهم في التصرف والحال فتجد لباس بعض العوام كلباس العالم
 لا يدخل نفسه في منصب لا يستحقه ولا يعرفه وتجد تصرف العالم في بيعه
 وشراؤه وغير ذلك كتصرف العامى الذى لا يعرف شيئا من الامر والنهى
 وآياته كما فيه من الجائز والمكروه والممنوع والمباح وفي الدروس جاره الى
 اللسان ليس الا وأما عند التصرف الذى هو موضع الفائدة فقل ان تجد
 اذذاك أحدا منهم في الغالب يقوم بشئ مما ذكره بلسانه في درسه فالعارف
 عند بعضهم اليوم بمسائل الفقه المأهولة باللسان دون التصرف
 أعنى في الغالب ألا ترى ان أحدهم يقعد يبحث في مسألة من مسائل البيوع
 ويحرر فيها النقل من العلماء بالمنع أو الكراهة وينقض تلك الأكام اذذاك
 ويضرب على الحصير ويقيم الغبرة التي تحت يده يقوم من محاسنه ذلك فيرسل
 الى السوق من يقضى حاجته العبد الصغير والصبي الصغير والمرأة ومن
 لا يعرف شيئا ولا قرأ في السوق ما يعلم من العوام الجاهلة بما يلزمهم في سلعهم
 من الأحكام وما يحل ويحرم ومن أين تدخل عليهم المغاسد ومن أين يدخل
 عليهم الربا فيقع البيع من جاهل والشراء من مثله هذا هو حال بعضهم والا
 فالغالب منهم يباشرون شراحوأئبهم بانفسهم ولا يرجون على شئ مما

ذكره العلماء سيما على مذهب الشافعي رحمه الله في كونه لا يجوز البيع الا
 بالايحاب والقبول وذلك معدوم بينهم في الغالب بل مذهب مالك رحمه الله
 في ذلك معدوم بينهم وهو قريب لانه يجوز اذا عدم الايجاب والقبول
 ما شاركتهم في الدلالة على الرضا الباطني من قول أو فعل فصد به ذلك
 فتكفي المعاطاة وهو أن تعطيه ويعطيك على خلاف فيه مذكور في كتبهم
 وكذلك بيع الاستئمان والاسترسال على خلاف فيه أيضا وهو أن تقول له
 بعني كيف بعث فهذا وجهان سهلان قريبان ومع هذا التساهل
 والترخيص فالغالب عليهم تركه على ما يشاهد من بعضهم مباشرة من شراء
 حوائجهم على يد العبد والصبي ومن لا يعلم وفي السوق أيضا مثلهم من لا يعلم
 كما تقدم فقد يخرقون الاجماع بسبب التعاطي في الشراء والبيع ان كانوا
 اكثروه أو لا من وجه حل فهو يرجع الى المحرام البين وأما ان كان الكسب
 أيضا فيه شيء من المفاسد فتجوز على قبح وسبب هذا كله حب الرياسة والحياة
 من الناس أن يروه يبيع ويشترى ويحمل الحاجة بنفسه فيكون ذلك
 وضعاً من حقه بالنسبة الى زمانه وأما دخول الاسواق وشراء الحاجة باليد
 ومباشرتها فهي السنة التي لا اختلاف فيها فبقيت عندهم اليوم كأنها عيب
 كما صار الثوب الشرعي عندهم عيباً أيضاً بالنسبة الى ثيابهم ونخلهم
 أعاذنا الله من البلاء منه فهذه سنة ماضية فيها وجوه من الحكمة عديدة
 منها التواضع ومنها المثال السنة في قضاء حاجته بيده ومنها لقاء اخوانه
 المسلمين ومباشرتها واغتنام بركة بعضهم وارشاد الباقين ومنها النظر
 في تصفية الغذاء وتخليصه من الربا والمحرام والمكر وه وما لا ينبغي ومنها
 ذكر الله تعالى في موضع الغفلة سيما في وقتنا هذا تقدم ذكره على
 ما سيأتي بيانه في نية الخروج الى السوق وعددها وكيفيتها ان شاء الله
 تعالى (وقد) كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب بالدرية من يقعد
 في السوق وهو لا يعرف الاحكام ويقول لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربا
 أو كما كان يقول وقد أمر مالك رحمه الله باقامة من لا يعرف الاحكام من
 السوق لئلا يطمع الناس الربا (سمعت) سيدي أبا محمد رحمه الله يذكر أنه أدرك
 بالمغرب المحتسب يمشي على الاسواق ويقف على كل دكان فيسأل صاحب

الدكان عن الاحكام التي تلزمه في ساعه ومن أين يدخل عليه الربا فيها وكيف
 يتحرز عنها فان اجابه ابقاءه في الدكان وان جهل شيئا من ذلك أقامه من
 الدكان ويقول لا تخمك ذلك انك تقعد بسوق المسلمين تطعم الناس الربا أو مالا
 يجوز انتهى الا ترى انه قد ذهب ببعض العلماء الى أنه يكره ان يستظل بجدار
 صير في مع ان الاحكام كانت اذ ذاك مظاهرة جليلة لمعرفتهم بالاحكام فعلى
 هذه الفتوى اليوم يحرم ذلك على الاطلاق غالباً لله بل بالاحكام وتصرف
 البائع والمشتري بما لا ينبغي في جل البياعات فالحكم في الجميع اليوم حكم
 الصير في اذ ذاك على ما تقدم (فانظر) رحمك الله وايانا كيف كان العوام
 في هذا الزمن القريب منا وكيف حال العلماء اليوم وما بين الزمانين أم دطائل
 فان الله وانا اليه راجعون سنة فيها وجوه من الحكم عديدة صار العالم منها
 يستقى من فعلها ويحتشم من الدخول فيها كل هذا سببه الرجوع الى العوائد
 في التصرف والملبس وترك النظر الى قواعد الشرع والى فعل الماضين من
 فضلاء المتقدمين

(فصل في القيام) وينبغي له أيضاً ان يتحرز في نفسه بالفعل
 وفيمن جالسه بالقول من هذه البدعة التي عمت بها البلوى وكثر وقوعها عند
 الصغير والكبير منا ممن يعرف العلم ومن لا يعرفه أعنى في الاكثر الامن
 وفقه الله وقابل ما هم به وهذا القيام الذي اعتاد به بعضنا البعض في المجالس
 والمسافل لانه لم يكن من فعل من مضى والخبر كماله في الاتباع لهم في القول
 والفعل والمحررة والسكون سيما ان كافي مجلس علم فهو أشد في الكراهة لانه
 لا بد وأن يكون يذكرا أقوال العلماء فاذا دخل أحد علينا اذ ذاك قطعنا
 ما كافيه وهنا الى من دخل علينا فان كان الداخل صبيا صغيرا أو شابا أو من
 لا بال له في دينه فيكون أعظم في قلة الادب مع العلم الذي حكينا اذ ذاك قوله
 أو مذهبه فان كان مجلسنا اذ ذاك للمحدث فهو أعظم لانه قلة أدب مع النبي
 صلى الله عليه وسلم وقلة احترام وعدم مبالاة ان يقطع حديثه لأجل غيره
 فكيف لبدعة نعوذ بالله من ذلك (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم
 يوقرون مجلس الحديث حتى في رفع أصواتهم يستغيثون ان يرفعوها اذ ذاك
 لقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم الاثمية قال مالك ولا فرق بين رفع الصوت

عليه في حياته أو على حديثه بعد مماته بل كانوا لا يقطعون حديثه ولا
يقصرون وإن أصابهم الضر في أبدانهم ويحملون المشقة التي تنزل بهم
اذذاك احتراماً لحديث نبيهم صلى الله عليه وسلم وقد تقدم بعض صفة توقيرهم
للحديث كيف كان وما جرى لما لا رجة الله في أسع العقرب له سبع عشرة مرة
وهو لم يقصر عنه وتحملة لاسعها توقيراً بجانب حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن
يكون يقرأ وهو يقصرك أضر أصاب بدنه مع أنه معذور فيما وقع به فكيف
بالحرمة والقيام اذذاك لا ضرورة بل بسدعة سيما أن انضاف الى ذلك ما لا
يتنبى من الكلام المعتاد في سلام بعضنا على بعض من التماس والتركية والائمان
بوجود المحبة وحلول البركة واحناء الرأس وركوعه بل يقرب بعضهم من
السجود بل يفعلونه لبعض كبرائهم ومشايخهم أعاذنا الله من بلائه بمنه وقد
روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رجلاً يقول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله الرجل منا يأتي أخاه وصديقه أينحنى له قال لا
قال أفيأتمره ويقبله قال لا زاد رزين إلا أن يأتي من سفره وهذا فيه وجوه
من المحذورات منها ارتكاب النهي في التشبه بالأعاجم وقد شئنا أن نبيننا صلى
الله عليه وسلم عن التشبه بهم وقيام بعضنا لبعض من فعلهم ومنها أن فيه
اذلالاً لا قائم واذلالاً لا لاقوم اليه أما اذلال القائم فقيامه حصلت له الذلة وأما
المقوم اليه فلائه يخط اذذاك ويقبل يده أو يشير الى الأرض بالتقريب
أو غير ذلك مما يباشر بعضنا من بعض وذلك اذلال محض لا يرتاب فيه ولا يشك
وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن أن يذل نفسه ومنها الخلف بالله
اذذاك وقد كان السلف رضوان الله عليهم يوقرون الخلف كثيراً وكثيره
لغير ضرورة من البدع الحادثة بعدهم واليمين هنا غير ضرورة بل كان
بعضهم يوقران يذكرون اسم الله تعالى الاعلى سيدل الذكرك حتى اذا اضطروا
في الدعاء الى من أحسن اليهم بالمكافأة له يقولون جزيت خيراً خوفاً على اسم
الله تعالى أن يخرج على السنن بغير صفة الذكرك ومنها ما يحصل من حرمان
بركة السنة عند الاقام بالسلام المشرع أو المصالح المشرعة لما رواه
أبو داود في سننه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافيان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا ومنه

أيضا عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقى
المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفرا فغفر لهما وذكرا ابن يونس في كتابه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من صافح طالما صافح كاتفا صافح نبييا مرسل
انتهى وقد ورد في السلام من الفضل والترغيب ما هو مشهور معروف
كفي به أنه اسم من أسماء الله تعالى ينطقون به على السننهم على سبيل
الامتثال والتشريع فيكون بسببه من الذكركين وقد ورد في الحديث
الصحيح اخبارا عن رب العزة عز وجل يقول من ذكرني ذكرته وأنا جليس
من ذكرني فيحصل لهم هذا الخير العظيم والنعمة الشاملة والغالب أن
السلام المثاروع اذذاك بيننا متروك وكذلك المصافحة فان وقع منا السلام
كان قولنا بصلك الله بالخير مسالك الله بالخير يوم مبارك ليلة مباركة وذلك
كله من البدع والمحادثات وان كان دعاء والدعاء كله حسن لكن اذا لم
يصادم سنة كان مباحا او مندوبا بحسب الواقع والنية واما ان صادم سنة
فلا يمتنعون في منعه لان علماء نارجمة الله عليهم قد اختلفوا في البدع هل تمنع
مطلقا وهو مذهب مالك واكثر اهل العلم او لا تمنع الا اذا عارضت السنن
وهو مذهب الشافعي ومن تبعه وهذا من القسم الذي عارض سنة لانه ترك
السلام الشرعي بسببه وأحل القيام والدعاء محله ولا فائز به من المسلمين فان
قال العالم مثلا أنا أفعل ذلك بعد السلام فجوابه ان العوام يقتدون به
في البدع وهم لا يعرفون السنة فيظنون ان تلك هي السنة التي ارتكبوها
وان وقعت المصافحة يبتذل اذذاك كان عوضا عنها تقبيل اليد وقد وقع
انسكار العلماء لذلك فان كان المقبل يده طالما او صالحا او هماما فانكره
مالك في المشهور عنه وأجاز غيره وأما تقبيل يد غيره هذين فلا يعرف أحد
يقول بجوازه لاسيما اذا انضاف الى ذلك أن يكون المقبل يده طالما او يدعي
أو ممن يريد تقبيل يده ويختاره فهو والدام العضال الواقع بالفاعل والمفعول به
وعن أعجبه ذلك منهم ما ورد في ذلك من الوعيد نعوذ بالله من المخافة وترك
الامتثال كل هذا سببه ترك السنة أو التهاون بشئ منها لانها لا تترك أبدا الا
وينزل بموضعها عقوبة لا تترك أبدا علة أو بدع قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ما من سيئة الا ولها اخيات وقد قال مالك رحمه الله بالغنى ان عمر بن

المخاطب رضى الله عنه نزل بالايطح فنظر الى القمر ليلة البدر فقال ان كل شئ
 اذا تم نقص وان هذا القمر قد تم فهو وينقص بعده هذه الليلة وانى لا ارى
 الاسلام الا وقد تم وانى لا اراه الا وسينقص قال القاضى ابو الوائدين رشد
 رجه الله فكان الامر قى الاسلام على ما قاله رضى الله عنه ما زال ينقص الى
 يومنا هذا وهو بعد فى نقص كما سبق فى ام الكتاب اسأل الله العصمة برحمته اه
 وقد روى البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال ما من عام
 الا والذى بعده شرمته سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن
 عباس رضى الله عنهما ما من سنة الا وتحبون فيها بدعة وتبغون فيها سنة ولن
 تميتوا سنة فترجع اليكم ابدا وها هو ذا ظاهرين الا ترى انهم لما تركوا الاسلام
 وهو السنة واستعملوا القيام والدعاء صاروا الاسلام عند ذلك كانه منكرا لا يعرف
 حتى لو سلم عليهم احد الاسلام الشرعى اشق عليهم فعله وقالوا عنه لا ينصف
 فى الاسلام ما ينادى احد عنده شيئا لا يعابا باحد لا يلتفت الى احد منكم كبر
 لا يعاشره تحبب لا يخالط وان حسنوا الظن به قالوا مربوط يابس مشدد ثقيل
 ولربما وجدوا عليه فى قلوبهم ولم يقربوه من انفسهم ولا من محاسنهم خنقا
 عليه فيما عايناهم به فصار ما مدح الله عز وجل واثنى عليه بقوله تحية من
 عند الله مبارككة طيبة من عاماهم بذلك وجدوا عليه فان الله وانا اليه
 راجعون على ترك السنن والمجهول بها والمحرمان من بركاتها وبركة معرفتها
 وبركة معرفة اهلها وكذلك ايضا الوافى بالمصاحفة الشرعية وترك تقبيل
 اليد لوجدها عليه بمثل ما وجدوا على من قبله او اكثر ولهذا المعنى وما
 نحونا نحوه قال عليه السلام تحذيفة كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة
 قالوا ترك سنة وقد تقدم معنا فيكون هذا العالم يتحزن من هذا الامر كله
 ويتفطن له ويرعاه اذ هو راع ان حضره وكله راع وكله مستول عن رعيته
 فحصل فى هذا القيام وما جرى اليه من الخصال المذكورة وممة شرطا ما هذا
 عدده وهى محبة القيام وفعله والانحناء والركوع والكذب بالالفاظ التى
 اصطلحوا عليها فيما بينهم من التزكية والتلقى وتكرار ذلك واليمين عليه
 وتكرارها والمداهنة وهو ان يظهروا كل واحد منهم خلاف ما يبطن والتكبر
 بذلك والاحتقار لمن لا يقام له والربا بالقيام وما جرى اليه وذلك اثنتا عشرة

خصله أعادنا الله من بلائه عنه وليحذر أن يغتر ويعمل إلى بدعة لدليل قام
 عنده على إباحته من أجل استئناس النفوس بالعوائد أو يقتوى مفت قد
 وهم أرنسي أو جرى عايه من الإهذار ما يجري على البشر وهو كثير بل إذا
 نقل إباحة شيء من هذه الأمور عن أحد من العلماء فينبغي للعالم بل يجب
 عليه أن يتطرق إلى ما أخذ العالم المسئلة وجوازها إياها من أين اخترعها وكيفية
 إجازته لها لأن هذا الدين والحمد لله محفوظ فلا يمكن أن أحدا يقول فيه قولا
 ويتركه بغير دليل ولو فعل ذلك أحدا لم يقبل منه وهو مردود عليه إلا أن تكون
 قواعد الشرع تشهد بصحته فيرجع للقواعد والدلائل القائمة ويكون قول
 هذا العالم بآنا وتفهيمها وبسط الله قواعد الدلائل وإن أتى على ما يقوله
 بدليل فينظر في الدليل فإن كان موافقا قبل وكان له أجران أجر الاجتهاد
 وأجر الإصابتين كان مخالفا لم يقبل وكان له أجر واحد وهو أجر الاجتهاد
 وذلك راجع إلى نيته وجده ونظرة الأنرى أن مالكا وجهه الله لا يأتى
 بمسئلة إلا وياقى بأخذها ودليلها فيسندها إلى الكتاب العزيز أو إلى حديث
 النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى إجماع أو إلى أقوال العلماء أو قتا أو يسم أو
 أحكامهم فيقول وعلى ذلك أدركت أهل العلم بذلك أو بذلك حكم عمر بن
 الخطاب وبذلك حكم عمر بن عبد العزيز وبذلك أفتى سعيد بن المسيب وبذلك
 كان ربيعة يفتى وكان ابن هرمز يفعل كذا ويقول كذا إلى غير ذلك من
 الآثار الرواية عنه في إسناده كل مسألة يرددها إلى أصاها ويعزوها إلى
 ناقها والمفتى فيها أو المنفرد فيها أو إجماع الناس فيها هذا مع أن الأئمة
 المجمع على تقليدهم قد استفاض عنهم وشاع وذاع شهادتهم له بالقدرة وقد
 سمى إمام دار الهجرة وكذلك غيره وغيره من العلماء المتقدمين إذا أتوا بمسئلة
 ذكرها وأخذها إلا أن يكون مأخذها بيانا جادا لا يحتاجون إلى ذكرها كثيرة
 وضوحه للعالم من الناس فإذا كان هذا دأب العلماء المتقدمين المجمع
 على جواز تقليدهم فكيف المتأخر الذي لم يصل إلى هذه الدرجة (فإذا) تقرر
 هذا وعلم فانرجع إلى ما كتبت بديله من أمر القيام وأنه لم يكن من فعل من مضى
 وقد وقع لبعض المتأخرين من الفضلاء أنه من القسم الجائز والمندوب واللف
 عليه تأليفه في إباحته وتنبه وحاول ذلك وأنكر أن يكون من القسم المسكروه

وبعمل التأليف الذي ألفه على بابين الباب الاول فيما ورد من الاحاديث
في الترغيب لذلك والندب اليه والباب الثاني فيما ورد من النهي عن ذلك
والاستعذار عنه فمن ينظر هذا الكتاب او يقف عليه عن لم يحصل من العلم
ما يعرف به ما اخذ المسائل يظن انه كما قال من القسم المجازا والمندوب فحتاج
اذن ان ننظر الى ما اخذ دليله واستباحته فان كان على القواعد وشهدت له
الاصول قبلنا وسلمنا وان كان على غير ذلك فحتاج ان نبين كيفية الامر في
ذلك وما المجاز منه وما المندوب وما المكروه منه وما الممنوع (وقد) نقل هذا
المتأخر رحمه الله آية واحاديث جملة على جواز القيام أو الندب اليه (فعلى)
هذا نحتاج ان نأتي بملك الادلة واحدا واحدا ونبين معنى كل دليل وأنه
دليل على القواعد لا للحوال بعد بيان ما اخذ دليله وايضا حقه من أي قسم
ظاهر لك الصواب فاسلكه والله يرشدنا واياك لطريق السداد ويصن لنا اياك
طريق المجد والعناد وأن يرزقنا واياك الانصاف والاتصاف به في القول
والعمل والاعتقاد (فيبدأ) رحمه الله هذا الكتاب فقال قال الله تعالى واخفض
جناحك للؤمنين قال ومن المخفض لهم والاكرام ان يحترموا بالقيام لا على
طريق الرياء والاعظام بل على طريق التكرم والاحترام وعلى هذا يستمر من
لا يحمي من علماء الاسلام وأهل الصلاح والورع وغيرهم من الاماثل
والاعلام فالذي يختار القيام لأهل الفضل والمزية من أهل العلم وطبائمه
والوالدين والصالحين وسائر اخيار البرية فقد جاءت بذلك جملة من الاخبار
وأنا اذكر ان شاء الله الكريم بجملة ما بلغني فيما ذكرته ليس يدل به على ما سواها
ما اخذفته وذلك من الاحاديث النبوية وأقارب السلف النبوة المحكمية
اخرج الأئمة عن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه واللفظ للبخاري ان انا
نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فارس الى رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم فجاء على حمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم قوموا الى خيركم
او الى سيدكم وقد اجمع العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم على القيام
بهذا الحديث فمن اجمع به ابوداود في سننه فترجم له باب ما جاء في القيام
وكذلك ترجم له غيره ومن اجمع به الامام ابوالحسن مسلم صاحب الصحيح
رحمه الله قال لا أعلم في قيام الرجل للرجل حديثا صحيح من هذا قال وهذا

القيام على وجه البر لا على وجه التعظيم انتهى (فانظر) رحمك الله الى هذه
السنة من هذا الامام في الاستدلال بالآية على القيام والمحاطب بها النبي
صلى الله عليه وسلم وامتة منذ رجوعه في الخطاب والله يقول في كتابه
لتبين للناس ما نزل اليهم مع ان النبي صلى الله عليه وسلم اول من يبادر الى
امتثال امر الله فهل يتقبل رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول
هذه الآية هل قام لاحد او امر بالقيام لاحد مع انه ندب عليه الصلاة والسلام
الى تنزيل الناس منازلهم فهل بعد ندبه لذلك كان يقوم لتنزيل الناس
منازلهم بل بعد نزول هذه الآية عليه عليه الصلاة والسلام وندبه الى تنزيل
الناس منازلهم كان خفض جناحه لهم بالتواضع والتنازل عن الدرجة العالية
التي وهبها الله تعالى وأكرمه بها الى مخاطبة الضعيف الفقير في دنياه
أو الفقير في إيمانه فيبسط لهم ويؤانسهم بحديثه ومباشرتهم بذلك بنفسه الكريمة
وبعائه وتهذيبه وتوقيته يقين هذا وإيمان هذا وتدريبهم الى الثقة بوعده الله
ومعهونه وما وهب لا وإيائه وما توعد به أعداءه هذا وما شابهه هو والذي نزل
عنه عليه السلام من خفض جناحه بعد نزول الآية عليه لا القيام وهو عليه
السلام المبين للأحكام وعنه تتأق وعنده نزول الآية عليه وقت البيان
وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز وكذلك ندبه عليه السلام الى تنزيل
الناس منازلهم انما هو من هذا القليل الذي ذكر فيما طف بالكبير في دنياه
في تبين الأحكام عليه وما يجب عليه وما يجب له مع اظهار البشاشة اليه
والشفقة عليه والمودة والآنس والبسط بالكلام الطيب والدنو من المنزلة
المقربة للكل كلامه والمباسط له وكذلك أيضا من كان كبيرا في دينه بسبب
صلاح أو علم أو هماما في طاف به أكثر من ذكر قبله أعنى في الانس والدنو
والبسط له لأن منزلة الدين أعظم من منزلة الدنيا فيه عظم في إكرامه على ما ورد
لا يزيد على ذلك لانه عليه الصلاة والسلام المبين للأحكام فافعله مقسرة
ومبينة لأقواله وأحاديثه والكتاب الله تعالى وما احتوى عليه من أمره
ونهييه فيمثل قوله وأمره عليه السلام على ما أمثله عليه السلام في حق نفسه
المكرمة ومع أصحابه وعلى ما أمثله أصحابه بعده (وأما) قوله بعد ذلك وعلى
هذا استمر من لا يهوى من علماء الاسلام الفصل الى آخره فلو ذكر رحمه الله

هذا وسكت لكان يخطر للسامع الذي لم يحصل بعد شيئا ان هذا الذي ذكره هو السنة ولكنه رجه الله لم يقتصر على ذلك بل أتى بذكر العلماء والصلحاء والغتاه وذكروا ما هم واستنادهم الى ما ذكر وعين ذلك عنهم وبسط وظهر الامر للمالم وغيره ثم ذكر **أولا** الحديث المتفق على صحته وهو قوله عليه السلام قوموا الى خيركم أو الى سيدكم فهذا الحديث لا ينافي في صحته وهو بين في القيام كما ذكر (والجواب) عنه من ثلاثة أوجه الوجه الاول ان النبي صلى الله عليه وسلم خص في الحديث الامر بالقيام للانصار والاصل في افعال القرب العموم ولا يعرف في الشرع قرينة تخص بعض الناس دون بعض الا أن تكون قرينة تخص بعضهم فتعم كما هو معلوم مشهور فلو كان أمره عليه السلام بالقيام من طريق البر والاكرام لكان عليه السلام اول من يبادر الى ما ندب اليه وهو المخاطب خصوصا بخفض الجناح وأتمه وهو ما قلنا لم يقم عليه السلام ولا أمر بذلك المهاجرين ولا فعلوه بعد أمره عليه السلام للانصار بذلك دل على انه ليس المراد به القيام للبر والاكرام اذ لو كان ذلك كذلك لاشترك الجميع في الامر به وفي فعله واذا كان ذلك كذلك فيحمل أمره عليه السلام بالقيام على غير ذلك من الضرورات المحوجات لذلك وذلك بين في قصة الحديث وبساطه وذلك ان بني فريظة كانوا نزلاء على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه وكان سعد بن معاذ اذا ذاك خلفه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة في المسجد - دمه قلابا بجراح لم يملك نفسه ان يخرج وترك له النبي صلى الله عليه وسلم يحوزا تخذمه فلما ان نزلت بنو فريظة على حكمه ارسل النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فأتى به على دابة وهم يسكرونه عينا وشعالا لا يقع عن دابته فلما ان أقبل عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار اذ ذلك قوموا الى خيركم أو الى سيدكم أي قوه وافانزلوه عن الدابة وقد ورد معنى ما ذكر في رواية أخرى وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالقيام اليه لينزلوه عن الدابة ارض به انتهى لان عادة العرب جرت ان القبيلة تخدم سيدها فخصهم النبي صلى الله عليه وسلم بنزوله وخدمته على عادتهم المستقرة بذلك (فان) قال قائل لو كان المراد به ما ذكرتم وهو الانزال عن الدابة لا أمره عليه السلام بذلك من يقوم بتلك الوظيفة وهم ناس من ناس فلما ان جمعهم

دل على ان المراد به الجميع اذ ان بعضهم نزول الضرورة الداهية الى نزوله
فالمجواب انه عليه السلام فعل ذلك على عادته الكريمة وشعائله اللطيفة
المستقيمة لانه عليه السلام لو نخص احدا منهم بالقول والامر لكان في ذلك
اظهارا لمخصوصيته على غيره من قبيلته فيحصل بسبب ذلك لمن لم يأمره انكسار
خاطر في كونه لم يأمره بذلك وكانت اشارته عليه الصلاة والسلام او نظره
او امره عندهم من اكبر المخصوصية فأمره عليه السلام لم يبدل ذلك هو ما تصفنا
منه عليه السلام ان ينكسر خاطر احدهم او يتغير في كان ذلك في حقهم
مثل فرض الكفاية من قام به اجزاء من الباقيين فهذا الذي ينبغي ان يحصل
عليه الحديث لا قرآن التي قارنته وهي هذه وما تقدم من ان افعال القرب
تعم ولا تخص قبيلة دون أخرى وقد اختلفت الرواية في أمره عليه السلام
بذلك هل كان للانصار خصوصا وهو المشهور اولها جرين والانصار وما وقع
من المجواب بعم القبيلتين وغيرهما (الوجه الثاني) انه غائب قدم والقيام
للغائب مشروع (الوجه الثالث) انه عليه السلام أمرهم بالقيام اتهمته بما
خصه الله به من هذه التوايه والكرامة بهم دون غيره والقيام للتهمته
مشروع وقد قال الشيخ الامام ابو الواليه بن رشد رحمه الله في البيان
والتحصيل القيام للرجل على اربعة اوجه وجه يكون القيام فيه محظورا
ووجه يكون فيه مكرها ووجه يكون فيه جائزا ووجه يكون فيه حسنا
فاما الوجه الذي يكون فيه محظورا لا يحسن فيه وان يقوم اكارا وتعظيما لمن
يجب ان يقام اليه تكبرا وتجييرا على القائمين اليه واما الوجه الذي يكون
القيام فيه مكرها فهو وان يقوم اكارا وتعظيما واجلالا لمن لا يجب ان يقام
اليه ولا يتكبر على القائمين اليه فهذا يكره للثلاثة بقدر المجابرة وما يغشى
ان يدخله من تغيير نفس المقوم اليه واما الوجه الذي يكون القيام فيه جائزا
فهو وان يقوم تحلة واكارا لمن لا يريد ذلك ولا يشبه حاله حال المجابرة ويؤمن
ان تتغير نفس المقوم اليه لذلك وهذه صفة معدومة الا من كان بالنبوة
معصوما لانه اذا تغيرت نفس عمر رضي الله عنه بالدابة التي ركب عليها فن
سواء بذلك اخرى واما الوجه الذي يكون القيام فيه حسنا فهو وان يقوم
الرجل الى القادم عليه من سفر فرحابة قدومه ليسلم عليه أو الى القادم عليه

سروراً بنعمة أولاد الله أياها لهنته بها أولادهم عليه مصاب بمصيبة ليعزیه
بمصابه وما أشبه ذلك فعل هذا يخرج ما ورد في هذا الباب من الآثار
ولا يتعارض شيء منها انتهى وحاصل ما ذكره أن كل أمر ندينك الشرع أن
نحكي إليه لا مرحدث عنده مما تقدم ذكره أو ما أشبه ذلك فلم تفعل حتى قدم
عليك المتصف بذلك فالقيام إليه اذذاك عوض عن المشي الذي فات والله
الموفق للصواب فقد حصل القيام له ودرى الله عنه من القسم المندوب
لهنته بما أولاد الله تعالى من نعمته بتلك التوايه المباركة (وأما) قوله
وقد احتج به هذا الحديث العلماء والفقهاء (فقد) ذكر رحمه الله
من احتج به وهو أبوداود ومسلم وهذا ليس فيه حجة لأن الحديثين دأبهم أبداً
في الحديث هذا وهو أنهم ينظرون إلى فقه الحديث فيقبولون عليه
ويذكرون فوائده في تراجمهم جملة من غير تفصيل كما قالوا في البخاري
رحمه الله جل فقهه في تراجمه وكذلك غيره من الحديثين ولا يتعرضون في
غالب أمرهم إلى التفصيل بالجواز والمنع أو الكراهة أو غير ذلك انما شأنهم
سياق الحديث على ما هو عليه والفقهاء لا يتعرضون لذلك كله الا ترى أن
أبداً ودرى الله عنه قد يقرب على غير هذا الحديث وهو الحديث الذي وقع
التهنى فيه عن القيام فقال باب كراهة القيام للناس بل يؤخذ من ترجمته
وتبويبه على الحديثين أن فقهه اقتضى منع القيام لأنه لما أن ذكر الحديث
الذي يستدل به على القيام لم يقل باب ما جاء في فضل القيام ولا استحباب
القيام ولا جواز القيام بل قال باب ما جاء في القيام ولم يزد ولما أن ذكر الحديث
الآخر قال باب كراهة القيام للناس فيلوح من نحوه خطابه أنه يقول
بالكراهة ولا يقول بالجواز وهذا كله بين واضح والله أعلم وإذا لم نقبل
بقبحوى الخطاب ولم نأخذ منه الحكم فلا سبيل إلى أن نحكم بأنه أخذ بأحد
الحديثين وترك الآخر لا بقرينة والقرينة قد دلت على ما ذكر والله الموفق
(وأما) قوله أخرجه الإمامان البخاري ومسلم واللفظ لم عن عبد الرحمن بن
عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده كعب رضي الله عنه في حديث
تويته الطويل المشهور وقد ذكره إلى قوله وانطلقت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى دخلت المسجد واذ برسول الله صلى الله عليه وسلم جالس

حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صالحنى وهناني والله
 ما قام الى رجل من المهاجرين غيره ولا انساها لطلحة اه (استدل) رحمه الله
 على القيام بقول طلحة بن عبيد الله كونه قام اليه وهو في الحقيقة دليل على
 المنع بل لا يعطى الحديث ونصه غير ذلك ببيان ذلك انه لو كان القيام
 مندوبا اليه اذ ذلك او مشروعا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليتركه لانه اول
 من يبادر الى ما شرع صلى الله عليه وسلم او يندب اليه ولم يكن من جالس
 اذ ذلك مجهول هذا المندوب او المجتاز حتى لم يفعله احد منهم فان قال قائل
 قد قام طلحة بن عبيد الله بحضرة عليه السلام ولم ينهه وهذا وقت البيان
 وتأخير لا يجوز فالجواب انه قد بين في الحديث وصرح فيه بالقيام لا شيء
 شيء كان وهو كونه قام لتهنئته ومصالحته فكأن قيامه اثنان معان وهي
 البشارة والمصافحة والتهنئة ولم يكن لنفس القيام اذ لو كان لصرح به كما
 صرح بغيره ويدل على ما قلناه انه لم يقم غير طلحة بن عبيد الله وما ذلك الا ان
 السنة مضت على ان التهنئة والبشارة والمصافحة تكون بين الناس على قدر
 المودة بينهم في المعرفة والمخالطة والممازجة بخلاف السلام فانه مشروع على
 من عرفت وعلى من لم تعرف فقد يكون طلحة بن عبيد الله بينه وبين كعب
 ما ذكره كان ما صدر منه لاجل زيادة المعرفة على غيره وهذا ما لوم من
 الشريعة الحميدة امر قد تقرر وهو ان الناس لم يتساووا في كثرة المودة
 وتأكد المحقوق فرب شخص له حق واحد وآخر له حقان وآخر له ثلاثة
 حقوقي الى ما هو أكثر من ذلك ألا ترى ان الجار له حق الجوار ليس الا ان
 كان ذميا فان كان مسلما كان له حقان فان كان صاحبا كان له ثلاثة
 حقوقي فان كان مهنرا كان له أربعة حقوقي فان كان قريبا كان له خمسة
 حقوقي فان كان صديقا صاحب سر كان له ستة حقوقي فان كان صاحب
 رأى ونظر في العواقب ولا يخرج عن رأيه ويرجع اليه كان له سبعة حقوقي
 فان كان مشاركا في محاسن علم كان له ثمانية حقوقي فان كان مشاركا في سبب
 من الاسباب كان له تسعة حقوقي فان كان صالحا كان له عشرة حقوقي فان
 كان عالما كان له أحد عشر حققا فان كان يدلي بقراءة بين كان له اثنا عشر
 حققا الى غير ذلك وهو متعدد كثير فاذا كان ذلك كذلك فيجمل قول طلحة

ابن عبيد الله على خصوصية يذنه وبين كعب دون غيره من المهاجرين فيأتي
على هذا ان كلاً منهم كان ممثلاً لما يلزمه وما يندب اليه من قام حتى بشر وهذا
وقد دونه ذاه والاولى بل هو الاوجب لانا اذا جعلنا قيام طلحة لاجل البر
والاكرام وانه من المندوب فيكون كل من جلس ولم يقم قد زهد في فعل الخير
وقد زهد في فعل المندوب وتعالى واعلى تركه والنبي صلى الله عليه وسلم بين
أظهروهم مباهرين لم ينفهم ولم يرشدهم ولم يعلمهم معاذ الله ان يظن هذا
بالمؤمنين من صاحبي أمته فكيف عتقه قديمها فكيف بالصحابة المحييين بخيار
الخيار فكيف بحضرة من لا يقر على النسيان ولا الغلط ولا الوهم له صفة في كل
ذلك سيما فيما يتعلق بالواجب أو المندوب فانه لا يجوز عليه شيء من ذلك فبان
والحمد لله الامر وانفصح ان قيام طلحة بن عبيد الله دليل على المنع لاعلى المجاوز
(ثم قال) رحمه الله أخرج الأئمة أبو داود والترمذي والنسائي واللفظ لابي
داود والترمذي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت ما رأيت أحدا
أشبه سمياً وهذا من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها
قالت وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام لها فقبلها وأجلسها
في مجلسه وسكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل عليها قامت من مجلسها
فقبلته وأجلسته في مجلسها قال الترمذي حديث حسن انتهى (استدل)
رحمه الله على ان القيام مشروع بما ذكر في الحديث وليس في كل ما أتى به
من الباب ما يبين به مراده غيره هذا الحديث لو سلم له ظاهره لكانه ذكر
في الحديث المعنى الذي لاجله وقع القيام وهو التقبيل واجلاس الوارد
في مجلس صاحب البيت لانه عليه السلام قد ندب الى تنزيل الناس منازلهم
وليس ثم منزلة أعظم من منزلته عليه السلام ثم منزلته بعده لقوله عليه
السلام في حقها فاطمة بضعة مني يريدني ما رايها وقوله عليه السلام في حقها
فاطمة سيدة نساء أهل الجنة واداً كانت بهذه المزية وانها بضعة منه فيجب
ترفيهها وتعظيمها امثالاً لآل الله تعالى في كتابه بقوله تعالى وتغزروه وتوقروه
وليس لقائل أن يقول ترفيع النبي صلى الله عليه وسلم لها ترفيع لنفسه
المكرمة لانه عليه السلام لم يعرف منه ترفيع ولا تعظيم قال لنفسه المكرمة الا
ما كان صادراً بسبب ترفيع جناب الله تعالى ألا ترى الى وصف واصفه

وكان لا يتصرف لنفسه فاذا رأى حرمته من حرم الله تنتهك كان أسرع الناس
إليه انصرته ومن هذا المعنى ما ورد عن نسائه الطاهرات في كلامهن معه
عليه السلام في تفضيل عائشة رضي الله عنهن بزيادة المحبة لها وسألته ان
يعمل يدين في المحبة فاجابهن بان قال لم يوح الي في فراش احدا كن الا
في فراشه **واكون** جبريل عليه السلام سلم عليها ولم يسلم على غيرها من
نساء الطاهرات لما اختصت به ولا كونها ايضا اخذ عنها شطر الدين فلاجل
هذه المناقب وما شاكلها كان ايثاره عليه السلام لها على غيرها ومن هذا
الباب ايضا محبة في خديجة رضي الله عنها حتى قالت عائشة رضي الله عنها
ما غرت من احد ما غرت من خديجة وان كنت لم ادركها قد كانت امرأة عجوز
قائمه فيكرها او يقول كانت ثابتة في أيام خديجة وما ذاك الا لما يرضاها الله به
هن غيرها الا ترى ان تفضيله لعائشة كان لما في التي تقدم ذكرها وخديجة
لها ما ان آخر بطول تقبها او هي ظاهرة بيده لمن طالع الاحاديث او سمعها ولم
يكن لها مزية الا ان الله تعالى قد سلم عليها على لسان جبريل عليه السلام فابن
من سلم عليها الله تبارك وتعالى من سلم عليها جبريل عليه السلام فابن
الكل فيمن البركة الكاملة والخير الشامل لانهم ما اخترن سيد الاولين
والآخرين الا لاحتوائهن على كل خير ومكرمة لكن زيادة الخصوصية
ظاهرة بيده فكان عليه السلام يزداد لكل شخص في المحبة بحسب ما كانت
مزاياه عنده الله تعالى وهذا هو المراد بالحديث الصحيح المتقدم في أول
الكتاب في صفة اولياء الله تعالى **كانت** سمعته الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به أي كانت أفعاله كلها لله وبالله على ما يريد من نفسه فيه حظ ولا
لهوى فيه مطمع ولا للمادة فيه مدخل فاذا كانت هذه صفة الاولياء فما
بالك بصفة الانبياء فما بالك بصفة سيد الانبياء والاولياء قطب دائرة الكمال
ومحل الفضائل العلية التي يجز عنها كل البشر مداه عليه السلام فاصله ان
تعظيمه عليه السلام لفاطمة رضي الله عنها في تقبيلها حين دخولها عليه
واجلاسها في مجلسه لاجل ما خصه الله به من الشيم الكريمة واللطائف الجميلة
لولا ان كان لها خصوصية تمتاز بها الا حصوله عليه السلام في صفة ما في
صيفة مثل هذه وأي مزية **أكبر** منها والله ما وجدت قط ولا توجد أبدا

جواب لو محذوف
تقديره لكفاها
ذلك شرفا ومثله
فما بعده في السيدة
فاطمة رضي الله
عنها اه

فسيهان من من عليهم سببا من وتكريمهم بما تكرمهم به فكان قيامه عليه الصلاة والسلام وقيامها رضى الله عنها لان بيوتهم على ما قدمه لهم من ضيقها وقد كانت احوالهم على ما قدمه لهم من شظف العيش وقلة الدنيا سيما فاطمة رضى الله عنها التي اثمرت الطاحون في يدها فشكت ذلك الى ابيها عليه السلام والرفد قد اتاه فجلها على حاله عليه السلام واختارها اما اختار لنفسه المكرمة فاعطى الناس وتركها لقوة نور ايمانها وعملها عرضا عن الخادم التي مالت اذا آوئ الى فراشها ان تسبح ثلاثا وثلاثين وتحمده ثلاثا وثلاثين وتكبر اربعا وثلاثين وقد كانت تقعد الايام لانا كل شيئا وفيها وفي بعلاها نزل قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله الآية في قصة من المجاهدة بطول ذكرها وقد ذكرها أهل التفسير ومناقبها في هذا المعنى كثيرة بطول تتبعها وهي موجودة مشهورة معروفة في الكتب المتعرضة لهذا الفن (فالخلاص) من هذا ان الاقلال الذي كان عندهم من الدنيا كانوا يجتمعون بسببه من فراش زائد على ما يضطرون اليه أو شيء زائد على ما يقدمون عليه ألا ترى الى حديث ابن عباس رضى الله عنهما حين بات عند خالته ميمونة قال فاضطجعت في عرض الوسادة والنبي صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها فلو كان ثم وسادة غيرها لمجملها له دون وسادتهم فاذالم يكن عندها الا وسادة واحدة وهي قاعدة عايه ودخل عليها أبوها فكيف يمكن أن يقعد عليه السلام على الارض وهي على حائل لا يمكن ذلك أصلا فاحتاجت الى القيام من مجاورها حتى يقعد أبوها صلى الله عليه وسلم على الحائل ثم تقعد هي بعد ذلك اما على طرف الحائل أو على الارض وكذلك ايضا اذا دخلت هي رضى الله عنها على أبيها عليه الصلاة والسلام وهو عليه السلام يفضاها ويغضمها بتهليل الله تعالى وتغضيمه لها كما تقدم فلا يمكن أن يقعد عليه السلام على حائل وهي تقعد مباشرة للارض فيقوم عليه السلام حتى يجلسها على ما كان عليه جالسا لاجل المنزلة العظمى التي لها عند ربها ومما يدل على أن قيامه وقيامها كان لما ذكره والافساح في المجالس والابتناء به مع التقبيل المذكور وأما غيره من معاني المحرث ما يأتي بعد هذا وهو نص في عين المسئلة على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ففي هذا الجواب وايضا حقه مقنع مع الانصاف وأما مع عدمه

الشظف بفتحين
الضييق والشدة
ومثله الشظاف
كصواب اهـ

فلو جئنا بقرب الأرض أجوبة واضحة لا يمكن التسليم ولا القبول لان
 الانصاف هو رأس الخبر وزيدته ومنه فمقتضى الامر وانضج فاسلك أى
 الطريقين شئت والله يرشدنا وإياك لطريق الرشاد ويصنبننا وإياك طريق
 المحمد والعناد (ثم) قال رحمه الله روى أبو داود ان عمرو بن السائب حدثه
 انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فقبل أبوه من
 الرضاة فوضع له بعض ثوبه فجلس عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شئ من ثوبه
 من جانبه الآخر فخاست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاة فقام رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فأجاسه بين يديه انتهى (استدل) رحمه الله على ان
 القيام مشروع ومندوب بقيام النبي صلى الله عليه وسلم الى أخيه من
 الرضاة ولقد نطق بذلك رحمه الله بالحكمة في قوله كل كلام مأخوذ
 منه ومترك الا كلام صاحب هذا القبر (فانظر) رحمك الله وإيانا بنظر
 الانصاف الى هذا العالم كيف جعل القيام للاخ من باب البر والاكرام على
 ما ظهر له ونقل هذا الحديث ويقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم لأبيه
 ولألأمه وانما قام لأخيه والتضيعة واحدة والموضع واحد وقد قدم رحمه
 الله في أول الفصل قوله الذي يختار القيام للوالدين والعلماء والصالحين ولم
 يذكر الاخوة ثم أتى بهذا الحديث دال على انه في ترك القيام للوالدين
 وانه الذي اختار صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلم لألأمه وهذا
 الحديث أوضح دليل وأقوم طريق على ان ما ورد عنه عليه السلام من القيام
 بنفسه الكريمة وأمره بذلك لم يذكر كان هناك موجود من غير قصد للقيام نفسه
 ألا ترى ان الله سبحانه أمر ببر الوالدين وأكرامهما وقرن رضاهما برضا
 وسخطهما ما سخطه وقد قال عليه السلام لاذى سألته عن أفضل الأعمال
 ببر الوالدين فلو كان القيام لهما من باب البر والاكرام لم يكن عليه
 السلام لترك ذلك بالكيفية وهو عليه السلام قد أوجب برهما مع إيجاب
 الله تعالى لذلك (فان قيل) قد وقع منه عليه السلام القيام لأخيه وذلك كاف
 في الجواز (فالجواب) ان قيامه عليه السلام لأخيه قد تبين وانضج في سياق
 الحديث السبب الذي لأجله وقع منه عليه السلام القيام له ألا ترى
 أنه ذكر فيه أنه لما أقبل أبوه بسط له طرف رداءه فلما ان أقبلت أمه بسط

لما عرف رداؤه من الجانب الآخر فلما ان اقبل أخوه قام عليه السلام
حتى أقعده بين يديه فبدل ان قيامه عليه السلام كان لأحد وجهين
أولهما ما إذا ان يوسع عليه السلام له في المجلس أو يوسع له في الرداء وإنما
قلنا ذلك لما قد علم من حاله وحال رداؤه عليه السلام لانه كان رداؤه عليه
السلام على ما نقل أربعة أذرع ونصفا ونحوهما فنأين يسع على هذا أربعة
فضاق الرداء عن أربعة ومن أخلاقه الكريمة ومعاشرته الجميلة لم يقدر عليه
السلام ان يبعده بنفسه المكرومة وأبواه على الرداء وأخوه على الأرض
مباشرة لما قد قام عليه السلام حتى فسح له في الرداء حتى وسعهم أو حتى وسع
له في المجلس لئلا يكون خارجا عنهم ألا ترى انه عليه السلام لما ان دخل
الحائط وكان معه اعرابي فأخذ عودا من أراك وقسمه نصفين فكان أحدهما
معوجا والآخر مستقيما فأخذ المعوج وأعطى المستقيم للأعرابي فقال له
الأعرابي لم يارسول الله أعطيتني المستقيم وأخذت المعوج فقال عليه
السلام ان الله يسأل عن صحبة ساعة فاذا سألتني اريد ان أكون فضلك
فيمسح على نفسي فاذا كان هذا دأبه وخلقه ومعاملته مع رجلي لم يشركه
الأنبياء دخول حائط فكيف يكون حاله مع من شاركه في الرضا ع والمجر
والترية وأم واحدة وأب واحد أعني الجميع من الرضا ع فكيف يكون بره
به وإكرامه له فلم يكن عليه السلام لأجل هذه المعاني وما شابهها ان يقعد
على حائل عن الأرض وأخوه دون حائل وأما إكرامه عليه السلام له بالقيام
فلا سبيل الى القول بذلك لان إكرام الوالدين يذلل من باب الأخرى والأولى
ولو كان ذلك من باب البر والإكرام وتركه لكان قد ترك لوالديه شيئا من باب
البر والإكرام لم يفعل معهما وهذا لا يخطر لمن في قلبه ذر من الإيمان ولو علم
هذا الغافل ما في هذا الذي قرر من الخطر ما قاله ولا تكلم به نسأل الله
العصمة في القول والعمل بمحمد وآله (ثم) قال رحمه الله قال مالك عن ابن
شهاب ان أم حكيم بنت الحارث بن هشام كانت تحت مكرمة بن أبي جهل
فأسلمت يوم الفتح بمكة وهرب زوجها من الاسلام حتى قدم اليمن فارتحلت
أم حكيم حتى قدمت عليه اليمن فدعته الى الاسلام فأسلم فقدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثب اليه فرحا

وما عليه رداً حتى يابعه انتهى (استدل) رحمه الله على الذنب إلى القيام
بهذا الحديث وهذا لا ينافي فيه إلا أنه ليس فيه دليل عام وقد تقدم عدم
قياسه عليه السلام لأبويه وأنه لو كان القيام من باب البر والاكram لفعله
عليه السلام لأبويه وإذا تقرر ذلك فكل ما يرد من القيام فيحمل على غير البر
والاكram لما ذكر وقد أجاز علماء وثارة الله عليهم القيام للغائب لأن السنة
في الوارد أنك تأتي إليه فتسلم عليه فإن لم تفعل ذلك حتى قدم عليك فأقول
ما عكن أنك تقوم ماشياً إليه عوضاً عما فاتك من المشي إلى بيته كما تقدم
وقد نص في الحديث أنه قدم من اليمن فتخرج عن بابيه وكذلك قام عليه
السلام لجمه من أي طالب حين قدم من اليمن فتقبله وعانقه وقال والله
ما أدري بأيهم السرا ~~كثير~~ هل بقدم جعفر أو بفتح خير أو كما قال عليه
السلام وقد جمعه علماء وثارة الله عليهم على القيام للغائب فكذلك فيما
نحن بسبيله سواء بسواء (ثم قال) رحمه الله أخرج أبو داود والنسائي عن محمد بن
هلال عن أبيه قال قال أبو هريرة رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه
وسلم يحدّثنا فإذا قام فقام قيساً ما حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه
انتهى (فهذا) أيضاً ليس فيه دليل لما نحن بسبيله لأن هذا الذي ذكر
لا يمكن غيره ضرورة لأحد العلماء فكيف أسيد العلماء وقد وثقهم أجمعين
الآثرى أن العالم إذا قعد اجتمع الناس عليه حلقة كل إنسان يترك ما كان
فيه من صلاة نافلة ويبحث في مسألة ويجلس في صلاة إلى غير ذلك فكل
واحد يسمع إذا ذلك ويستفيد من العالم ما إذا فرغ العالم وانصرف انصرف
الناس بانصرافه إلى ما كانوا يصعدونه أو إلى قضاء بعض ضرورتهم أو إلى
مصلاهم أو إلى استقبال القبلة إلى غير ذلك من الضرورات المحوجة إلى
الحركة والقيام وبيوت النبي صلى الله عليه وسلم كانت إذا لمفتوحة إلى
المسجد والمسجد إذا كان في الصغر بحيث قد علم والنبي صلى الله عليه وسلم لم ي
أسرعه في المشي بحيث قد علم فما يمتكّنهم مع هذه الحالة أن يستروا قياماً إلا
والنبي صلى الله عليه وسلم قد دخل بعض بيوت أزواجه وإذا كان ذلك كذلك
فليس فيه دليل والله أعلم (ثم قال) رحمه الله وأخرج عن بشر بن كعب عن
رجل غيره أنه قال لا يذري الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم بصالحكم اذا القيته وه قال ما لقيته قط الا صالحني وبعث الى ذات يوم ولم
 اكن في اهلي فلما جئت اخبرت انه ارسل الى فانيته وهو على سريره
 فالتزمني وكانت تلك اجود واجود انتهى (فانظر) رحمك الله وايانا بنظر
 الانصاف أي شيء يجمع بين المصاحفة والالتزام وبين القيام بل فيه التعرض
 لترك القيام البتة لانه لما ان دخل عليه وهو عليه السلام في البيت على
 السرير والتزمه اذ ذاك ولم يقم اليه دل ذلك على ترك القيام البتة ولو كان
 مندوبا اذ ذاك لفعله فسبحان الله ما بعد ما بين المرميين (ثم قال) رحمه الله
 روى الحافظ أبو موسى الاصبهاني باسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت
 قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فأتاه فقرع
 الباب فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقه وقبله انتهى (انظر)
 رحمك الله الى هذا الدليل ما أحجبه ألا ترى أنه ذكر في الحديث أنه قرع
 الباب فقام عليه السلام ليفتح له الباب ففقه له واعتنقه فأخذوه منه
 الدليل للقيام مع أنه لو قدم عليه فقام اليه عليه السلام من غير أن يحتاج الى
 القيام الى فتح الباب لم يكن فيه دليل لانه غائب قد قدم وقد تقدم ان
 علماءنا رحمهم الله عليهم يحيزون ذلك لاقدام وغيره ممن تقدم ذكره في التقسيم
 (ثم قال) رحمه الله وعن حماد بن زيد قال كنا عند أيوب بن جهم يونس فقال حماد
 قوموا السيدكم أو قال سيدنا وعن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه أتاه أبو
 ابراهيم الزهري ليسلم عليه فلما رآه أجروثب اليه قائما وأكرمته
 فلما مضى قال له ابنه عبد الله يا أبا ابراهيم شاب يعمل به هذا العمل وتقوم
 اليه فقال له يا بني لا تعارضني في مثل هذا ألا أقوم لابن عبد الرحمن بن عوف
 رضي الله عنهما وعن أبي هاشم قال قام وكيع لسفيان فأنكر عليه قيامه
 فقال أنت تترك علي قيامي وأنت حدثتني عن عمرو بن دينار عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله
 تعالى اجلال ذي الشبهة المسلم وأخذ سفيان بيده فأجلسه الى جانبه
 وعن محمد بن الصلت قال كنت عند بشر بن الحارث يعني الحنفي الزاهد
 فجاء رجل يسلم على بشر فقام اليه بشر فقامت اقيامه فذهني من القيام فلما
 خرج الرجل قال لي بشر يا بني قد رى لم منعك من القيام له قلت لا قال لانه

لم يكن بينك وبينه معرفة وكان قيامك لقيامي فأردت ان لا تكون لك حركة
 الا لله عز وجل وذكر الامام ابو عبد الرحمن السلمي في كتاب آداب الصحبة قال
 ويقوم لانه لو انه اذا ابصرهم مقبلاين ولا يقعد الا بقعودهم وانشدوا
 فاجا بصريابه مقبلا * حللنا الحيا وابتدونا القيام
 فلا تنكرن قيامي له * فان الكريم يحجل الكرام
 انتهى هذا الذي ذكره رحمه الله عن هؤلاء الاثمة المجلة محمول على القيام
 المجاز المندوب على ما فسر العلماء فيما تقدم لاعلى قصد القيام اي من الا
 وهذا بين والله اعلم مع ان هذا العالم الذي استدل به هذه الآثار هو غيره من
 اثمة مذهبهم انكر واعلى مالك رحمه الله في اخذه بعمل علماء أهل المدينة
 مع انهم انجم الغفير والنبى صلى الله عليه وسلم مات بين أظهرهم وعنددهم
 استقر أمرا اشرعية وبان ما استنبخ وما بقي وقل ان تذهب عنهم الشك في
 ذلك الزمن القريب ومع هذه القرائن كلها واكثر منها اكثر والذكر عليه
 وشددوا ثم يأتي هذا العالم بعد انكاره على مالك رحمه الله فيما ذكر يشرع
 النذب في القيام بفعل آحاد الناس في أقطار مختلفة ولعلماء الاعتذار وقعت
 لهم اذ ذلك كامة عنددهم بل هي ظاهرة بينة موجودة كما أبدىنا ذلك مع
 ان ما ذكره رحمه الله لا ينهض على قاعدة مذهب مالك رحمه الله ولا على
 مذهب الشافعي رحمه الله لان مذهب مالك رحمه الله مبني على أربع
 قواعد المساعدة الاولى آية محكمة القاعدة الثانية حديث صحيح عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ناسخ ولا معارض المساعدة الثالثة
 اجماع أهل المدينة القاعدة الرابعة اجماع أكثرهم بعد اختلافهم
 ومناظرتهم ومذهب الشافعي رحمه الله مبني على آية محكمة أو حديث صحيح
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ناسخ واذا كان كذلك فساد ذكره
 رحمه الله لا ينهض على مذهب مالك رحمه الله لعدم دخوله في عمل أهل
 المدينة المتصل بل وقع لآحاد من الناس في أقطار مختلفة ولا ينهض على
 مذهب الشافعي رحمه الله لانه لا يأخذ بعمل أهل المدينة المتصل فكيف
 يستدل هذا القائل بجواز ذلك بعمل آحاد من الناس في أقطار مختلفة
 (فان) قال قائل انما وقع الذكر على مالك رحمه الله في كونه يشرع بعملهم

وهذا ليس بتشريع (فالجواب) انه تشريع لا ريب فيه ولا شك لانه أدخله
في باب المندوب وباب المندوب مشروع ولوجه له من قبيل المباح لكان
كل ما صححه امامه مستقيماً الواسع من الاحاديث الواردة في النهي عن ذلك على
ما سيأتي ان شاء الله تعالى ومع ذلك فلا باحة حكم شرعي (ثم قال) رحمه الله
يروى المحافظ ابو موسى باسناده عن الامام أبي سعيد القفاص قال النبلاء من
الرجال والعلماء يكرهون قيام الرجل لهم الكراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مباح لبعض الناس أن يقوم للناس انتهى قد قرر أن القيام مكروه عند
العلماء الكراهة التي صلى الله عليه وسلم لذلك ثم قال وهو مباح لبعض الناس
وذلك محمول على القيام المندوب أو المجاوز على ما تقرره فافهم ذلك والله يوفقنا
وأيك (ثم قال) رحمه الله هذا ما تيسرنا جزاً من الاحاديث وأقوال الأئمة من
الترخيص في القيام وحاصله انه ثبت ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بنفسه الكريمة وبأمره بذلك للأنصار وروية قريش حين فعل بحضرته ومن
فعل جماعات من الصحابة رضي الله عنهم في مواطن وجهات مختلفات ومن
جهة أئمة الناس في أعصارهم في الحديث والفقه والزهد انتهى وقد تقدم
الجواب عن كل ذلك حين أتى به وما المراد به وانه ليس في شيء من ذلك دليل
للجواز بل لمنع أقرب كما قررناه (وقد) عمل رحمه الله هذا الجزء الذي عمله في
أباحة القيام على ثلاثة فصول الفصل الأول فيما ورد من الترخيص في
القيام الفصل الثاني في تنزيل الناس منازلهم الفصل الثالث فيما ورد
من الاحاديث في النهي عن القيام والجواب عنها (وقد) تقدم الفصل الأول
والجواب عنه مستوفى وبقي الفصلان اللذان بعده (فقال) في الفصل الثاني
قال الله عز وجل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وقال تعالى
ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب (هذا) الذي ذكره رحمه الله
مسلم لا ينزع فيه الا أن تعظيم المحرمات والشعائر قد عرفت من القواعد
الشرعية وائس للقيام فيها بحال والله الموفق (ثم قال) رحمه الله روى ابو
داود عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من اجلل الله تعالى اكرام ذي الشيعة المسلم وحامل القرآن
غير الغالي فيه والمجا في عنه واكرام ذي السلطان المقسط وروى الترمذي

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منّا من لم يرحم صغيرا وناعرا ويعرف شرف كبيرنا (مسلم) عن عائشة رضى الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم (الترمذى) عن ميمون بن أبي ثابت أن عائشة رضى الله عنها أمرت بها أن لا فاعطته كسرة ومر عليها رجل عليه ثياب وهيئة فاعطته فما كل فقيل لها في ذلك فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلوا الناس منازلهم انتهى (حاصله) أنه رحمه الله تقرر عنده وفي نفسه أن القيام من باب البر والاكرام على ما قرر قبل فأنه لا يستدل بكل ما هو من باب البر والاكرام وقد تقدم أنه لو كان من باب البر والاكرام لم يكن عليه السلام ليتبرك به ورؤاياه واكرامهم بالقيام (وانظر) هل في هذه الأحاديث التي أتت بها في تنزيل الناس منازلهم أن أحدا قام لاحد بل نزلوا الناس منازلهم في اجلاسهم وفي اطعامهم زائدا على غيرهم فثبت ذلك على ما ورد عنهم فلو ورد عنهم القيام لاشرافهم وكبراتهم لا فتغنيهم وقبلناه على الرأس والعين لانهم القدوة ونحو الاتباع وما يخالفهم الا جاحدا ومعاذ الله ورسوله وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا توسع المجالس الا لثلاث لذى علم ولذى سن ولذى سلطان اهـ (فانظر) رحمك الله وايانا وكيف قال عليه السلام لا توسع المجالس الا لثلاث ولم يقل لا يقام الا لثلاث فيحمل اكرام ذى الشبهة المسلم واجلاله وبره على ما ذكر عليه السلام في هذا الحديث لا على ما يخطل لنا من عوائدنا التي اصطلحنا عليها فهل ينقل عن أحد من مضى في تنزيل الناس منازلهم ما نفعله نحن اليوم من هذا القيام واحدا تقوم اليه ونغشى اليه خطوات وآخرة قوم اليه ليس الا وآخرة قوم اليه نصف قومة وآخر ربع قومة وآخر المتحرك من الارض وآخر لا نتحرك له الا بالبشاشة وآخر لا بشاشة ولا غيرها وهذا شيء لا يقدر احد من المسلمين على اعتزله الى صاحب الشريعة أصلا بل لاحد من الصحابة بل لاحد من التابعين بل لاحد من تابع التابعين وشئ لا يعرف له أصل عند أهل هذه القرون فاما راحمهم الله تعالى أعلم (ثم قال رحمه الله (البغوى) قد كان المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ومعه السيف والمغفر وهذا

الذي قاله البغوي متفق عليه والمحدث مشهور في الصحيح اهـ (انظروا) وحكم
الله وايانا لهذا الحب كيف يستدل بان القيام مندوب اليه من هذا الحديث
وكيف يمكن ذلك والمغيرة بن شعبة كان خادما عليه السلام في هذه
الغزوة وهو الذي يخاطب قبائل العرب ويذب عنه من اراد اذنته عليه
السلام من المقردين منهم وهذا لا يذكر وليس من باب القيام للبر والاكرام
بل هو لا جمل الحاجة الداعية الى ذلك في ذلك الوقت فهل يجوز للمغيرة ان
يقعد اذ ذلك وبتلك النبي صلى الله عليه وسلم الى العدو وهذا مما لا يتعقل
فكيف يستدل احديهما هذا الامر العظيم الواجب على الانسان في حق نفسه
وفي حق نبيه عليه الصلاة والسلام على ان القيام لادخل مندوب اليه
فلما استدل به على ان القيام واجب لكان اقرب اذ ان قيام المغيرة كان واجبا
عليه فعلى هذا بان ان القيام على خمسة اقسام مضت اربعة وبقي الخامس
الذي هو المعمول عليه وهو الواجب مثل هذا وما شا كاه (هذا) تمام الكلام
على الفصل الثاني الذي قرره وهو تنزيل الناس منازلهم (وبقي) الفصل
الثالث وهو النهي عن القيام وما اجاب عنه (فقال) رحمه الله الترمذي عن
انس رضي الله عنه قال لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكانوا اذ رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك قال الترمذي
حديث حسن صحيح وترجم الترمذي لهذا باب كراهة قيام الرجل للرجل أبو
داود واللفظ للترمذي نخرج معاوية فقام عبد الله بن الزبير وابن صفوان
حين رأياه فقال اجاسا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره
ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار قال الترمذي هذا حديث
حسن وترجم له باب كراهة القيام للناس أبو داود عن أبي امامة رضي الله
عنه قال قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقامنا اليه فقال
لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا وروى أبو موسى الاصبهاني
عن أبي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم
الرجل من مجلسه فهذا ما بلغنا في النهي (فأما الجواب) عن الحديث الاول
وهو اقرب ما يحتاج به من وجهين أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
خاف عليهم وعلى من بعدهم الفتنة بافراطهم في تعظيمه صلى الله عليه وسلم

كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر لا تطروني كما أطرت النصارى
 عيسى ابن مريم نكر صلى الله عليه وسلم قيامهم لهذا المعنى ولم يذكره قيام
 بعضهم لبعض بل قام صلى الله عليه وسلم وقاموا معه يرونه بحضورته ولم يبينه عن
 ذلك بل أقره وأمر به في حديث القيام لسعد وقد قدمنا في الباب الأول
 بيان هذا كله وهذا جواب واضح لا يرتاب فيه إلا جاهل أو معاند الوجه
 الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بينه وبين أصحابه رضى الله عنهم من
 الانس وكمال الود والصفاء لا يستعمل زيادة بالأكرام بالقيام فلم يكن في
 القيام مقصود بخلاف غيره فإن فرض صاحب الانسان قريبا من هذه الحالة
 فلا حاجة الى القيام وأما الحديث الثاني فقد أوجع أكثر الناس بالاحتجاج به
 والجواب عنه من أوجه الأصح والأولى والأحسن بل الذى لا حاجة الى
 ما سواه أنه ليس فيه دلالة وذلك أن معناه الصريح الظاهر منه الزجر الأكبر
 والوعيد الشديد للانسان أن يجب قيام الناس له وليس فيه تعرض للقيام
 بنهى ولا غيره وهذا متفق عليه وهو أنه لا يحسن للدلالة أن يجب قيام الناس له
 والمنهى عنه هو محبة القيام ولا يشترط كراهيته لذلك وخطور ذلك بيباله
 حتى إذا لم يخطر ذلك بيباله وقاموا اليه أو لم يقوموا فلازم عليه فإذا أحب فقد
 ارتكب التحريم سواء قيم له أو لم يقيم فدار التحريم على المحبة ولا تأثير لقيام
 القائم ولا نهي في حقه بحال ولا يصح الاحتجاج بهذا الحديث فإن قال من
 لا تتحقق عنده بأن قيام القائم سبب لوقوع هذا في المنهى عنه قلنا هذا سؤال
 فاسد لا يستحق سائله جوابا فإن تعرض عليه قيل قد قدمنا أن الوقوع في المنهى
 عنه يتعاقب بالمحبة فحسب أه (فانظر) رجك الله وإيانا بتطرق الانصاف
 كيف قررنا حديث المنهى وصححه سائمه أجاب بالجواب الأول وفيه ما فيه
 الأثرى أنه قد قرر أن المحبة رضى الله عنهم لم كانوا يقومون بعضهم لبعض
 وقاموا بحضورته صلى الله عليه وسلم ولم يذكر قيام بعضهم لبعض وأنه عليه
 السلام قد قام لبعضهم على ما ظهر له واستقر في ذهنه أن ذلك كان من باب
 البر والاکرام ولم يكن لضرورة أدت اليه كما قد أبديناها فإذا كان ذلك كذلك
 وقلنا له عليه السلام فأى اطراء في ذلك أن جعلناه عليه السلام كواحد منا
 لم نزل له شيئا في الأكرام فلم يوع ~~كس~~ روجه الله الأمر فقال لم تكن الصحابة

يقومون ولا قام هو صلى الله عليه وسلم لا حدثم قام والله عليه السلام فنهاهم
 لكان ذلك جوابا مستقيما اذا نالو فعلنا ذلك مخالفنا العادة التي يعامل بعضها
 بعضها او زدنا له على ذلك فحينئذ يكون الخوف من الاطراء واما اذا طاملناه
 معاملة بعضها مع بعض ومعاملة عليه السلام معنا فهذا لا يقال ان فيه اطراء
 اذا نالنا منزلة واحد منا في معاملة بعضها مع بعض ومعاملة عليه السلام
 معنا ولو سلمنا لهذا السيد رجه الله ما ذكره والى اذ بالله لوقعنا في مخالفة نص
 الكتاب العزيز سواء بسواء ألا ترى ان الله تعالى أمر به وقبره عليه السلام بقوله
 تعالى وتعزروه وتوقروه فاذا قررنا ان اقياس من باب البر والاكرام وكما
 نفعله بتلك النية بعضها مع بعض ولا نفعله معه عليه السلام فنكون قد
 ارتكبنا النهي مصادمة اذا نالنا توقيره في ذلك والى اذ بالله تعالى ان
 نظن بأحد من الصحابة ان يكون ترك شيئا من باب البر والاكرام له عليه
 السلام فكيف يتفق الجميع على تركه بل في هذا القول خطر عظيم لو تأملنا
 هذا القائل ما تكلم به ولا أشار اليه ألا ترى الى جواب عائشة رضي الله
 عنها لما أن سئلت عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن وقد وجد
 ذلك منه محسوسا ظاهرا يندس في عوائد عليه السلام ومعاملة الجميلة مع
 أصحابه وأهله وغيرهم وقد نطق القرآن بالامر بتوقيره فكيف ينهى عليه
 السلام عن شيء أمر الله به هذا أمر لا يتعمق وانما هي عادة استمرت فوق
 الاستئناس بها المرورها والانسان لا يخلو من الغفلة فوق ما وقع بسبب ذلك
 وأما المخالفة للسنة فبعيدة عن منصب العلماء فكيف بالاخيار منهم وقد ورد
 من اجتهد فأصاب فله اجران فان أخطأ فله اجر واحد فكذلك فيما نحن
 بسبيله له اجر واحد والله يعفو عن الجميع اذ لولا العفو ما استحق أحد النجاة من
 النار الا من استثناه الله تعالى ممن قد علم فان قال قائل قد يدرك منه عليه
 السلام عن القيام اليه على سبيل التواضع فالجواب ان التواضع منه عليه
 السلام انما يكون فيما لم ينزل عليه فيه شيء واما بعد الانزال فلا سبيل الى ذلك
 ولو كان ذلك كذلك لكان فيه أمر بترك ما أمر الله عز وجل به من جميع أنواع
 التوقير له عليه السلام وهذا باب ضيق نعوذ بالله من الغلط والغفلات ألا
 ترى قوله عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى وقوله عليه الصلاة

والسلام لا تفضلوا الانبياء بعضهم على بعض وقوله عليه السلام انا سيد ولد
آدم ولا فخر وقوله عليه السلام آدم فن دونه تحت لوائي فهذه احاديث
متعارضة كما ترى والجمع بينها هو ان حديث المساواة وعدم التفضيل كان قبل
الانزال عليه في ذلك والاختبار له بالامر واحاديث التفضيل بعد الاختبار له
بذلك فيما أنزل عليه أعني بالتفضيل من غير تنقيص يلحق المفضل كما قاله
علماؤنا رجة الله عليهم فكذلك فيما نحن بسبيله سواء بسواء بل مسألةنا آكد وأولى
لان فيها القرآن يتلى بقوله تعالى وتزروه وتوقروه وقد قرر ان القيام من
ذلك الباب ثم منعه وظاهر هذا الكلام متناقض وقد ورد من حديث عائشة
رضي الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة يغشانا
في كل يوم مرتين غدوة وعشية فجاء يوماني وسط القائلة وأبو بكر قاعد على
السرير فقال ما جاء به في هذا الوقت الا امر حدث فدخل النبي صلى الله عليه
وسلم وأبو بكر قاعد على السرير فوسع له في السرير حتى جلس معه عليه ثم أخبره
النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر بالهجرة فقال الصحبة يا رسول الله فقال الصحبة
(فانظروا) رجونا الله تعالى واياك كيف دخل النبي صلى الله عليه وسلم فوسع له
ولم يقم وكان أكثر الناس براواكراما واحتراما وتعظيما وترفعيا وتوقيرا للنبي
صلى الله عليه وسلم (ثم قال) رحمه الله وهذا جواب واضح لا يرتاب فيه
الاجاهل أو معانداه (فانظروا) رجونا الله وايانا الى هذا اللفظ من هذا السيد
ما أعجبه وقد نقل الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى في مختصره الكبير
ما هذا اللفظ قيل مالك رحمه الله فالرجل يقوم للرجل له الفقه والفضل
فيجاسه في مجلسه قال يكره ذلك ولا بأس ان يوسع له قيل له فالمرأة تبالغ في بر
زوجها فتلقيه فتنزع ثيابه وتعليه وتقف حتى يجلس قال أما تلقىها وتنزع ثيابه
وتعليه فلا بأس وأما قيامها حتى يجلس فلا وهذا من فعل الجبابرة ربما يكون
الناس ينظرونه فاذا طاع قام واليه فليس هذا من أمر الاسلام ويقال ان عمر
ابن عبد العزيز فعل ذلك به أقول ما ولي حين خرج الى الناس فأنكره وقال ان
تقوموا انتم وان تفعدوا تفعدوا فقوم الناس لرب العالمين فاذا كان هذا اللفظ
الامام مالك رحمه الله فكيف يقول من تقدم ذكره وهذا جواب واضح
لا يرتاب فيه الاجاهل أو معاندا وعدالة الامام مالك رحمه الله وتقدمه على غيره

من الأئمة رجعهم الله مشهورة معلومة (وأما الجواب) عن جوابه في الوجه الثاني فالواجب العادل عنه لما ورد عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أنهم لم يعرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم أشد ثقة بهم له عليه السلام وهييتهم له حتى أنهم كانوا لا يقدرون أن يتأملوه ولا يرفعوا رؤسهم بحضرته عليه السلام فمن ذلك ما خرج مسلم رحمه الله في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيم له ولوقيل لي صفة ما كنت انتهى هذا قوله رضى الله عنه وهو من جملة أصحابه صلى الله عليه وسلم ولولا أنه كان عليه السلام ببساطهم ويتواضع لهم ويؤانسهم لما قدر أحد منهم أن يقدمه ولا أن يسمع كلامه عليه السلام لما رزقه الله من المهابة والجلالة بين ذلك ويوضحه ما ورد عن عائشة رضى الله عنها في حاله عليه السلام عند ركوعه الفجر قالت ان كنت مستيقظة قال حدثيني يا سحر او ان كنت نائمة اضطجع بالارض ثم خرج بعد ذلك الى الصلاة وما ذاك الا انه عليه السلام لخرج على تلك الحالة التي كان عليها وما يحصل له من الخلع والقرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه وتلاوته والاحوال التي يكمل اللسان ان يصف بعضها لما استطاع بشر ان يتأقاه ولا يبأسره ولا يسمع كلامه فيحدث مع عائشة رضى الله عنها او يضطجع بالارض حتى يحصل التأنيس بينهم وهو حديثه مع عائشة رضى الله عنها او جنس أصل المخافة التي هي الارض فاذا حصل عنده بذلك شيء قامن المناسبة حيث نذ يخرج عليه السلام اليهم وأما قبل حصول ذلك فلم يكن يفعل ذلك فانهم لا يطيقون مقابلة تلك الاقوارا بجليلة ولا سماع تلك الاغاطا العذبة الممدومة في غيره عليه السلام فبفعل ذلك عليه السلام رفقوا بهم ولكي يتوصل الى ان يبين عن الله أحكامه وكان بالموثمين رحيماً فهذا التوفير والمهابة حاصل فيهم مشاهد مرعى منهم كثيراً بل ذلك في أقرب الناس اليه أعظم ممن بعد عنه وأكثر الا ترى الى حديث ذي البدين حيث قال فيه وفي القوم ابوبكر وعمر فها يا أن يكلماه فابوبكر وعمر هابا الكلام مع قريبهما وذا البدين تكلم فعلى هذا فكل من قرب منه عليه السلام وتأكداً أمره معه كان أكثر هيبة له عليه السلام وأكثر توقيراً

وأعظم احتراماً وأكبر أجلاً وإذا قلنا ان القيام من باب البر والاكرام
ويكونون قد تركوه لأجل قربهم منه فتعطل هذه القاعدة ان من كان أقرب
إليه كان أقل توقيراً لله عليه السلام لأجل الانس وكمال المودة فلا يحتاج الى
التوقير وكذلك ينبغي على هذه القاعدة ان يكون الصالحون والاولياء أقل
توقيراً من غيرهم لأجل الانس وكمال المودة وهذا عكس ما ظهر في الوجود
وما استقر من احوال السلف والخلف بالمشاهدة والعيان ونقل الامة عن
الامة فيأتي على هذا الجواب الجواب الاول سواء بسواء وقد تقدم بل في حق
غيره عليه السلام وجدنا استعمال الادب في حق القريب أكثر منه في حق
البعيد ألا ترى ان الله ما حكى عن محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة في
دخوله على مالك وقصته معه وقد تقدمت في أول الكتاب فأصحابه الذين هم
أقرب الناس إليه كانوا أكثر على رؤسهم الطير أشد هيباتهم له وتوقيرهم لمخائبه
وتعظيمهم لمحرمة ومحمد بن الحسن لأجل بعده منه لم يكن له ما كان لهم فلو
عكس رحمه الله الأمر وقال اذا لم يكن الصاحب تأكدت محبته ولازم أمره
فلا حاجة الى القيام لكان ذلك قريبا من القبول منه لأجل ان من قرب من
صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه ازداد قرباً الى الله ومن ازداد قرباً
الى الله ازداد الى رسوله صلى الله عليه وسلم توقيراً وتزيراً وتجبلاً وهيبة
واعظماً ما واجهه لا ولا وهذا موجود في موسى مشاهد مره في كل من كان له أمر
نافذ ويرجع اليه بأمره وينفذ بأمره وخوف الناس منه وأهيبهم له وأوقرهم لديه
من كان أقربهم إليه وهذه قاعدة مقررة عند الامة ألا ترى ان الاولياء
مطالبون بأدب لا يطالب بها غيرهم من عوام الناس لزيادة خصوصيتهم
ومزيتهم على غيرهم فإذا تركوا منها شيئاً عوقبوا على تركه وأوتوا أكثر
الناس ولا يبالون فلا يعاقبون وما ذاك الا لأن القريب المحرم عليه أقوى
والادب مطلب منه أكثر كما حكى عن بعضهم انه مذكر حله في المسجد ليس تريح
نفسهم من ساعته وجعل يستغفر فقال له بعض جلسائه اليس هذا امر مباح
فقال أقالكم فمنهم وحكى عن بعضهم انه جاور باب البيت المحرام مدة لم يبل في
المحرم ولم يضطجع ولم يستند وما ذاك الا للهبة القائمة عليه اذ ذاك لأجل قرب
وكما حكى عن بعضهم انه مكث أربعين سنة لم ينظر الى السماء لأجل الهيبة

والاعظام وقد قال الامام ابو القاسم المجيد رحمه الله حسنات الاربابيات
المقربين وحكايتهم في ذلك أكثر من أن تكتب أو تحصر (وأما الجواب)
عن جوابه عن الحديث الآخر وهو قوله ليس فيه دلالة إلى آخر كلامه
وعبارته وقد تقدمت في هذا الذي قاله رحمه الله يرد ما شهدته به الاصول
واستقر من الاحاديث ألا ترى إلى قوله عليه السلام المؤمن يحب ل أخيه المؤمن
ما يحبه لنفسه وهو قد أورد هذا الحديث الذي أوردته رحمه الله وهو قوله
عليه السلام من سره أن يقتل له الرجل قياماً فليتبوأ مقعده من النار اه
فاذا دخل عليك أخوك المؤمن فقممت إليه وسر بذلك فقد تبوأ مقعده من
النار وكان ذلك بسبب قيامك أنت وحركتك له ولا حاجة له في جوابه بقوله
مدار التحريم على المحبة فحسب سواء قيم له أو لم يقيم فقد ارتكب التحريم لان
هذه المحبة انما صدرت منه لما شهدته للقيام فلو كان لا يقوم أحد لأحد لم
تتشوف نفسه إليه ولم تحبه وينبغي للمؤمن أن تكون قاعدته في تصرفه
كله ظاهراً وباطناً مع نفسه ومع غيره أن يحكم على نفسه اسان العلم وكيفية
ذلك ما قاله الامام ابو حازم سلمة بن دينار رحمه الله شيئاً من هـ ما خير الدنيا
والآخرة ان عملت بهما أنكفل لك بالمجنة ولا أطول عليك قيل وما هما
قال تعمل ما تكره اذا أحبه الله وتترك ما تحب اذا كرهه الله أو كما قال
فليس الانسان مكلفاً بأن لا يقع له محبة الشيء وانما هو مكلف بأن لا يرضى به
وان كانت نفسه تحبه فيكرهه لكرهية الشرع الشريف (وقد قيل) من
العصاة أن لا تجد فاذا أحب ولم يجد سبيلاً إلى وقوع ما أحب فقد عصى من
وقوع تلك المعصية وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان (فالمحصل) من هذا ان الذي يكره الانسان
لنفسه ويسأل الله تعالى في كل وقت وأوان ان يعاقبه منه ولا يرضاه لأحد
من العصاة وهو تبوء مقعده من النار لا يفعله به هذا الاخ المؤمن الداخل
عليه ان كان يحب ذلك وقد ورد عنه عليه السلام انه قال من غشنا فليس
مننا انتهى وهذا الفعل من باب الغش لانك تكره الشيء لنفسك وتوقع فيه
غيرك بل هو من قبيل الخديعة والمكر وأهل الايمان بعداء من ذلك وقد ورد
عنه عليه السلام انه قال المؤمن مرآة المؤمن وقال عليه السلام المؤمن

للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعض فاعلى هذا معنى الحديث فكل باب أو مسألة أو حركة أو سكون كانت سبيلا إلى نجاة أخيك من النار واجب عليك أن تعامله بها وكذلك في العكس سواء بسواء فكل باب أو مسألة أو حركة أو سكون كانت سبيلا إلى عقابه وتوبيخه ودخوله دار الهوان والغضب واجب عليك أن تعفيه منها وقد قال عليه السلام الدين النصيحة فإذا قمت إليه فانك لم تنصح به بل غششته بدليل ما تقدم بل ينبغي أو يجب أن يعرض الإنسان على نفسه هذا القيام فان رأى نفسه أنها تحب ذلك وتشتهيها وتؤثره فينبغي أن لا يفعله مع أخيه المؤمن لئلا يوقعه في البلاء العظيم المذكور في الحديث وإن رأى نفسه أنها لا تحب ذلك وتكرهه فينبغي أن لا يعامل أخاه المؤمن بشئ يكرهه وأن يعامل به وهذا هو حقيقة معنى الحديث المتقدم المؤمن مرآة المؤمن فينظر إلى نفسه فما يحب أن يفعل معه فعله ومع أخيه وما يكره أن يفعل معه لم يفعله معه البتة وهذا الذي أوردناه كله والذي قاله هذا السيد فيه هذا سؤال فاسد لا يستحق صاحبه جوابا وقد تقدم جوابه بما يسر الله في الوقت ولولم يكن الأفضل الحسابية وفهمهم للحديث ومعناه لكان ذلك أولى من فعلنا وفهمنا بل أوجب لأنهم تلقوه مشافهة من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه (وانظر) رحمت الله وإيادنا إلى معارفة الذي تلقى الحديث من في صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه كيف نهي عن ذلك على العموم وذلك الذي فهم فكان ينبغي اتباعه في فهمه وفهمه (وانظر) رحمت الله وإيادنا إلى رواية الحديث كيف يؤبوا عليه باب كراهة القيام للناس باب كراهة القيام للرجل ولم يقرؤوا باب ما جاء في ترك القيام ولم يقرؤوا مثل ما قالوا في عكسه حيث قالوا باب ما جاء في القيام فيعطى ذلك أو يفيد أنهم يقولون بالكراهة ولا يقولون بالجواز وقد تقدم (وانظر) رحمت الله وإيادنا إلى قوله عليه الصلاة والسلام لا صحابة لما ان خرج عليهم فقاموا إليه لا تقوموا كما تقوم الأطاغم بعضهم بعضا جرح عليه السلام فيه شيئين الأول انتهى والثاني التعليل وهو كون القيام إذا وقع بنفسه يكون تعظيما ولولا ذلك لابين لهم كيفية القيام الجائز وأخبرهم بأن القيام إذا وقع ولم يكن بنية التعظيم كان جائزا وهذا وقت البيان وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز

بل لو كان يجوز على سبيل البر والا كرام ما احتاج عليه السلام الى توبيخهم من ذلك لعلمه منهم باكرامه وتبجيله وتوقيره ولعلمه منهم انهم يحتفلون امر الله تعالى في ذلك (ثم انظر) ايضا الى قوله عليه السلام من سره ان يقتل له الرجال قداما فليقبوا مائة معه من النار وقد تقرر عندنا من أصل الشرع والطبع والعادة والتجربة ان النفس في غالب الامر غالبة مكيدة خداعة متكبرة مقبرة منازعة للربوبية فالشيطان على ما جيل عليه من الشيطانة والتمرد والكفر والطغيان والمخالفة والعصيان لا يثارع الربوبية وهي تنازعها فان شعرت من صاحبها انه لا يكره منها ما تبديه من احوالها السيئة ومنته بالجميع وأظهرته لديه وان شعرت منه انه يرد لها عن احوالها المستهينة قيل ان تظهر له شيئا من حبها ياها ويقتتتماري عليه في حظوظها وترغم انها طالبة للثواب والتخير وهي طالبة لشهواتها وحظوظها الخفية منها ان أظهرت ما كنته ان لا يكتفى صاحبها من مرادها والغالب منها بحسبة المخطوة والشهرة والظهور على الاقران ومحبة الشرف والرفعة على الناس والكبر عليهم وذلك كله موجود في القيام اليها فان النفس التي تقف لذلك ويحصل لها الانكسار والتذلل وتراه للبر والا كرام وتنبويه على ما زعم هذا القائل والحب من هذا السيد كيف نهى النبي صلى الله عليه وسلم هذا النبي الصريح المطلق العام ولم يقيد به بغيره ولم يخصه به بحسالة فقال هذا يجوز بنية البر والا كرام وقد تقدم بيان هذا كله (فان) قال قائل انما قال ذلك لورود الاحاديث المعارضة في فعل القيام (فالجواب) ما تقدم من الاجوبة عن القيام المذكور وما كان سببه وما جرى فيه من الكلام ولا تى شئ كان وفيما وقع من الجواب منع مع الانصاف وقد وقع لسالك رحمه الله تعالى في العتبية من كتاب الفكاح انه سئل عن الرجل تكون له المرأة المحرصة المبالغة في تأدية حقه فاذا رآته داخل لائقته فآخذت عنه ثيابه ونزعته ولم تنزل قائمة حتى يجلس فقال اما قلها اياه ونزعها ثيابه ونزعته فلا يرى في ذلك بأسا واما قيامها فلا يرى ذلك ولا يرى ان تفعله هذا من التحير والسطان فقامت والله ما ذلك من شأنه ولا يثبت في هذه المحسالة وليكنها تريدا كرامه وتوقيره وتأدية حقه وأنه لينهاها عن ذلك ويمنعها منه فقل لي كيف استقامتها

في غير ذلك فقلت له من أقوم الناس طريقة في كل أمرها فقال تؤدي حقه في
غير هذا وأما هذا فلا أرى أن تفعله إن هذان فعل الجبارة وبعض هؤلاء
الولاية يكون الناس جلوسا ينظرونه فإذا طاع عليهم قام وأله حتى يجلس فلا
خير في هذا ولا أحبه وليس هذان أمر الاسلام فأرى أن تدع هذا وتؤدي
حقه في غير ذلك وليس هذان الذي أخبر الله تعالى عنه هذان فضل ربي
ليكوني الشكر أم أكره قال عمر بن الخطاب للداية التي ركبها ما نزلت عنها حتى
تغيرت قال قال مالك وأبو بكر فضله (فانظر) رحمك الله تعالى بين الانصاف
الى قول مالك رحمه الله مع ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لو كنت آرا
أحد ابائكم سجد لا ثمرت المرأة أن تسجد لزوجها فانظر مع هذه المحرمة والمحرم
الذي للزوج ينصر صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم كره لها مالك القيام له
لفهمه منع القيام مطلقا ولم يفرق بين القيام للبر والاصكرام والاحترام
والتعظيم من الاحاديث المتقدمة فهذا نص الامام (وانظر) رحمك الله وايانا
الى هذه المقسدة العظمى التي وقعت بسبب جواز هذا القيام كيف وقع
بسببه ارتكاب ما نهىنا عنه وهو هذا القيام الذي يفعله بعض الناس
للهمودي والنصراني وقد تقدم ان في القيام اذلالا لا فائده وقد قال عليه
السلام الاسلام يعلو ولا يعلى عليه انتهى وقد علا هذا العدو والكافر على هذا
المسلم في هذا الحال بسبب ما اجيز من القيام وقد قال عليه السلام المؤمن
لا يذل نفسه او كما قال فهو قد نهى ان يذل نفسه وان كان مع مسلم فكيف
يكون الامر مع يهودي او نصراني او متافق عدو من اعداء الله وأعداء رسوله
صلى الله عليه وسلم فكيف يكون القيام اليه وكيف يكون الذل له
فانا لله وانا اليه راجعون على عدم الحياء من الارتكاب لمثل هذه الامور
(فان) قال قائل انما أجاز واذلك اذا خافوا الفتنة منه (فالجواب) ان خيفة
الفتنة انما سببها استعجالنا نحن القيام حتى جعلنا بيننا شعيرة من شعائر
الدين حتى لو تركه واحد منا لوجدنا عليه الوجد الشديد فلما ان ارتكبنا
هذا الامر يديننا واصطلمنا عليه من تلقاء أنفسنا طلبه اليهودي
والنصراني منا الآن شهوات النفوس والمخطوط الناس الكل مشركون في
محبتهم والقول بها الامن مع الله سيما من كان شاردا عن باب ربه ورضا عن

مولاه فيكون ذلك في حقه أكثر من غيره وليس ثم شروء وادعاء عراض أعظم وأدهى وأمر من الخائفة بالكفر ومجدد الوحدة فيكون محبة ذلك في حقه أكثر وأكثروا فلو وقفنا نحن على حدود الشريرة الحمدية ولم نزدعاليهم شيئاً ولم نستحسنه من تلقاء أنفسنا إلا ما استحسنته صاحب شرير يعتناصلي الله عليه وسلم وأما ضاه لنا وراه مصلحة لنا لم يكن أحد من أهل المال يخاف الظنا فيه ولا يطلبه من آلانهم لا يقرون على اتباعه في أمراً أبدال الكفرهم وطغيانهم ألا ترى أن السلام المشروع وما جعله الله عز وجل فيه من البركة والخير ظاهر وأما ظنا حساومعنى كيف يتحاماها أهل الكفر والضلال عن آخرهم ولا يفعلونه مع أنفسهم ولا مع من يعاملونه من المسلمين فلو كان هذا القيام مشروعا منه عليه السلام لتحاموه كما تحاموا السلام لأن كل ما شرع عليه السلام وانتفت منه حظوظ النفس فليس لهم إليه سبيل وما يستعمل لحظوظ النفس هو الذي يشاركنا فيه أهل المال فلو أنكرنا القيام ابتداءً ببعضنا لبعض ما طلبه أهل المال منا وقد كان الأصل عدم القيام البتة لأن العرب كانت لا تعرفه ولا يعامل بعضهم بعضاً به فلما أن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من فعل الأعاجم بان أمره وانفخ وزال اشكاله لأنه عليه السلام قد نهي في غير هذا الحديث عن التشبه بالأعاجم وقد علاه ههنا بأنه من فعل الأعاجم حين نهي عنه وهذا واضح لا يخفى على ذي بصيرة وقد روى الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منّا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأشكال كفاها وأعظم من هذا فتنة أن أكثرهم يجهلون الفتنة المخوفة ما هي ويظنون أنه لو تسبب الذم في قطع رياستهم أو قطع منصب لهم أو قطع شيء من جامكيتهم أو عقد وجههم في وجههم أو تكلم فيهم عند استاذة بامرماً كان ذلك عذراً لهم في جواز القيام لأهل المال معاذ الله وإنما يجوز ذلك إذا وقع الخرف الشرعي وهو معلوم بين العلماء مشهور بينهم ليس على ما تسول لنا حظوظ أنفسنا ويزين لنا شيطاننا ويحماها عليه قلة يقيننا وأعظم فتنة وأدهاها وأمرها هذا الأمر المفضع الذي وقفنا فيه وأصل الحنساء عليه وهو أنا ترى ذلك كله جائزاً ومندوباً إليه معضلة

عظيمة لا تستدرك ولا يمكن تلافيها التعذر وقوع التوبة منها لان التوبة لا تكون
من الجائز ولا من المندوب وانما تكون من المعاصي (فالمحاصل) من أحوالنا
فيه أعنى في القيام انما ارتكبنابه بدعة جرت الى حرام متفق عليه وهو القيام
للهمود والنصارى والمنافقين فان الله وانما اليه راجعون على ارتكاب البدع
والتسامح فيما لا ينبغي ومعذرة بعض علمائنا وتسامحهم وتغافلهم عن كل
ذلك حتى ارتكب بسبب ذلك الكثير الكبير والله سبحانه وتعالى المسئول
في التجاوز والعفو عما مضى والتدارك واللاطف والاقالة بما بقي بمحمد وآله
(وقد) وقع لغيره من المتأخرين ان هذا القيام يتعين اليوم لما يترتب على تركه
من العداوة والبغضاء وقد أمرنا بترك ذلك فقال عليه السلام لا تبأغضوا ولا
تدابروا الحديث (فهذا) الذى ذكره رحمه الله هو الذى يؤدى الى ما احترز
منه ببيان ذلك ان الانسان لا يخفى له من أحد احوال ثلاثة اما ان يقوم لكل
داخل عليه أو العكس واما ان يقوم لبعض الناس دون بعض فان كان
الاول فهو مذهب محرمة العلم والمروءة وقل ان يستقر له قرار في مجالس
ويشتغل عن كل ضروراته لكل داخل صغير أو كبير وهذا شنيع ومع شناعته
يمنع ما للانسان قاعد اليه ويستغل عنه مع ما في ذلك من مخالفة السنة
والسلف الماضين وان قام لبعض الناس دون بعض فهو موضع الفتنة
والتدابير والتقاطع فلم يبق الا القسم الثالث وهو ان لا يقوم لاحد فيسلم
الناس مما يقع بينهم وتخصم مائة التدابير والتقاطع وتبقى حرمة العلم قائمة
والمروءة موجودة وبركة الاتباع حاصلة ووجه آخر وهو انه لو أجزنا ذلك
لاجل ما يقع لبعض الناس من التغيير لكان ذلك يؤدى الى نسيخ الشريعة لان
العوام كلما حدثوا حدثا في الدين ان لم نوافقهم عليه حفظوا لمخاطبهم بالخلافة
للشرع افضى ذلك الى ما ذكر وهذا عكس ما كان عليه السلف رضى الله
عنهم لان عاداتهم مضت ان العوام يحدثون والعلماء ينكرون ويرجعون فصار
اليوم الحال بالعكس العوام يحدثون وبعض العلماء يتبعون وبعضهم
لا ينكرون وهم يعلمون وقد قال عليه السلام من أحدث في أمرنا ما ليس
منه فهو رد أو كما قال وهذا عام في الواجب والمندوب والمباح * *
(فصل) * وينبغي له أيضا ان لا يجالس على حائل مرتفع دون من معه لان في

ذلك ضرورة الترفع على غيره وليس ذلك من شيم العلماء اذ ان من شأن المدرس
التواضع كما تقدم وقد سئل مالك رحمه الله عن يجلس في المسجد على شيء مثل
قروة أو بساط أو شيء يتكئ عليه فكره ذلك وعابه وقال اتخذ المساجد بيوتا
ورخص ذلك للاريفض فعلى هذا ان اضطر المدرس أو غيره الى شيء يجلس عليه فحتمه
فليكن على قدر الضرورة وليبين عذره لئلا يظن ان ذلك من شعائر الماسخين
من سلف الامة وقد كان سيدي الشيخ الامام أبو محمد المرحاني رحمه الله
أصابه مرض فأتخذ الدرس في بيته في ناحية منه لاجل مرضه فلما ان كان من
الغد خرج من تلك الناحية فوجد خارجا عنها فقبل له هلاقة بعد بموضعك
بالأمس لانه اكن لك لاجل مرضك فقال ان ذلك الموضع فوق جاسائي
وكان الموضع علوه من اصحابه عرض اصبعين فقبل له يا سيدي هذا شيء
يسير فقال لو وجدت سيديا ان احفر حفرة تحت الارض فأقعدت تحت
جلسائي لغففت ذلك أو كما قال رضى الله عنه وما رايت أحدا من علماء
المغرب وفضلائهم يقدعون على حائل دون جلسائهم وقد كان سيدي أبو محمد
رحمه الله يجلس الى أخذ الدروس في المسجد على الحالة المذكورة ثم بعث له
سيدي أبو محمد المرحاني رحمه الله بعبادة من صوف فبقي يتعجب من أمره في
ارسالها اذ ان السجادات اغير ضرورة شرعية بدعة ومثله بهد ان يقع في
مثل هذا ثم قال ما ارسلها الا المحكة فتركها في بيته لم يستعملها فلما كلن الاقبال
وأخذ مغس في فؤاده بسبب برودة البلاط الذي يصعد من تحت المحصير
فبقي يخرج بها الى المسجد ويطويها حتى تكون على قدر جلوسه ايسر الا
ويجهد على المحصير وكان يقول هذه هي المحكة التي لاجلها ارسلها هذا
السيد فهذا دأب العلماء والصالحين قديما وحديثا والعلماء أولى من يقتدى
بهم ويقتفى آثارهم ويتدى بهديهم * * *

(فصل) * وينبغي له أيضا ان يحفظ من هذه المراوح ان كان في المسجد
اذن ابدعة وقد أنكر مالك رحمه الله الاشياء التي تعهد في البيوت ان تعمل
في المساجد لانها لم تكن من فعل الساف وان كانت مباحة في غيره ويستحب
استعمالها في المدارس اضرورة المحتر والذباب مالم يكن ثمنها من ريسع الوقف
أو يقطع بها حصر الوقف عند البحث والانتزاع عند ايراد المسائل ومن

الطارطوشى قال مالك رحمه الله وأكبره المرواح التى فى مقدم المسجد التى
يرتج بها الناس قال وما كان ذلك يفعل فيما مضى ولا أجد من الناس ان يأتوا
بالمرواح يترقحون *

(فصل) وينبغي له أيضا ان يتحرز من هذه الخلق التى تعمل له فى كون
الطالبة يبعدون عنه والسلف كما قالوا لا يبعدون بل تأس ثياب الطلبة
ثياب المدرس لقرينهم منه ولا تخير كما فى الاتباع فان كان ذلك للرياسة فذمه
أشد من الاول *

(فصل) وينبغي له أيضا أن لا يكون فى مجلسه مكان يميز لأحد الناس
بل كل من سبق لموضع فهو أولى به كما هو ذلك مشروح فى انتظار الصلاة
ولا يقام أحد من موضعه جبرا ويجلس فيه غيره للنهي من صاحب الشريعة
صلى الله عليه وسلم عن ذلك حتى لو قام غير معرض عنه ضرورة وطاد كان به
أحق أيضا اللهم إلا أن يكون الموضع معلوما عند الناس انه لا يجلس فيه إلا
فلان وهم محتاجون اليه فى فتواه وعلمه فان جلس فى غيره لم يهمل مكانه
أولى لم يشقة هذا مستثنى مما نهي عنه فان كان المسبق صاحب علم وفضيلة
فحينما اجلس كان صدرا وإحدى المواضع بالتي تصدر الناس ولا ترفعهم وإنما
يرفع المرء ما هو حامله من علم وفضيلة ودين وتقوى وإنما وقع التخصيص
أن ذكر لا احتياجهم اليه فى فتواه وعلمه وان كان الدليل مقتضاه العموم
فالضرورة خصت الدليل العام وليس هذا بأول دليل خص وذلك كثير
ولا بأس ان يوسع له فى المجلس ما لم يؤد ذلك الى الضرر ا قوله عليه السلام
واكن نفسك وتوسعوا *

(فصل) وينبغي له أيضا أن لا يترفع على من آذاه ويجاهد نفسه ليرتاض
فيحسن له بالمقرو والصفح عنه وكذلك لا يؤاخذ من تسلط عليه بالاذية وقلة
الادب وبواجهه بما يواجه به غيره من المحبين والمعتقدين من طيب القول
وحسن العبارة وعدم الجفاء تقربا بذلك الى ربه عز وجل ولا يقابل الشر
بمثله فان ذلك ليس من شيم العلماء وإنما شيمهم الخلم والاقالة والصفح والعفو
ألا ترى الى محمد بن سحنون رحمه الله وكان قاضى بلاد افرى بقرية فكان
إذا قعد لا تخذ الدروس أنما انسان يتخطى رقاب الناس حتى يصل

اليه فبعدته في اذنه ساعة ثم ينصرف فبقي كذلك مدة وكان اذا
 أقبل يقول القاضى لجماعته افسحوا له فيأتى ويفعل العادة ثم انقطع
 بعد ذلك مدة فسأل عنه من حضره فقالوا لا نعرف خبره فقال اطلبوه فاذا
 وجدتموه فأتوني به فوجدوه فأتوا به اليه فأخذه وخلابه وقال مامنك
 من عادتك فقال له ياسيدي لى بنات قد كبرن واحتجن الى التزويج وانا فقير
 فقال لى بعض الناس ان اغضبت فلانا ففحن نزيل فقرك ونجهز بناتك أو كما
 قالوا بقيت تلك المدة أجيء اليك فأقذك وأشمتك وافعل ما قد رأيت لعلك
 تغضب يوما ما ليحصل لى ما اتفقوا عليه فلما است من غضبك تركت ذلك
 اذ لا فائدة فيه فقال له لو أخبرتنى كنت أقوم لك بضرورتك أعليك سفر ففقال
 ياسيدي اى شئ أشرت به على فعلمته فأمر الكاتب ان يكتب له كتابا بالوصية
 عليه الى نوابه بالبلاد وان يستحق ومن يعنى به القاضى فسافر الى البلاد ثم
 رجع ومعه من الاموال ما زال فقره وجهز بناته (فانظر) رحمت الله وايانا
 معاملته مع من شقه وقد فقه فيكون العالم يقتدى بهذا السيد ومن نحاسخوه
 فى الاخلاق الحسنة والشيم الجميلة وقد وتهم فى ذلك كاه سنة نبيهم محمد صلى
 الله عليه وسلم الا ترى الى قوله عليه السلام تخلقهوا باخلاق الله انتهى فن جملة
 اخلاقه سبحانه وتعالى العفو والصغح والمغفرة والتواب والعالم اولى بل
 اوجب من يبادر الى ما امر به وهو ممن يقتدى به وبالمجلة فرتبته منيفة
 والصبر على الاذى والمساو فى المحبة الذى يؤذك هو المحسن اليك وقد
 ورد عنه عليه افضل الصلوة والسلام انه قال جبلت القلوب
 على حب من احسن اليها واذا نظرت الى الناس وجدتهم على قسمين محسن
 ومسيء فالمحسن جبل قلبك على محبته وهذا المحسن انما احسن اليك بشئ
 يغنى واذا نظرت الى المسيء بمسعين التحقيق فهو محسن اكثر من الذى قبله
 لانه احسن اليك بالباقي اذ انك تأخذ من حسنة ان كانت موجودة والا
 اتخذ من سيئاتك وشأن اهل التوفيق اغتنام الباقي فبذبحى لك ان تكافئه
 على احسانه قال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان (وقد حكى)
 عن ابراهيم بن ادهم رحمه الله ما بين هذا وبوضعه وهو انه كان مارا بطريق
 فلقى انسان فصفعه ومرفى طريقة فرآه جماعة على بعد منهم فلما ان مر بهم

قالوا له أتعرف من هذا الذي صفعته قال لا قالوا وابراهيم بن ادهم فرجع
اليه فطأ طأ على قدمه فقبلها وقال والله يا سيدي ما عرفتك وسأله المحمالة
فقال له والله ما ارتفعت يدك عني حتى سألت الله تعالى لك المغفرة فقال له
وما جعلك على ذلك فقال لانك المصفتني علمت ان الله تعالى يشيني على ذلك
وما كنت بالذي توصل الى خير فأوصل اليك شرا (وانظر) رجك الله الى
قول بعضهم لو كنت مغتابا لأحد الا غبت والذي لا شيء الحق بحسناتي فهم
ابدا يتظرون الى باطن الامور وعواقبها وغيرهم الى ضدها (فانظر) رجك
الله تعالى الى هذا المقام الأسنى الذي يحصل لك انك الغيظ اذ ان ذلك
يدخله في قوله صلى الله عليه وسلم سلامة الصدر لا تباع بعمل فتفي عليه
السلام ان تبلغ سلامة الصدر بالوفوف بعرفة وقيام ليلة القدر وغيرها
وهذا ما تحصل عاذا صكر

*(فصل — ل) * وينبغي له أن يحذر من أن يتكئ على اليد اليسرى اذا
جاءها من خلفه قليلا ويتكئ على شحمتي أصلي كفه ذلك لما ورد ان ذلك
الهيئة من فعل المغضوب عليهم ذكره ابو داود في سننه *

*(فصل — ل) * ويجب عليه ان لا يسمع من يثم عنده وكذلك من ينقل
أخبار الناس وما جرى لهم مما لا يترتب عليه فائدة شرعية لان للشيطان في هذا
الباب بحال كبير لانه لا يأتي لأحد الا من الباب الذي يعلم انه يقبل منه فلا
يكنه ان يأتي للعالم او العابد فيوسوس له بالزنا أو شرب الخمر لانه قد ايسر ان
يقبل ذلك منه وان كان يأتي بذكر شخص غائب فيذكر بحرف فيقوم بعض من
حضره ويستثنى بقوله الا ان فيه كذا انه كذا فيترتب الاثم على جميع من
حضره فاعلم هذا والمراد والله أعلم بما ورد ان الرجل من أهل النار لم ينفس
فيحرق بنفسه جماعة كثيرة أو كما وردوها وذا بين الا ترى ان المستثنى
اذا استثنى ولم يرد عليه أحد من الحاضرين فقد باء واجبه بالاثم والعياذ
بالله تعالى فيحتاج ان يتحوز من هذا جهده *

*(فصل — ل) * ويجب عليه ان يتحوز على نفسه وعلى من حضره
من الغيبة لانها مصيبة عظيمة في الدين ولولم يكن في التحذير عن ذلك الا قوله
تعالى ولا يغتب بعضهم بعضا يجب احكام ان يا كل لحم أخيه ميتا فكرهوه

وقد روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله ما الغيبة قال ذكرك أخاك بما يكره فقال له رجل أرايت ان كان في الخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته وروى أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت قالت يا رسول الله حبيتك من صفة قصرها قال لقد قلت كلمة لو مزج بماء البحر لزوجته قالت وحكيت له اناسا فقال ما احب اني حكيت اناسا ولى كذا وكذا ومن كتاب ابن رزين عن جابر وابي هريرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غيبة في فاسق ولا مجاهر وكل أمي معافي الا المجاهر من وروى الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه انه قيل له ان رجلا يرفع الحديث أو يثني بالمحدث الى الامير فقال له حذيفة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وروى أبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يباغى أحد عن أحد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليهم وأنا سليم الصدر والادلة من الكتاب والسنة على هذا واشباهه كثيرة سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يحكي انه اجتمع جماعة من المباركين بتونس فلما ان أرادوا الطعام ابطأ واحد منهم فسألوا عنه فقال قاتل منهم ما زالت عادته هكذا فقام سيدي حسن الزبيدي رحمه الله وقال ان الله وانا اليه راجعون اليوم الى اربعون سنة لم اسمع غيبة فاسمعتوها الى اليوم والله لا اقعدي هذا المجلس وخرج من حينه ولم يتناول شيئا فقس على هذا وانظر بنظر كاي نسبة بيننا وبين هذه الاحوال السنية وما بالهذه من قدم اللهم الا ان يكون مما رخص فيه العلماء وذلك في خمسة عشر موضعا وهي غيبة الفاسق المعلن بفسقه وصاحب بدعة يدعوا اليها وصاحب بدعة يخفيها فاذا ظفر بأحد القاهاليه والغيبة عند المحاكم لخصمه واذا سأل المحاكم عن أحد فغيبته جائزة وعند العالم للفتوى وعند من يرجى تغيير ذلك على يديه وعند الخطبة وعند المرافقة في السفر وكذلك في التجارة للشركة وكذلك فيمن يشتري دارا فسأل عن جارها أو دكانا أو تجر يح عند المحاكم والمشاورة في امر ما من امور المخالطة والمجاورة والمصاهرة وتجر يح المحدثين للرواة وذكر الرجل باسم قبيل اشتهر به كالأعمش والأعرج والآنخفش فهذه المواضع المستثناة

ومن ذلك أصحاب الكؤوس والظلمة وغيرهم من المنتصبين انظروا العباد واذيتهم
في العرض أو المال أو البدن ولا يعين بعض هؤلاء بالذكر إذا خشي الفتنة فإن
أمن عيبه وان لم يرجع المذكور لأن في ذلك منفعة للمسلمين فيصبرونه
ويصبرونه ولا يتعاطون مثل فعله *

(فصل) وقد تقدم المنع من النعوت لما فيها من الكذب فن باب أولى
الكذب صراحاً فيقرر منه ان يقع في مجاسه فإن وقع فليتنقم على فاعل ذلك
أو يمنعه من حضور المجلس حتى يتوب الى الله تعالى ويقطع على ما سبق من
مراتب الانكار وشروطه وان لم يقدر على الانكار لابقائه قام وتركه ولا يكون
منكراً بقلبه ان فقد ويأثم الا ان يجتزئ من الخروج اضرة شرعية وليس هي
المجاعة وتعييس وجه المنكر بل ما بعد انكاره شرعياً (وقد قال) الشيخ الامام
أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتاب الاربعين له كل من شاهد منكراً ولم ينكر
وسكت عليه فهو شريك فيه فالسامع شريك المغتاب ويجزى هذا في جميع
المعاصي حتى في مجالسة من يلبس الديباج ويتختم بالذهب ويهلبس على
المحبرير والمجلوس في دار أو حمام على حيطانها صوراً وفيها أو ان من الذهب
أو الفضة والمجلوس في مسجد يسي الناس الصلاة فيه فلا يفتون الركوع
والسجود والمجلوس في مجلس وعظ يجزى فيه ذكر البدعة أو في مجلس
مناظرة أو مجادلة يجزى فيه الاذى أو الابصاف بالسفاهة والشتن (وبالجملة)
من خالط الناس كثرت معاصيه وان كان تقياً في نفسه الا ان يترك المداينة
فلا تأخذ في الله لومة لائم ويستغل بالحسبة والمنع وانما يسقط عنه الوجوب
بأمرين أحدهما ان يعلم انه لو انكر لم يلتفت اليه ولم يترك المنكر ونظر اليه بعين
الاستهزاء وهذا والغالب في منكرات يرتكبها الفسهاء ومن يزعم أنه من
أهل الدين فهو ناجو زالسكوت ولو كان يستغيب الزجر باللسان ويجب أن
يغارق ذلك الموضع فليس يجوز مشاهدته المعصية بالاختيار فمن جالس في
مجلس الشرب فهو فاسق وان لم يشرب ومن جالس مع ثياباً أو لباساً حراماً
أو أكل ربا أو حراماً فهو فاسق وإلحاقهم من موضعيه الثاني ان يعلم انه يقدر
على المنع من المنكرات بان يرى زجاجة فيها خمر فيكسرها أو يسب آلة
الملاهي من يد صاحبها ويضرب بهاء إلى الأرض وان علم أنه يضرب

أورصاب بكره فهاهنا يستحب المحسبة لقوله تعالى وأنه عن المنكر وأصبر
على ما أصابك ثم قال عمدة المحسبة شيان أحدهما اللطف والرفق والبداية
بالوعظ على سبيل اللين لا على سبيل العنف والترفع والادلالات بدلالة الصلاح
فإن ذلك يؤكده داعية المعصية ويجعل العاصي على المنكر وعلى الأذى ثم
إذا آذاه ولم يكن حسن الخلق غضب نفسه وترك الإنكار لله واشتغل بشغفه
غلبه منه فيصير عاصيا بل ينبغي أن يكون كارها للمحسبة يود لو تركت المعصية
بقول غيره وإذا أحب أن يكون هو المعترض كان ذلك مساقى نفسه من دلالة
الاحتساب وعزته قال صلى الله عليه وسلم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن
المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حكيم فيما يحكم فيه ما
ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ووعظ المؤمن ربه الله واعظ
بعضه فقال يا رجل ارفق فتدبعت الله من هو خير منك إلى من هو شر مني
وأمره بالرفق فقال له فقولا له قولنا وروى أبو أمامة رضي الله عنه أن غلاما
شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أأذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال
صلى الله عليه وسلم أقروه أقروه أدن مني فدنا منه فقال عليه السلام أتجبه
لأمتك فقال لا جعاني الله فذاك فقال عليه السلام كذلك الناس لا يحبونه
لأنهم ثم قال عليه السلام أتجبه لأمته قال لا قال كذلك الناس لا يحبونه
لأنهم حتى ذكر الأخت والعمة والمخاله وهو يقول كذلك الناس لا يحبونه
ثم وضع يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه فلم
يكن بعد ذلك شيء أبغض إليه من الزنا وقال بعضهم لا فضيل أن سفيان بن
عمينة قبل جواز السلطان فقال ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا به وعاتبه
بالرفق فقال يا أبا علي إن لم نسكن من الصالحين فأننا نحب الصالحين العمدة
الثانية أن يكون المحتسب قديدا بنفسه فهاهنا وترك ما ينهى عنه أولا قال
الحسن البصري رحمه الله تعالى إذا كنت تأمر بالمعروف فلتكن مراعا له قبل
أخذ الناس به والأهلكك فهاهنا هو الأول حتى ينفع كلامه والاستهزى
به وليس هذا شرط بل يجوز الاحتساب للعاصي أيضا (قال أنس) قلنا
يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى تعمل به كله قال بل مروا بالمعروف وإن لم
تعملوا به كله وإنه وإن المنكر وإن لم تتجنبوه كله وقال الحسن البصري

يريد أن لا يظفر الشيطان منكم بهذه الخصلة وهو أن لا تأمروا بالمعروف حتى
تفعلوا الأمر كله يعني أن هذا يؤدي إلى حسم باب المحسبة فن ذا الذي يعصم
من المعاصي * * * *

هـ (فصل) هـ وينبغي له أيضا أن يتحزم من المزاح المخرج عن حد الوقار وإن كان
المزاح جائزا إذا كان على سبيل الصواب وابقاء هيبة العلم ووقاره ألا ترى إلى
واصف النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وكان يمزح ولا ية قول الأحقا مثل
قوله عليه أفضل الصلاة والسلام لا الذي سأله أن يحمله على جمل فقال له
لا أملك الأعلى ولدا ناقة أو كما قال عليه السلام فخرج إلى قومه فقال لهم
سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يحمني على جمل فقال لا أملك الأعلى ولدا
ناقة فقالوا له وهل الجمل الأولد الناقة ومثل قوله عليه السلام للمرأة التي شكت
زوجها فقال له ما زوجك هو والذي في عينيه يياض فأتت المرأة إلى زوجها
فوجدته نائما فجعلت تفتح عينيه وتنتظر البياض فاستفاق من نومه وسألهما
عن سبب ذلك فأخبرته بكلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما زوجها أما
علمت أن كل إنسان في عينيه يياض إلى غير ذلك مما شرعه عليه السلام في هذا
الباب تخفيفا لآفته ورحمة بهم صلى الله عليه وسلم فهذا هو توقيف بحال
العلم لا بالاعمال وحسن الملبس بل بحسن السمات واتباع الرسول صلى الله
عليه وسلم وقد صنف في ذكر الآداب سالف صالح منهم الامامان الكبيران أبو
طالب المكي وأبو حامد الغزالي وغيرهما من كبار الأئمة رضى الله عنهم وانما
ذكرت نبذاما احتاج إليه الوقت في الأمر الظاهر ومن طلب زائدا على ذلك
فليلقه في كتب الأئمة رضى الله عنهم (ثم نرجع) الآن إلى ما كنا بسبيله حين
خروج العالم إلى المسجد وتحيته له فاذا فرغ منها وحضرت صلاة الفرض فإن
صكان العالم مشتغلا بالبقاء العلم اذ ذاك فليترك كل ما هو فيه هو وجلسائه
ويشتغلون به وهذا هو المراد بقول القائل ما هو فرض يترك لفرض فيقال
هو طلب العلم يترك لاداء الصلاة وما تقدم من حكاية مالك مع ابن وهب
رحمهم الله تعالى في قوله له ما الذي قت إليه بأوجب عليك من الذي قت عنه
محمول على انهما لم يكونا في المسجد اذ ذاك فان كانت الصلاة لها ركوع قبلها
فان كانت الصبح صلى ركعتي الفجر وهي من السنن فاذا اراد أن يجعلها

فرضا فله ذلك كما تقدم وهو أن يذروها على نفسه عند التلبس بها فتصير
 فرضا في سنة وكذلك في غيرها ثم يصلى الفرض وقد تقدم ما يفعل فيه من
 استحضار الإيمان والاحتساب وغير ذلك مما ذكر قبل فاذا فرغ من صلاته
 ومن الآداب المندوب إليها بعد ما فاته من عليه النظر فيما يجب تقديمه
 أو يستحب وفيما يجب تأخيرها أو يستحب ومن هذا الباب يقع كثير من
 الناس في تقديم ما يجب تأخيرها أو تأخير ما يجب تقديمه فينظر في هذا الوقت
 المشهود وهو بعد صلاة الصبح وهو الذي يتكلم فيه ما يفعل فيه ما هو الأولى
 به فيه فيقدم فعله بالشروع فيه دون غيره قد كان مالك رحمه الله إذا جاء أحد
 يسأله عن مسألة علم بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس يقول يأتي أحدكم
 في صفة شيطان ويسأل عن مسألة علم انكارا منه رحمه الله الاشتغال بالعلم في
 ذلك الوقت افتداه منه بالاسانيف السابقين رضي الله عنهم واشاراعنه اشتغال
 ذلك الوقت بالتوجه والعبادة وهذا ينبغي أن يكون محمولا على زمنه لانهم
 كانوا راغبين في العلم فاذا طلعت الشمس انتشروا في طلب العلم والتخير وأما
 اليوم اذا طلعت الشمس انتشروا في أسباب الدنيا والآنهم ما كانوا فقل
 ان يتركوا ذلك ويأتوا المساجد لتعلم العلم لان العالم الذي يعلم العلم فرض
 المسئلة انه في المسجد بعد الصبح وسياق اذا كان في المدرسة أو غيرها ان شاء
 الله تعالى فاذا كان الامر كذلك من أحوالهم المذكورة آنفا فينبغي أو يجب
 اشتغال هذا الوقت بالكلام في مسائل العلم وآكدها الفقه والكلام في أمر
 الطهارة والصلاة والمحلال والمحرام وما يجوز وما يكره وما يمنع لعالمهم
 ذلك وينتفعون أحكامهم عليهم ولعل ذلك يدعوهم الى الاشتغال بالعلم
 والاصناف الى فوائد فانه أفضل الاعمال وعهدى من عادة كثير من علماء
 المغرب يأخذون الدروس بعد صلاة الصبح وبأقي العوام اليهم ينتفعون منهم
 في المساجد أمر دينهم وكان سيدي الشيخ الامام أبو الحسن الزيات رحمه الله
 أحد شيوخ سيدي أبي محمد رحمه الله يأخذ الدرس في رسالة الشيخ أبي محمد
 ابن أبي زبدر رحمه الله ويأين عبارته ليوصل الى العوام فهم العلم ولا يسمع
 سؤال طالب من الفقهاء ويقول لهم حتى ياتي درس كتاب التوحيد ان شاء
 الله تعالى لاني اذا اشتغلت بالبحث معكم فبأي شيء يوم هؤلاء المساكين الى

أسبابهم ودكا كينهم فهذه صفة العلماء المرجوع اليهم والمقتدى بهم - م رضى
الله عنهم لا جرم ان العوام صاروا في دكا كينهم من أعرف الناس بعلم
ما يحسب اولونه وما يحسب ساجون اليه وتجدد هم يبحثون في دكا كينهم بعض - هم مع
بعض في المسائل حتى ان بعضهم ليوقف بعض الفقهاء في بعض المسائل فاذا
طلعت الشمس فان كان هو على وضوء فليركع ركعتي الاشراف وتجزى عن
الضحى ان نواها وان اراد ان يجدها فافضل كما تقدم وهو - ذا بشرط ان
يكون فرغ من مجلس العلم عند الاشراف او قبله - وأما ان كان في انسانيته
فلا يقطع حتى يفته فاذا فرغ منه وهو - الى طهارة فليركع كما سبق
ثم ينصرف لسبيله فاذا خرج من المسجد فقد تقدمت الآداب في خروجه
منه - وينضاف الى ذلك ان ينوى سرعة العود الى المسجد لقوله عليه
السلام سبعة يظاهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وعدة منهم ورجل قلبه معلق
بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه فاذا ذهب مارا الى بيته فله في رجوعه
اليه نيات عديدة تارة تكون على الوجوب وتارة تكون على الندب فاقا
الوجوب فهو ان ينوى الرجوع الى الله له ليقوم بالحق الذي لهم عليه وأن
يرشدهم في دينهم ويتفقد أحوالهم وما يتعاطونه في فرضهم وغيره من الأمور
لأنهم من رعيته وهم مسئول عنهم لما ورد دكا كهم راع وكذا - مسئول عن
رعيته

• (فصل - ل) • وينبغي له أيضا أن يتحفظ على نفسه من مشي الناس معه ومن
خلفه ومن وطأ عقبه وتقدمهم نعله وان كانه على أحد الاضرورة شرعية
فان هذا كله من الكبر والخيلاء وقوة النفس غالباً وان كان في نفسه
متواضعا لكن ظاهر هذه الأفعال تنافي ذلك وتجر الى المذموم الامن رحم
ربك وكفى به أنه مخالف لمثل رضى الله عنهم أجمعين قال أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضى الله عنه أضرمنا على الانسان وطأ عقبه أو كما قال
وطأ العقب هو المشي خلفه

• (فصل - ل) • وقد تقدم ما يجب عليه أو يندب له في الطريق حين خروجه
فيقبل مثله في رجوعه
• (فصل - ل) • فاذا بدد دخول بيته قال بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله

وبقدم اليمين ويؤخر الشمال كما ورد في نحوه منه بخلاف المسجد وقد ذكر
فاذا دخل بيته فليسلم على أهله ان كانوا حاضرا وان كانوا في غير ذلك الموضع
فليسلم على نفسه فيقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وينبغي له أن
يقرا عند دخوله قل هو الله أحد كلمة لما ورد في ذلك من الثواب الجزيل
ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو فيقول اللهم اني أسألك خير
الموخر وخير المخرج بسم الله ومجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا لما
جاء فيه أيضا *

(فصل) وينبغي له أن يركع في بيته قبل جلوسه لقوله عليه الصلاة
والسلام لا تتخذوا بيوتكم قبورا وان شاء الله افرضا كما تقدم
(فصل) وينبغي له أن يتفقد أهله بمسائل العلم فيما يحتاجون اليه لانه
جاء من تعاليم غيرهم طلبا للثواب ارشادهم فخصاصته ومن تحت نظره أكد
لاشهم رعيته ومن الخاصة به كما سبق كل كم راع الحديث في عطيم نصيبتهم
في ابدار لتعاليمهم كذا الاشياء في الدين أولا وانفها وأعطها فاعلمهم الايمان
والاسلام ويحدد عليهم علم ذلك وان كانوا قد علموه ويعلمهم الاحسان ويعلمهم
الوضوء والغسل وصفة ثهما والتيم والصلاة وما في ذلك كله من الفرائض
والسنن والفضائل وكل ما يحتاجون اليه من امر دينهم الاثم فالأثم سمعت
سیدی أبا محمد رحمه الله يقول لما ان تأملت قات للزوجة لا تصرف ولا
تتكلم بكلمة في غيبي الا وتعرضها على حين آتى لاني مسئول عن تصرفك
كاه كنت مسئولا عن نفسي ليس الا وأنا الآن مسئولا عن نفسي وهناك
فاسئل عن عشر صلوات ثم كذلك في جميع الامامورات وكل ما أنا مطالب به من
الفضائل وغيرها حتى بالغ معها بان قال لها ان نقات الكوز من موضع الى
موضع فاخبريني به قال وذلك خيفة من أن تتصرف في شيء تظن انه لا يترتب
عليه حكم شرعي وقد يكون ذلك فيه فبقيت تخبرني بكل تصرفها الى ان طال
عليها ذلك فبقيت تخبرني بما يظهر لها ان في ذكره فائدة وتسكت عن الباقي
فوجدت نفسي قلقا خيفة أن يكون ما لم يظهر ان لها فيه فائدة قد يكون
فيه ذلك فبقيت اذا دخلت البيت ينطق الله لي جدار البيت حين أدخل
فيقول لي جميع تصرفها فاجاس فتعرض على كل ما تريد مما يظهر لها ان في ذكره

فائدة كما تقدم فاقول لها هل بقي شيء فتنقل على ما ظهر لها هو ذلك فاقول
 لها وفعلت كذا وكذا واذا ذكر لها بقية تصرفها فتنقل قول أوحى به رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان الباب على مغلقا ولا أجدهم في البيت أحدا وكل
 ذلك قد فعلته فن أخبرك بما بقيت بعد ذلك فتحرك بحركة حتى تخبرني
 (فانظر) رحمتك الله تعالى وإيانا كيفية نظركم إلى تخليص ذمهم فلهؤلاء
 الذين فهموا معنى قوله عليه السلام كلكم راع وكلكم مسئة عن رعيته
 وهم لو ابه نعمنا الله بهم وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاتهم بمنه لا رب غيره
 * (فصل) ومن آكد الاشياء وأهمها تفقد القراءة إذا أن القراءة على ثلاثة
 أقسام واجبة وسنة وفضيلة قالوا واجبة قراءة أم القرآن على كل مصل بجميع
 حروفها وحركاتها وشرائطها الآن من لم يحكم ذلك فصلاته باطله إلا أن يكون
 ماموما والسنة سورة معها والفضيلة ما زاد على ذلك أعني في غير الفرائض
 لأن أفضاها طول القيام فيها ألا ترى إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما
 حيث قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتح بسورة البقرة ثم آل
 عمران ثم النساء ثم المائدة حتى سمعت هذا في ركعة واحدة والله أعلم حيث
 ركع وحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث كان يقرأ في ركعة
 الوتر المختمة كلها وكذلك يفعل في ولده وعبدته وأمتة اللهم إلا أن يكون
 في بعضهم عجمة بحيث لا يقدر أن على النطق فلا حرج وقد ورد الحديث
 بالتصريح فيهم أنهم يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
 ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويتعين عليه أن يعلم عبده وأمتة
 الصلاة والقراءة وما يحتاجان إليه من أمور دينهما كما يجب ذلك عليه في
 زوجته وولده إذا فرق لأنهم من رعيته وقد كثرا جهل عند بعض الناس
 بهذا المعنى حتى أن بعضهم يرى أن العبد والتجارة لا حظ لهما في تعليم ذلك
 حتى لقد بلغني أن بعضهم يذكرون شيئا لو اعتقده لكان كفر الأشك فيه وإن لم
 يعتقده فهو جهل وسخف وبدعة يجب عليه التوبة منه والاقلاع عنه وهو
 ما اصطح عليه بعضهم من قواهم أن صلاة العبد وصومه وباقي عبادته كل
 ذلك لسيده أو لسيده وكذا لك الأمة وهذا لا قائل به من المسلمين أسأل الله
 العافية عنه وكذلك يعلم ما يخصه في أنفسه من معرفة المحكم

في الحيض فمن ذلك أن يعرفهن أن الحيض على ست مراتب أوله أسود ثم حمرة ثم صفرة ثم غبرة ثم كدرة ثم قصة ثم يقطع فتصير جافة فالخمسة الأول حيض والقصة والجفوف نقاء وكثيرا ما يتساهل اليوم في هذا الباب لقلة سؤالهن ومن يعلمهن فتهن من ترى أن الوطء انما يحرم في القمحين الأولين وأما الصفرة والغبرة والكدرة فلا بأس بالوطء فيها عندهم ومنهم من تعتقد أن الوطء انما يمنع في الثلاثة الأيام الأولى وبعدها يجوز الوطء ومنهم من تعتقد أن مدة الحيض سبعة أيام فان رأت الطهر قبل مضيا لم تعتد به واقتطرت تمامها دون غسل وصلاة وصوم ووطء وان زاد عليها اغتسلت وصلت وصامت ووطئت مع وجود الحيض وقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنسا فقد كفر عما أنزل على محمد انتهى فيستحلون ما حرم الله عليهم بسبب العوائد الرديئة وتغفل الأزواج ثم يعلمهن أكثر مدة الحيض وأقلها وما بينهما ويعرفهن ما اذارات الطهر قبل غروب الشمس بقدر خمس ركعات إلى ركعة واحدة وهي بقدر لها قدر زمن الغسل بلا تراخ أو زمن الركعات وكذا اذارات الطهر قبل طلوع الفجر باربع ركعات إلى ركعة واحدة والصبح إلى أن يبقى لها مقدار ركعة واحدة قبل طلوع الشمس ويحقق لمن الطهر بما إذا يكون لأن النساء يختلفن في هذا فواحدة يكون طهرها بالجفوف وأخرى يكون طهرها بالقصة البيضاء ويعلمهن أيضا موانع الحيض والنقاس وذلك خمس عشرة جملة متناهية متفق عليها عند الجميع وهي منع رفع حدثها من حيضتها وجوب الصلاة صحة فعل الصوم دون وجوبه من المحض دخول المسجد الاكاف الطواف بالبيت الطلاق في الحيض الوطء في الفرج ومنها خمسة مختلف فيها وهي منع وطئها فيما تحت الأزار منع وطئها بعد النقاء وقبل الغسل المشهور المانع من ذلك الثالث منع رفع حدث غيرها من استعمال فضل ما تمسكها فيها القرآن ظاهرا المشهور والجواز وليحذر من هذه البدعة المحرمة التي تفعل في زماننا هذا وهي أن تقعد المرأة بعد انقطاع دمها فتطلب الصابون في يوم وتغسل ثيابها في الثاني وتغسل في الثالث وتصلى بعد ذلك فتقعد مدة بغير صلاة

في ذمتهم ترك تكب ما هو أعظم وهي أنها لا تصل إلا ما أدركته بعد غسلها
ولا تقضى ما فوته بعد انقطاع حيضها وقد اختلف العلماء رضوان الله
عليهم في تارك الصلاة متعمدا وهو قادر على أدائها حتى نزع الوقت هل عليه
قضاء أم لا سبب الخلاف أنه هل هو مرتد أو مسلم فن قال أنه مرتد قال لا قضاء
عليه ويعود إلى الإسلام والمشهور أنه مسلم مرتكب كبيرة عظيمة فيجب
عليه أن يتوب ويقضى ما ترتب عليه في ذمته ولا تقبل شهادته إلا أن تظهر
استقامته وكذلك ينهيهم أيضا على ما إذا عمداً في بها الدم وزاد على طاعتها
واقطع وحكم ذلك المذكور في كتب الفقه وكذلك ان عمداً في بها ولم ينقطع
وهي المستحاضة ويتعين عليه أن ينهيهم على ما يفعل بعضهم من أن إذا
انقطع الحيض عن أحدها من خرجت إلى الحمام فتغتسل فيه وهي لا تدري
أحكام الغسل وما يلزمها فيه بل تنظف جسدها ووقتة تنصر عليه فأوملت
بهذا الغسل لم يصح صلاتها ولا يصل لزوجه وأطؤها إذا نزلت تغتسل به من
حيضتها الغسل الشرعي لأن النية لم توجد فيه فيجب عليه أن يعلم الحكم
في ذلك وهو أن تغتسل بنية رفع الحدث من حيضتها أو جنابتها أوهما معا
فإذا نوت النية المعتبرة فقد صح غسلها واستباححت الصلاة والطهارة وكل
ما كانت ممنوعة منه في حال حيضها سواء كان ذلك قبل إزالة الوسخ أو بعده
بخلاف ما يفعله بعضهم من أن الغسل إنما هو بدخول الحمام والتنظف فيه
من غير نية مجهول بالحكم في ذلك وينهيهم على هذه البدعة التي يفعلها بعض
النساء بل المحرمة وهي أنهن يعتقدن أن أحدها من لا تظهر حتى تدخل يدها
في فرجها وتغسل داخله فإن لم تفعل ذلك فلا غسل لها فحرمت هذه البدعة
المحرمة إلى محرم أجمع الناس عليه وهو أنها إذا انقطع حيضها ولم تغتسل وكان
ذلك قبل طلوع الفجر في رمضان فأنها يجب عليها صوم ذلك اليوم وهي لم
تغتسل فتترك الغسل نهارا محافظة منها على صحة الصوم بسبب أنها تغتسل
بإدخال يدها في فرجها فلو أنها لم تفعل هذا الفعل المحرم اغتسلت نهارا
وحصل لها الصلاة والصوم معا على أنها لو اغتسلت نهارا لصح صومها في
مذهب مالك رحمه الله مع فعلها هذا المحرم الشنيع لأنها لا تغتسل بذلك عنده
وينتقض به وضوءها دون غسلها لأن ما لا يكره الله أن سئل عن المرأة

تمس فرجها هل عليها وضوء أم لا فقال ان الطهارة عليها الوضوء قبل وماء مني
الطهارة قال ان تفعل كما يفعل ضرار النساء وهي ان تدخل أصبعها معها اه
وسبب هذا عدم العلم وعدم الفهم لمحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
ما رواه البخاري رحمه الله ان امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله كيف أغتسل من الحيض قال خذي فرصة ممسكة وتوضئي ثلاثا
ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم استحي وأعرض بوجهه أو قال توضئي بها قالت
عائشة فاخذتها فغذبتها فآخبرتها بما يريد النبي صلى الله عليه وسلم اه وذلك
ان دم الحيض اسود منين له رائحة ففقد يشبه الرجل فيكون سببا للفراق
والوضوء مأخوذ من الوضوء يقال وجهه وضى أى حسن تطيف فالمراد
بالوضوء المذكور في هذا الحديث انما هو تنظيف المحل وتطيبه وصفة
ما تفعل ان تاخذ شيئا من القطن أو غيره فتجعل عليه شيئا من المسك ولو قل
أو غيره من الطيب ان تذر المسك فترسله معها برفق وتلم عليه بحفاض
وتتركه حتى تظن ان ما في المحل قد تعلق به ~~هكذا~~ ثلاث مرات وليس هو
غسل باطن الفرج بالماء كما يزعم ومع ذلك ففيه أذية لها ولزوج لان الماء اذا
وصل الى باطن الفرج مع الاصابع ارغى المحل وبرده ووسعه لولم يكن فيه
الا انه يخالف للشرع فكيف مع وجود الضرر والاخلال بالفرض فان الله وانا
اليه راجعون والسنة في حقها ان تغسل المحل كما تغسله البكر سواء بسواء
لا تزيد على ذلك ويجب عليه ان يعلم أهله وغيره من ممن يتعين عليه تعليمهن
بما احدث بعض النساء في هذا الزمان ممن لها منظر وسمي فتخاف ان صامت
ان يذهب بعض جمالها أو تمنعها فتطرح خيفة من ذلك وهي لا تخلو من أحد
أمرين اما أن تفعل ذلك استحلالا فتكفر بذلك وان كان ذلك منها على اعتقاد
التحریم فهي مرتكبة لمصيبة كبرى يجب عليها ثلاثة أشياء التوبة والقضاء
والكفارة وتؤدب ان هتر عليها على ما هو معلوم فيحتاج العالم ان يتبدل لتعليم
هذه الاحكام للسير والصبر والذكر والانتفى قال الله تعالى ان المسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
وقال عليه الصلاة والسلام النساء شقائق الرجال فسوى بين الزوج والزوجة
والولد والعبد والامة في هذه الصفات الجميلة وما زال السلف رضوان الله

فرصة كخرقة
وزناومعنى اه

عليهم على هذا المتهاج تجداً ولادهم وعيهم وادهم واما هم في غالب أمرهم
 مشتركين في هذه الفضائل كلها ألا ترى إلى بنت سعيد بن المسيب رضي الله
 عنهم المسمى دخل بها زوجها وكان من أحد طلبة والدها فلما ان أصبح أخذ
 رداءه يريد أن يخرج فقالت له زوجته إلى أين تريد فقال إلى مجلس سعيد
 أعلم أعلم فقالت له اجلس أعلمك علم سعيد وكذلك ما روى عن الامام مالك
 رحمه الله حين كان يقرأ عليه الموطأ فان نحن القارئ في حرف أو زاد أو نقص
 تدق ابنته الباب فيقول أبوها للقارئ ارجع فالغلط عليك فيرجع القارئ
 فيجد الغلط وكذلك ما حكى من أنه كان في المدينة على سائر أهلها أفضل
 الصلاة والسلام وأنه اشترى خضرة من جارية وكانوا لا يبيعون الخضرة
 إلا بالخبز فقال لها إذا كان عشية حين يأتيك الخبز فائتيني فاعطيك الثمن فقالت
 ذلك لا يجوز فقال لها ولم فقالت لأنه يبيع طعام بطعام غير يبيع دسأل عن
 الجارية فقيل له إنها جارية بنت مالك بن أنس رحمه الله تعالى وعلى هذا
 الأسلوب كان حالهم وانما عيبت من عيبت تأنيهاً على من عداهم وقد كان في
 زماننا هذا سيدي أبو محمد رحمه الله تعالى قرأت عليه زوجته الخصة فحفظتها
 وكذلك رسالة الشيخ أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله ونصف الموطأ للامام مالك
 رحمه الله تعالى وكذلك ابتناها قريبيان منها فإذا كان هذا في زماننا هذا بالاك
 برمان السلف رضوان الله عليهم أجمعين والعالم أولى من يحمل أهله ومن
 يلوذ به على طلب المراتب العلية فيجتهد في ذلك جهده فانهم آكد وعيته
 وأوجبهم عليه وأولاهم به فيأبهم على ما تقدم ذكره * *

• (فصل في آداب الأكل) • ويتحرز من هذه البدعة التي أحدثت وهي أن
 يكون للرجل طعام خاص به وزبديّة خاصة به وكوز خاص به ألا ترى
 حديث عائشة رضي الله عنها قالت كنت أشرب من الأناة فيأخذ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فيشرب منه فيضع فاه في موضع في أه وهذا شريع منه
 عليه السلام اتغنم أمته بركة بعضهم لبعض وتكون منفعتهم عامة بعضهم
 لبعض وانظر إلى قوله عليه السلام سؤر المؤمن شفاء فيحرم المسكين هذه
 البركة بسبب هذه البدعة التي أحدثت وانظر إلى قوله عليه الصلاة
 والسلام المؤمن يأكل بشهوة عياله انتهى فإذا كان له طعام خاص به فهو

ياكل بشهوة نفسه فكيف بالعالم الذي هو امامهم وقدوتهم وهذه دسيسة
من دسائس ابليس دسها على المسلمين بواسطة النساء لانهن يجدن السبيل
الى اطعام الرجل ما يختزن من السحر وغيره لئلا تصان عقاهن ودينهن اذا هن
مصائد الشيطان وغيرهن تحملهن على ذلك فلو كان يشاوهن في الاكل
ما وجد ابليس لفتح هذا الباب من سبيل فانظر رحمنا الله واياك الى شين
البدعة كيف تجر الى محرمات وأقل ما في ذلك ان فاعله متصف بالكبر
وانه المولى للناس بالتواضع واتباع السنة والمبادرة اليها وينبغي له ايضا
ان يقر من الاكل وحده لما ورد شر الناس من أكل وحده وضرب
عبده ومنع رفقته انتهى اللهم الا أن يكون معذور في ذلك بسبب حجة
أو مرض أو صوم أو وصال أو غير ذلك من الاعذار الشرعية وهي كثيرة
متعددة فقد خرج هذا عن هذا الباب الى باب ارباب الاعذار ومع ذلك فلا
يغنى من أثناء بطعام أن يذيقه منه شيئا وانظر الى قوله عليه الصلاة والسلام
اذا نني أحدكم خادمه بطعام فليأكله لقمة أو لقمةين أو كلة أو كلةين لانه
ولى علاجه اه وما ذاك الا لقوة باعث الشهوة على الخادم ولا فرق على هذا
التعليل بين الخادم وغيره من يباشر ذلك أو يراهم لان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن الاكل والعينان تنظران حتى لو نظر اليه هرا وكاب فقد جعله العلماء
داخلا في النهي وينبغي له أن يجلس معه من عمل له الطعام فان لم يجلسه
فليأكله كما تقدم ويكون ما يأكله من أوله لا من فضائه وينبغي له أن يقر
من الاكل وأحد قائم على رأسه اذ ذاك فانه من البدع والتشبه بالا عا جهم قل
ان سلم من وجود الكبر وكثير من يفعل اليوم هذا سيما اذا كان الذباب كثيرا
فيعوم شخص على رؤس الات كابين فينش عليهم ويرقح وهذا من البدع
فان اضطر الى ذلك فليكن فاعله جالس حتى يسلم من التشبه بالا عا جهم ومن
الخيلاء والكبر ولا فرق بين أن يكون القائم عبده أو أمته أو كائنا من كان
(فصل) فاذا اراد أن يأكل فلا يخلو اما ان تكون يده نظيفة
أم لا فان كانت نظيفة فهو بخير في الغسل أو الترتك والغسل أولى الا ان التزامه
اعنى المداومة عليه بدعة فان كان على يده شيء أو حدث بدنه أو مس عرقه
فلا بد من غسلها وقد ورد في الحديث الغسل قبل الطعام ينقي الفقر وبعده

ينقي اللحم يعني المجنون وينوي بغسلها اتباع السنة وهذا فيها كان له من
الطعام دسم فان لم يكن فلا بأس بترك الغسل وقد كان أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتخذون بأقدامهم وفيه منفعة لها وهذا دليل واضح
على ترفيعهم لنعم الله تعالى اذ أنه لو بقي في اليد شيء من أثر الطعام ما اتخذوا
بالأقدام يؤيد ذلك أمره عليه الصلاة والسلام بالحق اليد بعد الأكل أو براءة
أخاه وقد أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضى الله عنه
فصحة بقي لعاقه قال فلعنة لها فشبعت وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه
الله في سراج المرادين له وقد روى ابن عاصم بن أبي أويس عن مالك انه دخل
على عبد الملك بن صالح يسلم عليه فجلس ساعة ثم دعا بالطعام ودعا بالوضوء
لغسل يده فقال عبد الملك ابدء واياي عبد الله يغسل فقال مالك ان ايا عبد
الله لا يغسل يده فاغسل أنت يدك فقال له عبد الملك لم يا ابا عبد الله فقال له
ليس هو من الأمر الا قول الذي أدركت عليه أهل بلدنا وانما هو من زى الجهم
وقد بالغنى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول اياكم وزى الجهم
وأموورها وكان عمر بن الخطاب اذا أكل مسح يده بظهر قدميه فقال له عبد
الملك افترى لى تركه يا ابا عبد الله قال اى والله فاعاد عبد الملك الى ذلك اه فاذا
حضر الطعام بين يديه فيحتاج فيه الى آداب منها ان يشعر نفسه فينظر فيها
حضره كم من طالم علوى وسقى خدمه فيه لما قيل ان الرقيق لا يحضر بين
يدي آكله حتى يخدم فيه ثمانية وستون طالما على ما نقله ابن عطية رحمه الله
في كتاب التفسير له فاذا أشعر نفسه بذلك فيعلم قدر نعم الله تعالى عليه في احضار
هذا الرقيق بين يديه فيقدر شكرها بان يعلم ما لله تعالى عليه من النعم ومحجزه
عن شكرها ثم الاكل في نفسه على خمس مراتب واجب ومندوب ومباح
ومكروه ومحرم فالواجب ما يقيم به صلبه لاداء فرض ربه لان ما لا يتوصل الى
الواجب الا به فهو واجب والمندوب ما يعينه على تحصيل النوافل وعلى تعلم
العلم وغير ذلك من الطاعات والمباح الشيع الشرعى والمكروه ما زاد على
الشيع قليلا ولم يتضرر به والمحرم البطنة وهو الاكل الكثير المضر للبدن
ورتبة العالم التخيير بين الاكل المباح والمندوب وقد سبق خدمهما فاذا
أراد أن يأكل فليقل عنده بم الله اللهم بارك لنا فيه وينوي مع ذلك اتباع

السنة وينبغي له ان يستغفر قبل التسمية او معها كبقية الامور الى الله تعالى يا كاهن فينوي ان يستعين يا كاهن ذلك على طلب العلم لقوله عليه الصلاة والسلام من سلك طريقا يطالب به علم الله له طريقا الى الجنة اهـ ويضيف الى ذلك نية الافتقار والحاجة والاضطرار والمسكنة مع نية الوجوب والتدب المتقدي الذي ذكر في التقسيم ونوع من الاعتبار والتعلق بولاء والشكر والرجوع اليه في اكله وفي تخايفه من آفة اكله فان له ملكا موكلا بالطعام وآخر بالشراب فاذا اخذ لقمة سوغها له الملك ومثله في الشراب فاذا قدرا منه يشرق تخلي عنه الملك باذن ربه حتى يتغذيه ما قدر عليه فيحتاج ان يعرف قدر نعم الله تعالى عليه في تسوية هذه اللقمة والشربة فلا يفهم جميع ما يحتاجه من ذلك ويفكر في حاله حين الاكل اذ انه متوقع للموت في كل لقمة وفي كل شربة وكثير من جرى له ذلك الا ترى الى ما جرى في مجلس الحسن البصري رحمه الله حين قال ان الله اذا اراد ان يقتل بالنعم قتل بالنعم ولو كان ما كان او كما قال فقال له رجل ايقول بالزبد فقال نعم فلما ان خرج الرجل من المجلس قال ما تغذي اليوم الا بالزبد حتى اري ما قاله الحسن الحديث موت بالزبد فانه قد غزا وزيدا وجاء الى بيته فرفع لقمة فاكلها فشرق بها فأتى الله تعالى السلامة عنه وقد قال عليه الصلاة والسلام ان طلب اهل الكتاب للياهلة فامتنعوا والذي نفسي بيده لو فعلوا مات كل واحد منهم بريقه او كما قال فاذا كان الموت متوقعا معه في حال بقاء ريقه فسا بالاك باللقمة او الشربة والموت متوقع معه في حال طلبه للحياة الا ترى ان الاكل والشرب في غالب المحال لا يطلبهما الناس الا للحياة وقد يموت بهما فانفس سبب الحياة يخاف منه الموت وهذا دليل على عظيم قدرة الله تعالى ثم ان الملك الذي يتناول اللقمة والآخر الذي يتناول الشربة وظاهريهما التسوية ليس الا وله ملك آخر موكل بالغذاء فيقسم قوته على البدن فيرسل لكل عضو وجارحة وعرق ما يصلح له ويحمله بعد تصفيته فيعطى اللطيف لطيفا والكنيف كنيفا فقدرته قادر وملاك آخر ياخذ ما لا قوت فيه وهو الفضلة فيرسله للمصران فلو بقي معه ذلك الثفل مات به او زاد خروجه على العادة مات فهو عيب دمفة مريض طرحت حاج الى شيء يا كاهن والى من سوغ له والى من

يدفعه عنه فينبغي له بعد أن يتربق الموت عند كل نفس لأن أنفاسه عليه
 معدودة قال الله تعالى اغشاهم بعد ما قال ابن عباس رضي الله عنه تعد
 عليهم الأنفاس فتصير كما حكى عن بعضهم أنه جاء إلى شيخه ابن زوره قال قد خات
 عليه فوجدته يصلي فأدبر في صلاته وقال لي ما حاجتك فاني مشغول فقلت له
 وما شغلك قال أبادر خروج روعي وقال غيره جئت إلى شيخني لاسلم عليه فخرج
 فسلمت عليه فرأيت في كسائي عقدة فقال ما هذه فقلت أخى فلان اعطاني
 لوزات عزم على أن أفطر عليها فقال له وأنت تظن أنك تعيش إلى المغرب
 والله لا كلمتك بعد ما أبدأ أو كما قال وكما حكى عن بعضهم أنه دخل عليه
 فوجدوه يلتفت يمنة ويسرة لا فقالوا له من أنت فتأفت قال الملك الموت أنظر
 من أي ناحية يأتي لقبض روعي واصالح الانسان ملائكة عديدة فربما تقدم
 ذكره لحفظه وحراسته والاعتناء به الا ترى انه اذا نام فهو محروس من
 الخشاش والخبان وغير ذلك وما ذاك الا حراسته بالملائكة الموكلين به وان
 اراد الله تعالى به امر اخذوا عنه كما تقدم دليل ذلك قوله تعالى له معقبات من
 بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ومن من عند ابن قانع عن ابي امامة
 رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالمعبد ستين
 وملائكة ملك يذوبون عنه من ذلك بالبربعة أملاك ولو وكل العبد إلى
 نفسه طرفة عين لا خبطة له الشياطين اه فاذا نظر العبد إلى هذه المحكم تبين
 له قدر نعم المولى سبحانه وتعالى عليه اذ ان الملائكة تحفظه في حال الحياة
 وتحرسه بعد المات كما ورد في الخبر ان الحفظة تصعد إلى الله عز وجل فتقول
 يا ربنا وكلنا بعبدك فلان وقدمات وأنت أعلم او كما قال فان فعل فيقول الله
 عز وجل انزل إلى قبره واعبداني واكتب له ذلك في صحيفته إلى يوم القيامة
 فانظر إلى هذه المنة العظمى والكرم الشامل اللهم لا تحرمنا ذلك يا ذا الفضل
 العظيم وينبغي له ان يعتبر في حال اكله وكيفية امره فيكون مشغولا بذلك
 التفكير واذا كان ذلك كذلك فيجب ما قاله بعضهم ان هؤلاء بقي أكلهم اكل
 المرضي ونومهم نوم الترقى فيكون مشغولا بنفسه بذلك معني شافي تلك الحالة
 وغيرها وقد ذكر بعضهم انه يسمى عند كل لقمة وهذا الذي قاله وان كان
 حجة ما لا يتبع أولى لانه لم يكن من فعل من معنى ولا يسمى عند كل لقمة

اذ ان ذلك بدعة فمن متبوعون لا ممتنعون اللهم اجعلنا من المتبعين وكذلك
لا يقول بسم الله الرحمن الرحيم لانه لم يرد ذلك وانما ورد بسم الله وان كان ذلك
حسنا وكذلك ينبغي ان لا يفعل ما قاله بعضهم انه يقول في اول لقمة بسم الله
وفي الثانية بسم الله الرحمن وفي الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ثم يسمى بعد ذلك
في كل لقمة وهذا مثل ما سئل عنه الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى حين
قيل له كيف تقول في الركوع سبحان ربي العظيم او سبحان ربي العظيم وبحمده
فقال اما انا فلا أقول وبحمده تحفظا منه على الاتباع ولم يتعرض الى ما زاد
على ذلك اذ انه ذكر حسن لكن الاتباع لا يفوقه غيره ابدا وينبغي له ان لا
يبا~~كل~~ وهو قائم او ماش بل حتى يجلس وينبغي له ان يجلس الجالس الى
الطعام على الهيئة الشرعية وهو ان يقيم ركبته اليمنى ويضع اليسرى من غير
ان يجلس عليها والهيئة الثانية الشرعية ان يقيمهما معا والهيئة الثالثة
الشرعية ان يجلس بجلوسه للصلاة واما جلوس المتريع والمجالس على ركبته
السكاب راسه على الطعام فهاتان منهي عنهما وانما كره ان يكب راسه لئلا
يقع شيء من فضلاته في الطعام سيما اذا كان مضطضا فيعافه هو وفي نفسه
وبعافه غيره سيما ان كانت العمامة كبيرة فيكون ذلك سببا لمنع غيره من
مديده للمائدة او حصرها وكفى بها من الهيتين انه مخالف للسنة فيهما وقد
روى البخاري وابوداود عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا قال الخطابي رحمه الله بحسب اكثر العامة
ان المتكئ هو المائل المعتمد على احد شقيه لا يعرفون غيره وكان بعضهم يتناول
هذا الكلام على مذهب الطيب ودفع الضرر عن البدن اذ كان معلوم
ان الاكل ما تلا على احد شقيه لا يكاد يلم من ضغط يناله في مجاري طعامه
ولا يسيغه ولا يسهل نزوله الى معدته قال الخطابي وليس معنى الحديث
ما ذهبوا اليه وانما المتكئ هو من اعتمد على الوطاء الذي تحته وكل من
استوى قاعدا على وطاء فهو متكئ والاكاء ما اخذ من الوكا ووزنه
الافتعال ومنه المتكئ وهو الذي اركأ مقدمته رشدها بالقعود على الوطاء
الذي تحته والمعنى اني اذا كنت لم افقد متكئا على الاوطئة والوسائد فعل من
يريد ان يستكثر من الاطعمة ويتوسع في الالوان وليكني آكل علاقة وآخذ

العلاقة والبلغة
بوزن الافة
ما يبلغ به اه

ينفي الالم يعني المجنون وينوي بغسلها اتباع السنة وهذا فيما كان له من
 الطعام دسم فان لم يكن فلا بأس بترك الغسل وقد كان اصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يتخذون باقدامهم وفيه منفعة لها وهذا دليل واضح
 على ترفيعهم لانهم اتبعوا الى اذنه لوبقى في اليد شيء من اثر الطعام ما اتخذوا
 بالاقدام يؤيد ذلك امره عليه الصلاة والسلام باليد بعد الاكل او بلعها
 اخاه وقد اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضى الله عنه
 فصمة بقي لعاقه اقال فلعقتها فشبعت وقد قال القاضي ابو بكر بن العربي رحمه
 الله في مراجع المريدين له وقد روى اسماعيل بن ابي اويس عن مالك انه دخل
 على عبد الملك بن صالح يسلم عليه فجلس ساعة ثم دعا بالطعام ودعا بالوضوء
 لغسل يده فقال عبد الملك ابدء واياي عبد الله يغسل فقال مالك ان ابا عبد
 الله لا يغسل يده فاغسل أنت يدك فقال له عبد الملك لم يا ابا عبد الله فقال له
 ليس هو من الامر الا قول الذي أدركت عليه أهل بلدنا وانما هو من زى الجهم
 وقد بلغني ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول اياكم وزى الجهم
 وأموورها وكان عمر بن الخطاب اذا أكل مسح يده بظهر قدميه فقال له عبد
 الملك افترى لي تركه يا ابا عبد الله قال اى والله فاعاد عبد الملك الى ذلك اه فاذا
 حضر الطعام بين يديه فيحتاج فيه الى آداب منها ان يشعر نفسه فينظر فيها
 حاضرة كم من عالم علوى وسقى خدمه فيه لما قيل ان الرغيف لا يحضر بين
 يدي آكله حتى يخدم فيه ثمانية وستون طالما على ما نقله ابن عطية رحمه الله
 في كتاب التفسير له فاذا أشعر نفسه بذلك فيعلم قدر نعم الله تعالى عليه في احضار
 هذا الرغيف بين يديه فيقدر شكرها بان يعلم ما لله تعالى عليه من النعم وعجزه
 عن شكرها ثم الاكل في نفسه على خمس مراتب واجب ومندوب ومباح
 ومكروه ومحرم فالواجب ما يفهم به صابه لاداء فرض ربه لان ما لا يتوصل الى
 الواجب الا به فهو واجب والمندوب ما يعينه على تحصيل التوافل وعلى تعلم
 العلم وغير ذلك من الطاعات والمباح الشيع الشرعى والمكروه ما زاد على
 الشيع قليلا ولم يتضرر به والمحرم الباطنة وهو الاكل الكثير المضر للبدن
 ورتبة العالم التخيير بين الاكل المباح والمندوب وقد سبق خدمهما فاذا
 اراد أن يأكل فليقل عندهم الله اللهم بارك لنا فيه وينوي مع ذلك اتباع

يبارك لكم فيه ولم يردى من أكل مع غفوره غفر له وهذا فيه وجهان من
 الفوائد أحدهما بركة اتباع السنة والثاني كثرة البركة لوجود الملائكة لان
 البركة تحصل في الطعام اذا حضره واحد من المباركين أو أكل منه فكيف
 اذا اجتمع جماعة وأكل واحد من الجماعة ملائكة معه فيقدر عدد الجماعة
 تتضاعف الملائكة ووهما أكثر عليه من ليس له ذنوب كانت البركة فيه أكل
 وينبغي له ان يكون أكله من الطعام ثلاث بطنة ولثلاث وللنفس الثالث
 فهو من الآداب المطلوبة في الشرع الشريف وينبغي له ان يلعق الاناء اذا
 فرغ الطعام منه لما ذكرنا القصعة تستغفر للاحسن اللهم الا ان يكون قد
 شبع الشبع الشرعي فانه يترك ذلك الى ان يجوع فيأكلها أو ياتي غيره
 محتاجا فيأكلها وقد تقدم حديث أبي هريرة في هذا المعنى وينبغي له ان لا
 يخلى نفسه من ان يلقم زوجته اللقمة واللقمتين وكذلك من حضره من
 عبيده وامائه وأولاده وخدمته ومن حضره من غيره هؤلاء اصهارا ~~كافوا~~
 أوضيوا فإواصدا فإما ان أكل ذلك فأما الزوجة فلقوله عليه السلام حتى
 اللقمة يضعها في امرأته فقد حصل له الثواب مع ان وضع اللقمة في امرأته
 له فيه استئصال فغيرها من باب أولى الذي هو مجرد عن ذلك الا الله خالصا
 وينبغي له ان يحتسب في ذلك كله أعني احضار الطعام والا طعام لقوله عليه
 الصلاة والسلام اذا اتفق الرجل على امره يحتسب سافه وله صدقة ومعلوم
 بالضرورة ان الواجب فيه الثواب ابتداء لكن لما زاد هذانية الاحتساب
 جعل له في مقابلة الاحتساب صدقة فان استحضر مع ذلك الايمان كان له في
 مقابله مغفرة ما تقدم كما مر وينبغي له ان يصغر اللقمة ويكثر المضغ للسنة في
 ذلك وينبغي له في أول اللقمة ان يبدأ في مضغها بياحية اليمن لان تلك هي
 السنة لقوله عليه الصلاة والسلام الأفيمنوا الأفيمنوا الأفيمنوا وهذا عام
 في الحركات والسكنات الا ما استثنى على ما تقدم وبعد ذلك يأكل كيف شاء
 وقد حكى عن بعضهم ان شايبا جاء لزيارته فقدم له شيئا لالاكل فابتدأ الاكل
 بجهة اليسار فقال له من شيخك فقال له ياسيدي ان ناحية اليمن
 توجهتني فقال له كل رضى الله عنك وعن ربك ولاجل هذا المعنى يقال
 ان الشخص اذا ورد يعرف في تصرفه ما هو فان كانت حركاته وسكناته على

السنة عرف انه متبع وان كان على غير ذلك علم انه من العوام ومن هذا
الباب قول على رضي الله عنه لما ان سئل في كم يعرف الشخص قال ان سكت
فن يومه وان نطق فن حينه وما ذاك الا لما ذكر وينبغي له ان لا يأكل الا مما
يليه الا ان يكون الاكل مع اهله او هو الذي اتفق عليه ثم فله ان يجول
بيده حيث يشاء وكذلك في الفسحة والغمر وماء الاهل وغيره ثم سواء
وينبغي له ان لا يأكل من وسط القصعة ولا اعلاها بل من جانبها على ما تقدم
واذا وقعت منه اللقمة اما طعمها الاذى واكلها وينبغي له ان لا يقرن في
الحر وما اشبهه مما فيه من مخالفة السنة وينبغي له ان لا يأخذ لقمة حتى يتلع
ما قبلها فان اخذها من قبل ذلك من اثره والبدعة وينبغي له ان لا ينظر
الى الاكل الا ان يخاف على احد منهم ان يؤثر غيره ويترك نفسه بغير
شيء فلهذه المصلحة يتقدم هذه صفته في امره بالاكل وينبغي له ان
لا يصوت بالمضغ فان ذلك بدعة ومكره كما لا يصوت بجمع الماء من المضمضة
حين الوضوء فانه بدعة ومكره ايضا وينبغي له ان يعلم عدم الزيادة في الاكل
لان من رآه في اكله لا يؤمن عليه ان يرائي في عمله وقد حكى عن بعضهم ان
احصاه اثنوا على شخص بين يديه مرارا وهو ساكت لا يرد جوابا فسالوه
عن سبب سكوته فقال رايته يرائي في اكله ومن رآه في اكله لا يؤمن عليه
ان يرائي في عمله وينبغي له اذا اخذ لقمة لا يرد بعضها الى الصفقة خيفة من
اصابه لعابه كما تقدم وينبغي له ان لا يأكل من الوان الطعام لان ذلك ليس
من السنة وان كان جائزا ولا كره قد تقدم ان للعالم في الاكل رتبة بين قد
ذكرناهما قبل فاذا كانت الالوان استدعى ذلك الى الزيادة على رتبته لان
اكل لون شهوة باعثة غالبان كاكل الالوان لاجل شهوة عياله او غيرهم
فله ان يجيبهم الى ذلك على غير هذه الصفة وهو ان يعمل لهم في كل يوم لونا
واحد من الطعام فيجمع بين الاتباع وبين شهوة من طلب ذلك منه وقد حكى
ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قدّم اليه الوان طعام ففرغ الجميع في صفقة
واحدة ثم خلعاها ثم بعد ذلك اكل حفظا منه رضي الله عنه على الاتباع
للسنة وينبغي له ان يقابل الاطعمة فيما كل ثقيل بخفيف ورطب بيبس
وحار ببارد وينبغي ان يقسم الصائم اكله بين الفطر والسهو وليس لم من

الشبيح و يقوى على الصوم وينبغي له ان لا يتابع الشهوات الا ان يكون
ضعيفا وينبغي له ان لا يسرف في الاكل وعلامته ان يرفع يده وهو يشتهي
وينبغي له ان لا ينهش البضعة ويردها في القصعة لان كل ذلك مستقذر
وينبغي له ان ياكل على حائل عن الارض ولا ياكل على هذه الاخونة
وما شبهه الا انهم من البدع وفيها نوع من الكبر وقد نقل الشيخ المجليل ابو
طالب المكي رحمه الله في كتاب الفوت له ان اول ما حدث من البدع اربع
وهي المنخل والخوان والاشنان والشبيح اه اما المنخل فان كان الشئ
المطعمون باليد او برحى المساء فلا شك ان المنخل بدعة اذ لا ضرورة تدعو اليه
الامن باب الترفه وان كان الطحين بالدواب فلا شك ان المنخل يتعين ان
اصابه شئ من روث الدواب واما الخوان فلا ضرورة تدعو اليه لان النبي
صلى الله عليه وسلم كان ياكل على الارض في بعض الاحيان وفي بعضها
ياكل على سفرة وفيه تنبيه على ان الخوان من فعل الاعاجم وقد
نمينا عن التشبه بهم وهو على اى صفة ~~كان~~ ان جنسه من نحاس او خشب
او غيره وقد رأيت بعض المتبشرين اذا جاءته زبديّة لمّا قهر مرتفع يكبر قعرها
وحيثذا ياكل منها ويقول أخاف ان يكون خوانا لموهاء على الارض
فتقع في التشبه بمن تقدم ذكره واما الاشنان فلا يخلو ان يكون في ارض
مصر او غيرها فان كان في غيرها فلا شك انه بدعة لان محومها ليست فيها
ذرة بل لها رائحة عطرية كالحجاز والعراق وبلاد المغرب وغيرها وان كان في
ديار مصر فينبغي له ان يتغلف يديه من ذفر محومها وان لا يتعين الاشنان
فيستغنى بغيره ما استطاع تحفظا على السنة فان اضطر الى غسله به فعل
واقا الشبيح فقد تقدمت مراتب الاكل وهذا كله اذا كان العالم في بيته
مع اهله فاذا اكل مع الضيف فله زيادة آداب منها ان يخدم الضيف بنفسه
ان استطاع وينوي بذلك اتباع السنة لان النبي صلى الله عليه وسلم تولى
امرا محباب النجاشي بنفسه الكريمة فقبل له الا تكفيك فقال خذوا واحياي
فأريد ان ~~أكون~~ فينبغي على هذا ان يتولى بنفسه صب المساء على يد
الضيف حين غسل يديه ويقدم له ما حضر ويحذر التكلف لانه سبب
الى التبرم بالضيف وذلك ليس من شيم الكرام بل هو قبيح من الفعل وينبغي

السفرة جيد
يفرش على
الارض اه

إذا حضر من دعي أن يقدم لهم ما عندهم مجعلاً ولا يبطئ لئلا يتكسر وينبغي أن لا يتخير المدعو على الداعي انما يأكل ما حضر وينبغي أن يتخير المدعو أن لا يتشوط الله إلا أن يعلم أنه ليس في ذلك تكاف ويدخل السرور على من غيره والتكاف هو أن يأخذ عليه شيئاً بالدين وليس له جهة يعوّن منها أو يكون الذي يأخذ منه الدين متكرهاً لا يبذل له أو يكون المتدين يصعب عليه أن يبذل وجهه في أخذ الدين فهذا وما أشبهه هو التكاف الممتنع وأما أن كان الذي يؤخذ منه الدين يسر بذلك ولا تخير يدخل عليه السرور مع كون الوفاء يتيسر عليه فهذا ليس من التكاف في شيء وما أعزّه إذا كان لله خالصاً بل هذا النوع موقوف في زماننا هذا وينبغي للدعوى أن لا يبطئ من الطعام لا حديثاً لا بأذن صاحب المنزل وينبغي له أن يحذر عما يفعله به من لا خير فيه من أنهم يأخذون بعض ما يتيسر لهم أخذه فيجعله سوتة ويحبوا لونه فتحتم حتى إذا رجعه والخائبة ونهم أخرجه وهذا من باب السرقة وأكل أموال الناس بالباطل وينبغي إذا حضر من دعي وأحضر الطعام فلا ينتظر من غاب وينبغي له أن يحضر ما أمكنه من الطعام من غير أن يجهف بأهله وإن كانت ألواناً الضيف له حكم آخر غير حكم أهل البيت إذا نزل أهل البيت يمكنهم أن يأكلوا الألوان في عدة أيام بخلاف الضيوف فقد لا يقبلون ولأنه قد تكون شهوة بعض الضيوف في لون وآخر شهوته في آخر فإذا كانت الألوان لهذا الغرض فهو صحيح وله في ذلك جزيل الثواب لأن في ذلك إدخال السرور على الجميع وفي إدخال السرور على المسلمين ما قد علم وقد كان بعض السائق إذا جاءه الأضياف يقدم لهم في وقت واحد مائة ومائة مائة شهرراً ونحوه فيقال له في ذلك قيمة قول قد ورد أن قيمة الضيف لا حساب على المرء فيه أفهك كان لا يأكل إلا فضلة الضيوف لأجل ذلك وينبغي أن يروح عليهم صاحب البيت أو من يهيم مقامه وكذلك ينش ولا يفعل ذلك قائماً لأنه من زى الأعاجم وقد تقدم ما فيه من الكراهة وينبغي أن يدخل عليهم وهم يأكلون أن لا يسلم عليهم لما قاله علماءنا رحمه الله عليهم أن أربعة لا يسلم عليهم فإن سلم عليهم أحد فلا يستحق جواباً إلا كلى والمجالس لم حاجة الإنسان والمؤذن والمأوى وزاد بعض الناس قارئ القرآن وينبغي لصاحب البيت أو من يهيم

مقامه أن يبدأ بالاكل ايئسا للضيف فيؤاكلهم ولا يمين في الاكل حتى اذا
شبع الاضياف أو قاربوا حينئذ يأكل بانسراح ويعزم عليهم بالاكل خوفا من
أن يكون بقي بهضم يدون شبع وقد كان بمدينة قاس رجل من التجار
فكان يعمل الطعام الشهى في بيته ويجمع الفقراء فيصب الماء على أيديهم
حين غسلها ويقدم لهم الطعام فاذا شبعوا قعدوا كل ويسألهم ان يأكلوا معه
وبقوله لهم اشبعوا نفسي هذا الطعام فجاءت كفارة شهوته ان تأكله
قبلي فاذا فرغ من غسل أيديهم وقف لهم على الباب ودفع لكل واحد منهم
شيئا من الفضة وينبغي له أن يقدم الخبز قبل الادم ثم ياتي بالادم بعده
وينبغي له ان تكون نفسه غير متطامعة لشيء يبقى بعد الاضياف لانه ليس من
شيم الناس وينبغي له أن لا يحفظ طعاما للآخرين وليس عنده لانه قد
يدخل التشويش بذلك على بعضهم وينبغي للدعوان ان كان عنده الخبز
بالدعوة ان يصبح مفطرا فهو أفضل وذلك فقهه حال فاذا حضر المدعو ولم
يتقدم عنده الخبز وكان صائما فليدع وينبغي للدعوان لا يستحق رمادعي اليه
وان قل لما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لو دعيت الى
كراع لا تجبت ولو اهدي الى ذراع لقيت وينبغي له ان يتفقد الضيف في
أثناء أكله ويجعل خيار الطعام بين يديه ولا يجوجه ان يتأيد اليه لانه قد
يستحي من ذلك اللهم الا ان يكون الضيف فيه من الادلال ما يجعله على ذلك
ولا بأس بتركه وقد روي ان الحسن البصري وفرق دارهما الله تعالى حضرا
على طعام فكان فرق دلتقط الباب من الارض وبأكله ولا بأس كل من
الصحة شيئا وكان الحسن ينظر الى أطيب الطعام فيأكله فلما ان خرجا جاء
انسان من المحاضرين الى فرق فساله عن سبب ما رأى منه فقال له أغتني
بركة سؤرا لاني ولا أكرم نعمة الله تعالى لاني ان لم ألتقط ذلك قد يقع على
الارض فتدوسه الاقدام ثم راح الى الحسن فساله كما سال فرقدا فقال له
الحسن رضى الله عنه اني ما أجبتك حين دعاني الا لدخول السرور عليه
وكيفما أباغت في الاكل وتناولت أطيب الطعام الذي انتخبه ففيه ادخال
السرور عليه أكثر فينبغي له ان يتفقد من كان حاله كحال فرقدي في أكله
فيؤكده عليه ومن كان حاله كحال الحسن في ذلك فيسربه ويشكره على ذلك

وينبغي اذا حضر الخبز بين يدي الجماعة فلا ينتظرون غيره من الادم لان فيه
 عدم احترام الخبز واحترامه مطلوب في الشرع الشريف فان كان الخبز
 كثيرا ابقاه على حاله وان كان قليلا كسره وان كسره مع كثرتة فلا بأس به
 لان فيه ستر على الاكلين كل ذلك واسع وتكسر الخبز بالسكين بدعة
 مكرومة وفيه افتراء على محرمة الخبز وكذلك لا يعض في الخبز حين الاكل
 ولا ينهشه بخلاف اللحم لان السنة المحمدية قد فرقت بين ما جعلت العضم
 والنهش في اللحم من الخبز وبعض الناس يتقاهلون في هذه الامور
 فيقطعون اللحم بالسكين اذا ارادوا اكله ومثله الخبز ولا ضرورة تدعو الى
 ذلك ويحذر ان يفعل ما اعتاده بعض الناس في هذا الزمان وهو انه اذا
 كسر الخبز يجعل الناحية المكسورة من جهة الاكلين وكذلك ان جعله
 للاحية الزبدي فان تعدد ذلك بدعة بل يضع الخبز كيف تيسر ولا اجتماع
 عليه ولا ينفخ في الطعام ولا في الشراب لان ذلك منتهى عنه مع ان لا يامن من
 ان يخرج شيء من ريقه فيكون ذلك بصاقا فيه وهو مستقدر وفيه امتحان له
 وكذلك لا يتناول اللقمة بشماله لما ورد ان الشيطان ياكل بشماله ويشرب
 بيمينه والمؤمنون يراهم ذلك وينبغي ان ياكل بثلاثة اصابع من يده
 اليمين وهي المسبحة والايهام والوسطى الا ان يكون ثريدا وما اشبهه فباكل
 بالخمسة منها كذلك نقل عن السلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين ومضى
 عنهم رضي الله عنهم انهم كانوا يدهون باكل اللحم قبل الطعام ولا ياكل
 مضطجعا الا اشئ الخفيف كالبقل وغيره ما روى عن علي بن ابي طالب رضي
 الله عنه انه تناول تمرات وهو مضطجع وكذلك لا يشرب وهو مضطجع الا من
 ضرورة خيفة ان يجري عليه شيء في شربه واستحب بعضهم ان لا يخلى المائدة
 من شيء ان حضر بقل او غيره قال بعض الناس فيه انه ينبغي الجان او الشيطان
 او كما قال فاذا حضر الطعام فلا يجعل عليه الخبز خيفة ان يتأث به وكذلك
 لا يخرج الطعام ويحمله على الخبز الا ان يكون ياكل ذلك الخبز فان كان مما
 لا يتأثر فلا يجعل الخبز عليه احترامه الا ان يكون ياكله كما تقدم وليحذر ان
 يمسح يده في الخبز فان فيه امتحانا له وينبغي له ان لا يخلى اضيافه من شيء ملو
 وان قل بل هو اكد من الوان الطعام فلو اطعمهم لونا واحدا مع شيء لور

بعد كان اولى من حمل الالوان وليس فيها شئ خلوفان جهه افيا حبذا
وينبغي له ان كانت الوانا وقدم لهم بعضا او قد بقي بعضها ان يخبرهم بانه قد بقي
منده من الالوان كذا وكذا حتى لا يكتفوا من الاول وقد يكون فيهم من لو علم
بالطعام الشائى لا تنتظره فاذا لم يعلم به واتى به وجده على كفاية من الاول
فيحرمه شهوته ويحرم نفسه من سروره باكل المدعو فيكون قد نجس نفسه
حظها او كذلك يخبرهم بالمحلاوة ان كان ما حضره مع الطعام وكذلك الفاكهة
والنقل وغير ذلك وينبغي ان كانت الوانا ان يقدم خفيفها قبل ثقلها
فاذا فرغ من الاكل التقط ماسقط من اللبالب وينبغي للاضياف ان يتركوا
فضلة من الطعام وان قل امتثالاً للسننة وقد تكون لاهل البيت نية صالحة
في بقية سوره ويقدم لهم ما يغسلون به ايديهم في ذلك بنفسه كما فعل
قبل الاكل وينبغي ان يبدأ بالغسل افضاهم ثم يدور على يمين من يصب
عليهم الماء للغسل وينبغي ان يكون صاحب المنزل آخرهم غسل يد
وان يكون هو الذي يصب عليهم الماء للغسل وينبغي ان لا يبصق احد
في الماء ولا يغسل بالاشنان ولا بالتراب فاذا غسلوا بالماء مسحوا ايديهم بعد
الغسل ياخص اقداءهم ان كانت خفيفة او بخزقة صوف معدة لذلك او ما
يتوم مقامها من شئ خشن عدا المحرم شرعا ليزيلوا بذلك بقية الدسم عن
ايديهم محاسنة على النظافة الشرعية وانما منع من الغسل بالاشنان
والتراب خيفة ان يكون في الجماعة من يريد ان يشرب هذا الماء اذ ان شربه
شفاء وما زال السلف على ذلك لان الغسل بالاشنان والتراب يحرم بركة ذلك
له واخبره الا ان يشربه على تلك الحالة فيدخل في جوفه التراب والاشنان
والبصاق وهذا فيه ما فيه فان لم يكن في الجماعة من يظن به انه يشرب هذا
الماء فيغسل بماء من تراب وغيره والغسل بالاشنان لا يفعله الامع تعذر
غيره كما تقدم وقد نقل عن كثير من هذه الطائفة انهم كانوا يستشفون بهذا
الماء ويتشاحون عليه ويتنفسون فيه حتى انهم يقيمون النداء عليه
ويببونه باليمن الكثير حتى يحصل لهم بركة ذلك اغتناما منهم للبركة
الآتية الى ما وقع في قصة هرقل لما سأل عن احباب النبي صلى الله عليه
وسلم كيف حالهم في تصرفهم معه فاخبر انهم يتبركون بالماء الذي يتوضأ به

وببصافه وماشا كاهما فاستدل بذلك على صحة نبوته عليه الصلاة والسلام
وكذلك المتبعون له باحسان الى يوم الدين هذه البركة حاصلة لهم وان كانت
ليست مثلها ~~لك~~ بركة الاتباع له صلى الله عليه وسلم والمحافظة على ذلك
ورثوا منها او فر نصيب (وقد) وقع عندنا بمدينة فاس ان القاضي الاعظم بها
وكان يعرف بابن الغبلى وكان من الفقههاء والصلحاء الكبار مرض مرضا شديدا
الى ان اشرف منه على الموت وكان بالبلد طبيب حاذق في وقته عارف بالطب
فايس منه وقال لهم اتركوه يا كل كل ماشاء واختار فانه لا يباله على مقتضى
ما استدل به من الصنعة فأرسلت زوجة القاضي الى الشيخ الجليل ابي عثمان
الورسكي الى فآخبرته بما جرى من الطبيب فأخذ الشيخ الماء وتوضأ في اناء ثم
أرسل بماء وضوئه الى زوجة القاضي وقال له اسقيه هذا الماء فسقته ذلك
ثم بقي ساعة ثم قام يريد قضاء حاجة الانسان فأتى له باناء فتضى حاجته فيه
فوجدت فيه كبة عظيمة سوداء فتعجب كل من رآها فأرسلت زوجة القاضي
الى الطبيب الذي ماشك انه يموت كما تقدم فأرته ما خرج منه فتعجب من ذلك
عجبا شديدا وقال هذا أمر الهى ولا يقدر على هذا الا الله تعالى فاما البشر
فلا يقدر ان يخرج هذا من فؤاده وهذا هو الذى لو بقي معه لقتله وأما
الآن فلا خوف عليه (فانظر) رحمتك الله تعالى الى هذه البركة
كيف هي باقية في المتبع له صلى الله عليه وسلم وهذه العصابة فيهم من أظهره
الإيمان الى فهو معروف ومنهم من أخفاه فلا يعرف فيقتنم بركة الجميع وينبغي
له ان ينبه من حضره وغيرهم على ما يفعل اليوم من هذه البدعة بل المحرم
للسرف والمخجل لادوهى ما يفعله بعض الناس من غسل الايدي بماء الورد
وتشفيفها بالماء اذيل والفور الحار و قد تدم ان وظيفة العالم في التغيير
الكلام باللسان فيبث حكم الله تعالى اعباده اذا قدر بشرطه وينبغي ان لا
ياكل أحد حتى يحضر الماء فان الاكل بغير حضوره بدعة اذ ان ذلك خلاف
السنة وفيه خطر لانه قد يشرق باللامعة فلا يجد ما يسيغها به فيسكن وقد
تسبب في هلاك نفسه وينبغي له اذا فرغ من أكله ان يشروخ ولا يابث ولا
يتحدث بعد غمام الطعام وينبغي له ان لا يستجمل برفع السفرة لوجوه أربعة
الاول بسط الجماعة بزيادة الانس لهم الثاني لعل أن يأتي وارء فيحصل

من حضر بركته أو أجره أو هما معا الثالث لما ورد أن الملائكة تستغفر
 لهم ما دام المأكل بين أيديهم وهذا عام ولو فرغوا من الأكل فترك لأجل
 ذلك الرابع أن في تركها التشبه بالكرام والتشبه بالكرام فلاح ويتبع
 لهم أن يتنزلوا السنة بعد فراغهم من الأكل في ذلك بقولهم الحمد لله اللهم أبدلنا
 خير مما كنا إلا أن يكون لنا السنة أن يقال فيه الحمد لله اللهم زدنا منه وكان
 سيدي أبو محمد رحمه الله يقول الحكمة في ذلك والله أعلم طالب الزيادة من
 الفطرة أعنى فطرة الإسلام التي قبض عليها عليه الصلاة والسلام حين أتى له
 بطشتين أحدهما مملوءة لبنا والآخر خرا أقبض عليه الصلاة والسلام على
 طشت اللبن فوقع النداء قبض محمد على الفطرة فهو عليه الصلاة والسلام يستزيد منها
 فلو جئناه على ظاهره لوقع الاشكال ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام خبر أن
 تسير معه جبال تهامة ذهباً وفضة تسير أسيره وتقف لوقوفه فأبى فكيف
 يطلب الزيادة من هذا الشيء اليسير فدل على أن المراد ما تقدم ذكره وقيل
 غير ذلك الثاني أن يقول الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقني من غير
 حول مني ولا قوة الثالث أن يقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا
 وآوانا وجعلنا مسلمين إلى غير ذلك مما ورد فأى ذلك قال فقد امتثل السنة وإن
 أتى بالجميع فباحبذا ويزيد الضيف مارواه أبو داود في سننه من حديث
 أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عبادته فجاء بخبز
 وزيت فأكل ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أفطر عندكم الصائمون وأكل
 طعامكم الأبرار وصالت عنكم الملائكة اه زاد بعضهم وذكرهم الله فيمن عنده
 ويتبعني له أن لا يجهل بشرب الماء لأنه مضر بالبدن على مقتضى صناعة الطب
 سيما إذا كان الطعام سخناً فإنه يخضر الغم ويتأف الأسنان ويقبح الطعام
 وينزله من المعدة قبل أن يتخضع وذلك ضرر كبير إلى غير ذلك فإذا شرب شيئاً
 نوى به ما تقدم من النيات في الأكل ثم سمي الله تعالى وهو أن يقول بسم الله
 فقط وقد تقدم الحكم إذا قال الرحمن الرحيم من الصلاة بقوله بسم الله عند الأكل
 ففي الشرب هذا كذلك إلا أنه في الأكل لا يسمى عند كل أكلة وفي الشرب يسمى
 عند كل واحدة من المرات الثلاث والفرق بين التسمية عند الأكل والشرب
 اتساع السنة فإن السنة فرقت بينهما فجعلت التسمية في أول الأكل مرة

هذا والاول
 من أقسام التحبير
 الآتية بعده
 بأساطير في قوله
 الثاني أن يقول
 الخ اه

والحمد في آخره كما سبق وجهات في الشرب ان يقول بسم الله ويمص الماء
ثم يقطع ويحمد الله تعالى ثم يسمي ثم يشرب الثانية ثم يحمد الله عقبها ثم يسمي
ثم يشرب حتى يروي ثم يحمد الله فيه هذه ثلاث مرات متواليات ويدرج شرب
الماء فتكون الاولى هي الاقل والثانية أكثر منها والثالثة يبالغ بها
كفايته وحكمة ذلك ان لينا طالقاب وضعار قيقا لطيفا فاذا جاء الماء دفعة
واحدة قطعه وقد يموت بسببه فيؤنس الاولى بالشيء القليل كما تقدم وقد ورد
فيمن شرب الماء على هذه الصفة ان الماء يسبح في جوفه ما بقي في جوفه فيبقى
في عبادة وان كان نائما او غافلا قال الامام أبو سليمان الخطابي رحمه الله في
شرحه لمعالم سنن أبي داود رحمه الله وأما نهيه عن الشرب نفسا واحدا فانه نهى
تأديب وذلك انه اذا جرعه جرعا واستوفى ربه منه نفسا واحدا تكاثرا في
موارد حلقه وأثقل معدته وقد روى ان الكباد من لعب الكباد وجيع
الكبد وهو اذا قطع شربه في انفاس ثلاثة كان أنفع لربه وأخف لمعدته
واحسن في الادب وأبعد من فعل ذى الشره وما تقدم ذكره هو في شرب
الماء وأما الابن فيعنه عبا من غير تحديد ويسمى الله تعالى في أوله ويحمد الله في
آخره كما سبق في الطعام وغيرهما من الاشربة هو مخير فيها بين اللعب والمص
ويجهر بالتسمية ويسمى بالحمد وحكمة ذلك انه يجهر بالتسمية لينبههم عليها
وعلى الأخذ في الاكل بخلاف الحمد جهر فانه قد يكون في الجماعة من لم
يكتف بعد وأما في شرب المساق فان شاء جهر وان شاء أسر امكن العالم الجهر
في حقه أولى لبقته يدى به وينبغي للجماعة ان لا يرفع أحدهم يده قبل
انحسابه وكذلك لا يحمد جهر كما تقدم اذ في ذلك تنفير لهم عما هم بصدد
ويكره ان يتنفس في الاناء لوجهين أحدهما ما ورد من نهى الشارع
عليه السلام عن ذلك وكفى به والثاني خشية ان يتعلق بالاناء رائحة كريهة
فيتأذى بها الشارب وله ان يشرب قائما لحديث علي بن أبي طالب رضي
الله عنه انه أتى له باناء فيه ماء فشرب قائما ثم قال ان أحدكم يكره ان يشرب
قائما وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب وهو قائم وينبغي
ان كان في كوزة ان لا يشرب منها لانه موضع اجتماع الوبسج وقد نص
علماء وناصرة الله عليهم على كراهة ذلك وينبغي ان لا يشرب من ناحية أذن

الكوز لما ورد ان الشيطان يشرب منها ويتبغى ان يبدأ في السقي بأفضلهم
ثم يدور على عينه وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم من انه اذا
شرب بعض من يحترمون له قاموا له حتى يفرغ من شربه فينحنون له ويقبلون
أيديهم وبعضهم يقومون عند فراغه من الشرب ويقبلون ما تقدم
ذكره وبعضهم يقومون نصف قومة أو أقل منها أو أكثر مع الإشارة
الى الارض بالتقبيل وقولهم صحة وذلك كله من محدثات الامور وفيه التشبه
بالأعاجم وبعضهم لا يفعل شيئا من ذلك ~~ولكن~~ يفترون ان يفرغ من
الشرب صحة وهذا اللفظ وان كان دعاء حسنا فافتخاذه عادة عند الشرب بدعة
(فان قيل) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لام أيمى لما ان شربت بوله عليه
الصلاة والسلام صحة يا أم أيمى ان تلج النار بطنك (فهذا) ليس فيه حجة
لانه لم يكن ثم ما يشرب وانما هو البول وهو اذا شرب عاديا ضرر فقل عليه
السلام صحة لينفى عنها ما توقعه مما جرت به العادة من بول غيره عليه
السلام فتضمن ذلك دعاء وانخبارا وذلك بخلاف شرب الماء ويدل على ذلك
انه لم ينقل عنه عليه السلام هذا اللفظ في غيره هذا الموطن ولا عن أحد من
أصحابه ولا عن أحد من السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فلم يبق الا
ان يكون بدعة وليحذر من الشرب من فم السقاء للوجوه التي ذكرها العلماء
ويتبغى ان يكمل الاكاذيب معهم حتى يجوز فضيلة الاتباع والسبق فيقدم
لهم نعالهم عند خروجهم ويمشي معهم خطوات لتوديعهم وقد ورد ثلاث
محقرات أجبرهن كبير صب الماء على يداخيك حتى يغسلها وتقدم نعاله اذا
خرج وامسك الدابة له حتى يركبها فيحصل له في هذا الخير العظيم
فيكون متصفا بالاتباع مع حصول التواضع لله تعالى وادخال السرور على
الاخوان وهذه من أكل المحالات (هذا) حال العالم مع الضيف وبقي
الكلام فيما اذا دعى العالم الى دعوة فلا ينبغي له ان يسارع الى الدعوات
كلها ما خلا دعوة النكاح فان الاجابة واجبة عليه ما لم يكن ثم منكر بين وهو
في الاكل بالخيار ان شاء كل وان شاء لم يأكل فان اهدى له طعام فليتناظر في
ذلك بلسان العلم والورع فإلسان العلم معروف وكذلك الورع والورع أعلى
وهو مخير في أي ما يسلك وله في العلم سعة ان شق عليه الورع ويتناظر في

سبب صاحب الطعام فان كان مستورا بلسان العلم عمل على ذلك وان كان
مخالفًا قام عليه بسطوة الشرع الشريف فزجره وأخبره بما فيه إلا أن
يكون ثم مانع شرعي فبما طغى في الجواب وينبغي له أن يتحفظ من
هذه العادة المذمومة التي أحدثت وهي أن يهدي أحد الأقارب والتجار
طعاما فلا يمكن المهدى اليه أن يرد الوعاء فارغا حتى يرد به طعام وكذلك
المهدى أن يرجع اليه الوعاء فارغا وجد على فاعل ذلك وكان سببا لترك
المهاداة بينهم وأولسان العلم يمنع من ذلك كله لأنه يدخله بيع الطعام بالطعام
غير يبيد ويدخله أيضا بيع الطعام بالطعام متفاضلا ويدخله التجهالة
(فان قال قائل) ليس هذا من باب البياعات وإنما هو من الهدايا وقد
سوي في ذلك (فالجواب) ان هذا مستعمل لوعشوا فيه على مقتضى الهدايا
الشرعية لكنهم يفعلون ضد ذلك لطعنهم العوض فان الدافع يتشوف له
والمدفوع اليه يحرص على المكافأة فخرج بالاشاحة من باب الهدايا الى باب
البياعات واذا كان ذلك كذلك فيعده برفية ما تقدم ذكره والعالم أولى من
ينبه على هذه المعاني بفعله وقوله *

• (فصل في عيادة المريض) • وينبغي له أن يتحرز في نفسه بالفعل وفي غيره
بالقول من هذه البدعة التي أحدثت في عيادة المريض وهي انه لا يعادى
يوم السبت وذلك مخالف للسنة وذكر بعضهم ان أصل هذه البدعة ان
يهوديا كان طبيبا للملك من الملوك فرض الملك مرضا شديدا وكان اليهودي
لا يفارق عيده فجاء يوم الجمعة فأراد اليهودي ان يمضي الى سبته فنهه الملك فها
قدرا اليهودي ان يستحل سبته وخاف على نفسه سفك دمه فقال له اليهودي
ان المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه الملك وهضى سبته ثم شاعت
بعد ذلك هذه البدعة وصار كثير من الناس يعتمدونها حتى انى رأيت بعض
الفضلاء من ينسب الى العلم والصلاح ينسبها الى السنة ويستدل بزعمه على
ذلك بان النبي صلى الله عليه وسلم زار القبر ويوم السبت فأخذ من هذا
بزعمه ان في عيادة المريض يوم السبت تفاسدا على موت المريض وليس
هذا من باب التفاؤل في شيء بل هو من باب التشاؤم والطيرة المنهى عنها
والمسلمون برءاء من ذلك وينبغي له ان يتحفظ في نفسه بالفعل وفي غيره

بالقول من هذه البدعة التي أحدثت في عبادة المراض أيضا وهي ان من
 صام رمضان لا بد ان يأتي معه بشي فان لم يفعل والواقع الكلام فيه بما
 لا ينبغي ولم ترد السنة بذلك بل المطلوب العبادة ليس الا فان كان معه شيء
 فهو من باب الهدايا والصدقات وقد تقدم ذلك في هدايا الاقارب والمجيران
 في الطعام وسياق في غمام البيان في ذلك ان شاء الله تعالى (ثم انظر) رجا الله
 واباك الى هذه البدعة كيف جرت الى ترك شعيرة من شعائر الاسلام فتجد
 بعضهم ذا الشك في صاحبه ولم يكن عنده شيء يدخل به عليه ترك عبادته وربما
 كان سببا لقطيعة نعوذ بالله من المعصية والاضلال (هذا) حال العالم في مناولة
 غذائه مع اهله وأضيافه وغير ذلك (ثم نرجع) الى ذكر بقية تصرفه في بيته
 فينبغي له ان يحجب عليه ان يحتفظ من بدعة هذه الاسامي التي أحدثها النساء
 وقد تقدم في نعوت الرجال ما أغنى عن ذكره وقد ذكر ذلك الشيخ الامام
 الجليل المحافظ القدوة المعروف بالنووي رحمه الله تعالى وأعظم القول
 فيه فكفي غيره مؤنة ذلك فمن اراده فليأتمسه في كتابه اكن بقي في ذلك شيء وهو
 ان هذه النعوت تتردد بين امرين احدهما شنيع قبيح وهو النعت بست
 الخاق وست الاسلام وست المحكام وست القضاة وست العلماء وست الفقهاء
 وست الناس وست النساء وست الكل وما أشبه ذلك ألا ترى انه
 يدخل تحت عموم ذلك الانبياء والرسل والعلماء والصالحين وغير ذلك من
 الاخبار وان كان المسمى بذلك والمتلفظ به لا يعتقدون دخول من تقدم
 ذكرهم تحت العموم واذا لم يعتقدوا ذلك فهو وتعمد كذب محض بلا ضرورة
 مع ما فيه من الكبر والفخر والتزكية والثناء والتعظيم والتشبه بالا عايجهم وأما
 ما سواها كست العراق وست اليمن وما أشبه ذلك فهو من باب التزكية
 والتعظيم وقد تقدم وكذلك تسميتهم بام فلان الدين وفلان الدين فهو من
 باب التزكية وقد تقدم في باب نعوت الرجال اكن فحتاج الى زيادة بيان فيما
 نحن بسبيله من ذلك ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لا تسمى الله تعالى
 عليهن في كتابه العزيز وعظم فيه قدرهن بقوله تعالى يا نساء النبي لستن
 كأحد من النساء الآية مع قوله عز وجل ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير
 له عند ربه ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ومعلوم

مطلب
 بقية الكلام
 على تصرف
 العالم في بيته
 اه

بأضرورة القطعية التي لا يشك فيها ولا يرتاب ان النبي صلى الله عليه وسلم
 أعظم من يبادر الى تعظيم المحرمات والشعائر ومع ذلك لم يسم واحد من
 نسائه الطاهرات رضى الله عنهن بشئ من هذه النعوت المحدثه وكفى بها
 الاترى الى قوله عليه الصلاة والسلام في حق ابنته الطاهرة التي قال في
 حقها فاطمة بضعة مني فاذا كانت بضعة منه صلى الله عليه وسلم فناهيك
 بها منزلة رفيعة فيجب تعظيمها ما أمكن ثم انه عليه الصلاة والسلام لم يزد على
 اسمها المعلوم شيئا ووجب الاعتقاد بأنه صلى الله عليه وسلم وفي له سعة
 ولكل ذي حق حقه وكرام بالزيادة على ذلك فلو كانت الزيادة على الاسماء
 المعلومه لمن فيها شئ مما من الخيرية لم يتركها عليه الصلاة والسلام وامن الجواز
 ولو مرة واحدة لانه عليه وسلم للشعائر وقد تقدم ان تعظيمهن
 من الشعائر لو كانت هذه النعوت من باب المباح أعني انها لو كانت سالمة من
 التزكية والكذب المنهى عنهما بالنصوص القطعية وقد تقدمت له كان
 أمرها أقرب ولكن وضعت النعوت في باب المكروه والمحرم بحسب حال الامم
 والمسمى وقد تقدم فهو لا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته رضى الله
 عنهن أسماء من معلومة وهن اللاتي أمرنا بأخذ شريعتهم عليه الصلاة
 والسلام عنهن بقوله عليه الصلاة والسلام ترك فيكم الثقلين ان تضلوا
 ما تم كتم بهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي اه فهذه عترته صلى الله عليه وسلم
 يقول الراوى عنهن عن خديجة رضى الله عنها عن فاطمة رضى الله عنها عن
 عائشة رضى الله عنها عن زينب بنت جحش رضى الله عنها عن ميمونة رضى الله
 عنها عن أم سلمة رضى الله عنها الى غير ذلك فهل يتدرا حدان ينقل زيادة
 على اسمائهن المعروفة هذا مع علم من نقل عنهن ما يجب عليه وعلى غيره من
 تعظيم حقوقهن بدليل ما تقدم من الكتاب العزيز وقد قال عليه الصلاة
 والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فهل يتدرا حدان
 بظن في هذه القرون التي وصفهم صاحب الشريعة صلوات الله عليهم
 وسلامه بالخيرية انهم بأجمعهم فاتهم تعظيم من تقدم ذكرهم هذا بما
 لا يتحمل فدل على ان ما حدث بعدهم ليس فيه شئ من الخيرية اللهم الا ان
 يكون ذلك لم يقع في زمانهم لكنه على اصولهم وقواعدهم فنعم وأما غير ذلك

فيرجع الى باب المكروه أو المحرم وهذه النعوت المحدث لا تخرج عن أحدهما
 فإذا قال القائل مثلاً أم شمس الدين وأم ضياء الدين ونحوهما فلا يخفاه أنها
 احتوت على الكذب والتزكية وهما منهي عنهما فاما الكذب فحرام
 واما التزكية فان كانت على خلاف ما ذكر فكذلك وان كانت في الشخص
 فمكروه لقوله عليه الصلاة والسلام للذين أتونا على الرجل بحضرته قطعتم
 ظهر الرجل أو ظهر أخيك فلا يطق ظان أننا ننكر الكنى الشرعية فان ما ورد
 منها ليس فيه تزكية وانظر الى قوله عليه الصلاة والسلام أجرت من أجرت
 بأم هانئ فهل في ذلك شيء من التزكية وكذلك أم سلمة وأم رومان وأم معبد
 وما أشبه ذلك ففس على هذا تصيب فالكنى المشروعة ان يكنى الرجل بولده
 أو بولد غيره وكذلك المرأة تكنى بولدها أو بولد غيرها كما ورد عنه عليه الصلاة
 والسلام في حديث عائشة رضي الله عنها حين وجدت على كونها لم يكن لها
 ولد تكنى به فقال لها عابيه الصلاة والسلام تكنى بابن اختك يعني عبد الله
 ابن الزبير رضي الله عنهما وكذلك يجوز التكنى بالحالة التي الشخص منصف
 بها كإبي تراب وأبي هريرة وما أشبههما وقد سئل مالك رحمه الله أي كنى
 الصبي فقال لا بأس بذلك فقبل له كنية ابنك أبا القاسم فقال أما أنا فلا
 أفعله ولا كن أهل البيت يكتونه فما أرى بذلك بأساً قال ابن رشد رحمه الله
 قوله في تكنية الصبي لا بأس بذلك يدل على ان ترك ذلك أحسن عنده ولذلك
 قال في كنية ابنه أما أنا فلا أفعله ولكن أهل البيت يكتونه وإنما كان تركه
 أحسن لما في ظاهره من الاخبار بالكذب لان الصبي لا ولد له يكتنى بذلك
 للاخبار بانه والد المكنى باسمه وإنما جعل الكنية التي يكتنى بها له
 على سبيل الأكرام والتواضع له وبالله التوفيق

(فصل في إيس النساء) قد تقدم رحمتك الله نية العالم ومهديه
 في إيسه وغير ذلك وبقي الكلام هنا على إيس أهله فأبذره من هذه البدعة
 التي أحدثها النساء في إيسه هن وهن كما ورد ناقصات عقل ودين فليستن
 كذلك ليس بحجة فالذكر للنساء والكلام مع من سألهم من العلماء
 والازواج والعالم أولى من يأخذ على أهله ويرذلهن لا تباع مهمل الاستطاع
 في كل الأحوال فمن ذلك ما يابن من هذه الثياب الضيقة القصيرة وهما

منهى عنها او وردت السنة بضعدهما لان الضيق من الثياب يصف من
 المرأة كفافا وتديها وغير ذلك هذا في الضيق واما التقصير فان الغالب
 منهم ان يجعلوا القميص الى الركبة فان اتمت او جلست او قامت
 انكشفت عورتها او وردت السنة ان ثوب المرأة يجره عافها ويكون فيه
 وسع بحيث انه لا يصفها فان كان السراويل يجر عن الثوب السراويل
 فصحيح ان فيه ستره لكن يشترط فيه ان يكون من البصرة ومن يعملته فحتها
 بكثرة وحكم المرأة مع المرأة على المشهور يحكم لرجل مع الرجل وحكمهما ان
 من السرة الى الركبة لا يكشفه أحدهما الا لا يخرج خلاف سائر البدن فتكون
 قد ارتكبت النهي فيما بين السرة الى حد السراويل اللهم الا ان يكون الثوب
 كافي لا يصف ولا يشف وقد اتخذ بعضهم هذا السراويل هذا المخرج
 ليس الا واما في البيت فتعدي بدونه وهي لا تخلوا ما ان يكون البيت
 لا يبدله غير زوجها او هو وغيرة فان كان الاول فذلك جائز لما في غير الصلاة
 وكذلك الثوب الرفيع والضيق الذي يصف كل ذلك جائز لما وان كان
 الثاني مثل ان يكون معها جارية في البيت او عبدا أو أخ أو ولدان أو غير
 ذلك فلا يحدونها لان المرأة كلها عورة الا ما استثنى من ظهرها واطرافها
 لذوى المحارم والغالب علمون ان يقعدن في بيوتهن بهذه الثياب على الصفة
 المذكورة بغير سراويل بين من تقدم ذكرهم ولا يلبس السراويل
 الا عند الخروج فيكون العلم منهى عن هذه القبائح ويذمها ويعلمون امر
 الشرع في ذلك ومن العتبية قال مالك رحمه الله وبلغني أن عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه نهى النساء عن لبس القبايل قال وان كانت لا تشف فأنها
 نصف قال ابن رشد رحمه الله القبايل ثياب ضيقة ملتصقة بالجسد لا يصفها
 فتبدي تخافة جسم لا يبدى من تخافته ونصف محاسنه وتبدي ما يستحسن مما
 لا يستحسن فنهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلبسها النساء امتثالاً
 لقوله عز وجل ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها

«(فصل — ل)» وينبغي له ان ينهها عن هذه العمائم التي يعملونها
 على رؤوسهن كما ورد في الحديث لا تقوم الساعة حتى يكون نساء كاسيات
 عاريات مائلات على رؤوسهن مثل أسنمة البنت لا يدان المحنة ولا

السراويل واحدة
 تذكرة مؤنث
 مصروفة في النكرة
 وجهها سراويلات
 اه مختار

يحدث ربحها وان ربحها لا يوجد من مسيرة خمسمائة عام قال الشيخ الامام
 أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في معنى ذلك ما هو - ذانصه قوله عليه الصلاة
 والسلام نساء كاسيات عاريات يعني انهن كاسيات بالثياب عاريات من الدين
 لانكشفن وابداء بعض محاسنهن وقيل كاسيات ثيابا بارقا يظهر ما تحتها
 وما خلفها فهن كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة وقيل كاسيات في
 الدنيا بأنواع الزينة من الحرام ومما لا يجوز لبسه عاريات يوم القيامة ثم قوله
 صلى الله عليه وسلم مائلات مميلات قيل معناه زائغات عن طاعة الله تعالى
 وعن طاعة الأزواج وما يلزمهن من صيانة الفروج والتستر عن الاجانب
 ومميلات يعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن وقيل مائلات متبخترات يعلم
 رؤسهن وأعطافهن للغيلاء والتبخترو مميلات لقلوب الرجال بما يبدون من
 زينتهن وطيب رائحتهن وقيل يتمشطن الميلاء وهي مشطة البغايا والمميلات
 اللواتي يتمشطن غيرهن مشطة الميلاء ثم قوله صلى الله عليه وسلم على رؤسهن
 مثل أسمة البخت معناه يعظمن رؤسهن بالخمير والمقانع ويعملن على رؤسهن
 شيئا يسمى عندهن الناهرة لاعتقاص الشعر والذوائب المباحة للنساء اه
 وقوله عليه الصلاة والسلام على رؤسهن مثل أسمة البخت فهذا شاهد مرقى
 اذ ان في عمامة كل واحدة منهن سنامان وأقل ما فيه من الضرر ان رأسها
 يعتل بسبب هذه العمامة لانهم اتخذوها عادة من فوق الحاجبين وفي ذلك
 مفسد أحدها ان المرأة محل لاستمتاع الرجل وأعظم جمال فيها وجهها وهي
 تغطي أكثره فتقع بذلك في الاثم لانها تمنع زوجها حقه ولورضى زوجها بذلك
 فانها تمنع منه لمخالفتها للسنة والثاني انها اذا كانت هذه المواضع مستورة فاذا
 احتاجت الى الوضوء فتحتاج الى كشفها حتى تغسل ما يجب عليها فاذا غسلته
 فقد تستهوى لان الموضع قد اعتاد التغطية فاذا كشفته عند الغسل قد تتضرر
 فيكون ذلك سببا لترك فرضين أحدهما غسل الوجه والثاني مسح الرأس
 والثالث الزينة التي جأها الله تعالى بها في وجهها سترتها عن زوجها ووقد
 يفضى ذلك للفراق لانها تبقى في تلك الحالة بشعة المنظر (فان قيل) ان فيه
 بعض جمال لها فانه نادروا نادرا لحكم له فان فرض ان الغالب فيه جمال لها
 فتمنع من ذلك لما تقدم من مخالفتها للسنة والخير كله في الاتباع *

*(فصل — ل) * ويجب عليه ان يمتنع من توسيع الاكمام التي
أحدثها مع قصر الكم فانها اذا ارتفعت يدها ظهرت أعكاسها وشعرها وغير
ذلك وهذا من فعل من لا يخبر فيه من المتبرجات وكذلك ما يفعله بعضهن من
لبس الثوب القصير على الصفة المذكورة وترك السر او يبل وتقف على هذه
الحالة في باب الرمح على هذه السطوح وغيرها من رفع رأسه أو التفت رأى
عورتها والشرع أمرها بالستر البالغ وذلك معلوم * *

*(فصل) * وينبغي له ان يعلم ان السنة في الخروج ان اضطررون اليه لأن
السنة قد وردت ان المرأة تخرج في حفش ثيابها وادناء واغاطه وتخرج
مرطها اخذها اشبرا وذراعا ويعلن السنة في مشيتها في الطريق وذلك ان
السنة قد حكمت ان يكون مشيتها مع المجدران لقوله عليه الصلاة والسلام
ضيقوا عليهن الطريق وقد روى أبو داود في سننه عن أبي أسيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد وقد اختلط
الرجال مع النساء في الطريق استأخرن وليس لهن ان تضيقن الطريق
عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلمص بالجداد حتى ان ثوبها يلتصق
بالمجدار من اصوتها به وقد روى الامام رزين رحمه الله عن أنس بن
مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى في طريق
وأمامه امرأة فقال لها انحنى عن الطريق فقالت الطريق واسع فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعوها فانها اجباراة ولما كان مشيتها مع المجدران
نهي عليه الصلاة والسلام عن البول هناك لا ينجس مرطها من مرت عليه الى
غير ذلك من الحكم الشرعية وفوائدها متعددة (وانظر) ربحنا الله وياك الى
هذه السنن كيف اندرست في زماننا هذا حتى بقيت كأنها لم تعرف لما ارتكبن
من ضد هذه الاحوال الشريفة فتقدم المرأة في بيتها على ما هو معلوم من
عادتها بحفش ثيابها وترك زينتها وتجهلها وبعض شعرها نازل على جبهتها
الى غير ذلك من أوساخها وعرقها حتى لو رأها رجل أجنبي لنفرت به منها
غالباً فكيف بالزوج الملاصق لها فاذا أرادت اعادة الخروج تنظفت
وترزنت ونظرت الى أحسن ما عندها من الثياب والحلي فلبسته وتخرج الى
الطريق كأنها عروس تبتلى وتمشى في وسط الطريق وتزاحم الرجال ولهن

صنعة في مشيهم حتى ان الرجال يرجعون مع المحيطان حتى يوسعوا الحق في الطريق اعني المتقين منهم وغيرهم بخلاف طوهم ويزاحونهم ويمارحونهم قصد اكل هذا سببه عدم النظر الى السنة وقواعد ما مضى عليه سلف الامة رضى الله عنهم فاذا نبه العالم على هذا وامثاله انسدت هذه المثلث ورجى للجميع بركة ذلك فمن رجع عما لا ينبغي فهو القصد الحسن ومن لم يرجع علم انه مكاتب للذنوب فيبقى منكسر القاب لاجل ذلك وفي الكسر من الخير ما قد علم ومن انكسر رجع له التوبة والرجوع

(فصل في خروج النساء الى شراء حواشيهن وما يترب على ذلك)
وينبغي له ان كانت لاهله حاجة من شراء ثوب او حل او غيرهما فليقبل ذلك بنفسه ان كانت فيه أهلية لذلك او بمن يقوم عنه بذلك على اسان العلم وهو معلوم ولا يمكنه من الخروج اليه لهذه الاشياء اذ ان ذلك يفضي الى المنكر البين الذي يفعله ~~كثير~~ منهن اليوم جهارا اعني في جلوسهن عند البرازين والصواغين وغيرهما فانها تناجيه وتباسطه وغير ذلك مما يقع بينهما وربما كان ذلك سببا الى وقوع الفاحشة الكبرى (الأتري) الى قوله عليه الصلاة والسلام يا عدوا بين انفاس النساء وانفاس الرجال وما ورد من انه لو كان عرق من المرأة بالشرق وعرق من الرجل بالغرب لمحن كل واحد منهما الى صاحبه او كما قال فكيف بالمباشرة والكلام والمزاح فان الله وانا اليه واجعون على عدم الاستحياء من عمل الذنوب (وقد قال) بعض السلف رضى الله عنهم ان للمرأة في مهرها ثلاث خراجات خرجة لبنت زوجها حين تهدي اليه وخرجة اوت ابويها وخرجة لقبرها فان هذا الخروج من هذا الخروج وهذه المفاسد كلها حاصل في خروجهن على تقدير علمهن باحكام الشريعة فيما يتعاطونه من امر البيع والشراء والصرف وكيفية حكم الربا وغير ذلك فكيف بمن مع الجهل بذلك كما بل اكثر الرجال لا يعلم ذلك (وقد) ورد في الحديث الغيرة من الايمان او كما قال ومن اتصف بهذه الصفة وقع بينه وبين نساء الا فرنج شبهه فان نساءه من يمينه ويشتتين ويجلسن في الدكاكين والرجال في البيوت والشرع قد منع من التشبه بهن

(فصل في السكنى على البحر) وينبغي له ان يمنعه من السكنى على البحر

مهم استطاع جهده وذلك لوجوه أحدها نهية عليه الصلاة والسلام من
 المجلس على الطرقات ومن كان في دار على البصرة وكالبحر على الطريق
 لأن البحر طريق للرووفية بالمرأ كعب فإذا نظر كشف على عورات المسلمين
 إذاً ذلك الموضع يشتمل على عورات كثيرة منها كشف عورات النواقي
 كما هو واقع مرئي وكذلك كشف عورات غيرهم من المغتسلين فيه والكلام
 الفاحش الذي يمنع للرجال سماعه فكيف بالمرأة ومنها أن بعضهم يكون
 معهم المغاني في الثغرات وغيرها فاعداهن تضرب بالطار وأخرى بالشبابة
 ومنهم من يصوت بالزمار مع رفع أصواتهن بالغناء إلى غير ذلك من غلور
 هذه العورات المذكورة وغيرها الوجه الثاني أن أهله ينكشفن بمجلوسهن
 في الطرقات وغيرها يشاهدن ما تقدم ذكره وغيره فإن كان عنده بنات
 أو أماء أو غيرهن فتزيد المغاسد بحسب ذلك الثالث أن شاطئ البحر
 لا يجوز لأحد البناء عليه لاللسكنى ولا غيرها إلا القنطرة المحتاج إليها لقوله
 عليه الصلاة والسلام أنه والملاعن الثلاث البراق في الموارد وقارعة الطريق
 والظل رواء أبوداود في سنته وما ذاك إلا لأنها مرافق للمسلمين فمن جاء يرتقى
 بها يجد هناك نجاسة فيقول لعن الله من فعل هذا فاذن استحق العبد لعن
 بهذا الفعل والنبى صلى الله عليه وسلم بأتمه رؤف رحيم فنهاهم عليه الصلاة
 والسلام أن يفعلوا ما يلعنون بسببه هذا هو وما يذهب بالنفس والريح
 وغيرهما فكيف بالبناء على النهر المتخذ للدوام غالباً وقد قال ابن ميرة
 رحمه الله في كتاب اتفاق الأئمة الأربعة واختلافهم اتفاقوا على أن الطريق
 لا يجوز تضييقه انتهى والبناء على النهر أكثر ضرراً وأشد من تضييق
 الطريق لأن الطريق يمكن الرووفية به مع تضييقه بخلاف النهر فمن بنى عليه
 كان غاصباً له لأنه مورد للمسلمين فإذا جاء أحد يرد الماء فيحتاج إلى أن يدور من
 ناحية بعيدة حتى يصل إليه وليس عليه ذلك فيكون من أحوجهم إلى ذلك
 غاصباً وقد قال عليه السلام من أخذ شبراً من أرض ظلماته يوم
 القيامة من سبع أرضين رواء البخاري ومسلم وقد تقدم فيمن أرسل سحابة
 إلى المسجد قبل آتيانه فوضعت هناك لم يصل بها المكان أو كان فيها زيادة
 على ما يحتاج إليه أن ذلك كله غصب هذا هو وما لا يدوم فكيف بالبناء

على النهر كما تقدم وقد قال علماء نازحة الله عليهم ان حريم العيون خمسة اذنة
ذراع وحريم الانهار ألف ذراع واختلافوا في حريم البئر ف قيل خمس وعشرون
ذراعا وقيل خمسون وقيل ثلثمائة وقيل خمسة مائة وذلك بحسب موضع
البئر ولاي شئ هي هل هي للزراع او للماشية او في البادية او في البلدة نقله
الشيخ أبو الحسن اللخمي في تبصرته وابن يونس في كتابه ولم يجد مالك رحمه الله
في ذلك حدا الا ما يضر بالناس فعلى هذا ولو كان اكثر من ألف ذراع اذا
أضر بهم يمنع لقوله عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار وعكسه ان كان
اقل ولم يضر بالناس لم يمنع ثم انقضى الامر من أجل كثرة البناء عليه الى ان
امتنع على المسلمين أخذ الماء منه للشرب وغيره الا ما وضع قليلة ومع ذلك عليها
فتن لمنع أصحاب الدور من برد الماء من السقائين الذي يبيعونه للمسلمين ثم جرت
هذه المفسدة الى ان وصلت الى عماد الدين وأصله وهو الصلاة بافسادها
لانه اذا صلى أحد في هذه الدور وقع فيها خلاف للعلماء في الصحة والفساد
وهذا مشهور معروف وقد قال صلى الله عليه وسلم موضع الصلاة من الدين
كوضع الرأس من الجسد اه فاذا كانت نزلة الصلاة من الدين هذه المنزلة
العظمى فكيف يرضى لميب ان يصلحها في موضع اختلاف فيه فان الله وانا اليه
راجعون الرابع ان البناء على البحر لا بد وأن يفضل شئ من آلة العمارة
أو ينهدم هناك شئ من الدور فيقع ذلك في البحر غالبا فتجبي المراكب وليس
عندهم خبر فتمر على ذلك فيكسر غالبا سيما اذا كانت الحجارة مبنية بارزة
مع الزاوي الخارجة من البيوت في داخل البحر ثم مع هذه الاذية يمنعون
أصحاب المراكب من أن يلتصقوا اليها والموضع مباح ليس لأحد فيه
اختصاص الخامس ان المراكب قد تأتي في وقت هول البحر مع ثقاه بالوسق
فيريد صاحبها ان يرسى في الموضع القريب منه ايسلم من آفات البحر فلا يجد
لذلك سبيلا من كثرة الدور التي هناك فيمضي لسبيله حتى يجاوز الدور فقد
يكون ذلك سببا لغرقه وذلك كله في ذمة الباقي هناك السادس ما يترتب
عليه من المفساد وذلك ان النساء يلبسن ويتعابن في بيوتهن التي على البحر
على ما اعتدنه من العوائد الذميمة في المخروج الى الطرقات وعليهن من جمال
الزينة والتخلي ما تقدم ذكره لانهن يبالغن في هذه الاشياء اذا شعرن ان

العميون تنظر اليهن فقد يراها من يشغف قلبه بصورتها فلا يقدر على الصبر
 عنها فيجتال الخيل ~~الكثيرة~~ على الوصول اليها بالطاواعة منها ان قدور
 ارباقي بالليل فهران وصل اليها وقعت الفاحشة الكبرى وان علم به وقعت
 الغتنة وقد يفضي ذلك الى سفك الدماء وقد يشغف آخرها علمها من الخيل
 فيكون ذلك سببا لنزول المذاشر عليهم بالليل وما يقاربهم من السرقة والخلسة
 وقد تشغف هي ببعض من تراه من الشبان كما تقدم في الرجل وأقل ما في ذلك
 ان القلوب تتعلق غالباً بمآراء والغالب عدم العلم عندها فاذا قرب
 زوجها قد يجعل بين عينيها الصورة التي تتعلق خاطر بها وكذلك هي فيكون
 ذلك حراما كما قال علماء ائمة ارجحة الله عليهم فيمن شرب الماء بعد ان خمران
 ذلك الماء بصبر في حقه حراما وقد ورد فيه حديث عن ابي هريرة رضي الله
 عنه وسياق ان شاء الله تعالى السابع ان في ذلك سرفا واضاعة مال وقد
 نهي النبي صلى الله عليه وسلم عنها اذ لا يخالو ~~الساحك~~ هناك من أحد
 امرين اما ان يسكن في ملكه واما ان يسكن بأجرة فان كان في ملكه فقد
 اضاع ماله لا يؤول اليه الامر كما قد علم من مجاورة البحر في ذلك تغريبه له
 وبأدله وبولده قال الله عز وجل في محكم التنزيل ولا تلقوا يا أيديكم الى
 التهلكة وهذا والحالة هذه قد ألقى بنفسه الى التهلكة وان كان يسكن
 بالأجرة فلا يثاب على ما دفع منها لما تقدم ذكره وقد أخبرني من أثق به
 ان الناس كانوا بمصر قبل هذا الزمن اذا عرض عليهم الملك للبيع صعدوا
 على سطحه فاذا راوا البحر لا يعطون فيه شيئا ويقولون عنه انه ليس بملك اما
 يضافون عليه من وصول البحر اليه فيتلغوه وان لم يروا البحر حينئذ
 يتسارمون فيه وهم اليوم بضد ذلك يريد أحدهم ان يبني في قلب البحر
 ومن بئ في قلب البحر فهو شبيه بمن رمى ماله فيه الا ان الذي رمى ماله
 فيه هو الذي يحل اتلافه والذي بني فيه أجل اتلافه وهذا ما شاهد مرقي الى
 غير ذلك من المفاسد فعلى هذا فن اضطر الى بناء المسكن عليه فليكن بوضع
 يراه منه اذا كان الموضع في البعد بحيث لا يميز بين الذكر والانثى لانه
 اذا كان كذلك انزاحت تلك المفاسد كلها وسقط عنه التغيير وغيره وهذا
 طريق متوسط بين الحالتين المذكورتين قبل كما قاله علماء ائمة ارجحة الله عليهم

فحين أحدث ما ذنبه على دور سبقتها انه اذا صعد المؤذن عليها وراى الناس في بيوتهم ولم يميز بين الذكر والانثى ان ذلك جائز وان ميز ذلك منع احداثها والصحة ودعائها وقد نقل ابن رشد رحمه الله ان حكم احياء الموات يختلف باختلاف مواضعه وهى على ثلاثة اوجه بعيد من العمران وقريب منه لا ضرر على أحد في احيائه وقريب منه في احيائه ضرر على من يعتصم بالانقاع به فاما البعيد من العمران فلا يحتاج في احيائه الى استئذان الامام الاعلى طريق الاسف باب على ما حكى ابن حبيب وأما القريب منه الذى لا ضرر في احيائه على أحد فلا يجوز احياءه الا باذن الامام على المشهور من المذهب وأما القريب منه الذى في احيائه ضرر كالأقضية التى يكون أخذ ثمنى منها ضررا بالطريق وشبه ذلك فلا يجوز احياءه بحال ولا يبيح ذلك الامام وبالله تعالى التوفيق

• (فصل في زيارة القبور) • وينبغى له أن يمنعهن من الخروج الى القبور وان كان هن مبيت لان السنة قد حكمت بعدم خروجهن قال عليه الصلاة والسلام لئن نساء خرجن في جنازة أتحملنه فينحمله قلن لا قال أفترلنه قبره فيمن ينزله قلن لا قال أفنحشينه عليه التراب فيمن يحشى قلن لا قال فارجهن ما زورات غير ما جورات وقال عليه الصلاة والسلام اغاطمة ابنته رضى الله عنها حين لقينها في طريق من أين أقبلت فقالت من عند جيران لنا عزيتهم في ميتهم فقال لها عليه الصلاة والسلام اعلك بلغت معهم الكداء بمعنى القبور فقالت لا والله سمعتك تنهى عنها فقال لو بلغت معهم الكداء وذكر وعيد شديد او قال عليه الصلاة والسلام لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج أخرج أبو داود في سننه والترمذى والنسائى وقد رأى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه نساء في جنازة فطردهن وقال والله لا ترجع ان لم ترجعن وحصبهن بالحجارة فعلى هذا ليس للنساء نصيب في حضور الجنازة وقد اختلف العلماء في خروجهن على ثلاثة أقوال قول بالمنع وقد تقدم والناسي بالمجواز على ما بعلم في الشرع من السمر والتصفت عكس ما يفعل اليوم والثالث الفرق بين المتجالة والشابة فيجوز للمتجالة ويمنع للشابة واعلم ان الخلاف المذكور بين العلماء انما هو

الكداء في
الموضعين بوزن
سواء اه

في تمام ذلك الزمان وكن على ما يعلم من عادتهم في الاتباع كما تقدم وأما
 خروجهم في هذا الزمان فماذا لله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة
 أو غيرة في الدين يجدوا ذلك فان وقعت ضرورة للخروج فليجوز ذلك على
 ما يعلم في الشرع من الستر كما تقدم لا على ما يعلم من عادتهم المذمومة في هذا
 (وانظر) رحمة الله تعالى وإياك الى هذه المفسدة التي ألقاها الشيطان
 لبعضهم في بناء هذه الدور في القبور لا ترى ان الشارع عليه الصلاة
 والسلام شرع دفن الاموات في الجحراء وماذا الا ان الإيمان بنبي على
 النظافة فاذا دفن المؤمن في الجحراء فالجحراء مطشاة فأي فضلة خرجت
 من الميت شربتها الارض فيبقى المؤمن نظيفاً في قبره فلما ان رأى الشيطان
 هذه السنة المباركة وما فيها من الخير العظيم سئل لهم ضدها فاذا كان عندهم
 ميت خرجوا بأهلهم وأولادهم الى قبره فيسكنون في دار الى جانبه ولا بد
 للدار من بيت الخلاء ولا بد من استعمال المياه فاذا أقاموا هناك تزات تلك
 الفضلات وهي سريرة السريان في الارض فتصل الى الميت فتفسيه وينزع
 الميت في قبره بالفضلات التي تخرج والنجاسات التي انجذبت اليه عكس
 ما وردت به السنة وهم يقيمون على ميتهم هناك بقدر عزته عندهم فمنهم من
 يقيم الشهر والشهرين والثلاثة الى غير ذلك (فانظر) رحمة الله وإياك الى
 هذه البدعة وما جرت اليه فالخير كله في الاتباع وقد وقع النهي عن الميت
 في القبور لما يخشى من كشف أسرار الموتي وقد ستر الله عز وجل ذلك عنارحة
 بنا فمن بيت هناك يعرض نفسه الى زوال هذه المحصنة لانه قد يرى
 شيئاً يذهب به عقله ونهى عليه الصلاة والسلام عن ان يقع الميت بنار حين
 تشييده الى قبره لانه تغاؤل ردى وهو لا يوقدون الشموع وغيرها عنده
 مع ما يوقدون من الاحطاب لطعامهم الا هم عافنا من قلب المحقق وقد قال
 لى من اتقى به انه بنى داراً حول القبور فسكن هناك فاصبحت جارية من
 جواريه فأنخبرته انها رأت في النوم شيئاً كبيراً اشبهه وجمال وعليه ثياب
 بيض وهو يقول نحن من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن سكان بهذا
 الموضع او انتم تدقون على ربنا يا لهاون بالليل والنهار وقد شوشتم علينا
 قال فأنشأت ذلك الموضع وأمرت بهدمه من آخره فابناء في القبور ومنه نرى

عنه اذا كانت في ملك الانسان لنفسه وأما ان كانت لغيره فلا يصل البناء فيها (وقد) ذكر الشيخ الجليل عبد الرحمن بن عبد الحكم رحمه الله تعالى في كتابه الذي ذكر فيه تاريخ مصر باستادهم عمرو بن العاص رضي الله عنه لما ان فتح مصر وأخذ البلاد من المقوقس ملك مصر أعطاه المقوقس في هذه الارض التي هي موضع القرافة مالا جزيا لاف كتبه عمرو بن العاص الى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه كتابا يذكر فيه ان المقوقس أعطاه في أرض من الاموال كذا وكذا وهي لا تنفع لشيء ورأيت أن هذا المال ينتفع به في بيت مال المسلمين ويأخذ هو وأرضه الامنعة فيها ~~التي~~ وكنتى وقفت في ذلك لا أمرك فانظر ماذا ترى فكتب اليه عمرو بن الخطاب رضي الله عنه أما بعد فاسأله لماذا بذل هذا المال فيها وهي لا تنفع لشيء فسأله عمرو بن العاص رضي الله عنه عن ذلك فقال له انا نجد في الكتاب الاول انها تربة الجنة فكتب عمرو بن العاص بذلك الى عمرو بن الخطاب فكتب اليه عمرو رضي الله عنه أما بعد فاني لا أعرف تربة الجنة الا لاجساد المؤمنين فاجعلها موتاهم او كما قال فاذا جعلها أمير المؤمنين عمرو بن الخطاب رضي الله عنه لدفن مرقى المسلمين فيها واستقر الامر على ذلك منع البناء فيها وقد قال لي من أثنى به وأسكن الى قوله ان الملك الظاهر كان قد عزم على هدم كل ما في القرافة من البناء كيف كان فوافقوه الوزير في ذلك وفنده واحتمل عليه بأن قال له ان فيها مواضع للامراء وأخاف ان تقع فتنة بسبب ذلك وأشار عليه بأن يعمل فتاوى في ذلك فيستفتى فيها الفقهاء هل يجوز هدمها أم لا فان قالوا بالجواز فعل الملك ذلك مستندا الى فتاويهم فلا يقع تشويش على أحد فاستحسن الملك ذلك وأمره أن يفعل ما أشار به قال فأتى الفتاوى وأعطاهما الى وأمرني أن أمشي بهما على من وجد في الوقت من العلماء فشيئت بها عليهم مثل الظهير الترمذي وابن الجوزي ونظائرهما في الوقت فالكمل كتبوا خطوطهم واتفقوا على لسان واحد أنه يجب على ولي الامر أن يهدم ذلك كله ويجب عليه ان يكاف أحصائها رمي تراها في الكيमान ولم يختلف في ذلك أحد منهم قال فاعطيت الفتاوى للوزير فاعرف ما صنع فيها وسكت على ذلك وسافر الملك الظاهر الى الشام في وقته ذلك فلم يرجع ومات به فهذا اجماع من هؤلاء العلماء المتأخرين فكيف

يجوز البناء فيها فاعلى هذا فكل من فعل ذلك فقد خالفهم ومن كتاب ابن
 بشير وليست القبور موضع زينة ولا مباهاة ولهذا نهى عن بنائها على وجه
 يقتضى المباهاة والظاهر أنه يحرم مع هذا القصد ووقع لمحمد بن عبد الحكم
 فيمن أوصى أن يبنى على قبره بيت أنه تبطل وصيته وقال لا تجوز وصيته
 ولا كرامة وظاهر هذا التحريم والألو كان مكررها لنفذ وصيته ونهى عنها
 ابتداءا فإذا تقرر هذا وعلم فيبقى على ذلك ما تقدم من الاختلاف في الصلاة
 في الدور المغصوبة بل هذا الغصب أشد من ذلك لأن هذا غصب لحق موتى
 المسلمين والأول للأحياء منهم فالأحياء قد يمكن التحلل منهم بخلاف الأموات
 وليس له أن يحفر قبره ليدفن فيه إذا مات لأنه تحجير على غيره ومن سبق كان
 أولى بالموضع منه . يجوز له ذلك في ملكه لأنه لا غصب في ذلك وفيه تذكرة
 أن حفره وهذه المفاصد كلها مع وجود السلامة من هتك المحريم والمخاوف
 التي تقع لهم وهذا مما لا يحتاج فيه إلى كلام ولا بيان والعالم أولى من يذب
 عن الدين ويذكر هذه الأشياء وغيرها ويعظم القول في ذلك وينشرها حتى
 يعلم ما فيها من القبائح ويبين السنة في زيارة القبور لأن هذه المسئلة قل من
 يعلم آدابها في الوقت أعنى في الغالب وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى
 عن زيارة القبور ثم أباحها بعد ذلك فقال عليه الصلاة والسلام كنت
 نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها ولا تقولوا هجروا وفي رواية أخرى فأنها
 تذكرة الموت فجعل عليه السلام فائدة زيارة القبور تذكرة الموت (وصفة)
 السلام على الأموات أن يقول السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين
 والمؤمنات والمسلمين والمسلمات رحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وأنا
 أن شاء الله بكم لأحقون أسأل الله لنا ولكم العافية انتهى ثم يقول اللهم
 اغفر لنا ولهم وما زدت أو نقصت فواسع والمقصود الاجتهاد لهم في الدعاء
 فانهم أحوج الناس لذلك لا تقطاع أعمالهم ثم يجلس في قبلة الميت ويستقبله
 بوجهه وهو مخبر في أن يجلس في ناحية رجله إلى رأسه أو قبالة وجهه ثم
 يثنى على الله تعالى بما حضره من الثناء ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
 الصلاة المشروعة ثم يدعو وليت بما أمكنه وكذلك يدعو عند هذه القبور عند
 نازلة نزلت به أو بالمسلمين ويتضرع إلى الله تعالى في زوالها وكشفها عنه

وعنهم وهذه صفة زيارة القبر وعموماً فان كان الميت المزارع من ترجى بركته
فيتوسل الى الله تعالى به وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه الميت من ترجى
بركته الى النبي صلى الله عليه وسلم بل يبدأ بالتوسل الى الله تعالى بالنبي صلى
الله عليه وسلم اذ هو العمد في التوسل والاصل في هذا كله والشرع له
فيتوسل به صلى الله عليه وسلم ومن تبعه باحسان الى يوم الدين وقد روى
البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا
خطب واستسقى بالعباس فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه
وسلم فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعمر نبيك فاسقنا فيسقون اه ثم يتوسل باهل
تلك المقابر اعني بالصالحين منهم ثم في قضاء حوائجهم ومغفرة ذنوبهم ثم يدهو
لنفسه ولوالديه ولما يحبهم ولا قاربه ولا هـل تلك المقابر ولا أموات المسلمين
ولا حباؤهم وذريتهم الى يوم الدين ولما غاب عنه من اخوانه ويجأ الى الله
تعالى بالدعاء عندهم ويكثر التوسل بهم الى الله تعالى لانه سبحانه وتعالى
اجتباهم وشرفهم وكرمهم فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر فخر أراد
حاجة فليذهب اليهم ويتوسل بهم فانهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه وقد
تقرر في الشرع وعلم ما الله تعالى بهم من الاعتناء وذلك كثير مشهور وما زال
الناس من العلماء والاكابر كابر اعن كابر مشرقاً ومغرباً يتبركون بزيارة قبورهم
ويجدون بركة ذلك حساً ومعنى (وقد) ذكر الشيخ الامام أبو عبد الله بن النعمان
رحمه الله في كتابه المسمى بسفينة النجاة لاهل الاجزاء في ~~مكرامات~~ الشيوخ
أبي النجاة في أثناء كلامه على ذلك ما هذا الغلط تحقيق لذوي البصائر والاعتبار
أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لاجل التبرك مع الاعتبار فان بركة
الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم والدعاء عند قبور الصالحين
والتشفع بهم معمول به عند علماءنا المحققين من أئمة الدين انتهى ولا يعترض
على ما ذكر من ان من كانت له حاجة فليذهب اليهم واية توسل بهم بقوله
عليه الصلاة والسلام لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد المسجد الحرام
ومسجدى والمسجد الاقصى انتهى وقد قال الامام الجليل ابو حامد الغزالي
رحمه الله تعالى في كتاب آداب السفر من كتاب الاحياء له ما هذا نصه القسم
الثاني وهو ان يسافر لاجل العبادة ما لم يجد اداو سج الى ان قال ويدخل

في حياته في زيارة قبور الانبياء وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء
 وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويحوز
 شدة الحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد
 الرحال الا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى والمسجد الاقصى
 لان ذلك في المساجد لانها متساوية بعد هذه المساجد والافلا فرق
 بين زيارة الانبياء والاولياء والعلماء في أصل الفضل وان كان يتفاوت
 في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله عز وجل والله
 تعالى أعلم وذكر العبد رضى الله عنه في شرحه لرسالة ابن أبي زيد رحمه الله
 ما هذا الغلطه وأما النذر للمشى الى المسجد الحرام والمشى الى مكة فله أصل في
 الشرع وهو الحج والعمرة والى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم والنبي
 أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس وليس عنده حج ولا عمرة وهذا الذى
 قاله مسلم صحيح لا يرتاب فيه الا مشرك أو معاند لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم
 وقد نقل ابن هبيرة في كتاب اتفاق الاثمة قال اتفق مالك والشافعي وأبو حنيفة
 وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى على ان زيارة النبي صلى الله عليه وسلم مستحبة
 ونقل عبد الحق في تهذيب الطالب عن أبي عمران الفاسى ان زيارة النبي
 صلى الله عليه وسلم واجبة قال عبد الحق يريد وجوب السنن المؤكدة
 والحاصل من أقوالهم انها قريبة مطلوبية لنفسها لا تتعلق لها بغيرها فتتفرد
 بالقصد وشدة الحال اليها ومن خرج قاصدا اليها دون غيرها فهو في أجل
 الطاعات وأعلاها هنيئاً لله ثم هنيئاً لله اللهم لا تحرمنا من ذلك بمنك يا كريم
 سمعت سيدى إبا محمد رحمه الله يقول انظر الى سرما وقع من هجرته عليه
 السلام الى المدينة واقامته بها حتى انتقل الى ربه عز وجل وذلك ان حكمة
 المولى سبحانه وتعالى قد مضت على انه عليه الصلاة والسلام قد تشرف الاشياء
 به لاهو ويتشرف بها فلو بقي عليه الصلاة والسلام في مكة الى ان تنقله الى ربه
 تعالى لكان يتوهم أنه قد تشرف بمكة اذ ان شرفها قد سبق با آدم والخليل
 واسماعيل عليهم الصلاة والسلام فلما ان اراد الله تعالى ان يبين لعباده انه عليه
 الصلاة والسلام أفضل المخلوقات كان ما تقدم ذكره من هجرته عليه الصلاة
 والسلام الى المدينة فتشرفت المدينة به الا ترى الى ما وقع من الاجماع على

ان افضل البقاع الموضع الذي ضم اعضاءه الكريمة صلوات الله عليه وسلامه
وقد تقدم انه عليه الصلاة والسلام افضل من الكعبة وغيرها وانظر الى
الاشياء التي يشرها عليه الصلاة والسلام تجدها ابدا تتشرف بحسب مباشرته
لها وبقدرة ذلك يكون التشريف الا ترى انه عليه الصلاة والسلام قال
في المدينة تراها شفاء وما ذاك الا لتردده عليه الصلاة والسلام بتلك الخطا
الكريمة في ارجائها العيادة مريض او غائبة مأهوف او غير ذلك ولما ان كان
مشيه صلى الله عليه وسلم في مسجد بالمدينة أكثر من تردده في غيره من
المدينة عظم شرفه بذلك فكانت الصلاة فيه بألف صلاة ولما ان كان تردده
عليه السلام بين بيته ومنبره أكثر من تردده في المسجد كانت تلك البقعة
الشريفة بنفسها روضة من رياض الجنة قال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتي
ومنبري روضة من رياض الجنة اه وفي تأويل ذلك قولان للعلماء
أحدهما ان العمل فيها يحصل لصاحبه روضة في الجنة والثاني انها بقعة
تنقل الى الجنة وهذا هو الصحيح (ثم نرجع) الى ما كنا بسبيله من زيارة القبور
فما ذكر من الآداب وهو في زيارة العلماء والصالحين ومن يتبرك بهم وأما
عظيم جناب الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فبأقوى
اليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الاماكن البعيدة فاذا جاء اليهم
فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار
والمخضوع ويحضر قلبه وخاطره اليهم والى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين
بصره لانهم لا يبلون ولا يتغيرون ثم يثنى على الله تعالى بما هو عليه ثم يصلي
عليهم ويتوسل اليهم ثم يترحم على التابعين لهم باحسان الى يوم الدين
ثم يتوسل الى الله تعالى بهم في قضاء ما آربه ومغفرة ذنوبه ويستغث بهم
ويطلب حوائجهم منهم ويجزم بالاجابة ببركتهم ويقوى حسن ظنه في ذلك
فانهم باب الله المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على
أيديهم وبسببهم ومن يحجز عن الوصول اليهم فليبرسل بالسلام عليهم ويذكر
ما يحتاج اليه من حوائجهم ومغفرة ذنوبه وسرعيديه الى غير ذلك فانهم السادة
الكرام والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم ولا من قصدهم ولا من
تجأ اليهم هذا الكلام في زيارة الانبياء والمرسلين عليهم السلام عموما

(فصل — ل) وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه
 وسلامه فكل ما ذكر يز يد عليه أضاعه أعني في الانحسار والذل
 والمسكنة لانه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعة ولا يخيب من قصده ولا من
 نزل بساحته ولا من استعان أو استغاث به اذ انه عليه الصلاة والسلام
 قطب دائرة الكمال وعروس الممالك قال الله تعالى في كتابه العزيز ادرأى
 من آيات ربه الكبرى قال علماء وناصرة الله عليهم رأي ضرورة عليه الصلاة
 والسلام فاذا وعروس الممالك فمن توسل به أو استغاث به أو طالب
 حوائجه منه فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعانيضة والآثار ويحتاج الى
 الادب الكلي في زيارته عليه الصلاة والسلام وقد قال علماء وناصرة الله عليهم
 ان الزائر يشعر نفسه بانه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته
 اذ لا فرق بين موته وحياته أعني في مشاهدته لا ثمة ومعرفة بأحوالهم
 ونياتهم وعزائمهم ونحو اطهرهم وذلك عنده جلي لا يخفاء فيه (فان) قال قائل
 هذه الصفات مختصة بالمولي سبحانه وتعالى (فالجواب) ان كل من انتقل الى
 الآخرة من المؤمنين فهم يعلمون أحوال الاحياء خالبا وقد وقع ذلك في الكثرة
 بحيث المنتهى من حكايات وقعت منهم ويحتمل ان يكون علمهم بذلك حين
 عرض أعمال الاحياء عليهم ويحتمل غير ذلك وهذه أشياء غيبية عنا وقد أخبر
 الصادق عليه الصلاة والسلام بعرض الأعمال عليهم فلا بد من وقوع ذلك
 والكيفية فيه غير معلومة والله أعلم بها وكفى في هذا بياناً قوله عليه الصلاة
 والسلام المؤمن ينظر بنور الله انتهى ونور الله لا يحجب به شيء هذا في حق
 الاحياء من المؤمنين فكيف من كان منهم في الدار الآخرة وقد قال الامام
 أبو عبد الله القرطبي في تذكرة ما هذا الفظه ابن المبارك أخبرنا رجل من
 الانصار عن المنهال بن عمرو حدثنا أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ليس من
 يوم الا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أعمال أمته غدوة وعشية
 فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فإذ لك يشهد عليهم قال الله تعالى فكيف اذا جئنا
 من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال وقد تقدم ان الأعمال
 تعرض على الله تبارك وتعالى يوم الخميس ويوم الاثنين وعلى الانبياء
 والآباء والاممات يوم الجمعة ولا تعارض فانه يحتمل أن يختص نبينا عليه

الصلاة والسلام بالعرض كل يوم ويوم الجمعة مع الانبياء اه فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حظ اجمال الاوزار واثقال الذنوب والمخطايا لان برصكة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند رب لا يتعاطها ذنب اذ انها اعظم من الجميع فليس تبشر من زاره و يلجأ الى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام من لم يزره اللهم لا تحرمنا من شفاعته بصرمة عندك آمين يا رب العالمين ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم المسمع قول الله عز وجل ولوا أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجسدوا الله توابا رحيما فن جاء ووقف ببابه وتوسل به وجد الله توابا رحيما لان الله عز وجل منزعه عن خلف الميعاد وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه فهذا لا يشك فيه ولا يرتاب الا جاحد للدين معاند لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم نعمونا لله من الحرمان وقد جاء بعضهم الى زيارته صلى الله عليه وسلم فلم يدخل المدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام بل زار من خارجها ادباً منه رحمه الله مع نبيه صلى الله عليه وسلم فقبل له الا تدخل فقال امثلي يدخل بالسيّد الكوفين لا احد نفسي تقدر على ذلك او كما قال وقد قال مالك رحمه الله لرسول الخليفة لما ان اتى اليه بالبعثة ليركبها حتى ياتى اليه لعذره في كونه لا يقدر على المشي لانه قد كان انخاضت يداؤه وركبته من الضرب الذي قد وقع به رضى الله عنه في الحكاية المشهورة فاي أن يركب وقال موضع وطئه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقداه الكريمة ما كان لي ان اطأ بحافر بعلة ومشى اليه متكئا على رجلين يحجر رجليه حتى بلغ الى الخليفة في خارج المدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام وجرى له معه ما جرى وقد قال مالك رحمه الله للخليفة لما ان سأل اذ ادخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم هل ية وجه الى النبي صلى الله عليه وسلم او الى القبلة فقال مالك رحمه الله وكيف تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة آييك آدم عليه السلام قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله في كتاب الشفاعة وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جوارى
 وكنت له شفيعا يوم القيامة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما
 زارني في حياتي قال اسحاق بن ابراهيم الفقيه رحمه الله تعالى وعمالم يزل
 من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملا مس يديه
 ومراعى قدميه والعمود الذي يستند اليه وينزل جبريل بالوحى فيه عليه
 وعن حمزة وقصده من العبادة واثمة المسلمين والاعتبار بذلك كله (وقال)
 ابن ابي زيد سمعت بعض من أدركته يقول باعنا الله من وقف عند قبر النبي
 صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها
 الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ثم قال صلى الله عليك يا محمدية ولما
 سبه من مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة (وعن) زيد
 ابن ابي سعيد المهدى قال قدمت على هرب بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي
 ايك حاجة اذا اتيت المدينة ستري قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرته منى
 السلام قال غيره وكان يبردا اليه البريد من الشام (قال) مالك في رواية ابن
 وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا ينفذ وجهه الى القبر
 لا الى القبلة ويدفون ويسلم عليه ولا يجس القبر بيده وقال نافع كان ابن عمر يسلم
 على القبر رايته مائة مرة وأكثر ما يفعل يحجى الى القبر فيقول السلام على
 النبي صلى الله عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم
 ينصرف (وقال) ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول عليه السلام
 بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام على من ربهنا وصلى
 الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك
 واحفظني من الشيطان الرجيم (ثم) أقصد الى الروضة وهي ما بين القبر
 والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمدا لله فيه ما وثقه الله
 تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتك في غير الروضة
 اجزأتك وفي الروضة افضل (ثم) تقف بالقبر متواضعا متوقفا فتصلي على
 النبي صلى الله عليه وسلم وتثنى عليه بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو
 لهم (قال) مالك في كتاب محمد يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل

وخرج قال محمد واذا خرج جعل آخر هذه الوقوف بالقبور وكذلك من خرج
مسافرا (وقال) مالك في المبطحة وليس يلزم من دخول المسجد وخرج منه من
أهل المدينة الوقوف بالقبور وإنما ذلك للغرباء فقيل له إن ناسا من أهل المدينة
لا يقدمون من سفر ولا يريدونه إلا يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر
فيسلمون ويدهون ساعة فقال لم يباغني هذا من أحد من أهل الفقه
بيادنا ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يباغني عن أول هذه الأمة
وصدروها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره ذلك إلا أن جاء من سفر أو أراد (قال)
ابن القاسم ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبور فسلموا
قال وذلك دأبي (قال) الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغريب
قاصدون إلى ذلك وأهل المدينة مقيمون بهالم يقصدوها من أجل القبر
والتسليم (وفي العتبية) يبدأ بأباركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم (ومن) كتاب أحمد بن سعيد الهندي ومن وقف بالقبور لا يلتصق به
ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا انتهى يعني بالوقوف طويلا أن الحجرة الشريفة
داخل الدرايزر فاذا وقف طويلا ضيق على غيره وأما الوقوف خارج الدرايزر
فذلك الموضع في المسجد فلا يمنع منه لأن له فيه حق الصلاة وانتظارها
والاعتكاف وغير ذلك وينبغي له أن لا يدخل من داخل الدرايزر التي هناك
لأن المكان محل احترام وتعظيم فينبه العالم غيره على ذلك ويحذره من
تلك البدع التي أحدثت هناك فترى من لا علم عنده يطوف بالقبور الشريف
كما يطوف بالكعبة المحرام ويتمسح به ويقبله ويقلعون عليه مناديا لهم وثيابهم
يقصدون به التبرك وذلك كله من البدع لأن التبرك أغسا يكون بالاتباع له
عليه الصلاة والسلام وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا
الباب ولاجل ذلك كره علماءنا رحمة الله عليهم التمسح بجدار الكعبة أو
بجدران المسجد أو بالمحصف إلى غير ذلك مما يتبرك به سدا لهذا الباب والمخالفة
السنة لأن صفة التعظيم موقوفة عليه صلى الله عليه وسلم فكل ما عظمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعظمه ونتبعه فيه فتعظيم المحصف قراءته
والعمل بما فيه لا تقبله ولا القيام إليه كما يفعل بعضهم في هذا الزمان وكذلك
المسجد نعظمه الصلاة فيه لا التمسح بجداره وكذلك الورقة يجدها الإنسان

في الطريق فيها اسم من اسمائه تعالى واسم في من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام ترفيعه ازالة الورقة من موضع المنة الى موضع ترفع فيه
لا بتقريبها وكذلك المحبز يجده الانسان ماقى بين الا رجل تعظيمه اكله
لا تقبله وكذلك الولي تعظيمه اتباعه لا تقبل يده وقدمه ولا التمسح به
كذلك ما نحن بسبيله تعظيمه باتباعه لا بالابتداع عنده (ومن) هذا
السبب ايضا قول بعضهم في المصحف مصحف وفي الكتاب كتاب كتيب (ومن
ذلك) قولهم حين مناواتهم المصحف والكتاب افظة حاشاك (ومن ذلك)
قولهم في المسجد مسجد وفي الدعاء ادع الى دعوة الى غير ذلك وهذه الافاظ
شبهة قبيحة لوهولها وما فيها من الخطر ما تكلموا بها الا ان حصل ذلك تعظيمه
مطلوب والتصغير ضده (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ان الله اليه ود
اتخذوا قبورا انبياءهم مساجد انتهى فاذا كان هذا الذم العظيم فيمن اتخذ
الموضع مسجدا فكيف بالطواف عنده (واما) اكل القرع عنده في الروضة
المشرفة فمنوع اذ ان فيه قلة ادب واحترام معه ومع معجده ومع روضته
التي عظمها وورقها عليه الصلاة والسلام هذا الوجه (الوجه الثاني) ان
عامتهم يلقون النوى هناك وهو اذى فيجتم مع عليه الذباب وفي ذلك
من الاذى للموضع الشر يف ما فيه (الثالث) انه يعامل الموضع
الذي عظمه عليه الصلاة والسلام بالنقيض لانه اذا اكل القرع حصل له عليه
في النواة ثم يأخذها ويلقيها في المسجد واعابه عليها وهذا بصاق في المسجد
وفيه من سوء الادب وقلة الاحترام ما هو شامد متى اسأل الله تعالى
السلامة عنه (فاذا) زاره صلى الله عليه وسلم فان قدرا ان لا يجلس فهو به
اولى فان يجزله ان يجلس بالادب والاحترام والتعظيم وقد لا يجتمع الحاج الزائر
في طلب حوائجه ومغفرة ذنوبه ان يذكرها باسمه بل يحضر ذلك في قلبه
وهو حاضر بين يديه صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام اعلم منه
بحوائجه ومصالحه وارحم به منه لنفسه واشفق عليه من اقاربه وقد قال
عليه الصلاة والسلام اغمامي ومثلكم كذل الفراش تقعون في النار وانا
اتخذ بحدركم عنها وكما قال وهذا في حقه صلى الله عليه وسلم في كل وقت
واوان اعنى في التوسل به وطاب المحوئج بجساده عند ربه مزوجل ومن

لم يقدر له بزيارته صلى الله عليه وسلم بجسمه فليتوهم كل وقت بقلبه
 وليجتر قلبه انه حاضر بين يديه متشفعا به الى من من به عليه كما قال الامام أبو
 محمد بن السيد البطليوسي رحمه الله تعالى في رقعته التي ارسلها اليه من أبيات
 اليك افر من زللى وذنبى * واذت اذا لقيت الله حسبي
 وزورة قبرك المحجوج قدما * منسأى وبغيتى لوشاء ربى
 فان احرم زيارته بجسمى * فلم احرم زيارته بقلبى
 اليك غدت رسول الله منى * تحية مؤمن دنف محب
 اللهم لا تحرمنا شفاعته ولا عنايته فى الدنيا والآخرة وأدخلنا بقضائك فى
 زمرة المتبعين له باحسان الى يوم الدين بجاهه عندك فان جاهد عندك عظيم
 (ثم) يسلم على صاحبه وأول خلفائه أبى بكر الصديق رضى الله عنه ويتقرض
 عنه ويثنى عليه بما حذر ثم يفعل كذلك مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 ويتوسل بهما الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقدمهما بين يديه شفيعين فى
 حوائجهم (ثم) هو بالخيار ان شاء ان يخرج الى البقيع ليزور من فيه اقتداء
 بالنبي صلى الله عليه وسلم فاذا اتى البقيع بدأ بثالث الخلفاء عفا بن
 عفان رضى الله عنه ثم يأتى قبر العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتى
 من بعده من الاكابر ويؤى امثال السنة فى كونه عليه الصلاة والسلام
 كان يزور اهل بقيع الغرقى وهذا نص فى الزيارة فدل على انها قريبة بنفسها
 مستحبة معمول بها فى الدين ظاهرة بركتها عند السلف والخلف (وهذا) الذى
 ذكر انما هو فمين كانت اقامته ~~كثيرة~~ بالمدينة على ساكنها افضل الصلاة
 والسلام فاما الزائر ايا ما ويرجع فالاولى له ان لا يخرج من بين يديه ولا من
 مشاهدته وجواره والمقام عنده عليه الصلاة والسلام فانه عروس المملكة
 وباب قضاء الحوائج دينا ودنيا واخرى فيذهب الى ابن وقد فرق علما وثارحة
 الله عليهم بين الافاق والمقيم فى التنفل بالطواف والصلاة فقالوا الطواف فى
 حق الافاق افضل له والتنفل فى حق المقيم افضل وما نحن بسبيله من باب اولى
 فن كان مقيما خرج الى زيارة اهل البقيع ومن كان مسافرا فليقتنم مشاهدته
 عليه افضل الصلاة والسلام (وقد) قال لى سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى لما
 أن دخل مسجد المدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ما جاست

في المسجد الا المجلوس في الصلاة او كلاما هذا معناه وما زلت واقفا هناك
حتى رحل الركب ولم اخرج الى بقيع ولا غيره ولم ازر غيره صلى الله عليه
وسلم وكان قد خطر لي ان اخرج الى بقيع الغرق قد فقت الى أين اذهب هذا
باب الله تعالى المفتوح للساكنين والطالبين والمنكرين والمضطرين
والفقراء والمساكين وليس ثم من يقصد مثله فن عمل على هذا ظفرو ونجح
بالمأمول والمطلوب او كما قال (ثم) ترجع الى زيارة قبور عامة المؤمنين
كما تقدم وقد تقدم دليل ذلك فاذا زار فليعتبر في حال من زاره وما صار اليه
في قبره من المحامسة ون وهي الطينة الحارة المنقنة العفنة وماذا سئل عنه
وبما اذا اجاب وما هو حاله هل في جنة او ضدها ويتفرع الى الله تعالى
في الترحم عليه ورفع ما به من الكرب ان كان به ويسأل له جلب الرحمة ورفع
الدرجات ويشمر نفسه انه حصل في عسكرهم اذ كل آت قريب كما قيل من
عاش مات ومن مات فات وأنه الآن كأنه يسئل ويفكر فيما يجب وهو في
قبره وحيد فريد قد رحل عنه اهله ومعارفه وولده وماله فيكون مشغولا
بهذا الاعتبار (وهذا) هو المراد به عليه الصلاة والسلام فنزوروها فانها
تذكر الموت انتهى فيتعاقب بولاه في الخلص من هذه الامور المخطرة
العظيمة ويلجأ اليه ويتوسل ولا يقرأ الزائر عند قبر ايت ما تقدم من شغله
بما ذكر من الاعتبار وقراءة القرآن فيحتاج صاحبها الى التدبر واحضار
الفكرة فيما هو يتلو وفي كرتان في قلب واحد في محل واحد لا يجتمعان
(فان) قال قائل انا اعتبر في وقت واقرا في وقت آخر والقراءة اذا قرئت تنزل
الرحمة اذ ذلك فامل ان يلحق الميت من تلك الرحمة شئ ينفعه (فالجواب) عنه
من وجوه (الاول) ان السنة لم ترد بذلك وكفى بها (الثاني) شغله بما تقدم
من الفكرة والاعتبار في حال الموت وسؤال الملكين وغير ذلك والوقت محل
لهذا فقط ولا يخرج من عبادة الى عبادة اخرى سيما لاجل الغير (الثالث)
انه لو قرأ في بيته وأهدى اليه لوصلت وكيفية وصولها انه اذا فرغ من تلاوته
وهب ثوابها له او قال اللهم اجعل ثوابها له فان ذلك دعاء بالثواب لأن يصل
الى أخيه والدعاء يصل بلا خلاف واذا كان كذلك فلا يحتاج أن يقرأ على
القبور (الرابع) انه قد تكون قراءة القرآن على قبره سببا لعذابه

أول زيادة منه لانه كلما رتب به آية لم يعمل بها فيقال له أما قرأتها أما سمعتها
 فكيف خالفتها فيه نذب أو يزاد في عذابه لاجل مخالفتيه لها كما نزل عن
 بعض من اتصف بشئ مما ذكر أنه رؤى في عذاب عظيم ف قيل له أما تنفك
 القراءة التي تقرأ عند ذلك أيلأونها وأقال انها سبب لزيادة عذابي وذكر
 ما تقدم سواء بسواء (وقد سمعت سيدي أبا محمد رجه الله يقول ان القراءة
 على القبور بدعة وليست بسنة وان مذهب مالك الكراهة انتهى فيكون
 العالم بين هذه السنة في الزيارة ويوضحها حتى تعرف ويتعاهدها الناس
 ويبين لمن حضره ما احدثوه في الزيارة من البدع والمحرمات التي يكل السمع
 عنها فكيف برؤيتها وما شربتها من ذلك ما يفعله بعض النساء في زيارة
 القبور في ركوبهن على الدواب في الذهاب والرجوع وفي مس المسكارى لمن
 وتحضينه للمرأة في اركابها وانزالها وحين مضيهما يجمل يده على فخذهما
 وتجمل يدها على كتفه مع ان يدها ومعهما مكشوفان لاستترعا بهما سيما
 مع ما يضاف الى ذلك من الخواتم والاساور من الذهب والفضة أوهما معا
 مع الخضاب في الغالب وتقدم مع ذلك اكلها وارتدك كاه وهذا كله لو فعله من
 النساء من لا يعرف لا تخذهن ومنه من ذلك فكيف يراه الزوج أو ذو
 محرم أو العالم أو غيرهم فيسكتون فانا لله وانا اليه راجعون مع انها تنسجى
 المسكارى وتحدثه كأنه زوجها أو ذو محرم منها بل العجب ان زوجها وغيره
 ممن ذكر يشاهدون ذلك بالمحضرة ويعلمونه بالغيبة وهذا فيه من المحرمات
 وجوه كثيرة وكل من يعاينهم من الناس سكوت لا يتكلمون ولا يغفرون
 ولا يجردون لذلك غيرة اسلامية في الغالب فاذا كان العالم ينهى عن
 ذلك اذا رآه وينبه عليه من محاسنه ويراه تنبيه الناس لهذه المحرمات وقل
 فاعاها فان قدرنا ان احدا بقى على ذلك فهو يعلم بسبب اشاعة العالم ذلك
 كله انه حاص وكفى بهذه نعمة لانهم اذا علموا ذلك رجع لهم التوبة (وهذا)
 الكلام في ذهابهن وعودهن (وأما) في حال زيارتهن القبور فاشنع
 واعظم لانهن الشتمات على مفاسد عديدة فنهام مشيون بالليل مع الرجال
 في زيارة القبور مع كثرة الخلوات هناك وكثرة الدور المتيسرة وكشفهن
 لوجوههن وغيرها حتى كأنهن مع أزواجهن خاليات في بيتهن وينضم

الى ذلك محادثتهم مع الرجال الاجانب ومنهم من ملاهبتهم وكثرة الضحك
مع الغناء في موضع الخشوع والاعتبار والذل فان هذا الموضع اول منزل
من منازل الآخرة فهو جدير بالحزن والخوف ضمة ما يفعلونه (وقد ورد)
في الحديث شافه عليه السلام قال ان الله يكره لكم ثلاثا العيب في الصلاة
والرفث في الصيام والضحك عند المقابر انتهى فيحق لمن مصيره الى هذا عدم
الله والعب وخروجهن على هذه الاحوال لو كان بالنهار تخيف عليهن من
المفسدة الكبرى فكيف به ليلا ويضاف الى ذلك ما أحدثوه من الوطاط على
المنابر والكراسي والمحدثين من القصاص بين المقابر في الليل الى المقبرة وغيرها
واجتماع الرجال والنساء جميعا محتاطين وكذلك الفراء الذين يقرءون القرآن
بالترجيع والزيادة والتفسيح في كتاب الله عز وجل ورفع الاصوات
الخارجة عن حد السمت والوقار والتمطيط والمد في غير موضعه وتخفيف
المشدد وركسه وترتيبهم اقل ترتيب هؤلاء الغناء والطرائق التي أحدثوها
وغير ذلك مما هو معلوم ومشاهد وذلك كله ممنوع وسواء كان الزوار رجالا او
نساء فكل ذلك ممنوع لما فيه من المفسد المذكورة وغيرها (وقد) تقدم
صفة زيارة القبور المشروعة اهني لرجال اذ ليس للنساء نصيب في زيارة
القبور لما تقدم من قوله صلوات الله عليه وسلامه للنساء حين رآهن في جنازة
ارجعن ما زورات غير ما جورات وقوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة
ابنته لو بلغت معهم الكداء يعني القبور وذكروا عيدا شديدا هذا ومن
في حال التشجيع للجنازة فبالا فانهن في زيارة القبور وروى كذلك زيارتهن
في النهار ممنوعة ايضا بل النهار أشد كشفها لظاهرته من الزينة وكشفها
وعدم الحياء في ذلك كله (ثم) انظر رحمنا الله واباك الى ما قرره النساء في هذه
الزيارة التي ابتدعتها لانفسهن فانهم جعلوا لكل مشهد يوماء الوفاء في الجمعة
حتى آتين على اكثر ايام الجمعة ليجدن السبيل الى وصولهن الى مقاصدهن
الذميمة في اكثر الايام فجعلوا يوم الاثنين للسيدة الحسين رضى الله عنه ويوم
الثلاثاء والسبت للسيدة نفيسة ويوم الخميس والجمعة لزيارة الشافعي
وغيره ولا مواتهن (ثم) انظر رحمك الله تعالى الى هذه المفسدة التي
ترتب بسبب هذه المفسدة وذلك ان الرجل الدين الغيور منهم على وعه

لا يمكن زوجه ان تخرج وحدها لما يعلم من الفساد وتأتي عليه الا الخروج
او تفارقه الى غير ذلك من التشويشات التي يتوقعها منها من الامتناع وغيره
بسبب منعه لها فيخرج معها الثلاثا يفارقهافيها شرما ذكر او بعضها او زيادة
عليه او يسمع ويرى وهي كذلك وقد يكون معها او يقع استمتاع الا جانب
بزوجه بالمزاج والبسط والملاعبة معها والاس لها بحضوره وقد يرى هذا
من حسن الخلق والسياسة والستر على نفسه وعلى عرض زوجته وعلى
عرض من ياشركه من زوجته وقد يرى ان ذلك قربة وهذا بلا عظيم
وخفف باطن أسأل الله العافية بمنه هذا ان احفل الزوج ما رأى ما وقع فيما
تقدم ذكره من المنهيات العديدة وان غابته الغيرة وضاق ذرعه على من فعل
شدائم ما فعل مع زوجته من الفساد فيقع الضرب والمخاض وقد يؤول ذلك
الى الوالى والمحاكم والمحيس وغير ذلك هذا ان كان الزوج سالما من الرئاسة
فان كان ممن يترأس او هو رئيس ولا يرضى ان يخرج مع زوجته ولا بقدر ان
يتركها وحدها لما يعلم هناك من الفساد فيرسل معها من يكون لها عون على ذلك
من صبي او عبدا ويجوزا وغير ذلك فاذا فعل هذا كان اكثر فسادا من
خروجها وحدها لان اكثر الناس يهاب ان يحجم على المرأة فيبتديها بكلام
او مزاح او غير ذلك هذا ان كانت حرة لم تبتدي احدا بكلام ولا مزاح فان
وجدوا معها احدا ممن ذكر توصلوا بسببه الى ما يختارون منها بسبب توسل
الواسطة وتخصينه وتزيينه لافعل الذميمة وتيسره لذلك كله وقد يكون بعضهم
قد عدم الطرفين احدهما يستحي ان يخرج مع زوجته والثاني
لا يكون عنده من يرسله معها وعنده غيره لا بقدر ان يتركها تخرج وحدها
وتأتي عليه الا الخروج فيخرج معها او يمشى معها داعيا وهذا الشدة من الاول
والثاني في الفساد والفتنة بكثرة تدب فروع ما يترتب عليه من الفساد
اسأل الله تعالى العصمة في المحركات والسككات (وقد) قال لي بعض المشايخ من
اهل العراق وحكا ان ورد الى مدينة مصر والله ما عندنا احد ببغداد
يفعل هذا ولا يرضى به ولا يقول به احد عندنا ونقرأ انفقوا الكلى من اقامته
بافليم مصر وكان يدعوا لله تعالى ان يرده الى بغداد اذ انما عنده اقل مفسد
من مصر فاذا كانت بغداد على هذا اقل مفسد من مصر وهي مقام التتار وقد

ورد أنها المدينة المأمونة يصف بها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة
من ههنا وأشار إلى المشرق فانا لله وانا إليه راجعون .
• (فصل — في خروجهن إلى دور البركة) • وينبغي له أن يمنعهن
من الخروج إلى الدور التي على البركة وما كان في معناها إذا احتوت على
جملة من الفاسد فنهركوين إليها على الدواب في الذهب والعود على
الصيغة المتقدمة ومنها خروج بعضهن من البيوت التي هناك على شاطئ
البركة في الطريق متبرجات متزيئات مختلطات الرجال وبعضهن يغتسلن
في البركة وبعض الرجال ينظرون في الغسالين وما يفعلن أيضاً من
تبرجهن إن كان في تلك البيوت من ينظرون من الطاقات وأبواب الریح
والأسطحة وغير ذلك ويظهرون ما بهن من الزينة وما عليهن من حش
الثياب والمخلى وغير ذلك ومما زحمتن للرجال في الغالب على ما تقدم وكذلك
يمنعهن من الخروج في أيام الخضير لأن ذلك الموضع محل لفرجة الرجال
وفيه يحتم فقل من تراء هناك إلا وهو رافع رأسه إلى الطاقات والغالب عليهن
الزينة والتبرج كما تقدم والغالب على بعض المنفرجين أنهم لا يغمضون
أبصارهم عن المحارم ولا يتفكرون في ذلك بل يرتكبون المحرم جهاراً فمشتون
في زرع الناس قصداً ويخذونهم بطريقهم ويجالسون ويحسبوا فيها السماع
وانشاد الشعر الرفيق المشغل على التغزلات التي تميل قلوب الرجال فكيف
بالنساء قال عليه السلام رفقاً بالقوارير انتهى يعني النساء وذلك لضعفهن
عن سماع الصوت الحسن فكيف به مع التغزلات وقد قالوا إن الغناء ينبت
التفاح في الغالب كما ينبت الماء البقل فتترك طباعهن لمسايسهن وبرين من
ذلك ويشاهدنه فيمن له إليه فيدخل الفساد بين المرأة وزوجها وقد يؤول
الامر إلى الفراق والبقاء على دخن أسأل الله تعالى السلامة من ذلك كله
• (فصل — في الدور التي على البساتين) • وينبغي له أن يمنعهن من
الدور التي على البساتين إذا كان في ذلك كشفة لمن اللهم إلا أن يكون
البستان لا يدخله أحد إلا بأذنه فهو أخف لأنه إذا أذن في الدخول إلى
البستان فحور زعماء يتوقعه بغلق الطاقات والأبواب والأسطحة ويمنعهن
من النظر في ذلك الوقت ويباح له أن يخرج أهله إلى البستان بشرطين وهو

الدخن يغتسلن
الحقد اهـ

ان يكون البستان لا يكشف عليه أحد وان لا يدخله مع أهله غير ذي محرم
 (فصل في ركوب البحر) وينبغي له بل يجب عليه ان يمنعه من
 من الخروج الى موضع يجتمع فيه الى ركوب البحر للفرجة وان كان ذلك
 الموضع مباحا لأن ركوب البحر كشفة لمن وفيه من الفاسد ما هو أعظم من
 ركوب الدواب الى ما هو شاهد مرئي فلا يجتنب الى تفصي جزئياته هذا ان
 كان موضع الفرجة لا متكررة ولا فتنة يفتخرف وقوعها وأما اذا انضم الى
 ركوب البحر مقصد فالأولى المنع مثل خروجهم الى القناطر وغيرها واجتماع
 الرجال والنساء وما يجري هذا لهما بكل السمع عنه فيكيف برؤيته وكذلك
 ما أشبهه من كسر الخايج وما يجتمع فيه من الغوغاء وما فيه اليوم من الفتن
 ويؤذي أمر الله ازهاق النفوس في ذلك من الغرق وغيره وقد اعتادوا فيه
 عادة ذميمة وهو ان بعض المحرمان يش وغيرهم في ذلك اليوم يحدون أيديهم
 ان ياقونه في الطريق فيجردونه و يأخذون ماله ويضربونه وربما قتلوه
 وأما موه البتة ولا يحبسكم عليهم في ذلك اليوم حاكم لانه دليل فيهم على
 ما يرمون أسأل الله السلامة بمنه

(فصل في خروجهم الى المحل) وينبغي له ان يمنعه من الخروج الى شهود
 المحل حين يدور ويمنعه من الخروج في تلك الايام التي يستعد فيها الدوران
 المحل اذ في ذلك من الفاسد وارتكاب المحرمات ومخالفة السنة أشياء عديدة
 فمنها تزوين الدكاكين في الاسواق وغيرها بالقماش من الحرير والحلى وغيرها
 وفي بعض ذلك من الصودا المحرمة ما هو معلوم مشاهد لا يترع فيه وتحريره
 لا يخفاء فيه وذلك كله قبل دورانه الى ان يفتضى ويقع في تلك الايام من
 الفاسد استمتاع الرجال بالحرير المحرم عليهم الا ما استثنى في الشرع تحسب
 أوجه ادويدل على تحريم ذلك. اورد من حديث أقرس بن مالك رضي الله عنه
 حيث قال فقلت الى حمير انما قد اورد من طول ما لبس قمي استمتع المحصر
 لبس اقل على ان ليس تشكك شيء بحسبه فدل ذلك على ان ما بعد لونه من
 تزوينهم بمسند الحرير والذهبانات المعلقة وما أشبه ذلك حرام سيما ان كان فيها
 صور محرمة فية أكد الوعيد ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صور صورة فان الله

بعده حتى ينفخ فيها الروح وليس ينافخ فيها أبدا وما ورد أنه يقال يوم
القيامة للصورة في الدنيا سيوا بالخلق ثم أه ولا فرق في ذلك أعني في
تحريق الأثم بين من صنعها أو بين من استحسنها أو بين من جالس إليها وبين من
رغب بها وأحبها أو بين من رآها ولم ينكر وله القدرة على التغيير بحسب
مراتب التغيير وقد تقدم وهذا هو لم يستعمل ذلك وأما من استعمله فالحكم
فيه ظاهر معلوم وإذا كان ذلك محرما فلا يجوز الاحتساب شيء من ذلك لرجل
ولا لامرأة ممن أوردت قدم أن ليس كل شيء بحسبه وإذا كان كذلك فلا يجوز
لأحد أن يجالس تحت اليد مخافت ولا مساند المحرم وشبهها ولا أن يمشي تحتها
الاضطرورة شرعية ولا أن يستنار بظلالها وكذلك لا يجوز له النظر إليها لأن
ذلك اعانة على فعلها بل يجب على من قدر على تغييرها بشرطه أن يزيلها
دون المساند لها ولا يستمتع بها بغير وجه من وجهه ولا يتساعات أما الرجال
فقد رجم ذلك عليهم بين وأما النساء فلا لهن إحصاء من استعمل
ما تقدم ذكره أعني من المساند واليد مخافات المحرم وشبهها وأما أن
كان ذلك من المكان الرفيع أو القطن وما أشبههما فذلك من البدع
ولا يصل إلى التحريم لأن أصله مباح أعني ليس على الوجه المعروف
شرعا وليس هتافته وفيه ضرب من اضاعة المال وذلك أن استعمالها
يأثم بآفة قدس بما لا قيمتها من عيار ودخان مصباح وغيره مما دون
ضرورة شرعية ولا حاجة تدعو إلى ذلك والأدلة الدالة على منع استعمال
ما تقدم ذكره على النساء كالرجال إلا ما أباح الشرع لهن من لبس المحرم
والتحلي بالذهب والفضة ولهذا أباح العلماء لها اللخاف والفراش من المحرم
إذ أن ذلك ليس لهن ولم يعدوه إلى غير اللبس فلا يجوز لها اقتضاد الاواني من
الذهب والفضة كانت الزينة أو للاستعمال فذلك كله حرام عليها فإن
فعلت ذلك كانت عامية ويجب عليها في كل سنة زكاة تلك الاواني من
الذهب والفضة بشرطها مع وجود الأثم إذ أن التوبة عليها واجبة في كل
وقت وأوان والتوبة لا تصح مما لا بعد الاقلاع عن الشيء الذي تابت منه
ولا يكون ذلك مادامت تلك الأثمة على حاملها إلا بآخرها من يدها وعن
مالكها المن يهيج ثملكم لها وذلك إذا تمكنت من فعله فإن لم تمكّن من فعله

الاستحباب لانه اذا لم يفعل بخلاف عليه انه اذا خرج استرخى منه ذلك العضو
 فيخرج شيء من الموضع الذي لم يغسله على ظاهر بدنه فيصل بالنجاسة الثالثة
 والخمسون يحذر ان يدخل أصبعه في دبره فانه من فعال أشرار الناس وهو
 منهي عنه لانه يفعل بنفسه وذلك حرام الرابعة والخمسون يتفق قد نفسه
 في الاستبراء فيعمل على عادته قرب شخص يحصل له التنظيف عند انزعاج
 البول عنه وآخر لا يحصل له ذلك الا بعد أن يقوم ويقعد وذلك راجع الى
 اختلاف أحوال الناس في أمر جنهم وفي ما كانهم واختلاف الأزمنة عليهم
 فقد يتغير حاله بحسب اختلاف الامر عليه وهو يبعد من نفسه عادة فيعمل
 عليها فيخاف عليه أن يصل بالنجاسة أو يتوسوس في طهارته فيعمل على
 ما ينظر له في كل وقت من حال مزاجه وغذائه وزمانه فليس الشيخ كالشاب
 وليس من اكل البطيخ كن اكل المجبن وليس الحر كالبرد الخامسة والخمسون
 اذا قام للاستبراء فلا يخرج بين الناس وذكره في يده وان كانت تحت ثوبه
 فان ذلك شوه ومثله وثبر ما يفعله بعض الناس وهذا قد نهى عنه وان
 كانت له ضرورة في الاجتماع بالناس اذذاك فيجعل على فرجه خرفة يشدها
 عليه ثم يخرج فاذا رجع من ضرورته تنظف اذذاك السادسة والخمسون
 يكره له أن يشتغل بغير ما هو فيه من تنف ابط أو غيره اثم لا يطيق في خروج
 المحدث والمقصود الاسراع في الخروج من ذلك الموضع بذلك وردت السنة
 قال الامام أبو عبد الله القرشي رحمه الله اذا أراد الله بعد خبير اسرعه عليه
 الطهارة السابعة والخمسون لا يستحجر في حائط مسجد محرمة ولا في حائط
 مملوك لغيره لانه تصرف في ملك الغير ولا في حائط وقف لانه تصرف فيه
 وهو في حوز من وقف عليه وذلك لا يجوز وهذا كله حرام باتفاق وكثيرا
 ما يتساهل اليوم في هذه الاشياء سيما في سبل لا وضوه فتجد المحيطان في غاية
 ما يمكن أن تكون من القذر لا جمل استجارهم فيها وذلك لا يجوز انما
 والخمسون يكره أن يستحجر في حائط ملكه لانه قد ينزل عليه المطر أو
 يصيبه بالماء ويلتصق هو أو غيره مما عليه فتصيبه النجاسة فيصل الى بها
 ووجه آخر وهو أن يكون في الحائط حيوان فيتأذى به وقد رأت عبانا
 بعض الناس استحجر في حائط فأسعته عقرب كانت هناك على رأس ذكره

أن يكون البستان لا يكشف عليه أحد وأن لا يدخله مع أهله غير ذي محرم
 * (فصل في ركوب البحر) * وينبغي له بل يجب عليه أن يمنعه
 من الخروج إلى موضع يحتج فيه إلى ركوب البحر للفرجة وإن كان ذلك
 الموضع مباحا لأن ركوب البحر كشفة لمن وفيه من الفاسد ما هو أعظم من
 ركوب الدواب إلى ما هو شاهد مرئي فلا يحتج بالاحتجاج إلى تفصي جزئياته هذا إن
 كان موضع الفرجة لا متكبر فيه ولا فتنة يتخوف وقوعها أو إذا انضم إلى
 ركوب البحر مفسدة فالأولى المنع مثل خروجهن إلى القناطر وغيرها واجتماع
 الرجال والنساء وما يجري هنالك مما يكل السمع عنه فكيف برؤية وكذلك
 ما أشبهه من كسر الخايج وما يجتمع فيه من الغوغاء وما فيه اليوم من الفتن
 ويؤدل أمره ازهاق النفوس في ذلك من الغرق وغيره وقد اعتادوا فيه
 عادة ذميمة وهو أن بعض المحرمات يدس وغيرهم في ذلك اليوم يمدون أيديهم
 أن يلقونه في الطريق فيجردونه أو يأخذون ماله ويضربونه ويمساقطونه
 وأهله موهبة ولا يحكم عليهم في ذلك اليوم حاكم لأنه سبيل فيهم على
 ما يرون أسأل الله السلامة منه

* (فصل في خروجهن إلى المحل) * وينبغي له أن يمنعه من الخروج إلى شهود
 المحل حين يدور ويمنعه من الخروج في تلك الأيام التي يستعد فيها الدوران
 المحل إذ في ذلك من الفاسد وارتكاب المحرمات ومخالفة السنة أشياء عديدة
 منها تزويج الدكاكين في الأسواق وغيرها بالقماش من الحرير والحلي وغيرهما
 وفي بعض ذلك من الصور المحرمة ما هو معلوم مشاهد لا يترع فيه وتحريمه
 لا يخفاء فيه وذلك كله قبل دورانه إلى أن يفتنى ويقع في تلك الأيام من
 الفاسد استمتاع الرجال بالحرير المحرم عليهم إلا ما استثنى في الشرع تحسنة
 أوجهه أو يدل على تحريم ذلك. أو رد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه
 حيث قال فتمت إلى حصير لنا قد سرد من طول ما لبس فسمى استمتاع المحصر
 لبسا فدل على أن لبس ~~شئ~~ شئ بحسبه فدل ذلك على أن ما فعلوه من
 تزويجهم بمساند الحرير والذهبانات المعلقة وما أشبه ذلك حرام سيما إن كان فيها
 صور محرمة فبئس كذا الوعيد لما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صور صورة فإن الله

من زوجة أو غيرها صار طالما بذلك الحكم ويعلمه غيره لأن النبي صلى الله عليه وسلم علم أهل بيته وأصحابه ثم علموا الناس وانتشر ذلك عنهم فكان الجميع في محبة منهم وهم وما في محبة منهم في صحيفة سيد الأقران والآخرون صلوات الله عليه وسلامه وذلك ما مضى إلى أن يرفع القرآن وقد تقدم أن المرأة إذا كان لها زوج يجب عليه أن يعلمها أن كانت جاهلة بالحكم فإن لم يفعل طالبة بذلك فإن لم يفعل طالبة بالخروج إلى التعليم فإن لم يأتها في الخروج خرجت بغير إذنه على ما سبق بيانه (وهذا القسم) أعني طاب النساء حقهن في أمر الدين الذي لم يخالفن إلا لأجله قال الله عز وجل في كتابه العزيز وما خالفت البحر والأنس إلا ليعبدون قد أحمل اليوم وصاروا تروكا قد تروكهم حتى كأنه لم يعرف أهدم الكلام فيه من الزوج وأزوجه في الغالب لأن مطالبة الزوجة زوجها في غالب الحال في هذا الزمان انما هي وفي النقطة والكسوة وفيما كان من الأمور الدنيوية وأما ما كان من أمور الدين فلا يهم شأنه غالباً ولا يكثر ثوبن به بل لا يخطر بباله كائنهم لم يبدخلوا في الخطأ فظواهر حالهم كحال من اصطلموا على تركه فلو طالبت المرأة حقها في أمر دينها من زوجها ورفعت به إلى المحاكم وطالبت بالتعليم لأمر دينها لأن ذلك لها انما بنفسه أو بواسطة اذنه لها في الخروج إلى ذلك لوجب على الحاكم جبره على ذلك كما يجب بره على حقوقها الدنيوية اذ أن حقوق الدين أكد وأولى وانما سكت الحاكم عنها ذلك لأن الحاكم لا يحكم إلا بعد طلب صاحب الحق حقه وسواء كان الحاكم قاضياً أو محتسباً أو غيرهما ممن ينفذ أمره (فاذا) اجتمعت زوجة العالم بالنسوة لأن تعلمن الأحكام فلتحذر أن يسرى اليها من اجتمعت بهن من النسوة شيء من العوائد الرديئة اذ أن الغالب من اجتماعهن لا يخلو من ذكر بعض العوائد المتخذة التي شأن عليها وتمكنت من قلوبهن حتى كائنهم من شعائر الدين فليحذر من هذا وما شا كاه لانه قد يقع سد ما تقدم ذكره من التعليم للنساء فيؤول الامر إلى ضرر يلحق أهل المعرفة بالعوائد الرديئة أو بعضها ويتضرر هو لذلك فاذا آل الامر إلى ذلك سقط عنهما الامر بالتعليم والحالة هذه أعني تعليمها غيرها واذن زوجها لها ويبقى العالم مأموراً بالتعليم فان تخوف وقوعه فالتعليم لا يسقط عنهما لأن

المفسدة لم تصح لكون معتز زمنا بجهده ودين الله بسر (فن) العوائد التي
 اتخذها بعضهن واستحكم بها في قلوبهن والعمل بها الذكرا للنساء والكلام
 مع من سماجهن من الرجال لأن من يشرأو رأى وسكت كمن فعل ومن
 العوائد الرديئة ما رتبته في بعض أيام السنة وأيام الجمعة فكل يوم فسلوا
 فيه أفعالا مخصوصة لا تسكون في غيره ومن خالف ممن ذلك يتطيرن به
 وينسبوا إلى الجهل وعدم المعرفة فن ذلك شرأوهن اللبس في أول ليلة من
 شهر المحرم وهي أول ليلة من السنة ويزعمون أن ذلك تفاؤل بأن تكون
 سنتهم كلها عافية يضاف وهذا منهم بدعة وباطل أما البدعة فالتفاؤل بهم ذلك
 عادة وهو مخالف لما مضى عليه السلف وأما الباطل فهو وزعمهم أن ذلك من
 التفاؤل والتفاؤل في الشرع هو الذي لا يقصده إلا إنسان حتى يسهل ابتداءه
 وأما من يقصده فليس من التفاؤل في شيء وأشد من ذلك التفاؤل في فتح
 الخمة والنظر في أول سطر يخرج منها أو غيره وذلك باطل وقد نبه على هذه
 بيان ذلك أنه قد يخرج له منها آية عذاب أو وعيد فيقع له التشويش من
 ذلك فرفع عنه ذلك حتى لا تقع هذه مادة التشويش بل يخشى عليه أن يقع
 له ما وأشد من ذلك ويؤول أمره إلى الخوار العظيم الاتري إلى ما جرى لبعض
 الملوك أنه فتح المصحف ليأخذ منه القائل فوجد في أول سطر منه واستفتحوا
 وخاب كل جبار عنده فوجد من ذلك أمر عظيم حتى خرج بذلك عن حال
 المسلمين وجرت منه أمور لا يمكن ذكرها هنا فمرثا الحال المسلمين (ومن الملاحقة)
 قال الطرمطوني رحمه الله تعالى إن أخذنا القائل بالمعصية وقرب الرمل
 حرام وهو من باب الاستقسام بالألزام مع أن القائل حسن بالسنة وتحريره
 أن القائل الحسن هو ما يرضى من غير كسب مثل قائل يقول يا مفلح ونحوه
 والتفاؤل المكتسب حرام كما قاله الطرمطوني في تعليقه انتهى أسأل الله
 السلامة منه (ومن ذلك) شرأوهم الفقاع في تلك الليلة وذلك اليوم في أول
 السنة فيفتحون فيه في البيت فيصعد ناحية السقف ويزعمون أن الزق
 يفرر لهم في تلك السنة ويوسع عليهم فيها والأصل في ذلك أقدم ذكره من
 مجاورة القبط والأنس بعوائدهم الرديئة ويفعلون فيه أفعالا من جهة
 البسط قد يؤول الأمر فيه إلى ازهاق النفوس إلى غير ذلك وهذا جهل

ومخالفة السنة كما تقدم فيما قبله (فصل ل) ومن ذلك ما فعله
 في يوم السبت وهو أنهن لا يشترين فيه السمك ولا يأكلنه ولا يدخلنه
 بيوتهن وهذه خصلة من خصال اليهود لأن اليهود لا يصطادون السمك
 في يوم السبت ولا يدخلونه بيوتهم ولا يأكلونه وقد أباح الله تعالى ذلك
 لهذه الأمة في كل وقت وأوان فنهه هؤلاء عن أنفسهم وكم كثير ممن
 لا يدخلان فيه المحام ولو كانت المرأة المسلمة قد ارتفع عنها حيضها وترك
 الصلاة في ذلك اليوم وتلك الليلة ولا يشترين فيه الصابون ولا السدر ولا
 الاثنان ولا يغسلان فيه الثياب وهذه كلها من خصال اليهود كما تقدم ثم
 اتفقنا من خصلة اليهود إلى خصلة من خصال النصارى في ~~كونهم~~
 لا يعملان في ليلة الأحد ولا في يومه شغلا وأما يوم الاثنين ويوم الثلاثاء فعندهم
 أنه مباح لمن فيه ما يجتمع ما يختزنه ويوم الأربعاء لا يشتري فيه الابن
 ولا يدخله بيوتهن ولا يأكلنه ويوم الخميس للاستغفار والخواتج التي لمن
 كما تقدم في يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الجمعة لا يعملان فيه شيئا من غزل
 كان ولا حرفة ولا تسريحه وغير ذلك وهو منهي عنه وكذلك منعهم من خروج
 النار أو شئ من ما هو في البيت عشية كل يوم ويبالغن في منعه ذلك حتى إن
 من كان منهن يتمشى في ضوء السراج ثم جاء أحد يسرج منه فلا يتركه
 فان اضمارا إلى ذلك أدن له بشرط أن يسرجه ثم يطفئه بفعل ذلك ثلاثا قبل
 أن يذهب به ويوقده في الرابعة حينئذ يذهب به وقد قال ابن رشد رحمه
 الله تعالى إن النار لا اختلاف في أنه لا يجوز لأحد أن يمنع من الاقتباس
 منها إذا ضرر عليه في ذلك ولا يجوز لأحد أن يمنع أحدا ما ينتفع به إذا كان
 ذلك لا يضر به انتهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الضرر والضرار
 ومثل ذلك أن اضطرأ أحد إلى أخذ الغراب ليعمل فيه هجرا أو لمها أو غيرها
 وهذا من باب الطيرة وهو منهي عنه (وقد سئل مالك رحمه الله عن الحجام
 والإطلاء يوم السبت ويوم الأربعاء فقال لا بأس بذلك فقبل له أتفعله
 أنت قال نعم وأكثره وأتمده وقد أحججهت فيه ولا أكره شيئا من حجام
 ولا إطلاء ولا نكاح ولا سفر ولا شيئا من الأيام قال ابن رشد رحمه الله في
 شرح ذلك وكذلك ينبغي لكل مسلم أن يفعل لأن من تطير فقد أتم وقد روى

ان النبي صلى الله عليه وسلم لم قال ولا طيرة والطيرة على من تطير وهم في قوله
والطيرة على من تطير اي عليه اثم ما تطير به لان ما تطير به يكون على نفسه
لانه قد نفي ذلك في اول الحديث بقوله ولا طيرة اهـ (وهذه) العوائد الرديئة
كاهوا وما شا كاه الفاسد الربكاب ما نسي عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
من ان اهل الذمة لا يحارون المسلمين وقد امر ان يكونوا بعزل في موضع
معلوم مخافين من المسلمين لا يشاركونهم فيه وكذلك هم لا يشاركون
المسلمين في بقية الامور فانظر) ربحا الله تعالى واياك الى ما قرره سم ابليس
اللعين من هذه العوائد الرديئة كيف جرت الى ما واردا منها من اوجه
سبعة (منها) في التشبه باهل الكتاب الوجه ان المنة ذمها لذكورها اما تقدم
من ذكر يوم السبت ويوم الاحد (والوجه الثالث) تشبههم ايضا في ترك
الشفل يوم الجمعة لان النبي قد ورد عن ذلك (الوجه الرابع) انه اوقعهم
في مخالفة كتاب الله تعالى لان الله تعالى قد ذم من منع المساعون بقوله تعالى
ويمنعون المساعون قال العلماء رحمة الله عليهم هو باعون البيت (الوجه
الخامس) ما حرهم من الثواب الجزيل والخير الجسم من غير كبير ثواب
ولا مشقة وهو ان القدر اذا اعارها الانسان او الغريب او غيره ما
كان له اجر ما فعل بذلك خاسط في ما كانه متدقيق به وان قرئ على ضوء
السراج من الكتاب العزيز والمعلوم الشرعية شيء فله من الاجر كالمسلم
لذلك (الوجه السادس) انه اوقعهم في النسي لان النبي صلى الله عليه وسلم
نسي عن الطيرة وهم يتطهرون بما تقدم ذكره (الوجه السابع) اوقعهم
فيه من التشبه بالجاهلية في كونهم يعدون من قبل انفسهم اشياء لم يرد بها
الشرع ولا هي مستحسنة لانه لا يترك المباداة للعروق والنفع
التمدي فانهم اذا اوقدوا المصباح من عندهم او اخذوا الغريب فلو افيه
ما تقدم ذكره فابتدعوا ما لم ياذن لهم الشرع فيه *

(فصل ل) ومن ذلك ما يعلونه اذا نزلت الشمس في برج الحمل
فيخرجون في صبيحة يومهم ذلك رجالا ونساء وشبابا محتاطين اقارب واجانب
فيجمعون شيئا من نبات الارض يسمونه بالكر كيش فيجمعون ذلك من
موضع بالذهب والفضة والحوائث النفيسة والاساور وغير ذلك من الحلي

الكر كيش نوع
من البانوخ اهـ

ويحكمون عند قطعه بكلام الجحى يحتمل ان يكون كفرا قال مالك رحمه الله وما يدريك ان الله كفرو ويحكمون ما يقطعون من تلك الحشيشة في خراطم مصبوغات برقع فران ثم يحسبون الخريطة في الصناديق ويرجعون ان ذلك مادام في ذلك البيت يكون مبيلا كثر الرزق عليهم واسستغنائهم في تلك السنة وان الفقريولى عنهم وشاع ذلك بينهم حتى ان بعض الناس من ينسب الى العلم يذكر ذلك بين يديه فبعضهم يستحسنه وبعضهم يسكت ولا يقول شيئا (وهذا) فيه من المخذور وجوه (الاول) ان فيه التشبيه باهل الكتاب لان هذا الفعل واشباهه خرج من جهة القبط (الثاني) ما فيه من الكشفة وقلة الحياء في اجتماع النساء والرجال والشبان وربما اختلطوا وتزاجوا على ذلك (الثالث) ما تقدم ذكره من زعمهم ان ذلك سبب لغنائهم (الرابع) انه عرض مائة من الآلة التي يقطع بها الى اضاءة المسال وذلك انه يقطع بمائة من ذلك فقد يسقط من يده ويقع في شق من تلك الشقوق فيدخل يده لياخذه فقد يكون ذلك سببا لموته او لوقوع في امراض خطيرة لانه قد يكون في ذلك الشق ثعبان او غيره من الحيوان المؤذى فاما ان يموت باسمها واما ان يمرض وقد يشرف على الموت بسبب ما ارتكب من ذلك وربما استمار بعضهم الذهب او غيره ليقطع به تلك الحشيشة فضاع منه او سقط في تلك الشقوق فيقع في التشویش مع غرم ذلك وقد وقع هذا كثير منهم فهذا قد يحل له الفقير بسقط مائة اوضاع ضدمراده وهكذا هي سنة الله تعالى ابداء جارية فمن طالب الشئ من غير بابيه الذي شرعه الاولى سبحانه وتعالى لعباده والله الموفق

« (فصل ل) » ومن ذلك ما يزعم بعضهم انه اذا دخل الحمام اربعين ارباء متواليات فانه يفتح عليه بالدنيا وذلك قبيح عظيم ومخافة ولا شك ان هذا وما اشبهه من تسويل الاعمى حتى يوقعهم في ارتكاب ما لا ينبغي وذلك ان دخول الحمام فيه اشياء مستهجنة في الشرع على ما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى هذا وجه (الوجه الثاني) ان فيه احداثا والمحدث ممنوع (الثالث) ما فيه من مخالفة الشرع لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان ذكر اشراط الساعة عد فيها طلب الرزق بالمعاصي ولا شك ان دخول الحمام غير ضرورة

شرعية مصيبة على ما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى قال الله في كتابه العزيز
فأتوه عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له فلا ينال ذلك الا بامتنال أمره
واجتناب نهيه سبحانه وتعالى وهو لا يريدون حصول ذلك بالمخالفة لقيض
المراد منهم سواء بسواء

(فصل — ل) ومن العوائد لزمها ايضا ما علموه من المواسم وهم
فيها على ثلاثة مراتب (المرتبة الاولى) المواسم الشرعية وهي ثلاثة (المرتبة
الثانية) المواسم التي ينسبونها الى الشرع وابتدعت من (المرتبة الثالثة)
المواسم التي تشبه واقعها بالنصاري (فاما) المواسم الشرعية وهي ثلاثة
(فأولها) عيد الاضحى الذي هو واعظهم واسم المسلمين ترك بعضهم فيه سنة
الاضحية التي سنّها صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ورغب فيها
بقوله عليه السلام أول ما تبدأ به في يومنا هذا ان تصلي ثم ترجع فتخرفن
فعل ذلك فقد أصاب سقنا ومن ذبح قبل الصلاة فانه جاهل هو يحكم قدمه لاهله
ليس من النك في شيء وقوله عليه الصلاة والسلام ما عمل آدمي من عمل في
هذا اليوم أفضل من اراقته دم أو كما قال عليه السلام (وقد) اختلف العلماء
رحمة الله عليهم هل هي فرض أو سنة وفي مذهب مالك رحمه الله تعالى انها
واجبة يعني وجوب السن المؤكدة (ثم) ان بعضهم يتركون الاضحية
ويشتررون اللحم ويطبخون الوان الاطعمة التي تكون الاضحية الشرعية
ببعض ثمن ما تقوه أو مثله أو يقارب به حتى حرّمهم ابيدس اللعين هذه البركة
العظمى والخير الشامل بتسويله وترتيده لهم (ثم) ان من يضحى منهم يذبح
ليلة العيد وذلك لايحلو امان ينوى بها الاضحية أولا فان نوى اولا لم يحلوا
يكون عينها أولا فان كان قد عينها ثم في ذبحها قبل وقتها وبكون حرة في
حقه ان قدم على ذلك مع العلم وان كان ذلك جهلا لاجرى على الخبيث في
الجاهل هل هو كالمعمد أو كالناسي والمشهور انه كالمعمد ويجب عليه بدلها في
وقتها اذا وجدها وللأسئلة فروع أخر مذكورة في كتب الفقهاء وان لم يعينها
ونوى بها الاضحية حين ذبحها لم تجزه ويجب عليه بدلها في وقتها اذا وجدها
وهذا كله تفريع على ما تقدم من انها واجبة وجوب السن المؤكدة فان
لم ينو بها الاضحية فقد أساء في فعله بارتكاب البدعة والاضحية واجبة عليه

مطلب
الموسم الاول من
المواسم الشرعية

اذا دخل وقتها لان السنة في حق من هو قادر على الاضحية ان يضحي بها في وقتها ويفطر على زيادة الكبد من امان لم يجد سبيلا الى الاضحية في ايام التفرق وقد فاته خير كثير وهو السب في حرمان نفسه من هذا الثواب الجزيل نسأل الله تعالى العافية بجمه (ثم) ان من يضحي منهم بعضهم يعمل الطعام بليل حتى اذا جاءه امان صلاة العيد وجدوا ذلك متيسرا فاكلواهم ومن يختارون ثم بعد ذلك يشتملون بدمج الاضحية وهذه العلة قدم بعضهم الذبح بالليل لاجل عمل الطعام ورفع قيمته ثم ذكره وهذا كله ارتكاب بدعة ومخالفة لهذه السنة الجليلة (وقد) قال بعض العلماء رحمة الله عليهم فحين لم يكن له شيء يضحي به انه ان كان له ثوبان أحدهما يكفيه باع الثاني واشترى به الاضحية وكذلك في ثوب الجمعة فانه يبيعه كما تقدم وان لم يكن له فضلة تدان ليحصل هذه القرية العظيمة (وانظر) رحمة الله تعالى واياك الى ما كيد ابليس اللعين وما أدخل من سوء السموم على بعض المسلمين بتسويله لهم ترك هذه السنة العظيمة وحرمانهم جزيل ثوابها اياها وقع في نفوسهم من العلم القبيحة الشائعة فزين لكل اهل اقليم ما يقبلونه منه فاذا قالت لبعض من لم يضح من اهل مصر لم لا تضحي فيقول لي معارف كثيرة وخروف واحد لا يجمعهم فمن بقي منهم يلومني ولا يلزمني أكثر عن خروف واحد واذا قلت للفقير من اهل المغرب لم تكاف الاضحية وهي لا تجب عليك فيقول قبيح من الجيران والاهل والمعارف ان يقولوا فلان لم يضح فصارت هذه القرية بالنظر الى فعلها وتركها مشوبة بالنظر الى الخلق وتحسينهم وتقبيلهم فان الله ونال به راجعون (ثم انظر) رحمة الله واياك الى هذا الموسم العظيم كيف تركوا بركتته وانحازوا عنها بعزل (الآثرى) ان السنة في هذا اليوم ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من انه لما انصرف من صلاة العيد ذبح اضحيته بيده الكريمة وأمر بزيادة الكبد وصنع له ثم افطر عليه تشبها منه عليه الصلاة والسلام وتفاسؤا بأهل الجنة لانهم اول ما يفطرون فيها على زيادة حصيد الموت الذي عليه قرار الارضين وان كان هو عليه الصلاة والسلام لا يحتاج الى التفاؤل بذلك اذ انه عروس اهل الجنة صلى الله عليه وسلم ولكن يشرع لأمته صلى الله عليه وسلم لينبهم هلى هذا

المعنى المجلى الجليل (ثم) ان من يضحى منهم على ما ينبغي بعضهم يبيع جلود
 الاضحية وذلك محرم وقد قال عليه الصلاة والسلام من الله اليه وحرم
 عليهم التحوم فحملوها فباعوها واكلا الثمنها فدخل المسكين في
 هذا الوعيد العظيم نسأل الله تعالى العافية عنه وكذلك ان دفعه ان يعلم
 او يغاب على ظنه انه يبيعه وقريب من هذا المعنى ما يفعله بعضهم في تفرقة
 لحم الاضحية اذ انهم يهدون اللحم للجار وغيره ثم ان بعضهم يتشوف نفسه
 للعرض عنه ثم ان الجار وغيره يكافئ على ذلك في الغالب بتملة او اقل او اكثر
 والمعنى والاخذ كل واحد منهما ما ينظر فيما يعطيه صاحبه من العوض
 فيرضى به او يستخطه فقد خرج هذا عن باب الهاداة بقصد من قصد العوض
 عنه والاضحية لا يتعوض عنها بخلاف غيره من الهدايا فانه يجوز فيها
 العوض بشرطها وقد تقدم في هدية الجيران الطعام يتعوضون عنه ان ذلك
 لا يجوز فالخاص من هذا ان فاعل السنة في هذا كرايل من قابل (واعلم)
 وفقنا الله واياك ان هذا المنع المذكور في اهداء اللحم مبنى على ما ذكر من
 المقاصد الذميمة وما شاكاه او اقام من كان يعطى الله تعالى ويأخذ الله تعالى
 ولا يلتفت الى التعويض ولا ينظر اليه فهذا لا يدخل في النهي المتقدم
 ذكره بل هو من اعلى المراتب واسماها وكذلك الحال فيما تقدم ذكره في
 الكتاب في هدايا الجيران والاقارب الطعام بعضهم الى بعض (ثم انظر)
 رحمنا الله تعالى واياك الى مكيدة ابليس اللعين كيف يتبع السنن واحدة
 واحدة ويلقى ان يقبل منه وسوسته هيج الترك تلك السنة واستعمال غيرها
 بما يظهر له انه عبادة وهو في الباطن محرم بين او بدعة يئس من ذلك ويعلمه
 من له نور (الآثرى) ان السنة قد وردت في العيد باسراع الاوبة بعد الصلاة
 الى الامل وما ذاك الا لقطع تشوف الامل لورود صاحب البيت وذكاة
 الاضحية ان كانت واجتماعهم وفرحهم بذلك في ذلك اليوم لقوله عليه
 الصلاة والسلام انما هي ايام اكل وشرب وبعمال وفي رواية اخرى وذكر
 الله موضع وبعمال اه يعنى بذلك ايام التشريق فلما علم ابليس ما لهم فيه
 من النقص المريع على ما فيه من البركة الشاملة والراحة المججلة المذاب
 عليهم او علم انهم لا يقبلون منه ما يلقيه لهم من ترك السنن مجردا ومن عادته

بعمال كوصال
 ملاعبة الرجل
 زوجته اه

الذميمة انه لا يأمر بترك سنة حتى يعرض لهم عن شيئا يخيل اليهم انه قربة
 ووضع لهم عن سرعة الادوية زيارة القبور فيل أن يرجعوا الى أهليهم يوم
 العيد ويزين لهم ذلك وأراههم ان زيارة الاقارب من الموق في ذلك اليوم
 من باب البر وزيادة الولد لهم وانه من قوة التفجع عليهم اذ فقدهم في مثل
 هذا العيد وفي زيارة القبور في غير هذا اليوم من المبدع والمحرمات ما تقدم
 ذكره في زيارة القبور فكيف به في هذا اليوم الذي فيه النساء يلبن
 ويحلين ابتداء ويتجهن فيه بغاية الزينة مع عدم الخروج فكيف
 بهن في الخروج في هذا اليوم فتراه يوم العيد على القبور ومتكشفات
 قد دخلن جانيب الحياء عنهن (فبدل) لهم موضع السنة محرما ومكروها
 فالمرء في كونه انحرهم عن سرعة الادوية الى الادل لانها السنة كما تقدم
 والمهرم ما يشاهد الزائرون احوالهم في المقابر على الصفة المذمومة
 المقدمة (ثم انظر) رحمة الله واياك الى هذه المفساد المذكورة كلها
 لم يفتح الشيطان منهم به ابل زاد على ذلك محرما شنيعا وهو ما اعتاده بعضهم
 من بنات العيد وفيهن الابكار والمراهقات وغيرهن اللاتي يخرجن على
 الصفة المملومة المخالفة للشرع الشريف ظاهرات بذلك على رؤس الاشهاد
 وما يفعله من الغناء والدخول وغير ذلك في الطرق والاسواق ودخولهن
 البيوت على بعض العلماء وغيرهم وقد يفتتن بهن كثير من الناس
 ويسلطن العالم وغيره ويعطونهن ولا ينكرون عاين ذلك فانا لله وانا
 اليه راجعون

*(فصل في عيد الفطر والتوسعة فيه على الادل بأى
 شيء كان من الماء كقول اذ لم يرد الشرع فيه بشئ معلوم فمن وسع على أهله فيه
 فقد امتثل السنة ويجوز أن يتخذ فيه طعاما معلوما اذ هو من المباح لكن
 بشرط عدم التكاف فيه وبشرط أن لا يجعل ذلك سنة يستن بها من خالف
 ذلك فكأنه ارتكب كبيرة واذا وصل الامر الى هذا الحد ففعل ذلك بدعة
 اذ انه بسبب ذلك ينسب الى السنة اليس منها وكذلك يشترط فيه أن يكون
 على اسباب العلم (وقا) ما يفعله اليوم من شراء الخبز كان فذلك لا يجوز
 على مذهب الامامين مالك والشافعي رحمهما الله تعالى ويجوز ذلك في

مطلب
 في موسم الثمان
 من المواهب الشرعية

الكعبة المحشوب بالجموع لان ما في باطنه تتبع اظاهره بخلاف الخشكان
والسندود فان ظاهره تتبع اباطنه فعلى مذهب الشافعي رحمه الله لا يجوز
شراؤه الا ان يكسر كل واحدة ويرى جميع ما في باطنها وعلى مذهب مالك
رحمه الله يجوز بيده بغير كسر بشرط ان يكسر واحدة ويعلم جميع ما
في باطنها ثم يشتري الباقي على مثل ذلك وفيه من البدع كونهم يبخونه بما
الورد والبدعة الثانية فانهم يفعلون ذلك وهم صيام وحال فم الصائم كما قد
علم (وكذلك) فعلمهم في فتح الكعبة بالشيرج بأفواههم وهم صيام أيضا وحال
فم الصائم كما قد علم فبعض الصائم نفسه لا يفطروا يصبر ذلك مستقذرا وكثير
من اليهود يعملونه ويبيعونه للمسلمين ولا يؤمنون من ان يبخونه كما يفعل
المسلمون (وهذا) لا ينبغي لوجه (الاول) ان سؤرا اليهود والنصراني
مكروه اذ لم يعلم ان في أفواههم نجاسة في وقت الفعل لذلك أو كانت قبله ولم
يطهره بعدها فأصابه بريقه متنجس (الثاني) انه مستقذرا اذا كان من
مسلم فكيف به من أهل الذمة (الثالث) انه يخالف للاقتداء بالسنة
والشافعي والخالف لما فيه من عدم الاحتراز من المستقذرات ولو كان هذا
الما كول على سبيل السلامة مما ذكر كان بعيدا من جهة الشرع والطب
أما الشرع فلا بد لم يرد فيه شيء معين وأما الطب فان الصوم يخفف الرطوبات
غالبها ويهضم فاذا خرجوا من الصوم أفطروا على الكعبة الذي يزيدهم جفافا
وامساكا فيضر بالبدن بذلك فقد يحتاجون الى الادوية والاشربة والامباء
وكانوا في غنى عن ذلك (ثم الجنب) من استعمل السك المشقوق في هذا اليوم
الفاضل الذي يعتق الله عز وجل فيه من الرقاب بقدر ما اعتق في شهر رمضان
كاه فكان ينبغي ان يبادر المرء في هذا اليوم الى كسب الحسنات وافضل
ذلك كاه اتقاء المحارم وقد قال عليه الصلاة والسلام ما أمرتكم به فافعلوا
منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فلا تغربوا فاتخذوهؤلاء فطرها في هذا اليوم
الشريف على شيء ممكن وقد نهى الشرع عنه فان الله وانا اليه راجعون
والذي ينبغي ان يعد الانسان في هذا اليوم لا فطاره شيئا حلالا من جهة
يرضاها الشرع لعله يلحق بالتوم (ثم انظر) رحمنا الله وابالك الى هذه العوائد
الذميمة في كونهم يتبعون الاشياء التي لهم فيها حظ نفس ومساهاة وشهوة

خسيسة فانبيه يحرصون على ذلك جميعا من رجل وامرأة وولد وعبد وقبل
دخول وقته ويستعدون لذلك على زعمهم وما هو الواجب عليهم شرعا والذي
لهم فيه الثواب الجسيم والخير العظيم يتساحكون عنه ويحملون الجمر ولم
يطالب به أحد منهم أحد هذا الغالب منهم (فالواجب عليهم) هو ما شرعه
عليه الصلاة والسلام من وجوب الفطرة في يوم عيد الفطر عن كل نفس صاع
من بروه والذي يتعين اليوم اخراجه على أهل مصر أنه قوت جميعهم ففعل
أكثرهم في هذا اليوم مثل ما فعل بعضهم في يوم الاضحية في كونهم يتركونها
لعدم اهتمامهم بها وينفقون اضعاف ثمنها أو مثله فعوضوا مكان السنن
المطهرة وعائدتهم الرديئة فان الله وانا اليه راجعون (وفي ليلة العيد من
البدع) سهر بعض الناس فيما أوفى بعضهم بالعبادة بل للشغل بنخارف
الدنيا وما شاكلها واضاعة المال بمقل القماش الذي يقضى الى تقطيعه
وترك احياء اللبائين الشريفتين بعبادة المولى سبحانه وتعالى المندوب
الى احيائهما كما هو معلوم مشهور (وقد تقدم) في عيد الاضحية ما فيه
من بنات العيد وزيارة القبور وتأخير الرجوع الى البيوت وتفرقة اللحم
بتلك المقاصد الذميمة فكل ذلك وجوده هنا تفرقة الكعك هنا مفايلة
لتفرقة اللحم في الاضحية (الموسم الثالث) من المراسم الشرعية وهو يوم
عاشوراء فالتوسعة فيه على الأهل والأقارب واليتامى والمساكين وزيادة
النفقة والصدقة مندوب اليها بحيث لا يجهل ذلك لكن بشرط وهو ان تقدم
ذكره من عدم التكلف ومن أنه لا يصير ذلك سنة يستلزمها الا بذن فعلها
فان وصل الى هذا الحد فيكره ان يفعله سيما اذا كان هذا الفاعل له من أهل
العلم ومن يقتدى به لان تبدين السنن واشاعتها وشهرتها أفضل من النفقة
وذلك اليوم ولم يكن ان مضى فيه طعام معلوم لا بذن فعله وقد كان بعض
العلماء رحمة الله عليهم يتركون النفقة فيه قصد التنبيه على ان النفقة فيه
ليست بواجبة وامامنا يفتي اليوم من ان عاشوراء يختص بذبح الدجاج
وغيرها ومن لم يفعل ذلك عندهم فكأنه ما قام بحق ذلك اليوم وكذلك
طبخهم فيه المحبوب وغير ذلك ولم يكن الساف رضوان الله عليهم بتعرضون
في هذه المراسم ولا يعرفون تعظيمها الا بكثرة العبادة والصدقة والخير

مطلب
الموسم الثالث من
المراسم الشرعية

واغتنام فضيلتها لا بالما كويل بل كانوا يبادرون الى زيادة الصدقة وفعل
المعروف والغالب ان الصدقة اليوم عندهم معدومة أو قليلة وان كان
بعضهم يتصدق فالغالب عليهم انها الصدقة الواجبة (ثم) انهم يضمون
الى ذلك بدعة أو محرما وذلك انه يجب على بعضهم الزكاة مثلا في شهر صفر
أو ربيع أو غيرهما من شهور السنة فيؤخرون اعطائهما واجب عليهم الى يوم
عاشوراء وفيه من التغير بعمال الصدقة ما فيه فقة قد يموت في اثنا السنة
أو يفلس فيبقي ذلك في ذمته وأقبح ما فيه ان صاحب الشرع صلوات الله
عليه وسلامه شهد فيه بأنه ظالم بقوله عليه الصلاة والسلام مطل الغنى ظلم
(وفيه) بدعة أخرى وهو أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه حد للزكاة
حولا كاملا وهو اثنا عشر شهرا وفي فعالهم المذكور زيادة على الحول بحسب
ما جاءهم يوم عاشوراء فقة قد يكون كثيرا وقد يكون قليلا وعند بعض من
ذكر نقيض ذلك وهو ان يخرج الزكاة قبل وقتها لاجل يوم عاشوراء فيكون
ذلك قرضا منه للمساكين ومذهب مالك رحمه الله ان ذلك لا يجزئه كمالا حرم
بصلاة الفرض قبل وقتها وان قل فانه لا يجزئه عند الجميع فكذلك فيما نحن
بسيده وعند الشافعي رحمه الله يجزئه بشرط ان يكون دافع الزكاة
وآخذها باقيين على وصفهما من الحياة والمجدة والفقر حتى يتم حول ذلك
المال المزكى عنه وفي هذا من التغير بعمال الصدقة كالا قول (وعما) أحد ثوه
فيه من البدع زيارة القبور ونفس زيارة القبور في هذا اليوم المعلوم بدعة
مطلقة للرجال والنساء ثم ينضم الى ما تقدم ذكره من خروج النساء على ما تقدم
وصفه ما أحد ثوه من اختصاص النساء بدخولهن الجماع العتيق بمروهن
على ما يعلم من عادتھن المخديسة في الخروج من التحلى والزينة المحسنة
والتبرج للرجال وكشف بعض أبدانھن ويقمن فيه من أول النهار الى الزوال
لا يشاركن فيه الرجال ويتمنحن فيه بالصاحف وبالنبر والمجدوان وتحت
اللاوح الاخضرو من هذا الباب ~~كان~~ السبب في عبادة الاصنام اعادنا
الله تعالى من بلائه بمنه

«(فصل) ومن البدع التي أحدثها النساء فيه استعمال الخناء
على كل حال فن لم يفعها امنهن فكأنها ما قامت بحق عاشوراء (ومن البدع)

أيضا محرهن فيه الصكتان وتسريحه وغزله وتبييضه في ذلك اليوم بعينه
ويشانه ليخيطن به الكفن ويرعن أن منكر أو نكير الاياتيان من كفنها
مخيط بذلك الغزل وهذا فيه من الافتراء والتحكم في دين الله ما هو ظاهر بين
لكل من سمعه فكيف بمن رآه (ومما) احدثوا فيه من البدع الجورفن لم
يشتره منهن في ذلك اليوم ويتخبر به فكأنه ارتكب أمرا عظيما وكونه سنة
عندهم لا بد من فعلها واتخاها من له طول السنة يتبركن به ويتبحرن الى أن
يأتي مثله يوم عاشوراء الثاني ويرعن أنه اذا تجز به المسجون خرج من سجنه
وانه يرى من العين والنظرة والمسائب والموعوك وهذا امر خطر لانه مما
يحتاج فيه الى توقيف من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه فلم
يبق الا انه أمر باطل فعلمته من قلة ما تفهمون

(فصل) هذه المواسم الثلاثة هي المواسم الشرعية فانظر رحمنا
الله واياك كم من بدعة احدثوا في ذلك فان الله وانا اليه راجعون (الترتبة
الثانية) المواسم التي نسبوها الى الشرع وليست منه (فمنها) أول ليلة من
شهر رجب فيسكن كفون فيه النفقات والمحلاوات المحتوية على الصور المحرمة
شرعا لقوله عليه الصلاة والسلام من صور صورة فان الله يعذبه حتى
ينفخ فيه الروح وليس بنافع فيها أبدا فهذا دليل على تحريم الصور التي لها
روح ودليل على عذاب من صورها فمن اشتراها منهم فهو معين لهم على
تصويرها ومن أعانهم كان شريكا لهم فيما اتوا به وكذا من اشتري
منهم المحلاة التي ليست بصورة لان فيه اعانة على ارتكابه ومن يبيع الصور
المحرمة ومثل ذلك من وقف ينظر اليها أو تعجبه مع العلم بالتحريم فكذلك
اعانة على فعل ما لا يجوز وكثير من يربهم من يعلم المسئلة وهو قادر على
التغيير ويسمع كلامه ويرجع اليه فلا يترك كلامه على ذلك ولا ينهي عنه بل يقف
بعضهم وينظر الى ذلك كأنه أعجب بما رأى ومن يربها من العادل وله
طريق غيرها وهو عالم بالتحريم مختار وفي قبول شهادته نظر فعلى هذا
لا ينعقد النكاح بشهادة هؤلاء حتى تقع منهم التوبة بشروطها ومن اخذ
منهم أجرة على الشهادة وهو متابس بما ذكر قبل تو بته اخذ حراما ولا عذر له
في بكاء ولده أو نخط زوجته أو غيرهما الا لا عذارا شرعية معروفة ليس

مطلبه
المواسم الاول
من المواسم التي
ينسبونها الى
الشرع وليست
منه اه

هذا منها (وبالجملة) فالحلاوة التي احتوت على الصور المحرمة شرعا المتقدمة ذكرها لا يجوز بيعها ولا شراؤها لانه ممنوع من فعلها المساتقدم من الدليل على المنع وما منع فعله لا يجوز بيعه ولا شراؤه فلو كسرها وباعها مكسورة بخازيبيها وشراؤها لكان يكره لاهل الفضل المتقدم بهم ان يشتروها لانها كانت صفة فملاها محرم ولا يكون ذلك بالغ في زجر فاعلموا على الصفة المنهى عنها وهو آثم فيما فعله من التصوير الا ان يتوب التوبة بشروطها كما تقدم فانظر رحمنا الله واياك الى هذه المفساد وكثرتها وتشبهها واهمهم مع ذلك يزعمون انها من المواسم الشرعية وان ذلك تعظيم لهذا الموسم على زعمهم ثم زادوا فيه من التكاف انهم يحتاجون فيه الى مهادة القارب والاصهار سيما ان كانت المساهرة جديدة ولم يدخل بالزوجة بعد فلا بد من خوفة على صينية مع أطباق المحلاوات وغيرها كما قد علم من حالهم والغالب من النسوة انهن يكافن أزواجهن بهذه التكاييف التي أحدثوها ورعا يؤول أمرهم ان قصر في التوسعة الى الفراق أو ما يقرب منه من المنع من الاستمتاع وما شاكله وقد قال عليه الصلاة والسلام أنا وأمتي برءاء من التكاف فن تكاف أو كلف يخشى عليه من الدخول في عموم الحديث أسأل الله العافية بمنه والتكاف مذموم في المواسم الشرعية والعبادات العملية الدينية فكيف به في غير موسم شرعي ولا عرفي بل محدث كما تقدم وما كان الساف رضوان الله عليهم ثم يعظمون هذا الشهر أعني شهر رجب ويحترمون به الا بزيادة العبادة فيه والتشهير لاداء حق وقه الشرعية واقامة حرمة لكونه أول الأشهر المحرم وأول شهور البركة وافتتاح تركيبة الاعمال لا بالاكل والرفص ولا بالمفاخرة بالطعام والهدايا (ومن) البدع التي أحدثوها في هذا الشهر الكريم ان أول ليلة جمعة منه يصلون في تلك الليلة في الجوامع والمساجد صلاة الرغائب ويقيمون في بعض جوامع الامصار ومساجدها ويقيمون هذه البدعة ويظهرونها في مساجد الجماعات بامام وجماعة كأنها صلاة مشروعة (وانغم) الى هذه البدعة مفسد محرمة وهي اجماع النساء والرجال في الليل على ما علم من اجماعهم وانه لا بد ان يكون مع ذلك ما لا ينبغي مع زيادة وقود القناديل وغيرها وفي زيادة وقودها اضاعة المال لاسيما اذا كان الزيت من الوقف فيكون ذلك

جرحه في حق الناظر لاسيما ان كان الواقف لم يذكره وان ذكر لم يعتبر شرعا
 وزيادة الوقت ومع ما فيه من اضاءة المسال ~~كما~~ ما تقدم سبب لاجتماع من
 لا خيرة فيه ومن حضر من ارباب المناصب الدينية عالمنا بذلك فهو وجرحه في
 حقه الا ان يتوب واما ان حضر لا غير وهو قادر بشرطه فيما حذرنا (وقد) ذكر
 الامام ابو بكر الفهرى المعروف بالطرطوشى رحمه الله تعالى تقبيح اجتماعهم
 وقعاهم صلاة الرغائب في جماعة واعظام التكبير على فاعل ذلك وقال في كتابه
 انها بدعة قريبة العهد حدثت في زمانه واقل ما حدثت في المسجد الاقصى
 احدتها فلان سماه فالتمس به هناك هذا قوله فيها وهي على دون ما يفعلونه
 اليوم مما تقدم ذكره (فان) قال قائل قد ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه
 وسلم في النذب الى هذه الصلاة ذكره ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب
 الاحياء له (فالجواب) ان الكلام انما وقع على فعلها في المساجد واظهارها
 في الجماعات وما اشتملت عليه مما لا ينبغي كما تقدم واما الرجل يفعلها في خاصة
 نفسه فيصليها سرا كسائر النوافل فله ذلك ويكره له ان يتخذها سنة دائمة
 لا بد من فعلها الان هذه الاحاديث الواردة في فضائل الاعمال بالسند
 الضعيف قد قال العلماء فيها انه يجوز العمل بها ولو لم يكن الا تفعل على الدوام
 فانه اذا عمل بها ولو مرة واحدة في عمره فان يكن الحديث صحيحا فقد دامت
 الامرية وان يكن الحديث في سنده مطعون يقدح فيه فلا يضره ما فعل لانه
 انما فعل خيرا ولم يجعله شعيرة ظاهرة من شعائر الدين كقيام رمضان وغيره
 (هذا الكلام) على صفة التجمع في العمل بالحديث الصحيح والحديث الذي
 اشكل علينا صحته (واما) مذهب مالك رحمه الله تعالى فان صلاة الرغائب
 مكرهه فلهذا وجدنا على قاعدة مذهبه لان تكرير قراءة السورة الواحدة
 في ركعة واحدة يمتنعها لانه لم يمكن من فعل من مضى والخبر كله في
 الاتباع لم يرضى الله عنهم (ومن البدع) التي احدثوها فيه اعني في شهر
 رجب ليلة السابع والعشرين منه التي هي ليلة المعراج التي شرف الله تعالى
 هذه الامة بها شرع لهم فيها بفضله العظيم واحسانه الجسيم وكانت عند
 السلف يعظمونها اكراما للنبين صلى الله عليه وسلم على عادتهم الكريمة
 من زيادة العبادة فيها واطالة القيام في الصلاة والتضرع والابكاء وغير ذلك

بما قد علم من عوائدهم الجميلة في تعظيم ما عظمه الله تعالى لامتناهم سنة بديهم
 صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعرضوا للنفحات الله وهذه الليلة المباركة
 من جملة النفحات وكيف لا وقد جمعت فيها الصلوات الخمس بخمس من إلى
 سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء وهذا هو الفضل العظيم من غنى كريم
 فكانوا إذا جاءت يقابلونها بما تقدم ذكره شكر امتهم وأولاهم على ما منحهم
 وأولاهم نسأل الله الكريم أن لا يجر منا ما من به عليهم -م- أنه ولي ذلك آمين
 (بغية) بعض أهل هذا الزمان فقابلوا هذه الليلة الشريفة بتقيض ما كان
 السلف يقابلونها به (وذلك) أنهم أحدثوا فيها من البدع أشياء (فتها)
 اتيانهم المسجد الأعظم واجتماعهم فيه (ومنها) زيادة وقود القناديل فيه
 وقد تقدم ما في ذلك من الفساد لما وقع الكلام على أول ليلة جمعة من شهر
 رجب (ومنها) ما يفرشونه من البسط والسجادات وغيرها (ومنها) أطباق
 النقاس فيها الكيزان والاباريق وغيرها كأن بيت الله تعالى يبتهم -م-
 والجماع انما جعل للعبادة لا للفراش والرقاد والاكل والشرب (فان)
 احتج أحد منهم بما ورد في الحديث المسجد بيت كل تقى وبفضل عبد الله بن
 عمر رضى الله عنهم في ملازمة المسجد ومببته فيه حتى أنه كان يسعى بهامة
 المسجد (فالجواب) ان التزامهم المسجد رضى الله عنهم ومببيتهم فيه معنى بين
 وذلك لان أهل الصفة ليس لهم براح منه لا ليلا ولا نهارا فكيفية التزامهم
 معلومة وعروفة بما نقل عنهم اذا هم كانوا لا يزالون في أحوال سنية اما صلاة
 أو ذكر أو تلاوة أو فذكر كل ذلك فيمالبينهم وبين ربهم -م- وان غلب النوم
 على أحد منهم أعطى الراحة لنفسه بأن يجالس محتبيا قليلا ثم ينهض لما كان
 بسبيله (الائثرى) الى ما حكى عن بعض المتأخرين وهم ليسوا كما هم انه
 جاء اليه زائر يزوره فوجده يصلى فانتظره حتى يفرغ من صلاته فلم يزل
 ذلك حاله الى صلاة الظهر فقال في نفسه اذا فرغ من صلاة الظهر احدثه
 فلما ان فرغ من صلاة الظهر قام ينتفل فخاف الزائر ان يقطع عليه تنفله فبعد
 ينتظر فراغه حتى دخل وقت العصر فقال الزائر اذا فرغ من صلاة العصر
 اكلمه فلما فرغ من صلاة العصر اقبل على الذكر والتلاوة فخاف ان يقطع عليه
 ورده فبعد ينتظر فراغه حتى دخل وقت المغرب فقال اذا فرغ من صلاة

المغرب اكلمه فلما فرغ من صلاته قام يتنفل فقام ينفل كذلك الى وقت العشاء فارق
 يكلمه بعد صلاة العشاء فقام يتنفل فقام ينفل فقام ينظر فراغه الى طلوع الفجر
 فقام ينظره الى ان انصرف من صلاة الصبح فلما ان فرغ من صلاته اقبل
 على الذكر والتلاوة الى ان طاعت الشمس ثم قام يتنفل فصلى ركعتين ثم جالس
 يذكر الله والزائر ينتظره لا ينصرف حتى يكلمه فحلفت رأس هذا السيد
 فاستفاق عند خفقان رأسه فجعل يمسح عينيه ويستغفر ويقول أهو ذنبا لله
 من عين لا تشبع من النوم فقال الزائر في نفسه يحرم علي ان أكلم من هذا
 حاله فانصرف عنه ومضى (فانظر) رحمنا الله وأياك كيف صار حال هذا
 وهو من المتأخرين عن درجة من ذكر حاله فجعل السنة التي لا تنقض الوضوء
 ذنبا يستغفر منه ويستعذ بالله منه فابالك بالاسادة الكرام فكيف يحل
 الاستدلال بهم على الله واللعب وارتكاب البدع واتباع أهواء النفس
 وتزوين الشيطان الى غير ذلك مما هو اليوم معلوم مشاهد مرئي (وقد) كان
 سعيد بن المسيب رضي الله عنه يقول ان يظن فيه أو يتوهمه أنه يريد أن
 يبيع في المسجد أو يشتري ما تفعل وما تريد فان أخبره بشئ مما توهمه
 يقول له عليك بسوق الدنيا وانما هذا سوق الآخرة وسباني بيان ما يجوز
 فعله في المسجد من الاكل والشرب وغيرهما مما لم يذكره في موضعه من
 الكتاب ان شاء الله تعالى (ومنها) السقاءون وفي ذلك من المفاسد جلة
 (فنها) البيع والشراء في المسجد لان مذهب مالك رحمه الله جواز بيع
 المعاطاة وهي أن تعطيه ويعطيك من غير لفظ البيع يكون بينكما وقدم منع
 في المسجد ما هو أخف من هذا وهو ان يذكر لفظ البيع والشراء ولو شرا من
 غير رقابض وما ذاك الا ان المساجد مبنية لله من العبادة فقط (ويلحق)
 بهذا المعنى الذي ذكر من سبيل شيئا من المساء وهو في المسجد لان ذلك بيع
 كما تقدم (ولو) فعل ذلك خارج المسجد ثم دخل ليسقي الناس في المسجد بجاز
 ذلك بشروط (أحدها) ان لا يضرب بالناس قوس في المسجد ولا غيره ومنعه في
 المسجد واجب (الثاني) ان لا يرفع صوته في المسجد بقوله المساء للسبيل وغير
 ذلك من قولهم (الثالث) أن لا يتخطى رقاب الناس (الرابع) ان لا يأتوا
 المسجد بقدومه لان الغالب منهم انهم يممشون حفاة ويدخلون المسجد

لنسا قوس كاية
 نالطاسات اه

عاقبة هم متعجبة (الخامس) ان كان له نعل فلا يجعله تحت ابطه او خلف
 ظهره دون شيء يكنه لانه يتحرك بحركته فان كان فيه اذى وقع في المسجد
 ولذلك لا يصلي وهو حامل له الا ذكر وقد تقدم في اول الكتاب ان يضع نعله
 حين صلاته ولو تحفظ الناس اليوم كما كان السلف يتحفظون لما احتاجوا الى
 بدعة السجادة والمحصر واما غيرهما من البسط وغيرها فقد تقدم ذكره وما
 ذكر من هذه الشروط في السقاء فليس بمخاص بهذه الليلة دون غيرها من
 الايام والليالي بل المنع عام في ذلك كله فيشترط من الشروط
 المذكورة وقع المنع والله الموفق للصواب (ومنها) اجتماعهم حلقات كل
 حلقة لها كبير يقتدون به في الذكر والقراءة وليت ذلك لو كان ذكرا او
 قراءة اكانهم يابسون في دين الله تعالى فالذاكر منهم في الغالب لا يقول
 لا اله الا الله بل يقول لا يلاه يلاه فيجعلون عوض المسمرة ياهوهى ألف قطع
 جعلوها وصلا واذا قالوا سبحان الله عبطونها ويرجعونها حتى لا تسكاد نفهم
 والقارى يقرأ القرآن فيزيد فيه ما ليس منه وينقص منه ما هو فيه بحسب
 تلك النعمات والترجيحات التي تشبهه العناء والمنوك التي اصطلموا عليها
 على ما قد علم من احوالهم الذميمة (ثم فيها) من الامر العظيم ان القارى يتدى
 بقراءة القرآن والاخر ينشد الشعر او يريد ان ينشده فيسكتون القارى
 او يهملون بذلك او يتركون هذا في شعره وهذا في قرأته لاجل تشريف
 بعضهم لسماع الشعر وتلك النعمات الموضوعة أكثر هذه الاحوال من
 اللعب في الدين ان لو كانت خارج المسجد منعت فكيف بها في المسجد سيما
 في هذه الليلة الشريفة فان الله وانا اليه راجعون (ثم) انهم لم يفتتروا على ذلك
 بل ضمو اليه اجتماع النساء والرجال في الجامع الاعظم في تلك الليلة
 الشريفة مختلطين بالليل وخروج النساء من بيوتهن على ما يعلم من الزينة
 والكسوة والتخلي وقد تقدم ذلك (ومنها) ان أكثرهم يحتاجون الى قضاء
 الحاجة فبعضهم يفعل ذلك في مؤخر الجامع وبعض النساء يستحبين ان
 يخرجن لقضاء حاجتهن فيدور عليهن انسان بوعاء فيبالي فيه ويعطينه على
 ذلك شيئا ويخرجه من المسجد ثم يعود كذلك مرارا والبول في المسجد في وعاء
 حرام مع ما فيه من القبح والشناعة وبعضهم يخرج الى سلك الطرق

فيه سلون ذلك فيها ثم يأتي الناس الى صلاة الصبح فيمشون الى الجامع
فتصيب أقدامهم النجاسة أو فمالهم ويدخلون بها في المسجد فيلوثونه
ودخول النجاسة في المسجد فيها ما فيها من عظيم الاثم وقد ورد في النجاسة في
المسجد انها خطيئة هذا وهي ظاهرة باتفاق فكيف بالنجاسة المجمع عليها
(وقد سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله تعالى يحكي انه كان قاعدا يوم مع الشيخ
الجليل أبي محمد الزواوي رحمه الله تعالى وكان من جملة الاولياء والاكارف في
العلم والدين وهو شيخ الشيخين الجليلين أبي عبد الله وأبي علي القرويين
رحمهما الله تعالى وكان شيخهما المذكور في المسجد وكان بالقرب منه شبك
فيه على الطريق فتختم الشيخ أبو محمد الزواوي رحمه الله وترك النجاسة في فيه
ولم ياقها حتى قام ومشى خطوتين وأخرج يده من المسجد حينئذ انقاسها
خارج المسجد قال فقلت له لم تفعل ذلك وانت جالس بوضعتك لانها لا تقع
الا خارج المسجد فقال لي ان النجاسة اذا خرجت لا بد ان يخرج معها شيء من
البصاق ولو مثل رمس البرادونه فيسقط ذلك في المسجد وذلك بصاق
في المسجد وذلك خطيئة ففعلت لأن أسلم من تلك الخطيئة (فانظر) رحمنا
الله تعالى وإياك الى احتراز هذا العالم الجليل فيما قبل فأين الحال من الحال
فانا لله وانا اليه راجعون على انعكاس الامور وانقلاب الحقائق الى ضدها
فهذا الذي ذكر بعض ما أحدثوه في هذا الشهر الكريم ومن رزقه الله
تعالى نورا وبصيرة رأى ما هو أكثر من ذلك أعنى في الخبر ومثله

• (فصل) • ثم نرجع الى ذكر موسم ليلة النصف من شعبان على زعمهم
وقد تقدم انهم يسمونه موسم وليس بموسم لانه قد تقدم ان المواسم ثلاثة
وهي العيدين وعاشوراء ولا شك انها ليلة مباركة عظيمة القدر عند الله
تعالى قال الله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقد اختلف العلماء رحمة
الله عليهم هل هي هذه الليلة أو ليلة القدر على قواين المشهور ومنهم من قال ليلة
القدر وبالحكمة فهذه الليلة وان لم تكن ليلة القدر فاهل افضل عظيم وخير
جسيم وكان السلف رضي الله عنهم يعظمونها ويثيرون لها قبل انبانها فما
تأتيهم الا وهم متأهبون للقائها والقيام بحرماتها على ما قد علم من احترامهم
لشعائرها على ما تقدم ذكره هذا هو التظيم الشرعي لهذه الليلة (ثم) جاء بعض

مطلب
الموسم الثاني من
المواسم التي
نسبها للزعر
وايست منه

هؤلاء فعكسوا الحال كما جرى منهم في غيرها فاشتم موضع مبارك أو زم من فاضل
 حصن الشرع على اغتنام بركته والتعرف لنفعات المولى سبحانه وتعالى فيه
 الا وتجسد الشيطان قد ضرب بخيله ورجله وجميع مكائده لمن يصفي اليه
 أو يسمع منه حتى يحرمهم جزيل ما فيه من الثواب ويفوتهم ما وعدوا فيه من
 الخير العظيم أسأل الله تعالى السلامة عنه وكرمه (ثم انه) لم يكف منهم بسبب
 تمرد شيطنته واغرائه بمسائل منهم في كونهم معصوا عنه ونال منهم بأن
 حرمهم ما فيه من الخير العظيم حتى أبدل لهم موضع العبادة والخير صد ذلك
 من أحداث البدع وشهوات النفوس من المأكولات والمخلوقات المحترمة
 على الصور المحرمة وقد تقدم ما في ذلك من الفساد والتوعد لمن فعل ذلك وما
 يلزمه من التوبة وغيرها في أول ليلة من شهر رجب قال الله تعالى في كتابه
 العزيز حكاية عن الامميين ابليس بقوله لا تمدن لهم صراطك المستقيم ثم
 لا تدنهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شعائهم ولا تبسّد
 اكثرهم شاكرين والامر بالمستقيم هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى
 الله عليه وسلم فتجد الامميين لا يجد موضع ما فيه امثال سنة الا ويعمل على
 تبديها بما يناقضها حتى صار ما أبدله سنة لهم (الأتري) الى قوله صلى الله
 عليه وسلم **كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة (وهذا**
الحديث) بين واضح وذلك ان سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي ما كان عليه
 من الامر والنهي وكل ما يفعله عليه الصلاة والسلام أو يشربه اغساها وعن
 ربه عز وجل فتارة يؤكّد ذلك فيوجبه وتارة يخفف عن العباد فيكون ذلك
 سنة فاذا سمعت بالسنة فهي عادة النبي صلى الله عليه وسلم وطريقته ثم بهذه
 النسبة أعني في اتخاذ السنة عادة فكل من كانت له عادة أو طريقة فتلك
 سنته فاما ان اعتاد الناس عوائد ومضت الاعوام عليها كانت سنتهم فاذا
 جاء الانسان يترك عادتهم قالوا ترك سنة فاذا جاء يفعل سنة أعني سنة النبي
 صلى الله عليه وسلم قالوا فعل بدعة بالنسبة الى انه خالف عادتهم (وهذا)
 كما اغا جري بدعة طاع الثلاثة قرون (يدل) على ذلك قول النبي صلى الله
 عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد تقدمت
 المحكمة في كونهم خير القرون في أول الكتاب (فهو) هذا قوله صلى الله

عليه وسلم تحذيفة كيف يك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة انتهى
 (فهذا) اشارة منه صلى الله عليه وسلم ان هو بعد القرون الثلاثة المذكورة
 اذ ان اكثر البدع المستهجنة ما حدثت الابعدهم وفي كل عام تزيد البدع
 وتقص السنن (يدل) على ذلك ما قاله مالك رحمه الله قال عبد الله بن مسعود
 رضى الله عنه ليس عام الا والذي قبله خيره منه قال مالك ما اراه منذ زمن
 النبي صلى الله عليه وسلم فتيل له يا ابا عبد الرحمن ان عامنا هذا اخصب
 وارخص سعرا من العام الماضي فقال فأيها ما اكثر فتنها وقرآءة واحدة
 عهد ابا النبوة فقال الذي مضى فقال ابن مسعود رضى الله عنه ذلك الذي
 اردت (ويدل) على ذلك أيضا ما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال بدا
 الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء من أمي وهما هودا
 ظاهرين (الأتري) الى ما نقله الامام ابوطالب المكي رحمه الله في كتابه كان
 هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد أعدوا له جوابا
 وان كن سلوهم عن السنن فانهم لا يعرفونها (وكان) الشعبي اذا انظر الى
 ما أحدث الناس من الرأي والهوى يقول لقد كان القعود في هذا المسجد
 أحب الى مما يهدل به فذصار فيه هؤلاء الرائيون فقد بغضوا الى المجلس
 فيه ولان افعده على مزبلة أحب الى من أن اجلس فيه (وقال) مالك بن
 انس رحمه الله ليس من السنة ان تجادل عن السنة ولا تكلم تخبر بها فان
 قبل منك والافاسكت (وقال) ابوطالب المكي فقد صار المعروف منكرا
 والمنكر معروفا وصارت السنة بدعة والبدعة سنة انتهى (والغريب) هو
 الذي لم يعرفه أحد والى هذا المعنى الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لمن
 أوصاه كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ولما قال صلى الله عليه
 وسلم طوبى للغرباء من أمي قيل يا رسول الله ومن الغرباء من أمك قال
 الذين يصلحون اذا فسد الناس انتهى وفي رواية الترمذي الذين يصلحون
 ما أفسد الناس من بعدى من سنتي (ولما) ان ذكر عليه الصلاة والسلام
 الفتن قال بعضهم ما تأمرني به يا رسول الله اذا أدركني ذلك الزمان فقال
 عليه الصلاة والسلام كن حاسبا من أحلاس بيتك يعني ان يتخذ بيته كانه
 ثوبه الذي يستر به عورته فيلازمه ولا يفارقه اذا عمت الفتن وكثرت

الحاسر بالكم
 كالستر

وهذا موجود مشاهد لان مواضع العبادات رجعت للعادات بل بعض
العبادات قد صارت اليوم وسائل لادخول في الدنيا اكلها وبيعهم
يفعلها اثار بقاء السمعة في الغالب فاذا كان الامر كذلك فالمرتب من مواضع
العبادات المشتملة اليوم على هذه المفاصل العديدة الى قعود الانسان في بيته
اسلم له بل اوجب عليه ان قدر ولمذا قال بعضهم في الآية الملقم ذكرها
الحمد لله الذي لم يقل من فوقهم لانه اذا بقي للعبد جهة الفوقية التي جرت عادة
الله تعالى ان يأتي بالنصر منها له فلا يبا الى المكافاة بتعدد جهات الاعين
ابليس لا يبقا الباب العلوي المفتوح له فحضر الفضل والكرم الا ترى الى
قوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده المؤمن ما لم يغفر انتهى
في باب التوبة مفتوح الى ان تطالع الشمس من مغربها فهو ما وقع المؤمن
في شيء مما يقع عليه فيه العتب من جهة الشرع فهو مخاطب بالبادرة
الى التوبة الشرعية فاذا اوقعها بشروطها المعتبرة شرعا وجد الباب
والحمد لله مفتوحا لا يرد عنه ولا يغلق دونه ~~بكرم~~ المولى سبحانه وتعالى
وذلك بحسب حال التائب وقوة صدقه مع ربه عز وجل الا ترى الى قصة
ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى وما جرى له في بدء توبته ونزوله عن فرسه
ودفعه ثيابه للصياد واخذ ثياب الصياد وراسي له فراى انسانا قد وقع
عن قنطرة فقال له قف فوق في الهواء حتى وصل اليه فاخذه بيده والتمسه
على القنطرة سالما وما ذاك الا لصدق توبته وحسن نيته مع ربه عز وجل
فكذلك كل من صدق مع الله تعالى في توبته وفي الرجوع اليه وفي
ملازمته سنة نبيه صلى الله عليه وسلم لم فسنته سبحانه وتعالى في الكل
واحدة اعنى انه سبحانه وتعالى يقبل توبتهم ويقبلهم ويغفر لهم ما مضى
ويعود عليهم بمحزى بل الثواب عاجلا و آجلا الا ترى الى ما احتوت عليه
قصة يونس عليه السلام لما ان ابتلعه الحوت وابتاع الحوت حوت آخر ونزل
به الى قعر البحر وهو ينادى ربه عز وجل يقول لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين فسمعه قارون وهو يخسف به فسأل الملائكة الموكنين
بعذابه ان يقفوا به حتى يسأل صاحب الصوت فلما ان سألوا اجابه قال له
قارون ارجع الى ربك فانك اذا رجعت اليه تجده في اول قدم ترجع اليه

فيه فقال له يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام فامنعك انت ان ترجع
الى ربك فقال له ان توبتي وكنت الى ابن خالتي موسى فلم يقبلها مني (فهذا)
وجه المناسبة في قبول التائب عند صدقه في رجوعه الى مولاه الكريم والله
الموفق (وقد) تقدم ذكر الحديث الوارد عنه عليه الصلاة والسلام وهو
قوله صلى الله عليه وسلم **صك** حلسا من احلاس بيتك (وقد) تقدم
الكلام على بعض معناه (لكن) قد ورد حديث آخره وقوله صلى الله عليه
وسلم وسياقي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينة الامن فمن شاق الى
شاهق كظاثيرا فراحه او كشماعا باشباله او كما قال عليه الصلاة والسلام
ثم قال عليه السلام ما اتقاه في ذلك الزمان ما اتقاه فظاهرا لمحمد شين
التعارض لانه امر هذا بالاقامة في بيته وامره ذابا لفرار والمجمع بين الاقامة
والفرار في زمن واحد ظاهره التعارض (وكان) سيدي ابو محمد رحمه الله
تعالى يقول ما معناه ليس بينهما تعارض لان الحديث الوارد في الفرار محمول
على زمان يكون فيه بعض المواضع صالحا للاقامة فيها واخرى فاسدة فاذا
كان كذلك فيتمتع بن علي المؤمن ان يفري دينه من المواضع الفاسدة الى
المواضع الصالحة واما ان كان الزمان قد استوى حاله في عموم مخالفة السنن
وارتكاب البدع وغير ذلك فليس له موضع يفر اليه **فليس** حلسا من احلاس
احلاس بيته (وكان) رحمه الله يقول اذا رايت الفساد قد كثر في موضع وعلا
امره فلا تخرج فرارا منه واعتزل ما قدرت عليه وكن حلسا من احلاس
بيتك (وكان) رحمه الله يستدل على ذلك بوجهين (أحدهما) انك اذا خرجت
من هذا الموضع الذي انت فيه وصرت الى غيره وجدته أكثر فسادا ومناكر
وبدعا من الموضع الذي خرجت عنه فتندم عند ذلك على خروجك منه وتريد
ان ترجع الى موضعك الذي كنت فيه فتهاج الى الاستشارة والاستخارة
وتبديل الحال بطرق الاسفار ومباشرة ما كنت مستغنيا عنه وملاقة
المخاوف وغير ذلك مما يعثرى المسافر بين فاذا وصلت الى موضعك الذي
كنت فيه وجدته قد تغير حاله الى ما هو أشد فتندم على رجوعك اليه وتري
ان اقامتك في موضعك الذي كنت سافرت اليه أقل فسادا فتقع في ضياع
الاوقات والمشاق وارتكاب الاهوال ورؤية المخالقات ومباشرة ما عيانا

بخلاف ما لو كان مقيما في بيته ولم يسافر ثم يبق حاله كذلك مذبذبا لا يستقر له قرار او كما قال (وفي أمره) عليه الصلاة والسلام بالاقامة في البيوت رفق عظيم ورجة شاملة لا تمت ببركته صلى الله عليه وسلم اذ رفع عنهم تلك المشقات المتقدمة ذكرها بالجلوس في أوطانهم وقد قال عليه الصلاة والسلام نعم الصوامع بيوت أمي هذا وجه (الوجه الثاني) ان الموضع اذا كثرت فيه الفساد وأهله المقيمون معه على حالهم لم يصبهم شيء من البلاء دل ذلك على قوة حال الولي المقيم بينهم لانه لو لا قوة حاله مع الله تعالى ومكانته عنده وقربه منه ما اندفعت العقوبة عنهم فبنفسه وهمة العالية وحلوله بينهم أنزل الولي الكريم العذاب عنهم ليتوب من يتوب ويرجع من يرجع أو يصيب العذاب بعضهم خصوصا ولا يقع عاما (قال) الشيخ الامام الجليل عبد الرحمن المعروف بالصقلي رحمه الله تعالى ان الله عز وجل لم يخل الأرض من الاولياء اما قائم له بحجة وامام مدفوع به البلاء انتهى فاقائم بالحجة معروف بين الناس والمدفوع به البلاء قد يعرف وقد لا يعرف وقد يعرفه بعض الناس دون آخرين بين ذلك ويوضحه ما جرى للشيخ الامام الجليل المعروف بالقرشي رحمه الله تعالى لما ان رأى في وقته انه سينزل بأهل مصر بلاء قال أيقع هذا وأنا فيهم قيل له اخرج من بينهم فهم هذا أمر لا بد من وقوعه فخرج رحمه الله تعالى الى الشام فأقام به ثم بعد نروجه نزل بهم ما نزل أسأل الله العافية عنه فهذا دليل واضح على انهم لا يذنبون عذابا عاقوا فيهم أحد ممن تقدم ذكره (فعلى) ما تقرره الجمع بين الحديثين لم يبق الا الفرار الى البيوت لكن بشرط المحافظة على اظهار معالم الشرع والنهوض اليها فيما در الى الصلوات الخمس في المسجد في جماعة فان لم يكن في المسجد شيء يتخوف منه أعنى من البدع قلبية نظرا اليها أو أفضال له هل المقام في المسجد أو الرجوع الى بيته بحسب الاعمال التي تنوب في المسجد أو في بيته فأيهما كان أفضل وأكثرت نفعه ما يادر الى فعله سيما اذا كان النفع متعديا وان كان يتخوف من شيء فيه فالرجوع الى بيته أولى وأفضل واقامته في المسجد على ما ذكر لا يخرج عنه كونه حلسا من احلاس بيته اذ لو كان في المسجد وحده لم يحصل له المعنى المأصود وزيادة جوار بيت ربه عز وجل والاعتكاف على

ما تقدم من النيات في أوائل الكتاب فان كان في المسجد من يرشده
 أو يترشده ومنه فيج على من اذان المطلوب والمقصود من كونه حاسما من
 احلاس بيته انما هو طالب السلامة من المفسد التي في زمنه فيكون فرارا
 بدينه من بيته الى بيت ربه ومن بيت ربه الى بيته قال الله سبحانه وتعالى
 ففر الى الله والفرار الى الله تعالى هو المبادرة الى اتباع امره واجتناب نهيه
 فلا يترك الصلاة في جماعة في المسجد لاجل ما حدث من البدع اذان الصلوات
 في جماعة من معالم الدين ومن اعظم شعائر الاسلام وهي اقول ما يتردى به من
 عبادة الابدان وليس من شرط صلواته ان تكون في المسجد الجامع بل حيث
 ما قلت البدع من المسجد كانت الصلاة فيه أولى وأفضل من غيره فان لم يجد
 مسجد اسما ~~سما~~ ذكره وقل ماية مع ذلك فليتنظر الى اقل المساجد
 بدعا فليصل فيه مع أنه قد ~~تكون~~ يكون بدعة واحدة أشد من بدع جملة
 فليحذر من هذا واشباهه وليصل فيما عداه واذا صلى مع ذلك فليحذر جهده
 و يغير ما استطاع بشرطه وقد تقدم ان التغيير بالقلب أدنى مراتب التغيير
 فان كانت ليلته تزيد في البدع وتكثر فترك الصلاة في جماعة في تلك
 الليلة أولى وأفضل اذان الصلاة في جماعة مندوب اليه ولكن تكثير سواد
 اهل البدع منه حتى عنه وترك المنهي عنه واجب وفعل الواجب متعين فيترك
 المندوب له وهو الصلاة في جماعة في المسجد في تلك الليلة ولا يخاف عليه
 بسبب ذلك ان يكون مشاركا للهاضرين في اما كن البدع في الائم هذا وجه
 (لوجه الثاني) انه قد يأنس قلبه بتلك البدع فيؤول الى ترك التغيير بالقلب
 وقد تقدم انه أدنى رتب التغيير لما ورد وليس وراء ذلك من قال حجة من
 خردى من ايمان (الوجه الثالث) وهو أشد من الثاني وهو أنه يخاف عليه
 ان يستحسن شيئا مما يراه أو يسمع به وهذا فيه من القبح ما فيه لانه يستحسن
 ما كرهه الشرع ونهى عنه وهو الاحداث في الدين قال عليه الصلاة
 والسلام من أحدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد يعني مردود عليه وقال
 عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل عمل امرئ حتى يتقنه قالوا يا رسول الله
 وما اتقانه قال يخافه من الرياء والبدعة وقد ورد ان الله عز وجل يقول
 يوم القيامة لمن أحدث في الدين حدناهب انى أغفر لك ما بينى وبينك فالذى

اضلالتهم من الناس انتهى فاذا وقع استحسن شيء من البدع كأنما كان كان
 داخل في عموم ما تقدم ذكره أسأل الله تعالى السلامة منه وكرمه مع ان هذا
 الذي ذكره قل ان يقع أعني ان تم ذلك البدع في تلك الليلة جميع مساجد البلد
 واذا كان ذلك كذلك فالكمال والمجد لله حاصل له أعني الصلاة في الجماعة في
 المسجد السالم من ذلك البدع أو من أكثرها (ولو) امتنع بعض من يتقدم
 بهم من حضور المساجد التي فيها البدع لافضحت المسادة وزالت البدع
 كلها أو أكثرها أو بعضها لكن جرت عادة بعض أهل الوقت على تعاطي ذلك
 بينهم بل يفعل ذلك بعض أكبرهم اذا ختم ولد القراء أو صلى التراويح
 وسننهم ما في ذلك مما لا ينبغي في موضعه ان شاء الله تعالى (وقد) وقع بدعة
 فاس اسمهم أوقدوا جماعة من الاعظم فرادوا في التوقود الزيادة الكبيرة فجاء
 الشيخ الجليل أبو محمد الفشتالي رحمه الله تعالى الى صلاة المشاء على عاتقه
 فراهي ذلك فوقف ولم يدخل فقبل له الا تدخل فقال والله لا أدخل حتى
 لا يبقى في المسجد الا ثلاثة قناديل أو خمسة أو كما قال فامتلأوا اذ ذاك قوله
 وحيتئذ دخل (فوقع) هذا الخبر العظيم بتغيير شخص واحد من الشيوخ
 فكيف به لو كان زيادة على الواحد فانا لله وانا اليه راجعون على التسامح في
 هذا الباب حتى يراد الى اعتياد البدع ويتسبها كثيرا العوام الى الشرع
 بسبب حضورهم من يتقدم بهم فقل ان أسعد تراهم وام ان ذلك من الشرع
 وهذا أعظم خطرا مما تقدم ذكره لانهم يدخلون اذ ذاك في عموم قوله تعالى
 وهم يحسبون انهم يحسنون حسبا (فان) لم يكن في المسجد السالم من البدع
 من يصلي فيه فتنة كذا الصلاة فيه لانه يحصل له وحده احياء بيت من بيوت
 الله تعالى وهذا فيه من العنتية والسعادة ما فيه (أنا ترى) الى ما ورد من
 قوله عليه الصلاة والسلام في الذي يصلي في البرية وحده انه يصلي عن عينته
 ملك وعن يساره ملك فاذا أذن لها وأقام صلى تحافه من الملائكة كما قال
 الجبالي وقد روى أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة في الجماعة تعدل خمسين وعشرين
 صلاة فاذا صلاها في صلاة فأنتم ركوعها وسجودها باغت خمسين وقد ورد ان
 المسجد اذا لم يمتلي بالناس كمل بالملائكة الكرام فاذا صلى وحده في المسجد

كانت الملائكة تصلي بصلاته والملائكة لا تحضر موضعا الاوية قوى الرجاء
 في قبول ما يعمل فيه وكذلك الولى اذا حضر موضعا ومن هرب من البدعة
 وآوى الى السنة في غالب امره فيقوى الرجاء في ولايته اذ انه انصف بصفته
 الاولياء فيما اخذ بسبيله والنسبة بالكرام الاخ (ومذهب مالك) رحمه الله
 تعالى ان امام المسجد اذا صلى فيه وحده قام مقام الجماعة فاذا جاءت جماعة
 بعده فلا يجتمعون فيه ويصلون اذ اذا والامام لا يعيد في جماعة (وقد) كان
 سيدى الشيخ ابو محمد رحمه الله ابقى الى المسجد ذات ليلة لصلاة العشاء وكان
 فيها بعض طين وظلام فصلى في المسجد هو وخادمه ولم يكن معهما غيرهما
 ففصل له سرور فسأله خادمه ما سبب سروره فقال له ألا ترى ما حصل لنا في
 هذه الليلة من الخير العظيم وما خص صنابه من احياء بيت المولى سبحانه
 وتعالى وحدهنا ولم يشركنا فيه احدا من الناس فهذا فرحه رحمه الله تعالى
 ومسجد سالم من البدع فكيف بالمعاريب من مواضع البدع الى مواضع تحمل
 فيها السلامة والخير والثواب الجزيل وغير ذلك مما تقدم ذكره في احياء بيت
 الله تعالى (وانما) طال الكلام في ذكر ما يعمل في هذه الليلة أعني ليلة
 النصف من شعبان لاجل ما أحدثوه فيها وان كان قد تقدم بعض الكلام
 على ذلك في أول ليلة الجمعة من رجب أعني في صلاة الرغائب وغير ذلك مما
 يفعل فيها لكن هذه الليلة زادت فضيلاتها ومقتضى زيادة الفضيلة زيادة
 الشكر اللائق بها من فعل الطاعات وانواعها فبدل بعضهم مكان الشكر
 زيادة البدع فيها عكس مقابلة ذلك بالشكر كزيادة الفضيلة ضد شكر النعم
 سواء بسواء (الأتري) الى ما فعلوه من زيادة الوقود الخارج الخسار حتى
 لا يبقى في الجامع قنديل ولا شئ مما يوقد الا اوقدوه حتى انهم جعلوا الخبال في
 الاعمدة والاشرافات وعلة وافيها القناديل وأوقدوها وقد تقدم التعليل
 الذى لاجله كره العلماء رحمه الله تعالى التمسح بالصوف والمنبر والجدران
 الى غير ذلك اذ ان ذلك كان السبب في ابتداء عبادة الاصنام وزيادة الوقود
 فيه تشبهه بعبدة النار في الظاهر وان لم يمتد ذلك لان عبدة النار
 يوقدونها حتى اذا كانت في قوتها وشعثتها اجتمعوا اليها بعبادتها (وقد)
 حث الشارع صلوات الله عليه وسلامه على ترك تشبه المسلمين بفعل أهل

الادب ان الباطلة حتى في زيهم المختص بهم (وانضم) الى ذلك اجتماع كثير من
النساء والرجال والولدان الصغار الذي يقفون في الجامع بفضلاتهم غالباً وكثرة
اللفظ واللغة والكثير مما هو أشدوا كثروا أعظم من ليلة السابع والعشرين
من رجب وقد تقدم ما في ذلك من المغاسد وفي هذه الليلة أكثر وأشد
وأكبر وذلك بسبب زيادة الوقود فيها (فانظر) رجنا الله وإياك الى هذه
البدع كيف يجرب بعضها الى بعض حتى ينتهي ذلك الى المحرمات الا ترى ان
الجامع في تلك الليلة يرجع كأنه دار شربة لحي والوالي والمقدمين والاعوان
وفرش البسط ونصب الكرسي للوالي ليحاسب عليه في مكان معلوم وتوقد
بين يديه المشاعل الكثيرة في صحن الجامع ويقع منها بعض الرماد فيه وربما
وقع الضرب بالعصا والبطح لمن يشتكي في الجامع أو ثأتيه المخصوص من خارج
الجامع وهو فيه هذا كله في ليلة النصف من شعبان وإذا وقعت هذه الاشياء
في الجامع فلا بد من رفع الاصوات من المخصوص والجنادرة وغيرهم بل اللفظ
واقع أكثر الخلق فكيف به اذا انضم الى الشكاوى واحكام الوالي باليتهم
اقتصر واعلى ذلك لكثرهم زادوا عليه انهم يعتقدون انه اقامة حرمه لتلك
الليلة وليدت الله عز وجل وانهم أتوه ليعظموه وبعضهم يرى ان ذلك من
القرب وهذا امر أشد مما تقدم اذا فهم لو اعتقدوا ان ذلك أمر مكره لرجي لهم
الافلاح عنه ولكن زعموا انه قرينة ولا يتوب أحد من القرب وما اعتقدوه
من ذلك باطل لقوله عز وجل في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه
قال العلماء رحمه الله عليهم ترفع أي تغلق ولا تفتح الا في أوقات الصلوات هذا
وجه الوجه الثاني ان ترفيعها انما يعلم من جهة الشارع صلوات الله عليه
وسلامه لانه المبين عن الله عز وجل أحكام كتابه العزيز وذلك يتأق من
أصحابه رضي الله عنهم الا تخذين عنه وتعليقهم لها انما كان بالصلاة فيها
ومذاكرة العلم وما أشبه ذلك وقد قال سفيان بن عيينة لما سأله رحمه الله
تعالى ما يصح من غير ما يصحنا اذا كنا صائمين وما يخصه بخصتنا وقد تقدم قوله
عليه الصلاة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد أي مردود
عليه وقد بنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحبة خارج المسجد تسمى البطحاء
وقال من كان يريد أن يشد شعره أو ينشد ضالة فلا يخرج الى هذه الرحبة فانما

المساجد لما بنيت له وقد قال عليه الصلاة والسلام من نشد ضالة
في المسجد فقلوا لا وردها الله عليك (وقد) ورد من سأل في المسجد فأحرموه
وقال عليه الصلاة والسلام مسجدنا هذا لا ترفع فيه الأصوات وقال عليه
الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم مجانيذكم وصبيانكم وصل سيوفكم ورفع
أصواتكم واجعلوا أرضوكم على أبواب مساجدكم اه وقد تقدم الكلام على
صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان
تزيد على ذلك كله ما فيها مما لا ينبغي وقد تقدم ان فعل صلاة الرغائب
في جماعة بدعة ولو صلاها انسان وحده سراجا ذلك ومذهب مالك رحمه الله
تعالى كراهية ذلك لقاعدة مذهبه في كراهيته تكرار السورة في ركعة واحدة
لاتباع السلف في ذلك (يا ليتهم) اقتصر وأعلى ما ذكر من هذه المفاصل كنههم
زادوا على ذلك ما هو أعظم وأشنع وهو خروج المحريم في هذه الليلة الشريفة
وغيرها من الاوقات الفاضلة وهذه الليلة فيها زيادة كثيرة على غيرها أعني
كثرة خروجهم الى القبور ومع بعضهم الف يضر بن به وبعضهم يغني
بحضرة الرجال ورؤيتهم لمن متجاهرين بذلك اقله حياتهم وقلة من ينكر
عابهم ويؤمن انهم خرجوا للعبادة وهي زيارة قبور الاولياء والعلماء
والصلحاء وكذلك يفعل بعض من قل حياؤه من الشبان والرجال فيجتمعون
على ما لا ينبغي وأكثرتهم محتاطون بعضهم مع بعض نساء وشبان ورجال قد
رفعوا اجاباب الحياء والوقار عنهم على ما قد علم كانوا في بيوتهم مع أزواجهن
اذ لا فرق عندهم في القبور وبين النساء والرجال أعني في كشف الوجوه
والاطراف الى غير ذلك مما هو معلوم من عوائدهم الرديئة في اللجب
في انكشافهم في هذا الموضع الذي هو موضع الاعتبار والتذكار على ما تقدم
فاذا رجعوا الى البلد يرجعون على ذلك الحال من كشف السترة عنهم فاذا
وصلوا الى البلد تنقبوا اذالك واستترت ثم صارت هذه العادة بينهم شعيرة
يتدين بها أعني في أن المرأة تستتر في البلد وفي القبور والطريق اليها مكشوفة
الوجه لاستتر من أحد (فصل) من ذلك جملة من المفاصل منها اجتماعهم
كما سبق (الثاني) انتهاك حرمة هذه الليلة المعظمة وهذا اليوم العظيم وهذا
الشهر الكريم وما أشبه ذلك (الثالث) انهم أعظم والمعصية بفعائها على

القبور لانهم وضع الخشبة والفرع والاعتبار والمحث على العمل الصالح لهذا
 المصريح العظيم الاول امره فردوا ذلك لانقيض وجهه له في موضع فرح
 وهما ص كحال المستهزئين (الرابع) اذية الموتى من المسلمين (الخامس) قلة
 احترامهم لتعظيم جناب العلماء والاولياء والصالحاء لانهم على زعمهم يرضون
 للتبرك بهم ويفعلون عندهم ما تقدم ذكره من افعالهم القبيحة (السادس)
 انهم اتصفوا بسبب ما ذكر بصفة النفاق لان النفاق صفة قصدا المعصية
 وانما ارهاق في الصورة انها اذاعة (في الذهب) كيف بقدر المرء المسلم ان يسمع
 بهذه المناكر ولا يتنقص لها ولا يتشوش منها وقد تقدم ما في الحديث فيمن لم
 يغير قلبه من قوله عليه الصلاة والسلام وليس وراء ذلك مثقال حبة من
 خردل من ايمان فكيف يترك حريمه او اقاربه او من يلوذ به يخرج عن على
 ما تقدم من ركوبهن الدواب مع المكاري على ما تقدم وصفه وقد تقدم ان
 النساء ليس لهن نصيب في الخروج الى الجنائز ولا القبور ورواها المرأة لها
 ثلاث خراجات على ما سبق وعلى ما تقدم من الاحوال الرديئة في القبور حتى
 صار امر بعضهم انه يقوم انسان بشئ يحمله كالقبة على عود حولها فتادبل
 كثيرة فيجتمع له مما تقدم ذكره من النساء والشبان والرجال جماعة كثيرة
 يزورون بالليل ويجري بينهم وبينهن من الآفات في الدين والدنيا ما لا
 يحصى كثرة (ثم) ان بعضهم يقيمون خشبة عند رأس الميت أو الميتة ويكسون
 ذلك العمود من الثياب ما يليق به عندهم فان كان الميت من العلماء
 او الصالحين جاءوا يشكون له ما نزل بهم ويطلبون منه ما يؤملون في انفسهم
 وان كان غير ذلك من الاهل والاقارب والعارف فملوا مثل ذلك وجلسوا
 يحدثون معه ويذكرون له ما حدث لهم بعده فان كان الميت عروسا او عروسة
 كسوا كل واحد منهم اما كان بابسه في حال فرجه فيكسون المرأة ثياب
 الحرير ويملونها بالذهب ويحلبون ويكونون يتباكون ويتأسفون وهذه
 اشياء متنافضة كل ذلك مما سؤل لهم الشيطان في نفوسهم وهذا الذي
 يصنعونه من الكسوة على الخشبة فيه تشبه في الظاهر بالنصارى في كسوتهم
 لاصنامهم والصور التي يعظمونها اختلافا من عند انفسهم في مواسمهم وقد
 تقدم ما في التشبه باهل الانديان الباطلة من الخمار وفي ذلك منقح (وقد)

كان بعض من لا علم عنده ممن يتسبب في الظاهر الى المشيخة والهداية واجتمع عليه بعض اهل الوقت من ابناء الدنيا وفعل في زاويته في المقابر ما تقدم ذكره من الوقود بالجماع في هذه الليلة الشريفة حتى صار الناس يخرجون الى ذلك قصد او يتركون ما عندهم من الوقود في البلد لاشغال ما عندهم من الزبادات على ما في الجماع لتخصيل اغراضهم الخسيسة لانه لا يمكنهم ان يسألوا تلك الاغراض في البلدوسى هذه الليلة لالة الحيوان كان هذا الاسم يليق بها لكن في العبادة والخير والنضرع الى المولى سبحانه وتعالى وطالب الفوز بطاعته والنجاة بفضلته من مخالفته ومعاصيته لا بما يفعله هو ومن يجتمع عليه وامثالهم وصار الرجال والنساء يجتمعون عنده ويتسادي ذلك واشتهر حتى صار طائفة منهم فبقى الناس يهرعون لذلك رجالا ونساء وشبابا ونصبوا الخيام خارج الزاوية لكثره الحاق وزادت مخالفة السنة بذلك وكثرت البدع ووقع الضرر لان حضر ذلك الموطن من الاحياء وان فيه من الاموات فحصول الضرر للاحياء بحضور ذلك واستحسانه وحصول الضرر للاموات بما يشاهدونه من الاحوال الرديئة اذ انهم في دار الحق ويعظم عليهم ذلك اكثر من الاحياء ووجه آخر وهو انه ورد النهى عن المجلس على المقابر ونأوله العلماء على ان النهى عن ذلك محمول على المجلس لقضاء حاجة الانسان وهم اذا اجتمعوا في تلك المواضع فلا بد لهم من قضاء حاجة الانسان فيه فعملون ذلك على المقابر فية دون في النهى المريح فلما ان مضى ليله وتولى ذلك من تولى قام بعض من يتسبب اليه ففعلوا ذلك كعادة شيخهم واستأكلوا بذلك بعض الحطام الذى في أيدي بعض معارفهم من ابناء الدنيا وقد تقدم ما في الاحداث في الدين من الذم وصار الناس بعد ذلك في الغالب قلما يفتونهم بالخروج ليلة النصف من شعبان الى شهود ذلك فابن الشفقة والرحمة للارء على نفسه وعلى المؤمنين بالنصيحة لنفسه ولاخوانه المؤمنين ابن شعار اهل الاسلام ابن شعار اهل الايمان ابن شعار العلماء ابن شعار الاولياء ابن شعار المتقين ابن شعار الصالحين الذين يزعمون انهم يزورونهم ويتبركون بهم هيئات ليس الامر كما يزعمون اذ ان تعظيمهم وحصول بركاتهم انما يكون بالاتباع لهم وافتقار آثامهم لا بالخالفه واقتراف الذنوب اسأل الله تعالى

السلامة من خسف القلوب وانقلاب الحقائق عنه وفضله لأرب سواه
 • (فصل في المولد) ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من
 أكبر العبادات وأظهار الشرائع ما يفهم لونه في شهر ربيع مع الأول من المولد
 وقد احتوى على بدع ومحرمات جملة (فن ذلك) استعملهم الغاني ومعههم
 آلات الطرب من الطار والمصرور والشبابة وغير ذلك مما جعلوه آلة للجماع
 ومضوا في ذلك على العوائد الذميمة في كونهم يشتغلون في أكثر الأزمنة التي
 فضاه الله تعالى وعظماها ببدع ومحرمات ولا شك أن الجماع في غير هذه
 الآلة فيه ما فيه فكيف به إذا انضم إلى فضيلة هذا الشهر العظيم الذي فضله
 الله تعالى وفضلنا فيه بهذا النبي صلى الله عليه وسلم الكريم على ربه عز وجل
 (وقد) نقل ابن الصلاح رحمه الله تعالى أن الإجماع منعقد على أن آلات
 الطرب إذا جمعت فهي محرمة ومذهب مالك رحمه الله أن الطار الذي فيه
 الأصراصر محرم وكذلك الشبابة ويجوز الغريال لأظهار النكاح فآلة
 الطرب والجماع أي نسبة بينهما وبين تعظيم هذا الشهر الكريم الذي من الله
 تعالى علينا فيه بسبب الأولين والآخرين فكان يجب أن يزداد فيه من
 العبادات والتحسينات كالمولى سبحانه وتعالى على ما أولانا من هذه النعم
 العظيمة وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد فيه على غيره من الشهور
 شيئا من العبادات وما ذاك إلا لرحمته صلى الله عليه وسلم بأمة ورفقه بهم لأنه
 عليه السلام كان يترك العمل خشية أن يفرض على أمة راحة منه بهم كما
 وصفه المولى سبحانه وتعالى في كتابه حيث قال بالمومنين رؤوف رحيم لكن
 أشار عليه الصلاة والسلام إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله عليه الصلاة
 والسلام للسائل الذي سأله عن صوم يوم الاثنين فقال له عليه الصلاة
 والسلام ذلك يوم ولدت فيه فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا
 الشهر الذي ولد فيه فينبغي أن نحترمه حتى الاحترام وفضله بما فضل الله
 به الأشهر الفاضلة وهذا من أقواله عليه الصلاة والسلام أنا سيد ولد آدم
 ولا فخر ولقوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائه وفضيلة
 الأزمنة والامكانة بما خصها الله تعالى به من العبادات التي تفعل فيها
 لما قد علم أن الامكانة والأزمنة لا تتشرف لذاتها وإنما يحصل لها التشريف

مطلب
 الموسم الثالث
 من المواسم التي
 ينسبونها إلى
 الشرع وليست
 منه

بما خصت به من المعافى (فانظر) رحمة الله واياك الى ما خص الله تعالى به
هذا الشهر الشريف ويوم الاثنين (الأتري) ان صوم هذا اليوم فيه فضل
عظيم لانه صلى الله عليه وسلم ولد فيه (فعلى) هذا فينبغي اذا دخل هذا
الشهر الكريم ان يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به وذلك بالاتباع له
صلى الله عليه وسلم في كونه عليه الصلاة والسلام كان يخص الاوقات
الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات (الأتري) الى قول البخاري
رحمه الله تعالى كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود
ما يكون في رمضان فتمثل تلك الاوقات الفاضلة بما أمثلة عليه الصلاة
والسلام على قدر استطاعتنا

(فصل لـ) فان قال قائل قد التزم عليه الصلاة والسلام ما التزمه
في الاوقات الفاضلة مما قد علم ولم يلتزم في هذا الشهر مما التزمه في غيره
(فالجواب) ان المعنى الذي لاجله لم يلتزم عليه الصلاة والسلام شيئا في هذا
الشهر الشريف انما هو ما قد علم من عادته الكريمة في كونه عليه الصلاة
والسلام يريد التخفيف من أمته والرحمة لهم سيما فيما كان يخصه عليه الصلاة
والسلام (الأتري) الى قوله عليه الصلاة والسلام في حرم المدينة اللهم
ان ابراهيم حرم مكة وانى أحرم المدينة بما حرم به ابراهيم مكة ومثله معتم
انه عليه الصلاة والسلام لم يشرع في قتل صبيده ولا في قطع شجره الجزاء
تخفيفا على أمته ورحمة لهم فكذلك كان عليه الصلاة والسلام ينظر الى ما هو من
جهته وان كان فاضلا في نفسه يتركه للتخفيف عنهم فاما أكثر شفقتة صلى
الله عليه وسلم بأمة جزاء الله عنا خيرا افضل ما جرى نبيا عن أمته هذا وجه
(الوجه الثاني) ان مذهب مالك رحمه الله في اليمين الغموس انه لا كفارة
فيه لان الكفارة انما شرعها الشارع عليه الصلاة والسلام في اليمين التي
أجاز المحلف بها وأقامت يمين الكاذبة فلا تنعاق بها الكفارة لانها
أعظم من ان تكفر وانما سميت غموسا لانها ماس صاحبها في النار ولم ترد فيها
كفارة ونحو من متبعون لا مشرعون (فكذلك) قتل الصيد عند مالك رحمه
الله تعالى في حرم المدينة اذ انه أعظم من ان يكفر لانه عليه الصلاة والسلام
منع من الصيد فيه ولم يشرع فيه جزاء على من قتله فبذلك سبيل اليمين

الغموس وأما على القول بأن على قائله الجزاء فلا فرق إذن بين حرم
 مكة في ذلك (وعلى) المشهور من أنه لا جزاء فيه يتصل منه أن المدينة أفضل
 من مكة وهو ظاهر بين فعلى هذا فتنظيم هذا الشهر الشريف أغما يكون
 بزيادة الأفعال الزاكية فيه والصدقات إلى غير ذلك من القربات فمن عجز
 عن ذلك فأقل أحواله أن يحتجب ما يحرم عليه ويكره له تعظيما لهذا الشهر
 الشريف وإن كان ذلك مطلوباً في غيره إلا أنه في هذا الشهر أكثر احتراماً كما
 يتأكد في شهر رمضان وفي الأشهر الحرم فيترك المحدث في الدين ويحتجب
 مواضع البدع وما لا ينبغي (وقد) ارتكب بعضهم في هذا الزمان ضد هذا
 المعنى وهو أنه إذا دخل هذا الشهر الشريف تسارعوا فيه إلى اللهو واللعب
 بالدف والشبابة وغيرهما كما تقدم فن كان باكياً فليبك على نفسه وعلى
 الإسلام وغرته وغربة أهله والعاملين بالسنة (ويا ليتهم) لو عملوا المعاني
 ليس إلا بل يزعم بعضهم أنه يتأدب فيبدأ المولى بقراءة ~~الكتاب~~ كتاب العزيز
 وينظرون إلى من هو أكثر معرفة بالهنوك والطرق المهيبة لطرب النفوس
 فيقرأ عشر (وهذا) فيه من المفاصد وجوه (منها) ما يفعله القارئ في قراءته
 على تلك الهيئة المذمومة شرطا والترجيح ~~ص~~ كترجيح الغناء وقد تقدم
 بيان ذلك (الثاني) أن فيه قلة أدب وقلة احترام لكتاب الله عز وجل
 (الثالث) أنهم يتطعون قراءة كتاب الله تعالى ويقبلون على شهوات نفوسهم
 من سماع اللهو بضرب الطار والشبابة والغناء والتكبير الذي يفعله الغنى
 وغير ذلك (الرابع) أنهم يظهرون غير ما في بواطنهم وذلك بعينه صفة النفاق
 وهو أن يظهر المرء من نفسه شيئاً وهو يريد غيره اللهم إلا فيما استثنى شرعا
 وذلك أنهم يبتعدون القراءة وقصد بعضهم وتعاق خواطرهاهم بالغنى
 (الخامس) أن بعضهم يقلل من القراءة لقوة البهاث على لهوهم ما بعدها
 وقد تقدم (السادس) أن بعض السامعين إذا طول القارى القراءة
 يتقلقلون منه لكونه طول عليهم ولم يسكت حتى يشتغلوا بما يحبونه من اللهو
 وهذا غير مقتضى ما وصف الله تعالى به أهل الخشية من أهل الإيمان لأنهم
 يحبون سماع كلام مولاهم لقوله تعالى في مدحهم وإذا سمعوا ما أنزل إلى
 الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا

فاكتبنا مع الشاهدين فوصف الله تعالى من سمع كلامه بما ذكر وبعض
 هؤلاء يستعملون الضم من ذلك فاذا سمعوا كلام ربهم عز وجل قاموا بهده
 الى الرقص والغرح والسرور والطرب بما لا ينبغي فان الله وانا اليه راجعون
 على عدم الاستحياء من عمل الذنوب يعملون اعمال الشيطان ويطلبون الاجر
 من رب العالمين ويزعمون انهم في تعبد وخير وباليك ذلك لو كان يفعلهم سفلة
 الناس وان كان قد سمعت اليلوي فتجد بعض من ينسب الى شئ من العلم او
 العمل بفعله وكذلك بعض من ينسب الى المشيخة اعني في تربية المريدين
 وكل هؤلاء داخلون فيما ذكر (ثم الجيب) كيف خفيت عليهم هذه المكيدة
 الشيطانية والدسيسة من اللامين الا ترى ان شارب الخمر اذا شربه اول ما تدب
 فيه الخمرة يصير كراسه ساعة بعد ساعة فاذا قويت عليه ذهب حياؤه ووقاره
 لمن حضره وانكشف ما كان يريد ستره عن جاسائه (فانظر) رحمنا الله واياك
 الى هذا المغني اذا غنى تجدد من له الهيبة والوقار وحسن الهيئة والسمت
 ويقتدى به اهل الاشارات والعبارات والعلوم والخبرات يستكن له
 وينصت فاذا دب معه الطرب قلبه لاسر كراسه كما يفعل اهل الخمرة سواء بسواء
 كما تدم ثم اذا تمكن الطرب منه ذهب حياؤه ووقاره كما سبق في الخمرة
 سواء بسواء فيقوم ويرقص ويهبط وينادي ويبكي ويتباكى ويتخشع ويدخل
 ويخرج ويدسط يديه ويرفع راسه نحو السماء كأنه جاءه المدد منها ويخرج
 الرغبة أي الزبد من فيه ويرجمه منق بعض ثيابه وعيث بلحيته وهذا منكروين
 لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال ولا شك ان تخزيق الثياب
 من ذلك هذا وجه (الثاني) انه في الظاهر يخرج عن حد العقل اه اذا صدر
 منه ما يصد من المجانين في غالب الاحوال (الثالث) انه لمحق نفسه باليهانم
 اذا تكليف انما خطوط به العقل اه هذا يزعم انه ساء عقله ولو صدق
 في دعواه لبقى على ذلك الحال مدة والكنازاه عند سكوت المغني يسكن اذ ذلك
 ويرجع الى هيئته ويابس ثيابه ويلوم المغني على سكوته ولومه دليل واضح
 على انه باق مع حظوظ نفسه سامع لقول المغني اذ لو كان غائبا عنه وهو عند
 ربه كما يزعم السامع بالمغني ولا غيره ان تكلموا أو سكوتوا (باليتهم)
 لواقنصروا على ما ذكر ولا كنهم زادوا على ذلك الداء العضال وهو الكذب

المخلص الذي لا يشك فيه عاقل وانهم يخبرون بأشياء يزعمون انهم خوطبوا
 بها في سرهم فان يكن ما قالوه حقا وهواؤهم خوطبوا بعساذك وافلاشك ان
 الشيطان التي اليهم ذلك وقد لا يجتاجون الى الشيطان اذ ان نفوسهم اغتلت
 الشيطان عن تكلف امرهم فهي تتخذهم وتسول لهم فيتخذون في سرهم بما
 يحطرونه فوسمهم ثم يقولون خوطبنا بكذا وكذا ومعاذ الله ان يطاع على سر من
 أسرارهم من هو مخالف لربه عز وجل واكتابه واسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
 (وقد) قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله فيمن ذكر له بالولاية فقصده فراء
 يتقزم في المسجد قبل ان يلقاه فاصرف ولم سلم عليه وقال هذا غير ما عمن
 على أذب من آداب الشريعة فكيف يكون آمينا على أسرار الحق (وقد)
 وعظ موسى عليه السلام يوحنا من حضره فقام رجل فصاح ومزق بعض ما عليه
 فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان قل له عزق لي عن قلبه لانه حبيب
 انتهي (ثم) انهم لم يفتضروا على ما ذكر بل ضم بعضهم الى ذلك الامر الخطار
 وهو ان يكون المأثني شايبا نظيف الصورة حسن الكسوة والهيئة أو احدا من
 الجماعة الذين يتصنعون في رقصهم بل يخطبونهم للضرورة فمن لم يحضره منهم ربما
 عادوه ووجدوا في أنفسهم عليه وحضوره ممتنة كما تنتم سبواوهم باتون الى
 ذلك شبه العروس التي تجنى لكان العروس أقل فتمتة لانها ساكنة حبيب
 وهؤلاء عليهم العنبر والطيب يتخذون ذلك بين اوثابهم ويتكسرون مع ذلك
 في مشيهم اذ ذلك وكلامهم ورفصهم ويتعانقون فتأخذهم اذ ذلك احوال
 النفوس لرديئة من العشق والاشتياق الى التمتع بمايرونه من الشبان
 ويتكلمون منهم الشيطان وتقوى عليهم النفوس الفائرة بالسوء وينسدها بهم
 باب الخير سدا (وقد) قال بعض السلف لان اوتمن على سبب من عذرا احب
 الى من ان اوتمن على شاب وقوله هذا ظاهر بين لان العذرا تمتنع المفوس
 الزكية ابتداء من النظرا اليها بخلاف الشاب (ما ورد) ان النظرة الاولى
 سم والشاب لا يمتنع ولا يجتنب بخلاف العذرا والشيطان من دأبه انه اذا
 كانت المعصية كبرى أجلب عليه بالجمله ورجله ويعمل الحيل الكثيرة
 ووجه آخره وأنه اذا تعاقى خمارا الناظر بالهذرا يمكنه الوصول اليها باذن
 الشرع بخلاف الشاب (هذا) في حضور الشاب ليس الا فكيف اذا كان

أي بالزواج اه

مغنيا حسن الصوت والصورة وينشد التغزل ويتكسر في ضوئه وحركاته
 فيفتن بعض من معه من الرجال وبعض النسوة يعان ذلك على ما قد علم من
 نفاذه من السطوح والطافات وغير ذلك فيرينه ويسمعه وحن أرق قلوبا
 وأقل عقولا فتقع الفتنة في الفريقين ومن له عقل أولديه بعض علم أوهما
 معا وله غيره اسلامية كيف يهون عليه أن يصف ما ذكر من أمر الشبان
 لزوجه أوليه بعض أهله فان سماع مثل ذلك لمن يهيج قلوبهم لما تقدم من
 رقتهم وقلة عقولهم من الميل الى رؤية ذلك فكيف يتسبب في حضورهم
 حتى يعان ما يفتنهم ويغيرهم عن وده وقد يكون ذلك سبيلا الى قطع المودة
 والالفة التي كانت بينهما وقد يؤول ذلك في الغالب الى الفراق فيفسد حال
 الزوج وحال الزوجة جزاء وفاقارته كبر واما نه واعمه فيوزوا عليه بالنكاح
 العاجل اذ ان الغالب اذا حصل ذلك دخل الاقارب والجيران والمجنادة
 والقاضي بينهم وتشتت أحوالهم بعد جمعهم وصاروا فرقا بعد أن كانوا
 مجتمعين وانشد بعضهم

يا عصبية ما ضرمة أجد * وسعى على افسادها الا هي
 طار ورمز مار ونعمة شادن * أرايت قطع عبادة بلامى

وقد قال بعضهم للوطية على ثلاث مراتب طائفة تتمتع بالنظر وهو محرم لان
 النظرة الى الامر بشهوة حرام اجماعا بل صحح بعض العلماء انه محرم وان كان
 بغير شهوة والطائفة الثانية يتمتعون بالملاعبة والمباينة والمعاينة وغير
 ذلك عدا فعل الفاحشة الكبرى ولا يظن ظان ان ما تقدم ذكره من النظر
 والملاعبة والمباينة والمعاينة أقل رتبة من فعل الفاحشة بل الدوام عليه
 يلحقه بها لانهم قالوا لا صغيرة مع الاصرار واذا داوم على الصغائر صارت ككثير
 هذا الكلام فيمن داوم على الصغائر صارت بدوامه عليها ككثير وانما الحكم في ذلك
 معلوم عند أهل العلم والمرتبة الثالثة فعل الفاحشة الكبرى (فانما حاصل) ان
 هذا السماع اشتمل على مفاسد جليلة من اللهو واللعب والاستمتاع
 بما لا يحل وقد قال الامام أبو طالب المتكى وجه الله في كتاب القوت له
 ويقال ان العرش يهتز ويغضب الرب تعالى لثلاثة أعمال لقتل نفس
 بغير نفس وايقان الذكرا الذكر وركوب الانثى الانثى (وفي الخبر

لواغتسل الاوطى بالبهار لم يظهره الا التوبة وقد قال بعض صوفية الشام
نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر اليه فخرى ابن الجلا
الدمشقي واخذ بيدي فاستحييت منه فقامت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت
من هذه الصورة المحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت النار فغمر
يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين فعوقبت بذلك النظر بعد ثلاثين سنة
وحدثني بعض الاشياخ عن منصور الفقيه قال رايت ابا عبد الله السكري في
النوم فقلت له ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه في العرق حتى سقط لحم
وجفى قلت ولم ذلك قال نظرت الى غلام مقبلا ومديرا وقد قل الامام ابو
بكر الفهرى المشهور بالطرموشى رحمه الله تعالى في كتابه الذى وضعه في
انسكار الغناء والسمع مطلقا مع سلامته مما ذكر واعظم القول فيه فكيف به
اذا انضاف اليه ما هو معلوم في هذا الزمان قال الامام السهروردي رحمه الله
تعالى ما معناه ولا شك انك لو مثلت بين عبيدك جلوس هؤلاء المغنين وتزويدهم
وهذه الآلات وهيئتها واشتغل عليه السماع اليوم من الحركات والسكنات
وغير ذلك لوجدت نفسك تنزه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
حضور هذه المجالس ورؤيتها فكيف يفعلها من يتقى الى طريق الصوفية
وهم اشد الناس اتباعا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اه لان
الفقراء الصادقين شعارهم ظاهر بين وهو مشيهم على كتاب الله تعالى وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم وترك اللعب والمراف والمجدال والمخالطة والمجوع
والقبيل والقال هذه طريق القوم الصادقين ومن تبعهم باحسان الى يوم
الدين (فانظر) رحمه الله واياله الى مخالفة السنة ما أشنعها وما أقبحها وكيف
تجبر الى المحرمات (الأتري) انهم لما خالفوا السنة المطهرة وفعلوا المولد لم
يقصروا على فعله بل زادوا عليه ما تقدم ذكره من الاباطيل المتعددة فالسعيد
السعيد من شديده على امتثال الكتاب والسنة والطريق الموصلة الى ذلك
وهي اتباع السلف الماضين رضوان الله عليهم اجمعين لانهم اعلم بالسنة منا
اذ هم اعرف بالمقال وافقه بالحال وكذلك الاقتداء بمن تبعهم باحسان الى
يوم الدين وليحذر من عوائد اهل الوقت ومن يفعل العوائد الرديئة وهذه
المقاسد مركبة على فعل المولد اذا عمل بالسمع فان خلا منه وعمل طعنا فقط

ونوى به المولد ودعا اليه الاخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس
 نيته فقط اذ ان ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع
 السلف اولى بل اوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه لانهم أشد
 الناس اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وأسنته صلى الله
 عليه وسلم ولهم قدم السبق في المبادرة الى ذلك ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى
 المولد ونحن لهم تبع فيسعدنا ما وسعهم وقد علم ان اتباعهم في المصادر والموارد
 كما قال الشيخ الامام أبو طالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه وقد جاء في
 الخبر لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكرا والمكرم معروفا انتهى وقد
 وقع ما قاله عليه الصلاة والسلام بسبب ما تقدم ذكره وما سيأتي بعد لانهم
 يعتقدون انهم في طاعة ومن لا يعمل عمالهم يرون انه مقصر بخيل فانا لله وانا
 اليه راجعون وقال أيضا وقد قال بعض الادياء كلاما متظاوما في وصف
 زماننا هذا كأنه شاهده

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكرو
 وبقيت في خلف تركي بعضهم * بعضا يدفع معور عن معور
 أبني أن من الرجال بجملة * في صورة الرجل السميع المبصر
 فطن بكل مصيبة في ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر
 فسل الفقيه تكن فقيها مثله * من يسع في علم باب يظفر
 * (فصل) ثم انظر رحمنا الله واياك الى مخالفة السنة ما أشنعها الا ترى انهم
 لما ابتدعوا فعل المولد على ما تقدم تشوفت نفوس النساء لفعل ذلك وقد
 تقدم ما في مولد الرجال من البدع والمخالفة للسلف الماضين رضي الله عنهم
 اجمعين (وكيف) اذا فعله النساء لاجرم انهن لما فعلته ظهرت فيه عورات
 جملة ومفاسد عديدة (هنا) ما تقدم في مولد الرجال من انه يكون بعض
 النساء ينظر الى الرجال فيقع ما يقع من التشويش بين الرجل وأهله بسبب
 ذلك كما تقدم (وفي المولد) الذي يفعله النساء ما هو أعظم وأدهى لان بعض
 الرجال يتطلع عليهم من بعض الطاقات ومن السطوح ورجما عرف الرجال
 بسبب ذلك بعض النسوة المحاضرات فيقولون هذه زوجة فلان وهذه
 بنت فلان وربما تعلقت نفوس بعض الرجال ببعض من يرون وكذلك بعض

النسوة ورجعاتها في خاطرهما من رآته ينظر اليها من الرجال والشبان فقد يكون ذلك سببا الى وقوع الفتنة الكبرى والمفسدة العظمى كما تقدم في مولد الرجال بل هو أشد هذا وجه (الوجه الثاني) انهم اقدموا بالرجال في الذكر جماعة برفع أصواتهم كما يفعل الرجال وقد تقدم منع ذلك في أول الكتاب بأدلة سيما وأصوات النساء فيهما من الترقيم والنداء وما هو فتنة في الغالب في الواحدة منهن فكيف بالجماعة فتكثر الفتنة في قلوب من يسمعون من الرجال أو الشبان وأصواتهم عورة فان كان البيت الذي يعمل فيه المولد على الطريق أو على السوق زادت الفتنة وسمت البلوى الأكثر من يسمع أو يرى ذلك في الغالب (الثالث) ان تصفيةهن بالا كف فيه فتنة وزيادة في اظهار العورات ألا ترى ان بعض العلماء رجمهم الله تعالى قالوا في المرأة اذا تابها شيء في صلاتها واضطرت الى التصفيق انها تصفق ببعض أصابعها على فخذها وما ذاك الا خيفة صوت باطن كفها لان ذلك عورة (الرابع) ان بعضهم يرقص وقد تقدم ما في رقص الشبان والرجال من العورات والمفاسد وفي رقصهن أكثر وأشنع ولذلك أمرن بالاسترا كثرا من الرجال وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز ولا يضرين بأرجاءن ليعلم ما يخفين من زينتهن (وقد) علم من أحوال النسوة في هذا الوقت ان المرأة لا تخرج من بيتها في الغالب حتى تلبس أحسن ثيابها وتتطيب وتزين ثم تفرغ عليها من الحلى ما تجد السبيل اليه فاذا رقصت وهي على هذه الحالة زادت خشية الحلى فقد سمع من بعيد فتزيد الفتنة بحسب ذلك اذا يخلوا أمرهن في الغالب من أن يكون بعض الرجال يسمعون و بعضهم يتفكرون فتكثر الفتن وتفسد القلوب وتتشوش فن كان من أهل الدين وطراعيه سمع شيء مما ذكر أو رؤيته تشوش من ذلك اذا أنه لو سلم باطنه من الفتنة المعهودة لوقع له التشويش من جهة ما يرى أو يسمع من مخالفة السنة كما تقدم في مراتب الانكار فان كان التشويش الواقع في باطنه من جهة ما يجده البشر غالبا فقد يؤول ذلك الى انه يترك شيئا من ذلك في حال تعبده وهو أشد من الأول فيخاف أن يصيب من فتنة المعقوبة اما عاجلا واما آجلا لاجل فساد حاله مع ربه (وقد) تقدم ان خروج المرأة لا يكون الا ضرورة

شرعية ونزوحها للاولاد ليس اضرورة شرعية بل للبدع والمناكر والمحرمات
 كما تقدم ذكره (ثم انهم) لا يهتتمون بالاولاد الذي احتوى على ما تقدم ذكره من
 المفاصل المذكورة الا يحضرون من يزعم انها شيخة على عرفهم وقد تكون
 وهو الغالب من تدخل نفسها في التفسير كتاب الله عز وجل فتفسر وتضيق
 قصص الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وتزيد وتنقص وربما
 وقعت في الكفر الصريح وهي لا تشعر بنفسها وليس ثم من يردّها ويرشدها
 (وقد) بلغني انه وقع ذلك منها في بيت شيخ من الشيوخ المعتبرين في الوقت
 ولا غير علمها احد بل اكرموها واعطاوها (وقد) منع علماء نازحة الله عليهم
 المجلس الى القصاص من الرجال اعنى الوعاظ الذين يعملون في المساجد
 وغيرها (قال) الامام ابو طالب المكي رحمه الله في كتابه كنوايرون القصاص
 بدعة ويقولون لم يقص في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وفي زمن أبي بكر
 ولا في زمن عمر رضي الله عنه ما حتى ظهرت الفتنة فلما وقعت الفتنة ظهر
 القصاص (وجاء) ابن عمر رضي الله عنه الى محاسبه من المسجد فوجد قاصا
 يقص فوجه الى صاحب الشرطة ان أخرجه من المسجد فأخبره فلو كانت
 القصاص من مجالس الذكور والقصاص علماء أخرجه من المسجد ابن عمر من المسجد
 هذا مع ورعه وزهده (وروي) ابو الاشهب عن الحسن قال القصاص بدعة
 (وروي) عن عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال سألت الحسن البصري
 رحمه الله تعالى قلت اعود مريضا أحب اليك أو اجلس الى قاص قال عد
 مريضك قلت أشيع جنازة أحب اليك أو اجلس الى قاص قال شيع
 جنازتك قلت ان استعان بي رجل في حاجته أعينه أو اجلس الى قاص قال
 اذهب في حاجتك (وقد) روى الزهري عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما
 انه خرج من المسجد وقال ما أخرجني من المسجد الا القاص ولولا ما خرجت
 (وقال) ضمرة قلت للزهري نسيت قبل القاص بوجوهنا فقال ولولا البدع
 ظاهركم (وقال) ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خير
 فقامت فنهى الامير القصاص ان يقصوا (وقد) قسم بعض العلماء المتكلمين
 ثلاثة اقسام فوصفهم بما كنتم فقال المتكلمون ثلاثة اصحاب الكرامى
 وهم القصاص واصحاب الاساطين وهم المفتون واصحاب الزوايا وهم

أهل المعرفة انتهى (وقد) منع علي بن أبي طالب رضي الله عنه كل من كان يتكلم في جامع البصرة حين مشى عليهم و"مع كلامهم ما خلا الحسن البصري فانه لما ان سمع كلامه وسأله فأجاب به ما ينبغي أبقاء وحده دون غيره فاذا كان مثل الحسن البصري وجلالة قدره لم يتركه حتى امتحنه فكيف الحال في زماننا هذا ومعلوم أن من أقامه على رضى الله عنه في ذلك الزمان أعلم وأفضل وأدين وأورع من كثير من علماء زماننا هذا وصلحاتهم اذ أنهم في خير القرون المشهود لهم بذلك ونحن في هذا الزمان في القرون المشهود فيهم بضد حال من تقدم ذكره وسيأتي بيان بعض ما لم نذكره وصفة ما يفعله من ذلك في المساجد وغيرها في موضعه ان شاء الله تعالى (وسبب) المنع من ذلك انهم ينقلون القصة على ما نقل فيها من الاقوال والحكايات الضعيفة التي لا تصح أن تنسب لمنصب من نسبت اليه وقد قال علماء نازجة الله عليهم ان من قال عن نبي من الانبياء في غير التلاوة والحديث انه عصي أو خالف فقد كفر نعوذ بالله من ذلك وكثير من الرجال ممن يطالع الكتب ويعرف الصحيح من السقيم قل أن يسلم من هذه الخبايا فكيف بالمرأة التي هي معوجة أصلا وفرعانهم انهم اعوجاجها قليلا المطالعة وان طالعت فالغالب انه يستوى عندها الصحيح والسقيم والغالب في القصص والحكايات الضعف والكذب فتنبه له ان كانت ثقة على ما رآته فيقع الخطأ فكيف بها اذا حرفته فزادت أو نقصت فيه فتضل وتضل فيد خان الذسوة في الغالب وهن مؤمنات فيخرجن وهن مفتتنات في الاعتقاد أو فروع الدين اسأل الله تعالى السلامة منه وقد قال الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتاب التفسير له حين تكلم على قوله تعالى وطبقا ينصفان عليهم امن ورق الجنة الآية في سورة طه قال القاضي أبو بكر بن العربي رضي الله عنه لا يجوز لأحد منا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم الا اذا ذكرناه في أثناء قوله تعالى عنه أو قول نبيه فاما أن نبتدئ ذلك من قبل نفسنا فايس بجائز لنا في آياتنا الادنين الينا الماثلين لنا فكيف بأيدينا الا قدم الاعظام الا كبر النبي المقدم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين انتهى ثم الجواب الجيب كيف يعملون المولد بالغاني والفرح والسرور كما تقدم لاجل مولده عليه

الصلاة والسلام كما تقدم في هذا الشهر الكريم وهو عليه الصلاة والسلام فيه
انتقل الى كرامة ربه عز وجل وبجعت الامة فيه واصيبت بمصاب عظيم
لا يعدل ذلك غيرها من المصائب ابدا فعلى هذا كان يتعين البكاء والحزن
الكثير وانفراد كل انسان بنفسه لما أصيب به لقوله عليه الصلاة والسلام
ليعزى المسلمون في مصائبهم المصيبة في انتهى فلما ذكر عليه الصلاة
والسلام المصيبة به ذهبت كل المصائب التي تصيب المرء في جميع احواله
وبقيت لا خطر لها واقد احسن حسان حين رثاه عليه الصلاة والسلام بقوله
كنت السواد لنا ظري * فعمى عليك النافار
من شاء بعدك فليمت * فمليك كنت احاذر

فانظر في هذا الشهر الكريم والمحالة هذه كيف ياعينون فيه ويرقصون ولا
يبكون ولا يحزنون ولو فلو اذلك لكان اقرب الى الحال لاجل اقتراف
الذنوب والحزن والبكاء من أجل فقد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك
مذهبا للذنوب ومحيا لآثارها مع انهم لو فقهوا ذلك والتزموه لكان أيضا
بدعة وان كان الحزن عليه صلى الله عليه وسلم واجبا على كل مسلم دائما لكان
لا يكون على سبيل الاجتماع لذلك والتباكي واظهار التحزن بل ذلك أعنى
الحزن في القلوب فان دمعت العين فيا حبذا والا فلا حرج اذا كان القلب
عامرا بالحزن والتأسف اذ هو المقصود بذلك كله وانما وقع الذكر له هذا
الفصل لكونهم فعلوا الطرب الذي للنفوس فيه راحة وهو اللعب والرقص
والدف والشبابة وغير ذلك مما قدم بخلاف البكاء والحزن اذ انه ليس
للفس فيه راحة بل الكمد وحبس النفوس عن شهواتها وما لاذها ولو قال
قائل انا اعمل المولد للفرح والسرور ولولادته صلى الله عليه وسلم ثم اعمل يوما
آخر لآتم والحزن والبكاء عليه (فالجواب) انه قد قدم ان من عمل طعاما
بنية المولد ليس الا وجمع له الاخوان فان ذلك بدعة ههنا وهو فعل واحد
ظاهره البر والتقرب ليس الا فكيف بهذا الذي يجمع بدعا جلة في مرة
واحدة فكيف اذا كرر ذلك مرتين مرة للفرح ومرة للحزن فتزيد البسود
ويكثر لاوم عليه من جهة الشرع والله أعلم
(فصل — ل) * ثم انظر رحمنا الله واياك الى هذه المفاسد كيف

زادت على ما في مولد الرجال فتعدت فتنة الرجال الى النساء ثم تعدى ذلك الى
انه آل امرهم الى الخروج الى المقابر وهتك الحرم هناك بسبب اجتماع
الرجال والنساء والشبان مختلطين على الواعظ أو الواعظة وتنصب لهم المنابر
ويصعدون على ايمنون ويريدون وينقصون ويقالون كما قد علم من
افعال الواعظ وزعماتهم بتلك الطرق المروفة عندهم والمذكورة المذمومة
شرحا التي لا تليق بالموثمين مقلدات فلوبهم وقلوب من أعجبهم شأنهم ويقالون
مع كل صوت ويرجعون بحسب حال ذلك الصوت مع التكسير والضرب
بايديهم وأرجلهم على المنبر والكوسى واظهار التحزن والبكاء وهو خال من
البكاء والخشية وقد يكون عنده شيء من ذلك وهو عري عن التوفيق فيه
الا ترى الى ما ورد اذا استكمل نفاق المرأة كانت عيناها بحكم يده من ساه مامتي
شاء انتهى وهذا شاهد من كثير من الناس فتجد بعض هؤلاء المكاسين
وغيرهم من الظلمة قد كرههم بشيء من الواعظ أو التخريف فيرساؤون دموعهم
اذذاك ويتخشعون ويتضرعون ثم يبقون على حالهم لا يتألمون ولا يرجعون
فان الله وانما اليه راجعون وفي خروج النساء الى القبور من الكشفة ما قد
تقدم وان النساء كنهن في بيوتهن لا يحتملن في مكان الرجال في القبور
صاروا نساء فاذا دخلوا البادر جمعوا رجالا يستحي منهم فيها

(فصل ل) ثم انظر رحمنا الله تعالى واياك الى نكاحية هذا العدو
اللعين بل بعضهم لا يفتقر الى وسوسته اذا فهم شيئا طين الانس وقد قررنا
وأصلوا أن كل زمان فاضل يشغلونه في الغالب بارتكاب المكروهات
والمحرمات وهو الاكثر لا ترى ان خروج النساء الى القبور وفيه من
المكروهات والمحرمات ما تقدم ذكر بعضه مما يعلم وجوده منهن غالبا ولا
يفعل ذلك في الغالب الا في الايام والليالي الشريفة كليا الى الجمع سيما
المقبرة منها فان الفتنة فيها اكثر فاعلموها بالنقيض على عاداتهم الذميمة اذ
أن الليالي المقبرة هي ليالي الايام البيض وهي افضل من غيرها اذا لم تكن من
الليالي المعلوم فضاه فان ذلك مستثنى فان اجتمع الى الايام البيض ولياليها
شيء مما تقدم ذكره من الاشهر أو الايام أو الليالي الفاضلة فتزيد الفضائل
الى فضائل آخر فتتأكد المحرمات ويقع تعظيم الثواب والخيرات لن قام بمحرمة

شي من ذلك كله فلما ان زادت هذه الفضائل قابلتها بضد ما يراهم من على
عوائدهم الذميمة وان كن لم يقصدن ذلك لكن الواقع في الصورة الظاهرة
بالنقيض سواء بسواء فينته كن في الغالب في الجمعة في ثلاثة ايام يوم
الخميس في الخروج الى القبور والجمعة في اقامتهم فيها والسبت
في رجوعهم الى بيوتهم على ما قدم علم وكذلك يوم عاشوراء والعيدين واليلة
النصف من شعبان ~~لكن~~ زادت ليلة النصف من شعبان بسبب الوقود
في الزاوية المتقدمة ذكرها وقد تقدم ما في ليلة النصف من شعبان من الفساد
الكثيرة بسبب الوقود فيها وفي القبور اشنع اذ فيه تفاؤل لمن هنالك من موقى
المسلمين وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقبض الميت بنار فكيف
يفعل ذلك على قبره وأعظم فتنة فيها اجتماع النساء والشبان والرجال
مختلطين واجتماعهم فتنة حيث وجدوا لكن في القبور أشد وأعظم

«(فصل — ل)» ثم انه هم ضموا هذه الثلاثة الايام المذكورة يوم
الاثنين لزيارة السيد الحسين وحضور بعضهم سوق القاهرة لما يقصدون
فيه من الاغراض الله أعلم بها وجمعوا يوم الاربعاء لزيارة الست نفيسة أو
حضور سوق مصر لقضاء حوائجهم على ما يزعمون ويوم الاحد لحضور سوق
مصر أيضا فلم يتركوا الاقامة في الغالب الا يوما واحدا وهو يوم الثلاثاء ان
سلمن فيه من الزيارة لمن يختزن وقد تقدم ان خروج النساء لا يجوز الا لضرورة
شرعية فإين الضرورة الشرعية ولو حكى هذا عن الرجال لكان فيه شناعة
وقبح فكيف به في النساء فان الله وانا اليه راجعون

«(فصل — ل)» ثم انظر رحمنا الله تعالى واياك الى مخالفة الشرع
فانه الاتقي الا بالشر والخير كله في الاتباع ألا ترى ان فتاوى العلماء قد
وقعت بهدم بنيان البيوت التي في القبور على ما سبق فلوا مثلنا أمر الشرع
في ذلك لانسدت هذه المآل كلها وكفى الناس أمرا فبسبب ما هنالك من
البنيان والمساكن وجد من لاخير فيه السبيل الى حصول اغراضه
المخيسة ومخالفة الشرع نسأل الله العافية بمنه ألا ترى الى ما قد قيل من
العصاة أن لا تجذبا ذاهم الانسان بالعصية وأرادها وهل عليها ولم يجدم
يفعلها أو وجدته ولكن لا يجدم كمالا لاجتماع فيه فهو نوع من العصاة

(فكان) البنيان في القبور فيه مفسد (منها) هناك المحرم بخروجهن الى تلك الموضع فيجدن أين يقفن أغراضهن هذا وجه (الثاني) تيسير الاماكن لاجتماع الاغراض الخسيسة فتيسير المساكن هناك سبب وتسهيل لوقوع المعاصي هناك (الآثرى) ان بعضهم يبنى البيت مجاورا للتربة التي تكون له ثم يموت هو وأهله ومعارفه وتنقطع آثارهم وتبقى الديار خالية فيجد من لا خير فيه السبيل الى مراده وقد يمكنه ذلك مع وجود حياة صاحبه بغير ذلك من الوجوه وقد يتقاع بابها فتبقى مأوى للفسقة والاصوص (الثالث) وهو اكبر واشنع مما تقدم ذكره وذلك ان العلماء رجة الله عليهم قد اتفقوا على ان الموضع الذي دفن فيه المسلم وقف عليه مادام منه شيء مما وجد فيه حتى يغنى فاذا فنى حينئذ يدفن غيره فيه فان بقي شيء مما من عظامه فالحرمة قائمة كجميعه ولا يجوز ان يحفر عليه ولا يدفن معه غيره ولا يكشف عنه اتفاقا الا ان يكون موضع قبره قد غصب الآثرى ان العلماء قد اختلفوا فيمن المحدثين وأهمل عليه بعض التراب ثم تذكر ان يا قوتة وقعت في القبر لها قيمة أو نفقة ~~كثيرة~~ فهل يجوز ان يزال ما أهمل عليه من التراب لاخذ ما وقع انتهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اضاءة المسال أو لا يجوز ذلك لاجل حرمة المسلم فلا يجوز الكشف بعد اهلاكه شيء من التراب عليه قولان للعلماء والمحكمة في منع الكشف عنه خشية من أن يكون قد تغير حال الميت عما كان عليه فنعوا ذلك من باب الاسترعليه وقد امتن الله تعالى علينا بذلك في كتابه حيث قال ألم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فالستر في الحياة ستر العورات وفي الممات ستر جيف الاجساد وتغير احوالها فكان البنيان في القبور سبيلا الى خرق هذا الاجماع وانتهاك حرمة موقى المسلمين في حفر قبورهم والكشف عنهم بل ياخذون ما وجدوا من الاموات على اى حال ~~كان~~ من قدم أو طراوة في القفاف فيرمون ذلك في المزابل أو يدفنونه بعض دفن والغالب ان ذلك لا يفعله الا من له شوكة فيعاملون في مواضع القبور البيوت العالية والمراحيض والسرايات وينقلون الموقى وفيهم العلماء والاولياء والاشراف وغير ذلك ويحتمل أن يكون فيهم بعض الصحابة من ~~كان~~ مع عمرو بن العاص رضى الله عنهم لانهم ماتوا بمصر فيعاملون في

مواضعهم السرايات التي للاراحيض فتعم الاذية لمن نقل من موقى المسلمين
ومن لم ينقل لقوة سريان النجاسة المنبعثة اليهم في قبورهم وقد يفيل ذلك
من لاشوكة له ويسكت له لاعادة الذميمة الجارية فيهم وبينهم وقد رأيت
ذلك عيانا حفر بعض الناس من لاشوكة له موضع قبور المسلمين فرأيت
الفعله وهم ينقلون عظام الموقى من قبورهم فيرمونها في موضع آخر حتى ينى
دار عظيمة على زعمهم وحماما واسطبلابا وخواصا للسبيل على زعمه بل
ارتكب بعض من له شوكة أمر اعظيما هو أشد مما ذكر وهو أنهم يجعلون
من يباشرفيش أموات المسلمين من قبورهم الاسارى من كفسار الا فرنج
وغيرهم فيأخذون عظام الموقى في القفف بعد حفرهم عليهم بأذية ونسكابة
وحسيفة فيكسرون العظام ويخرقون حرمة أهل الاسلام وقد قال عليه
الصلاة والسلام كسر عظام المسلم ميتا ككسر محيا انتهى ثم اذا أخرجوا
العظام في القفف ايرمونها يتضاكون على ذلك ويستترئون وقد ينادى
بعض الاسارى على القفة التي معه فيها عظام موقى المسلمين وكأنه يبيع
شيئا يقول قفة بربع قفة بربع فلوس قفة بفلوسين الى غير ذلك من
استهزائهم وكيف لا وهم أعداء الدين وقد وجدوا السبيل الى الجهاد على
زعمهم فانتهم كوا ذلك وما بات خوامرهم بما لا يؤمنه (فانظر) رحمنا الله
واياك الى هذه المفسدة ما أعظم قبحها وما أشنعها وارتكب خرق الابحاح
فيها كل ذلك سببه تسامح بعض علماء الوقت في النهى عن البنيان في القبور
ووقع ذلك لولاء الامور بل بعض من ينتسب الى العلم والفتوى وغير ذلك من
المناصب الدينية والوصول الى ارباب الامور وتجدهم فيها مواضع عالية عظيمة
عندهم وتشبهوا في ذلك بمن لا علم عنده بل يقف بعض من ينتسب الى العلم
والفتوى على ترهيم الارقاف على القراء والفقراء والذاكرين على ما تقدم
يسانه وقد تقدم بعض حالهم فيما يقسمونه من تلك الطرق الرديئة التي
أحدثوها وغير ذلك ويعفون على طلبة العلم والابواب والقيم والمؤذن وعلى
الزيت لوقود المكان (ويمنع) الوقود هناك لوجوه (أحدها) مخالفة السلف
في ذلك (والثاني) ما فيه من التفاؤل للنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن
يتبع الميت بنا فليغيبه أن يفعل ذلك على قبره (والثالث) اضاءة المسال

الحسيفة بجاه
وسين مهماتين
كالضغينة وزنا
ومعنى اه

وقد تقدم والعجب العجيب من كونهم يفتنون في مجالس علمهم بأن الميت لا يجوز أن ينش وهو في قبره ولا أن يتسبب في ذلك ثم إن بعضهم يفعل ما تقدم ذكره من المراحض والفساق المملوءة بالماء للاستعمال ثم يقفون على ذلك وقفا فيكون الوقف في الحقيقة على من يقول عليهم وينحسهم فيجد أكثرهم دورهم أكثر تنجيسا لزيادة الاجتماع عنده من القراء والفقراء وقومة المكان ومن كان يأتي اليهم وإلى زيارتهم على ما تقدم ذكره (فاذا) علم ما ذكره وتحقق بمشاهدته عيانا بطل اذ ذلك الوقف لأن الوقف لا يصح إلا أن يكون قربة في نفسه وهذا كما تراه منافا للقربة قطعاً فإن القربة وفيه ما تقدم ذكره مع أنهم لم يقتصروا على ما ذكر بل يتفخرون في ذلك حتى في صفة الرخام الذي يفرشونه حول القبر وعليه (وأما) ببيان القبر والاعادة المنقوشة والسقوف المذهبة والتصاوير التي في بعضها وغير ذلك فسيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى (ثم أنظر) رحمنا الله وإياك إلى مخالفة الشرع كيف ينعكس مراد من خالفه إلى ضده (الأنرى) أنهم لما وقفوا الاوقاف على من ذكره على ما تقدم بيانه وما قصدوا بالاوقاف الا كثرة الترحم عليهم فلم ان جعلوها على غير وجهها كما تقدم بيانه انعكس عليهم الامر فكان ذلك سبباً لعدم الترحم عليهم والدعاء لهم عن يأتي لزيارة القبور أو يمر بها إذا أنهم محجوبون بتلك القصور والابواب والمحجابين الطواشية وغيرهم كأنهم في الدنيا على حال رياستهم ومفاخرتهم بذلك على غيرهم من المسلمين فاستحبوا ذلك حتى في القبور

(فصل) ثم العجب كيف غاب عنهم أصل الشريعة وعمدتها إذاً الأصل في الشرع الورع وكل أحد فيه على مرتبته والورع بالمرء المسلم عند موته أولى به بل أوجب عليه مما هو في حياته إذ أنه ما بقى له في دار الدنيا إقامة إلا أنفاس يسيرة فيحتاج أن يتأهب للقائه المولى سبحانه وتعالى ولا شيء عنده أفضل من الورع للحديث الوارد عنه عليه الصلاة والسلام لوقتكم حتى تكونوا كالحنايا وصعتم حتى تكونوا كاللاتار ولم يكن لكم ورع حاجز لم يمنعكم ذلك من الناراه (فعكس) هؤلاء الامروجة والمسال من وجهه ومن غير وجهه وغصبوا مواضع قبورهم في المسلمين وهم را حملون لا قول منزل من منازل

الاخرة وينواوشيدوا الديار وغيرهما من مال جمع من الشبهات أو من
المحرام أو هماما عكس نحصا المتقين بل المسلمين والغصب من الكاثر فيها
هو لا حياة فكيف بمساها ولولا في خصوص ما غصبوا حقوق الموتي وينوا فيها
بتلك الأموال المتقدمة ذكرها (وقد) ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال
من غصب شيئا من أرض ما وقع يوم القيامة إلى سبع أرضين اه (ثم انهم)
لم يكتبوا بذلك حتى وقفوا من تلك الجهات المتقدمة ذكرها أو قافا على تلك
المواضع المقصوبة وتسيروا بذلك حتى وقفوا على انبعاث النجاسات على قبور
انفسهم وقبور غيرهم من المسلمين كما تقدم بيانه (ثم) العجب في حكمهم بهذه
هذا الوقف كيف يمكن والمحالة هذه ولم يذكروا الوقف للوقف مصرفا غير
ما وقفه عليه فان يرجع ذلك مع المحكم يبطلانه وذلك مذكور في كتب
الفقهاء

«(فصل ل) فاذا قرر هذا وعلم فلا ينبغي الدخول في تلك المواضع
للترحم ولا المحذور فمن المجازة هناك ولا غيرهما اذ ان تلك المواضع مقصوبة
للموتى المسلمين كما تقدم لأنه ان فعل ذلك فقد ارتكب ما لا ينبغي ومع ذلك
يخرج به عنه ذلك عن أقل مراتب الانكار وهو الانكار بالقلب لنص
الحديث وليس وراء ذلك متقال حجة من خردل من ايمان اه (فان) قال
قائل الانكار هذه الاحمال له اذان من ينكر عليه قد مات فلا فائدة فيه
(فالجواب) ان في ترك الدخول فيه فائدة كبرى اذان فيه ردعا وزجرا لمن
يريد ان يتشبه به من الاحياء (ثم انظر) رحمنا الله تعالى واياك كيفية
تقبيل اللعين ابليل السنن الشريفة لا يجد سنة الا ويعمل على تركها بكيد
وتسويله وتزيينه ثم يبدلها بضدها (الأتري) ان السنة في النساء في حال
حياتهن الاغتفاء والحجاب المنيع ومهما أمكن كان أولى وأوجب وفي حال
الامات لم تفرق السنة بين قبور الرجال والنساء اعني في كيفية القبور ليس
لأحدهما زي يختص به (وانت) ترى حال بعض النسوة اليوم على التقويض
من ذلك فتراهن في حال الحياة يتبرجن في المواضع التي تقدم ذكرها وغيرها
ثم انهن اذا متن يجعلان على قبورهن أعني من قدر منهن فيجعلان في التراب
الحجاب من الطواشبة والبتوابين وغيرهم فلا يدخل أحد من لم يرصوه حتى
يؤذن له فعليه الحجاب بعد الموت وهن في قبورهن عكس الحياة فانتهى

الامر الى انه لا يصل اليهن شئ من بركة من يزور القبر وراؤيتهم عليها او يمر
 بها كما تقدم في حق من يبكر من الرجال وهيئات هيئات ليس الامر كما يزعمون
 لان الملك لا يتقرب اليه الا بالاشئ الذي ليس عنده اعنى انه سبحانه وتعالى
 لا يتصف به ولا يطابق عليه والله عز وجل غنى عن ذلك كله لانه الغنى الكريم
 وانما يتقرب اليه سبحانه وتعالى بالذل والفقر والمسكنة والتواضع فلهذه
 الاماني وما اشبهها هي التي تنزه المولى سبحانه وتعالى عنها وليس للعبد شرف
 ولا تقرب الا بها فان انحزم شئ منها انقص من حاله مع ربه تعالى بقدر ذلك
 فان الله وانا اليه راجعون على عكس الحال كان الناس يقتسدون بالعلماء
 فصار اليوم الامر بالعكس وهو ان من لا علم عنده يرتكب ما لا ينبغي كما تقدم
 ذكره في آتى العالم فيقتسدى به في ذلك وقد تقدم هذا في غير ما وضع فمعت
 الفتنة واستحكمت هذه البلية فلا تجد في الغالب من يتكلم في ذلك ولا من
 يعين على زواله او يشير الى ان ذلك مكروه او محرم (فان قيل) ان من ترحم
 على القبر وراشترك الجميع في ترجمه من كان خلف بنيان او غيره (فالجواب) ان
 قصد الزائر والمسار الترحم على من تربهم ومن رآهم من القبور واما من هو
 خلف حجاب ولم يقصده فلا يصل اليه شئ من ترجمه لانهم زال المدفون بحجاب
 ما بالتربة المشيدة وغيرها اللهم الا ان يعمر بدعائه موقى المسلمين اجمعين من
 غير تعيين لمن فعل هذا الفعل فيدخل فيهم هو وغيره من مات على الاسلام
 (وجه آخر) وهو ان المؤمن مأمور بتغيير المنكر واقل مراتبه بالقلب واذا
 كان كذلك فالؤمن العارف بلسان العلم في المسئلة الغالب عليه ان يتوقى
 الدعاء والترحم لمن قبره على ما وصف لان المكاف مأمور بان يذكر عليهم
 بشرطه ما ينوه وشيده وغصبه موقى المسلمين من مواضع دفنهم ومن دعاهم
 او ترحم عليهم فقد ترك الانكار عليهم لانهم لو علموا ان المسلمين لا يترحمون عليهم
 اذا اتصفوا بما ذكر لا تمنعوا من ذلك (ولهذا المعنى) امرنا بهجران من امرنا
 بهجرانه لعلهم يرجعون (فان) قال قائل هذا في حق الاحياء واما الاموات
 فلا فائدة في هجرانهم بترك الدعاء لهم (فالجواب) ما تقدم من ان المكلف
 العالم بلسان العلم بتعين عليه ان لا يخرج عن اقل مراتب الانكار وهو الانكار
 بالقلب وذلك عام في حق الاحياء والاموات منهم فلا يدع لم (وفي) عدم

الترحم عليهم أيضا فائدة كبرى وهو الردع ان يريد ان يعمل عملهم ويحذو
 حذوهم ولو في بعض الناس والله الموفق (فن) كان يا كيا فليكن اليوم على
 هذا الحال لعله يحصل له عوضا من ذلك ثواب التأسف والتحسر على ما فاتته
 من الخير والاعانة عليه فلهذه يكتب من خبرهم اذ ان من أحب قوما كما ينبغي
 شرعا الحق بهم ولم تزل الا كابر راحة الله عليهم بوصون عندهم ومنهم بان يدقنوا
 على طريق المسلمين لكي يصل اليهم بركة من يمر بهم من المسلمين فمن يترحم
 او يستغفر والله الموفق (وقد) خرجنا عن كتاب صدد من فعل المولد بالقبور
 ووقع الكلام على بعض مسائلها (ثم) نرجع الآن الى ما كتابه سيدي به من ذكر
 شيء من مسائل المولد (فن) ذلك ان بعضهم يتورع عن فعل المولد بالانسان
 المتقدم ذكرها ويحذر عن ذلك القراء والفقراء الذين يذكرون مجتمعين
 برفع الاصوات والمهتوك كما علم من عادة القراء في هذا الزمان وكذلك الفقراء
 وقد تقدم الدليل على منع ذلك في غير المولد فكيف به في المولد وقد تقدم انه
 اذا اطعم الاخوان ليس الابنية المولد ان ذلك بدعة فكيف به هنا فن باب
 اخرى المنع منه وقد يحصل في هذا من المفسد بعض ما تقدم ذكره او أكثر
 او مثله (وبعضهم) يتورع عن هذا ويعمل المولد بقراءة البخاري وغيره
 عوضا عن ذلك وهذا وان كانت قراءة الحديث في نفسها من اكبر القرب
 والعبادات وفي البركة العظيمة والخير الكثير لكن اذا فعل ذلك بشرطه
 اللائق به على الوجه الشرعي كما ينبغي لا بدنية المولد الا ترى ان الصلاة من
 اعظم القرب الى الله تعالى ومع ذلك فلو فعلها انسان في غير الوقت المشروع
 لما كان مذموما مخالفا فاذا كانت الصلاة بهذه المثابة فأيالك بغيرها
 (فصل) ومنهم من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم والكن له فضة عند الناس
 متفرقة مكان قد اعطاها في بعض الافراح والمواسم ويريد ان يستردها
 ويستقي ان يعاين ابداءه فيعمل المولد حتى يكون ذلك سببا لاخذ ما اجتمع له
 عند الناس (وهذا) فيه وجود من المفسد (أحدها) وهو اشدها انه يتصف
 بصفة النفاق وهو انه يظهر خلاف ما يبطن اذ ظاهر حاله انه عمل المولد بدنية في
 به الدار الا نخوة وباطنه انه يجمع به فضة (ومنهم) من يعمل المولد لاجل جمع
 الدراهم وهم على قسمين وكل قسم منهم على قسمين (فالقسم الاول) ان

تكون له دنيا ويتظاهر بأنه من الفقهراء المساكين فيعمل المولد لتزويد دنياه بمساعدة الناس له فيزداد هذا فسادا على الفساد المتقدّم ذكرها ووجه آخر من الفساد وهو أنه من الأول أنه يطالب بذلك ثناء الناس عليه والنفس تحب المحامد كثيرا وهذا فيه ما فيه (القسم الثاني منه) وهو أن يكون له مال إلا أنه ممن يخاف الناس من أساقفه وشرفه فيعمل المولد حتى يساعد الناس تقية على أنفسهم وأعراضهم فيزداد من الخطام بسبب ما فيه من الخصال المذمومة شرعا وهذا أمر خطر لأنه زاد على الأول أنه ممن يخاف من شرفه ومعدود بفعله من الطائفة (القسم الثاني) من التقسيم الأول وهو أن يكون ضعيف الحال فيريد أن يتسع حاله فيعمل المولد لأجل ذلك (الثاني منه) أن يكون من الفقراء لئلا يظن له لسان يخاف منه ويتقوا لأجله فيعمل المولد حتى يحصل له من الدنيا ما يمشى به ويتقيه حتى أنه لو تعذر من حضور المولد الذي يفعله أحد من معارفه لمحل به من الضرر ما يتشوش به وقد يؤول ذلك إلى العداوة أو الوقوع في حقه في محافل بعض ولاية الأمور قاصدا بذلك حط رتبته بالوقعة فيه أو نقص ماله إلى غير ذلك مما يقصده من لا يتوقف على مراعاة الشرع الشريف وقد قال عليه الصلاة والسلام إن من شر الناس منزلة عند الله تعالى من اتقاء الناس لشرفه أو كما قال عليه السلام ثم مع ذلك تتشوف نفسه إلى التنازل والمدح كما تقدّم فهذا الذي ذكر بعض الفساد المشهورة المعروفة وما في ذلك من الدسائس ودخول وساوس النفوس وشياطين الانس والمجن بما يتعذر حصره فالسعيد السعيد من أعطى قيادته للاتباع وترك الأبرار وفقنا الله تعالى لذلك بمنه (فصل) فان قال قائل ما الحكمة في كونه عليه الصلاة والسلام خص مولده الكريم بشهر ربيع الأول ويوم الاثنين منه على الصحيح والمشهور عند أكثر العلماء ولم يكن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر واختص بفضائل عديدة ولا في الأشهر المحرم التي جعل الله لها الحرمات يوم خالق السموات والأرض ولا في ليلة النصف من شعبان ولا في يوم الجمعة ولا في ليائها (فالجواب) من أربعة أوجه (الوجه الأول) ما ورد في الحديث من أن الله تعالى خالق النجوم يوم الاثنين انتهى وفي ذلك تنبيه

عظيم وهو أن خلق الأقوات والارزاق والفواكه والخيرات التي يتغذى بها
بنو آدم ويحيون ويتداون وتشرح صدورهم لرؤيتها وتطيب بها نفوسهم
وتسكن بها خواطرهم عند رؤيتها لا طمئنان نفوسهم بتحصيل ما يبقى
حياتهم على ما جرت به العادة من حكمة الحكيم سبحانه وتعالى فوجوده صلى
الله عليه وسلم في هذا الشهر في هذا اليوم قرعة عين بسبب ما وجد من الخير
العظيم والبركة الشاملة لأئمة صلوات الله عليه وسلامه (الوجه الثاني)
أن ظاهره عليه الصلاة والسلام في شهر ربيع فيه إشارة ظاهرة أن تفتن
اليها بالنسبة إلى اشتقاق لفظة ربيع إذ أن فيه نقاؤا لحسنات يشارتها لأئمة
عليه الصلاة والسلام والتفاؤل له أصل أشار إليه عليه الصلاة والسلام
(وقد) قال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله - كل إنسان من
اسمه نصيب هذا في الأشخاص وكذلك في غيرها وإذا كان كذلك ففصل
الربيع فيه تنشق الأرض عما في باطنها من نعم المولى سبحانه وتعالى وازراقه
التي بها قوام العباد وحياتهم ومعايشهم وصلاح أحوالهم فينتفخ الحب
والنوى وأنواع النبات والأقوات المقدرة فيها فيبتدع الناظر عند رؤيتها
وتبشره بلسان حالها بتقدم ربيعها وفي ذلك إشارة عظيمة إلى الاستبشار
بابتداء نعم المولى سبحانه وتعالى ألا ترى أنك إذا دخلت بستانا في مثل هذه
الأيام تنظر إليه كأنه يضحك لك وتجد زهره كأن لسان حاله يخبرك بما لك من
الارزاق المدخرة والفواكه وكذلك الأرض إذا ابتدع نوارها كأنه يحدثك
بلسان حاله كذلك أيضا (فولده) عليه الصلاة والسلام في شهر ربيع فيه
من الاشارات ما تقدم ذكر بعضه وذلك إشارة ظاهرة من المولى سبحانه
وتعالى إلى التنويه بعظيم قدر هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأنه
رحمة للعالمين وبشرى للمؤمنين وحماية لهم من المآلئ والمخاوف في الدين وسماحة
للكافرين بتأخير العذاب عنهم في الدنيا لاجلهم صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وكيف) لا يكون ذلك والخبر كاه في الاتباع
وإدراهم المولى سبحانه وتعالى إنما يكثر عند الامتثال لأمره واتباع سنن
أنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه ومخالفة العدو واللعين وجنوده (الآثر)
أنه عليه الصلاة والسلام حين خروجه إلى هذا الوجه ولم يقدر اللعين ابليس

وجنوده على القرار في هذه الارض ولا في الثانية ولا في الثالثة الى ان نزلوا
الى الارض السابعة فخلت الارض منهم ببركة وجوده صلى الله عليه وسلم
فيها (فانظر) رحمة الله تعالى وابالك الى خلق الارض من هذا اللعين وجنوده
(وقد ورد) في شهر رمضان انهم يقيدون فابن التقييد من تقيهم بالكيفية الى
تقوم الارض السابعة وفي هذا اشارة عظيمة دالة على كرامته عليه الصلاة
والسلام عند ربه والاعتناء به وعن تبعه (فان قيل) ان شهر رمضان تقيد
الشياطين في جميعه (فلا شك) ان تقيهم الى الارض السابعة السفلى في يوم
مولده عليه الصلاة والسلام اعظم من تقييدهم في شهر رمضان كله اذ فيه
ظاهر من بركة الوقت الذي خلقت الارض من العبد وجنوده فيه فليقهم من
يفهم والله الموفق فوقعت البركات وادار الارزاق ومن أعظمها منة الله
على عباده بهذا يومه عليه الصلاة والسلام لهم الى صراطه المستقيم أسأل الله
تعالى ان يعرفنا ببركته ذلك بمنه ويرزقنا اتباعه دينا ودنيا وآخره بفضل
لارب سواه آمين (الوجه الثالث) ما في شريعته عليه الصلاة والسلام من
شبه المحال الا ترى ان فصل الربيع اعدل الفصول وأحسنها اذ ليس فيه
برد مزعج ولا حر مفاق وايس في اياله ونهاره طول خارق بل كله معتدل
وفصله من العالم من العالى والامراض والعوارض التي يتوقعها الناس في
أبدانهم في زمان الخريف بل الناس تنتش فيه قواهم وتصالح امرجتهم
وتتشريح صدورهم لان الابدان يدركها فيه من امداد القوة ما يدرك النبات
حين نحووجه اذ منها خلقوا في طيب ايامهم للاقيام ونهارهم للصيام لما تقدم من
اعتداله في الطول والقصر والحر والبرد فكان في ذلك شبه المحال بالشرعية
السجدة التي جاء بها صلوات الله عليه وسلامه من رفع الاصغر والاغلال
التي كانت على من كان قبلنا وقد نطق القرآن بذلك حيث يقول
سبحانه وتعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجذونه ~~مكتوبا~~
عندهم في التوراة والانجيل يا امرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبيثات ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم (الوجه الرابع) انه قد شاء الحكيم سبحانه وتعالى ان يكون عليه الصلاة
والسلام تتشرف به الازمنة والاماكن لاهو يتشرف بها بل يحصل للزمان

والسكان الذي يباشره عليه الصلاة والسلام الفضيلة العظمى والمزية على
 ما سواه من جانيه الا ما استثنى من ذلك لاجل زيادة الاعمال فيها وغير ذلك
 فلو ولد صلى الله عليه وسلم في الاوقات المتقدمة ذكرها لكان ظاهره يومه انه
 يتشرف بها فجعل الحكيم جل جلاله مولده صلى الله عليه وسلم في غيرها
 ليظهر عظيم عنايته سبحانه وتعالى به وكرامته عليه وقد تقدم ما في قوله عليه
 الصلاة والسلام للسائل الذي سألته عن صوم يوم الاثنين فقال صلى الله
 عليه وسلم ذلك يوم ولدت فيه ولما ان صرح صلى الله عليه وسلم بقوله في يوم
 الاثنين ذلك يوم ولدت فيه علم بذلك ما اختص به يوم الاثنين من الفضائل
 وكذلك الشهر الذي ظهر فيه صلى الله عليه وسلم (فان) كان يوم الجمعة فيه
 ساعة لا يصادفها عيدهم صلى الله عليه وسلم يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه اياه وقد قال
 الامام ابو بكر الفهرى المشهور بالطرطوشى رحمه الله تعالى معظم العلماء
 والاختيار انها بعد صلاة العصر الى غروب الشمس وقوى رحمه الله ذلك
 بحديث قال في كتابه رواه مسلم في الصحيح وذكر فيه ان آدم خالق بعد العصر
 من يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات الجمعة ما بين العصر الى الليل انتهى
 لان آدم عليه السلام هو ساكن الدار وهو المراد بالخطاب اذ ان الدار لا تتراد
 لنفسها بل اسما كنها قال وقد كانت فاطمة رضى الله عنها اذا صلت العصر
 من يوم الجمعة تستقبل القبلة وتقبل على الذكر والدعاء ولا تكلم أحدا
 حتى تغرب الشمس وتقول ان الساعة المذكورة هي في ذلك الوقت وتؤثر
 ذلك عن أبيها صلى الله عليه وسلم لم فاذا كانت تلك الساعة التي وجد فيها
 آدم عليه السلام لا يصادفها عيدهم صلى الله عليه وسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه اياه
 (فلا شك) ان من صادف الساعة الذي ظهر فيها عليه الصلاة والسلام الى
 الوجود وهو يسأل الله تعالى شيئا انه قد نجح سعيه وظفر بمراده اذ ان المعنى
 الذي فضل الله تعالى به تلك الساعة في يوم الجمعة هو خالق آدم عليه السلام
 فسا بالاك بالساعة التي ولد فيها سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم قال
 عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال عليه الصلاة والسلام
 آدم من دونه تحت لوائى انتهى ووجه آخر ان يوم الجمعة فيه اهبط آدم
 وفيه تقوم الساعة ويوم الاثنين خير كله وأمن كله فلهذا الحمد والمنة (فان)

قال قائل قد خص يوم الجمعة بالصلاة الجمعة والخطبة وغير ذلك مما هو مختص به (فالجواب) ما تقدم من أنه عليه الصلاة والسلام ما يخصه في نفسه الكريمة يخفف فيه الأمر عن أمته فلا يكلفهم فيه زيادة عمل لأن المولى سبحانه وتعالى لما أن أخرجهم إلى الوجود في هذا اليوم المعين لم يكلف الأمة فيه زيادة عمل أكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتخفيف عن أمته بسبب عنايته وجوده فيه قال الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل وما أرسنا لك الأمانة للعالمين فهو عليه الصلاة والسلام رجة للعالمين عموما ولا خاصة خصوصا ومن جملة ذلك عدم التكليف كما تقدم (وقد) نقل الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى في كتاب المدلال أنه ما هذا الغلط أن الله عز وجل لم يخلق خلقا أحب إليه من هذه الأمة ولا أكرم عليه من فيها صلى الله عليه وسلم ثم النبيين بعده ثم الصديقين والأولياء المختارين وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم قبل خلق آدم بألفي عام وجعله في عمود أمام عرشه يسبح الله وبقده ثم خلق آدم عليه السلام من نور محمد صلى الله عليه وسلم وخلق نور النبيين عليهم السلام من نور آدم عليه السلام اه (وقد) أشار الفقيه الخطيب أبو الربيع في كتاب شفاء الصدور له إلى أشياء جلية عظيمة (فيها) ما روى أنه لما شاء الحكيم خلق ذاته صلى الله عليه وسلم المباركة الماهرة أمر سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام أن ينزل إلى الأرض وأن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها قال فهبط جبريل عليه السلام وملائكة الفردوس وملائكة الرقيق الأعلى وقبض قبضة من موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بيضاء منيرة فجنحت بماء التسميم وغتمت في مهبين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء ولها نور وشامع عظيم حتى طافت بها الملائكة حول العرش وحول الكرسي وفي السموات والأرض وفي الجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وفضله قبل أن تعرف آدم عليه السلام فلما خلق الله آدم عليه السلام وضع في ظهره قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع آدم في ظهره نشيدا كنشيد الطير فقال آدم يا رب ما هذا النشيد قال هذا تسبيح نور محمد عليه السلام خاتم الأنبياء الذي أخرجته من ظهرك فخذ به هدي ومبثاق

ولا تودعه الا في الارحام الطاهرة فقال آدم يا رب قد اخذته بهمه ذلك
وميثاقك ولا اودعه الا في الماهرين من الرجال والمهصنات من النساء فكان
نور محمد صلى الله عليه وسلم يتلأل في ظاهر آدم وكانت الملائكة تقف خلفه
صفوفاً ينظرون الى نور محمد صلى الله عليه وسلم ويقولون سبحان الله استحسنانا
لما يرون فلما رأى آدم ذلك قال أي رب ما بال هؤلاء يقفون خلفي صفوفاً
فقال الجليل سبحانه وتعالى له يا آدم ينظرون الى نور خاتم الانبياء الذي
أخرجه من ظهرك فقال أي رب أرنيه فأراه الله اياه قائماً من به وصلى عليه
مشيراً بأصابعه ومن ذلك الاشارة بالاصبع بلا اله الا الله محمد رسول الله في
الصلاة فقال آدم رب اجعل هذا النور في مقدمي كي تستقبلاني الملائكة
ولا تستدبرني فجعل ذلك النور في جبهته فكان يرى في غرة آدم دائرة كدائرة
الشمس في دوران فلكها أو كاليد في عمامه وكانت الملائكة تقف أمامه
صفوفاً ينظرون الى ذلك النور ويقولون سبحان الله ربنا استحسنانا لما يرون ثم
إن آدم عليه السلام قال يا رب اجعل هذا النور في موضع أراه فجعل الله
ذلك النور في سبأته فكان آدم ينظر الى ذلك النور ثم إن آدم قال يا رب هل
بقي من هذا النور شيء في ظهري فقال نعم بقي نور أصحابه فقال أي رب اجعله
في بقية أصابعي فجعل نور أبي بكر في الوسطى ونور عمر في اليمنى ونور عثمان في
المخضرم ونور علي في الأبهام فكانت تلك الانوار تتلأل في أصابع آدم
مادام في الجنة فلما صار خليفة في الارض انتقلت الانوار من أصابعه الى ظاهره
اه (وفيه) ايضاً ان أول ما خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم فأقبل ذلك
النور وتردد بين يدي الله عز وجل فقسمه الله تعالى على أربعة
أجزاء فخلق من الجزء الاول العرش ومن الثاني القلم ومن الثالث اللوح ثم
قال للعلم اجروا كتب فقال يا رب ما كتب قال ما أنا خالقـه الى يوم القيامة
فجرى القلم على اللوح وكتب حتى أتى على آخر ما أمر الله سبحانه وتعالى به
وأقبل الجزء الرابع وتردد بين يدي الله تعالى ويهجد لله عز وجل فقسمه
الله أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول العقل ومن الثاني المعرفة وأسكنها في
قلوب العباد ومن الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الابصار والجزء
الرابع جعله الله حول العرش حتى خلق آدم عليه السلام فاسكن ذلك النور

فيه فنور العرش من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور القلم من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور اللوح من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور النهار من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور العقل من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور المعرفة ونور الشمس ونور القمر ونور الابصار من نور محمد صلى الله عليه وسلم اه (وقد ورد) في هذا المعنى كثير من اواده فليقف عليه في كتاب الشفاء لابي الربيع (ولاجل) هذا المعنى قال آدم عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم فيما نقل بالاباء معنای ويا ابن مودنى (وقد روى) الترمذى عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قالت يا رسول الله منى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد انتهى فائين) كان شهر رمضان اختص ببلية القدر وعظيم قدرها المشهور المعروف وان فيها يفرق كل امر حكيم على الراجح وان قيامها يبدل عبادة الف شهر ليس فيها ليلة القدر في اشق العبادات وهو الجهاد في سبيل الله تعالى (وعلم) ذلك كله حصل لنا باخباره عليه السلام وفضيلة الاوقات تنقيهاها منه وعنه عليه الصلاة والسلام وشهر ربيع ويوم الاثنين وابلته علمنا افضل ذلك كله بظهوره عليه الصلاة والسلام فيها هو صلى الله عليه وسلم قطب دائرة الكون والذي خالق الوجود لاجله والذي فضلت الاوقات ببركته والذي خصت أمته ببلية القدر من أجله والذي يؤيد ما نحن بسيد له ما ورد من مناخلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعبد الله بن عباس رضى الله عنه حيث يقول له أنت القائل مدة خير من المدينة فقال له رضى الله عنه هي حرم الله وأمنه وفيها بيته فقال أمير المؤمنين رضى الله عنه لا أقول في حرم الله ولا في بيته شيئا أنت القائل الى آخره ثلاث مرات ومن المتن قال محمد بن عيسى ولو أقر له بذلك لضربه يريد لا دبه على تفضيل مكة على المدينة لاعتقاده تفضيل المدينة على مكة أو هو يرى ترك الاختياف تفضيل احدهما على الاخرى الا أن الوجه الاقول أنها رياسة من أخذ الهبة في ذلك دون تكبير فهذا امر يحج من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأن المدينة افضل من مكة (ومن) كتاب مسند وطأ مالك بن أنس لابي القاسم عبد الرحمن الغافقي الجوهري باسناده الى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال افتتحت القرى بالسيف وافتتحت المدينة

الغافقي نسبة
الى غافق حصن
بالاندلس اه

بالقرآن (ومنه) بإسناده الى عروة بنت عبد الرحمن قالت تسكاهم مروان يوما على المبرقة كرمكة وأطرب في ذكرها ولم يذكروا المدينة فقام رافع بن خديج فقال مالك يا هذا ذكرت مكة وأطربت في ذكرها ولم تذكر المدينة وأشهد أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقول والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون اه مع انه قد خص بعض العلماء بموم هذا الحديث وما أشبهه فقال انها خير من مكة في كثرة الرزق وبركة الثمار وهذا رده قوله صلى الله عليه وسلم لا يصبر على لا وثأها وشدتها أحدا الا كنت له شقيا أو شهيدا يوم القيامة ومعنى لا وثأها والجوع والشدة على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ومن حيث المعنى فبعد ان يحمل قوله عليه الصلاة والسلام على كثرة الله رآه وهو عليه الصلاة والسلام المشرع والمبين عن الله تعالى مراده وما هو الا فضل عند ربه والا على والا خص وكيف يمكن ان يخص بموم الحديث والمدينة قد أشتمت واختصت بالنبي صلى الله عليه وسلم حيا وميتا على ما تقدم وما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى (وقد) نقل الامام زين رحمه الله تعالى في كتابه الذي جمع فيه الكتب الصحاح وذكروا في باب فضل المدينة على ساكنها الفضل الصلاة والسلام ما هذا الغطاء عن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا وقبر يحمي بالمدينة فأطاع رجل في القبر فقال بئس مضجع المؤمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما قلت فقال الرجل اني لم أرد هذا انما أردت القتل في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مثل القتل في سبيل الله ما على الارض بقة أحب الى ان يكون قبري بها من انما لنا انتهى (فانظر) رجنا الله تعالى واياك الى ما احتوى عليه هذا الحديث من الفوائد الجملة والاسرار البينة وذلك ان المدينة بحاوله صلى الله عليه وسلم فيها حصوات لها هذه الخاصية العظيمة (الأتري) انه عليه الصلاة والسلام عاب قول القائل بئس مضجع المؤمن بقوله عليه الصلاة والسلام بئس ما قلت ففهموه ان ذلك خير مضجع المؤمن ثم أكد ذلك عليه الصلاة والسلام بعبارة بعبارة حين قال الرجل انما أردت القتل في سبيل الله فقال عليه الصلاة والسلام ولا مثل القتل في سبيل الله وقد جاء في القتل في سبيل الله من

الفضائل ما هو معلوم مثل قوله تعالى ولا تصحبين الذين قتلوا في سبيل الله
 أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين الآية ومن ذلك قوله عليه الصلاة
 والسلام وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيى فأقتل ثم أحيى فأقتل
 وفضائله كثيرة متعددة مشهورة ثم انه عليه الصلاة والسلام فضل المدفن
 فيها نفسه الكريمة ولا غيره على القتل في سبيل الله تعالى على ما فيه من
 الفضائل والخصوصية العظمى هذا هو عليه الصلاة والسلام على ظهرها
 فكيف بعد أن حل في جوفها فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فلا يمكن
 أن تحصر فضيله ذلك ولا يدرك قدرها (ومن الموطأ) ان مولاة عبد الله بن
 عمر رضى الله عنه أتته في الغتة فقالت اني أردت بالخروج يا أبا عبد الرحمن
 اشتد علينا الزمان فقال لها عبد الله بن عمر أقعدى الكراع فاني سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر على لا تراها وشدتها أحد الا كنت له
 شفيعا أو شهيدا يوم القيامة اه قال الباجي قال عيسى بن دينار هو شك من
 الحديث ولا تراها هو المجوع والشدة وتعذر الكسب والشدة يحتمل ان
 يريد بها اللانواء ويحتمل ان يريد بها كل ما يشتد بساكنها وتعظم مضرت
 وقوله شفيعا الشفاعة على قسمين عند كثير من أهل السنة وهي شفاعة في
 زيادة الدرجات لمن دخل الجنة وشفاعة في الخروج من النار خاصة وقوله
 أو شهيدا يحتمل ان يريد به انه شهيد له بالمقام الذي فيه الاجر ويقتضى ذلك
 ان لشهاده في فضل في الاجر واحباط الاوزر فانه لا شك ان سكناه في المدينة
 والبقاء بها يثبت له ويوجد ثابتا في جملة حسناته الا ان شهادة النبي صلى الله
 عليه وسلم زيادة في الاجر وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في قتلى أحدانا
 شهيد على هؤلاء يوم القيامة والله أعلم وهذا الحديث يقتضى ان فضيلة
 استيطان المدينة والبقاء بها باقية بعد النبي صلى الله عليه وسلم اه (وهذا
 المعنى) قريب مما جاء في الصائم من قوله تعالى على لسان نبيه عليه الصلاة
 والسلام كل على ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به (واذا) كان له
 سبحانه وتعالى وهو المجازي عليه فلا يدرك قدره ولا تحيط به العقول وفيما نحن
 بسبيله شبه من ذلك لان يحملوه عليه الصلاة والسلام في البادعت ببركته
 مجيع من دفن فيها ومن لم يدفن ببركته للأحياء معلومة وكذلك للاموات

(الأتري) الى قوله عليه الصلاة والسلام من استطاع ان يموت بالمدينة
فأبى بها فاني أشفع ان مات بها فلم يكتب عليه الصلاة والسلام في فضيلتها
بما بينه وصرح به أقول الحديث حتى قال ما على الأرض بقعة أحب الى ان
يكون قبري بها منها ثلاثا وذلك يقتضى العموم في المدينة كلها ثم انظر رجونا
الله تعالى وإياك الى بعض سر تذكيره ذلك ثلاثا اذ أنه عليه الصلاة والسلام
كان من عادته الكريمة اذا اراد ان ياتي امره خطر وبال كره ثلاثا فهذا
دليل واضح على الاعتناء بالمدينة وما قاربها وما خصها الله تعالى به من
الفضائل العظيمة والبركات الشاملة العظيمة اذ أنه عز وجل يقول في كتابه
العزير حاكيا عن حاله عليه الصلاة والسلام وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى غاية فضله عليه الصلاة والسلام ويعظمه اغاه ومن جهة ربه
سبحانه وتعالى فأي باد و أي بقعة تصل الى هذا المقام (ومنها) اذكر صاحب
البيان والتقريب فيه والقاضي في المعرنة وتدخل كلامه ما من قوله عليه
الصلاة والسلام على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون
ولا الدجال ولم يأت مثل ذلك في مكة (ومنها) قوله عليه الصلاة والسلام
والمدينة خير لم لو كانوا يعلمون ولم يذكر ذلك في مكة (ومنها) قوله عليه
الصلاة والسلام المدينة كالكعبة تنفي خبثها وينصع طيبها ولم يأت مثل ذلك
في مكة (وأوضحها) قوله عليه الصلاة والسلام اللهم ان ابراهيم دعاك
لمكة وأنا ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ومثله معه ودعاء النبي
صلى الله عليه وسلم أفضل من دعاء ابراهيم لان فضل الدعاء على قدر فضل
الداعي (ومنها) قوله عليه الصلاة والسلام اللهم حبب اليك المدينة كحبنا
مكة أو أشد ومحبة لنا وبارك لنا في مدنها وصاعها واتقل حياها فاجعلها
بالمحبة ولا يجوز ان يسأل ربه ان يحب اليه الا دون على الأعلى (ومنها)
ما استقر عند السلف رضى الله عنهم حتى قال عمر من كانا على من يحاط به
أنت القائل مكة خير من المدينة ثلاثا وقد تقدم (ومنها) قوله عليه الصلاة
والسلام لا يخرج من المدينة احد رغبة عنها الا أبدلها الله خيرا منه
(ومنها) قوله عليه الصلاة والسلام أمرت بقربة تا كل القرى يقولون يترب
وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكبر خبث الحديد ولا معنى لقوله تا كل

قوله ويصنع بفتح
فكون ففتح أى
مخاص وقوله طيبها
بفتح الطاء وتشديد
الياء المكسورة اهـ

قوله ليارز بسكون
الهمزة وكسر
الراء أي يجمع اه

القرى الأرجح أن فضاهما أيها وزادتها على غيرها (ومنها) قوله عليه الصلاة والسلام أن الإيمان ليارز إلى المدينة كما تارز الحية إلى حجرها وتخصيصه إياها بذلك لفضلهما على جميع البقاع التي لا يوجد هذا المعنى فيها ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخلوق منها وهو خير البشر فترتبة أفضل الترتيب ولأن فرض الهجرة إليها يوجب كون المقام بها طاعة وقربة والمقام بغيرها ذنبا ومعصية وذلك دال على فضاهما على سائر البقاع انتهى كلامهما (فلما) أن علم عليه الصلاة والسلام أن أحب البقاع إلى ربه هذه البقعة أحب أن يدفن فيها إذ أنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم له شيء قط يفضل له نفسه الكريمة بل بحسب ما فضله ربه عز وجل (وقد تقدم) قوله عليه الصلاة والسلام جوابا للنساء حين تكلمن معه في تفضيله عائشة رضي الله عنها عليهن رضي الله عنهن فأجابهن عليه الصلاة والسلام بقوله أنه لم يوح إلى في فراش أحد أكن إلا في فراشها فكان عليه الصلاة والسلام بفضل الأشياء بحسب ما فضلهما الله تعالى وهذا التنبيه كاف (ومذهب) علماء المدينة رجحهم الله تعالى أنها أفضل من مكة وأن الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة في مسجد مكة بدون الألف وإنها تفضل غيرها من المساجد بالآلاف إلا المسجد الأقصى فإن الصلاة فيه بمائة صلاة للحديث الوارد فيه وهو مشهور معروف (وبقول) علماء المدينة قال الإمام مالك رحمه الله تعالى أن المدينة أفضل من مكة وإن كانت مكة شرفها الله تعالى فاضلة في نفسها فاذن فضائل المدينة (وقد جاء) في تفضيل مكة النصوص الكثيرة وكفى بها من الفضيلة أنها مطلع شمس النبي عليه الصلاة والسلام وفيها نبي وأوحى الله تعالى إليه ومنها أسرى به إلى قاب قوسين أو أدنى إلى غير ذلك مما اختصت به فحصلت لها الفضيلة العظمى به عليه الصلاة والسلام وبمن قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (أكن) جرت حكمة الحكيم سبحانه وتعالى أن جعل نبيه عليه الصلاة والسلام متبوعا وإن الأشياء كلها تتشرف به ويعلم قدرها وفضلها بسببه كما تقدم فلما أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وظاهر أمره بها حتى انتقل منها إلى ربه لم يكن قد توههم أنه تشرف بمكة فيمكن أن يقال عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ليخصه الله تعالى ببلاد

وحده وحرم! ومسجد وروضة ووفود تسير اليه عليه الصلاة والسلام وهذا
جار على قاعدة الفرض الذي لا يتم الاسلام الا به وهو شهادة أن لا اله الا الله
وأن محمدا رسول الله فلو اقتصرا على الشهادة لله تعالى بالوحدانية
ولم يقر له عليه الصلاة والسلام بالرسالة لم يصح له اسلام ولا ايمان فلم يصح
التوحيد الا مع الاقرار له عليه الصلاة والسلام بالرسالة فاجعل الله
عز وجل من المواضع المذكورة اليه سبحانه وتعالى وفضاها بذلك جعل
لنبيه صلى الله عليه وسلم مقابلاتها فالوفود تسير من كل الاقفاق الى البيت
العتيق وكذلك تسير الى زيارته عليه الصلاة والسلام ولما أن جعل سبحانه
وتعالى البيت العتيق حراما جعل لنبيه صلى الله عليه وسلم حرمات قابله ولما أن
جعل المسجد الحرام له فضيلة في الصلاة فيه جعل مسجد نبيه عليه الصلاة
والسلام كذلك في تضعيف الاجور ولما أن كان الحجر الاسود يشهد
للامسه يوم القيامة واذا شهد لامسه دخل الجنة جعل لنبيه صلى الله عليه
وسلم في مقابلاته روضة من رياض الجنة (قال) القاضي أبو محمد عبد الوهاب
رحمه الله في كتاب المعونة له وقد علم انه خص ذلك الموضع في القضاة له على
بقية ما ~~كان~~ أن يدل على فضاها على سواها اولى انتهى وقد تقدم هل
هي بنفسها في الجنة أو العمل فيها يوجب روضة من رياض الجنة (فان)
قال قائل قد خرج البزار من حديث أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة وفي
مسجد ذي ألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس خمس مائة صلاة قال ولا نعلم
هذا الحديث يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجه من الوجوه
بهذا اللفظ الا من هذا الوجه بهذا الاسناد واسناده حسن (فالجواب) ان
ما سكارحه الله تعالى قاعدة مذهبه انه ياخذ به أهل المدينة وان
عارضه الحديث الصحيح وقد تقدم قول علماء المدينة في ذلك لأنهم لا يتركون
العمل بالحديث الا لأمر أو جب ذلك عندهم فكان العمل عند مالك رحمه
الله أقوى لأنه عنده كالاجماع مع ان الحديث لم يخرج من اشترط الصحة
واذا كان ذلك كذلك فالرجوع الى العمل أرجح (فان) قال قائل قد شرع المجزأ
في الصيد في حرم مكة ولم يشرع ذلك في حرم المدينة (فالجواب) أن العلماء

قد اختلفوا في ذلك ((فعلى)) القول الاول بوجوب الجزاء فلا فرق (وعلى)
 القول الثاني بعدم الجزاء (فالجواب) انه عليه الصلاة والسلام اخبرهم بما
 يحصل لهم به من رفع الدرجات ولم يكلفهم عملا لان تكليف العمل قد يقع
 بعضهم أو أكثرهم في تركه فيؤول أمرهم الى الخسران نعم وذاب الله من ذلك
 فرفع عنهم عليه الصلاة والسلام ما يقع من بعضهم من التقصير الا ترى انه
 عليه الصلاة والسلام لم يزل يسأل ربه عز وجل في التخفيف عن أمته حتى رد
 المحسين الى خمس ببركة شفاعته وشفقته ورحمته وسؤاله في الرفق بهم (فان)
 قال قائل فالوفود تسير الى مكة لاداء فرض الحج بخلاف زيارته عليه الصلاة
 والسلام (فالجواب) ما تقدم من انه عليه الصلاة والسلام ينظر ابدا ما فيه
 الافضل لأئمة فيرشدهم اليه وما كان فيه تكليف يرفعه عنهم مكتفيا
 بالاشارة اليه فتجده عليه الصلاة والسلام في كل ما يخص نفسه الكريمة
 يخففه عن أمته نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من بركات هذا النبي الكريم على
 ربه وشعول عنايته انه ولي ذلك والقادر عليه (وعسا) يؤيد ما ذكر قوله عز
 وجل في كتابه العزيز وللاخرة غير لك من الاولى في كل مقام أو مكان أو شيء
 من الاشياء اقيم فيه عليه الصلاة والسلام فهو افضل من الاول وان كان
 الاول في الفضيلة بحيث ينتهي ثم كذلك الى ما لا نهاية له ولا يشك ولا يرتاب
 ان حاله عليه الصلاة والسلام عند انتقاله الى ربه أعلى من مقاماته وأئمه اذ
 هو الختام والمختام يكون أعلى مما قبله وأعظم منه (فائق) كانت مكة موضع
 شمس مشرقه عليه الصلاة والسلام فالمدينة موضع شمس مغربه عليه الصلاة
 والسلام وفيها حل وأقام ولهذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام الايمان
 بأوزما بين مكة والمدينة يريد والله أعلم ما بين مطالعه عليه الصلاة والسلام
 ومغربه (واذا) كان ذلك كذلك فسا نحن بسبيله مثله اعنى بذلك ما ورد في
 فضل شهر رمضان من النصوص الكثيرة وما وقع في شهر مولده عليه
 الصلاة والسلام من ظواهر والآيات والمججزات الظاهرة البينة من اخراج نار
 فارس وانشقاق ابوان كسرى ومنع الشياطين من استراق السمع
 ونزول ابليس وجنوده الى الارض السابعة على ما تقدم ذكره (على) انه
 لو لم يقع شيء مما تقدم لاكتفى في فضيلته بوجوده عليه الصلاة والسلام فيه

ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى اعمركم انهم افي سكرتهم يعمهون ومعنى
 اعمركم محيאתك فاقسم سبحانه وتعالى بحياته صلى الله عليه وسلم ولهذا قال
 الامام احمد بن حنبل رحمه الله لا تنعقد اليمين بمخلوق الا بالاني صلى الله
 عليه وسلم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل به هذا البلد قال بعض
 المفسرين لا يعني التاكيد وكان سببى ابو محمد المرجاني رحمه الله تعالى
 بقول انما تكون لالتاكيد اذا عدت الفائدة التي يحل عليها الغظة
 لا والفائدة موجودة وذلك ان قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد معناه اى قدر
 و اى خطر لهذا البلد حتى يقسم به وانت حل به وانما القدر والخطر لك فانت
 الذى يقسم بك اعظم جاهك وحرمتك عندنا (فانظر) رحمه الله وياك الى سر
 هذا المعنى الذى ذكره الشيخ الجليل رحمه الله فى معنى الآية الكريمة اذ ان
 المراد بالبلد فى الآية الكريمة مكة اتفاقا ومكة قد تضافرت النصوص على
 تفضيلها فاذا كانت مكة به هذه المثابة من الفضيلة العظمى ومع ذلك
 لا يقسم بها مع وجوده عليه الصلاة والسلام فيها اذ انه عليه الصلاة والسلام
 كالشمس لا تظهر الكواكب معها ابل هو الذى كسبت الاكوان من
 بهاء نوره عليه افضل الصلاة والسلام ألا ترى الى قول من مدحه ببعض
 صفاته الجميلة حيث يقول

الى العرش والكرسى احمد قد دنا * وفوره ما من نوره يتلألا *
 واذا كان ذلك كذلك فوضع مقامه عليه الصلاة والسلام دائما لا يوازيه
 غيره وان شهدت له الأدلة بالفضيلة العظمى على ما تقدم (وبهذا) المعنى وما
 شابهه يعلم الفرق بين ماهو فاضل وبين ماهو أفضل فانك اذا قلت مثلاً
 الشمس أكثر ضوءاً من البدر السلام من كل ما يعتريه فهو كلام صحيح اذ ان
 الشمس قد شاركت البدر فى بعض الضياء لكن للشمس زيادة ضياء
 اضاعف ذلك فظهرت فضيلة الشمس على البدر بتلك الزيادة واذا فضلت
 على البدر فعلى غيره من باب أولى والبدر يفضل على ما دونه فى الضياء
 والجرم (واذا) كان ذلك كذلك فالمدينة التى هى موضع مقامه عليه الصلاة
 والسلام حيا وميتا التى قد خصت به عليه الصلاة والسلام اكرم من غيرها
 بوجوده عليه الصلاة والسلام فيها (ألا ترى) ان مكة مع عظيم قدرها لم يقسم

به الاجل حلولة اذ ذاك بها فكيف يمكن ان تفضل موضعا حل فيه واقام به
حياء وميتاف كيف يفضله غيره وكل ما ذكر ظاهر بين في وجود الفضيلة اذ
لا فرق في الاحترام لرفيع جنابه العزيز عليه الصلاة والسلام بين حياته
وموته (وقد رايت) لبعض العلماء انه قال من فضائل النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من نبي دفن الا وقد رفع بعد ثلاث غيرى فاني سالت الله
عز وجل ان اكون فيما بينهم الى يوم القيامة وذلك قوله عز وجل وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم (ثم انظر) رحمتنا الله تعالى وابالك الى قوله عليه الصلاة
والسلام من مات بأحد الحرمين ~~كنت~~ له شفيعا يوم القيامة فسوى عليه
الصلاة والسلام بينهما في الشفاعة لهم ثم لم يقتصر عليه الصلاة والسلام على
ذلك حتى خصص المدينة بالذ ~~كر~~ وحرص على محاباة ذلك بالاستطاعة
فقال عليه الصلاة والسلام من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني
اشفع ان مات بها والاستطاعة هي بذل المجهود في ذلك فزيادة عنايته
عليه السلام بافراد المدينة بالذ ~~كر~~ دلائل على تميزها الا ترى الى قوله
عليه الصلاة والسلام حياتي خير لكم ومماتي خير لكم فعمل عليه الصلاة
والسلام حياته ومماته كما هو ماسيان في الفضيلة في تعدى نفعه وبركته عليه
الصلاة والسلام لأمته أولها ووسطها وآخرها فنص عليه الصلاة والسلام
على عموم نفعه في الحالتين معا كيف لا وهو سيد الاولين والاخرين وسيد
من ولى الحمى وكان من ربه في القرب والتداني مع التنزيه والتفديس
كقاب قوسين أو أدنى (ثم) نرجع الى معنى كلام سيدى الشيخ الجليل أبي
محمد المرحاني رحمه الله تعالى فقال ثم اقسام سبحانه وتعالى به عليه الصلاة
والسلام وبأمرته فقال تعالى ووالد وما ولد لان الوالد في حقيقة المعنى هو
عليه الصلاة والسلام وأمرته أولاده اذ أنه عليه الصلاة والسلام كان سببا
للانعام عليهم بالحياة السرمدية والمخلود في جنات النعيم وسلامتهم مما كانوا
فيه من الخطر العظيم وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام انه قال انما انا لكم
بمثابة الوالد انتهى وهذا ظاهر قال تعالى النبي أولى بالؤمنين من أنفسهم
وأزواجه أمهاتهم فخقه عليه الصلاة والسلام أعظم من حق الوالد
قال عليه الصلاة والسلام ابدا بنفسك ثم بمن تعول فقدم نفسه على غيره والله

هو رجل قد قدمه في كتابه على نفس كل مؤمن ومعنى ذلك اذا تعرض له
حقان حق لنفسه وحق للنبي صلى الله عليه وسلم فآكد هما عليه وأوجب
حق النبي صلى الله عليه وسلم ثم يجعل حق نفسه تبعاً للحق الأول ثم كذلك في
تتبع المحركات والسكنات واذا تأملت الامر في الشاهد وجدت نفعه عليه
الصلاة والسلام لك أعظم من الآباء والامهات وسائر الخلق أجمعين اذ ان
حقيقة امره عليه الصلاة والسلام انه وجدك غريقاً في بحار الذنوب والخطايا
الموجبة لغضب المولى سبحانه وتعالى فأنقذك وأنقذ آباءك وابناءك ومن
مشى على مشيك وغاية امر أبوك انهم ما اوجدك في المحس فكأناسيها
لاخراجك الى دار التكليف ومحل البلايا والمحن فاول ذنب يوقعه المرء فيها
استحق به النار وبقي بعد ذلك في المشيئة ان شاء الله عز وجل أنقذك بالعدل
وان شاء عفا بالفضل فببركته صلى الله عليه وسلم وبركة اتباعه أنقذك الله
الكريم مما قد كان حل بك ونزل بساحتك من الاطاعة لك به فتنبه لعظيم قدره
ورفع مقداره عند ربه وعظيم احسانه وجوده عليك قال الله سبحانه
وتعالى في صفته حريص عليك يا مؤمنين رؤوف رحيم ألا ترى الى قوله عليه
الصلاة والسلام حياتي خير لكم ومماتي خير لكم اه تخيره صلى الله عليه وسلم
في حياته بين جدالاتي ان من رآه أو أدركه وهو مؤمن لا يفوقه غيره أبداً
في فضيلة مزينة رؤيته عليه الصلاة والسلام ووقوع ذلك النظر الكريم
عليه وغير ذلك وأماموته عليه الصلاة والسلام فلا أن أعمال أمة تعرض
عليه صلى الله عليه وسلم وكذلك على الآباء والامهات والاقارب في كل اثنين
ونخس فصار آه صلى الله عليه وسلم من الاعمال حسنا سر به ودعا لصاحبه
وما كان من غير ذلك استغفر لصاحبه وهذا منه صلى الله عليه وسلم زيادة
في التلطف بك والاحسان اليك بخلاف الآباء والامهات فانهم يسرون
أو يحزنون ليس الا لا يقدر على غير ذلك (اللهم) بحرمته عليه الصلاة
والسلام عندك عرفنا قدر هذه النعمة التي مننت علينا بدوامها ولا تعرفها
لنا برزوها بعنا انك ولي ذلك والقادر عليه آمين (ولقد) أحسن الشيخ الامام
ابو يعقوب يوسف بن الشيخ أبي الحسن علي بن الشيخ أبي مروان عبد الملك
البركي عرف بابن السماط وهو اخو الشيخ الاجل أبي علي بن السماط شيخ

سيدى أبى محمد المرجاني وغيره من كان في وقته من الاكابر رحمهم الله حيث قال

أعلمت أنك يارب بيع الاول * تاج على هام الزمان مكال
 مستعذب الامام مرتقب اللقا * كل الفضائل حين تقبل تقبل
 ماعدت الاكنت عيداً ثالثاً * بل أنت أحلى في العيون وأجل
 شرفاً بـ ولد مصطفى لما بدا * أنفى الالهة وجهه المتهايل
 وحويت من أصبحت ظرف زمانه * عارفه في برد حسنك ترفل
 وملككت أنفسها بلطف شمائل * بنسبها نفس العايل تعال
 وإذا حدا المحادي بمنزلة الحمى * فالقصد سكان المحى لا المنزل
 فضل الشهر علا ففاخرها فان * نفرت باطولها فانت الاطول
 واستثن منها اليه القدر القى * اثناء منزل الكتاب المنزل
 واصبح لقول الله فيها انها * من ألف شهر في الابانة أفضل
 واستكمل البشرى فانك لم تزل * لك في القلوب مكانة لا تجهل
 لم لا وعشرك واثنتك أرى نسا * قرابه شمس الضحى لا تعدل
 ومن الجحائب ان يدرا يستوى * لتمام عشر واثنتين ويركع
 ويفوق أقمار السماء لانها * للنقص من بعد الزيادة تنقل
 وكال هذا البدر لا يعزى الى * نقص ولا عن حاله يتحول
 بل نوره يزدد ضعفا كلما * طفق الحاق سنا البدور يبدل
 (فان قال قائل) فهذا الشهر لم نجد فيه زيادة في الاعمال كما نجد في غيره
 من الشهور والى الايام الفاضلة (فالجواب) ان تلك الزيادة حصلت لها
 الفضيلة بزيادة الاعمال الفاضلة فيها وهذا الشهر حصل له التشریف بظهور
 من جاءت الاعمال والخيرات التي حصلت بها الفضيلة لتلك الاوقات على يديه
 وبسببه صلى الله عليه وسلم هذا وجه ظاهر بين لا يرتاب فيه (ووجه ثان)
 وهو انه عليه الصلاة والسلام كما وصفه الله عز وجل في كتابه العزيز حيث
 يقول في صفته بالمؤمنين رؤوف رحيم فكان دأبه صلى الله عليه وسلم طاب
 التخفيف عن أمته مهما قدر على ذلك ووجد السبيل اليه فعله فلما ان كان
 هذا الشهر اختص بظهوره عليه الصلاة والسلام فيه لم يكف أمته زيادة

عمل فيه بل أشار إلى ذلك بالتنبيه عليه (ووجه ثالث) وهو أن أهل الآفاق قد حرم عليهم الصوم في أيام التشريق وما ذلك إلا أن الحاج ضيف الله تعالى فوقه الضيافة لأهل الأقاليم كلها كرامة لهم فكيف بالزمن الذي ظهر فيه من شرع ذلك على يديه صلوات الله عليه وسلامه (وقد قال) بعض الصحابة رضي الله عنهم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم فلولاً أنت ما صمتنا ولا صامنا ولا حججنا بيت ربنا انتهى فكان عدم تكاليف الأعمال الشاقة غالباً وعدم الزيادة على المعتاد من العبادات لأن أمة صلى الله عليه وسلم في الشهر الذي ولد فيه في ضيافة وجوده صلى الله عليه وسلم (والس) أن كان تحريم الصوم على أهل الآفاق كرامة للحجاج الذين هم أضياف الله تعالى وكان ذلك على يد المخليل وولده الكريم اسمعيل صلوات الله عليهما وسلامه والضيافة ثلاث كما هو معلوم والس أن كان شهر ربيع الأول الذي ظهر فيه عليه الصلاة والسلام للوجود (كانت) الضيافة الشهر كله لكن ترك عليه الصلاة والسلام أمة رحمة بهم في عدم التكاليف لهم بتحريم الصوم عليهم والفطر لانه رحمة للعالمين خصوصاً المؤمنين كما سبق وشأن الرحمة التوسعة ألا ترى إلى عدم وجوب جزاء الصيد بالمدينة وقد تقدم فليفهم من يفهم والله الموفق

• (فصل في ذكر بعض مواسم أهل الكتاب) • فهذا بعض الكلام على المواسم التي ينسبونها إلى الشرع وليست منه وبقى الكلام على المواسم التي اعتادها أكثرهم وهم يعلمون أنها مواسم مختصة بأهل الكتاب فتشبه به بعض أهل الوقت بهم فيها وأشار كونهم في تعظيمها بإيثار ذلك لو كان في العامة خصوصاً والكنك ترى بعض من يتسبب إلى العلم بفعل ذلك في بيته ويعينهم عليه ويحجبه منهم ويدخل السرور على من عنده في البيت من كبير وصغير بتوسعة النفقة والكسوة على زعمه بل زاد بعضهم أنهم يهادون بعض أهل الكتاب في مواسمهم ويرسلون إليهم ما يحسن أجونه لمواسمهم فيستعينون بذلك على زيادة كفرهم ويرسل بعضهم المخرفان وبعضهم الباطخ الانحصر وبعضهم البليغ وغير ذلك مما يكون في وقتهم وقد يجمع ذلك أكثرهم وهذا كله مخالف للشرع الشريف (ومن العتبية) قال أشهب

قيل لما لك أترى بأسا أن يهدي الرجل مجاره النهر إلى مكافأة له على هدية
 أهدها إليه قال ما يحبني ذلك قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
 عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة الآية قال ابن رشد رحمه الله
 تعالى قوله مكافأة له على هدية أهدها إليه ألا ينبغي له أن يقبل منه هدية
 لأن المقصود من الهدايا بالتودد لقول النبي صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا
 وتذهب الشبهة فإن أخطأ وقبل منه هديته وفاتت عنده فلا حسن أن
 يكافئته عليها حتى لا يكون له عليه فضل في معروف صنعه معه (وسئل)
 مالك رحمه الله عن مؤاكلة النصارى في أئام واحد قال تركه أحب إلى
 ولا يصادق نصرانيا قال ابن رشد رحمه الله الوجه في كراهة مصادقة النصارى
 بين لأن الله عز وجل يقول لا تتخذ قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
 من حاد الله ورسوله الآية فواجب على كل مسلم أن يبتغي في الله من يكفر
 به ويجعل معه الما غيره ويكذب رسوله صلى الله عليه وسلم ومؤاكلته في
 أئام واحد تقتضي الالفة بينهم والمودة فهي تنكره من هذا الوجه وإن علمت
 طهارة يده (ومن) مختصر الواضحة سئل ابن القاسم عن الركوب في السفن
 التي يركب فيها النصارى لأعيادهم فذكر ذلك مخافة نزول الخط عليهم
 كفرهم الذي اجتمعوا له (قال) وذكر ابن القاسم للمسلم أن يهدي إلى
 النصارى في عيدهم مكافأة له ورآه من تعظيم عيدهم وعونه على مصلحة كفره
 الأترى أنه لا يحصل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئا من مصلحة عيدهم
 لا لمحاو لا أداما ولا ثوبار لا يعسرون دابة ولا يعسرون على شيء من دينهم لأن
 ذلك من التعظيم لشركهم وعونهم على كفرهم وينبغي للمسلمين أن ينفوا
 المسلمين عن ذلك وهو قول مالك وغيره لم أعلم أحد الاختلاف في ذلك انتهى
 (ويجوز) التشبه بهم كما تقدم لما ورد في الحديث من تشبه بقوم فهو منهم
 ومعنى ذلك تنفير المسلمين عن موافقة الكفار في كل ما اختصوا به وقد كان
 عليه السلام يكره موافقة أهل الكتاب في كل أحوالهم حتى قالت
 اليهود إن محمد يريد أن لا يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه (وقد) جمع هؤلاء
 بين التشبه بهم فيما ذكره إلا عانة لهم على كفرهم فيزدادون به طغيانا إذا أنهم
 أذروا المسلمين يوافقونهم أو يساعدونهم وهما معا سكان ذلك سببا

اغبطتهم بدينهم ويظنون انهم على حق وكثر هذا بينهم اعنى المهادة حتى ان
بعض اهل الكتاب يهادون ببعض ما يفعلونه في مواسمهم لبعض من له رياسة
من المسلمين فيقبلون ذلك منهم ويشكر ونهم ويكافئونهم واكثر اهل الكتاب
يغبطون بدينهم ويسرون عند قبول المسلم ذلك منهم لانهم اهل صور
وزخارف فيظنون ان ارباب الرياسة في الدنيا من المسلمين هم اهل العلم
والفضل والمشار اليهم في الدين وتعدى هذا السم لعامة المسلمين فسرى فيهم
فمظلمة وامواسم اهل الكتاب وكافوا فيها النفقة وقد يكون بعضهم فقيرا
لا يتقدر على النفقة فيكافه اهله وأولاده ذلك حتى يتداین لعله واكثرهم
لا يفعل الا ضحية لجهله وجهل اهله بفضيلتها او قلة ما بيده فلا يتكاف هو
ولا هم يكافونه ذلك مع ان العلماء رجمة الله عليهم قالوا يتداین للاضحية حتى
انه لو كان له ثوبان باع احدهما واخذ به الاضحية ان لم يكن مضطرا اليه كما
تقدم اتا كيدا امرها في الشرع (فاول) ما احدثوه في ذلك انهم اتخذوا طعاما
يختص بذلك اليوم فتشبهوا بهم في فعل النير وزفن لم يفعلهم منهم كان ذلك
سببا لوقوع التشويش بين الرجل واهله فلا بد له في ذلك اليوم من الزلاية
والمريسة وغيرهما كل على قدر حاله فمنهم من ياتي بالصانع ببیت عنده
فيقلها اليه لا حتى لا تطلع الشمس الا وهي متيسرة فيرسلون منها لمن يختارون
ويجمعون الاقارب والاصحاب وغير ذلك كانه عيب دينهم ثم ياكلون
فيه البطيخ الاخضر والخوخ والبلخ اذا وجدوه وغير ذلك مما يلزمه النساء
لا زواجهن حتى صار ذلك كانه فرض عليهن لانهن اكتسبن ذلك من مجاورة
القبط ومخالطتهم بهم فانسن بعوا ثدهم الرديئة (ثم انهم) يفعلون في ذلك
اليوم افعالا قبيحة مشهورة شرعا ومطعما (فن ذلك) مضاربتهم بالجلود
وغيرها بعدا كلهم كل منهم على قدر حاله فبعض من له رياسة يفعلون ذلك
كله في بيوتهم او في مساكنهم وبعض من لا يسحق اوليس له رياسة يفعلون
ذلك في الطرق والازقة والاسواق وعلى شاطئ البحر ويمنعون الناس بما
يفعلونه من المرور فيها في ذلك اليوم بل صار ذلك امرا معمولا به عندهم حتى
ان الولي في ذلك اليوم لا يحكم لاحد من زهقت نفسه بضربهم في ذلك اليوم
او ساب مامعه كانه ابيع لهم فيه نهب المسلمين واستباحة دماهم اعنى من

وجدوه في غير بيته وهو - ذا اليوم شبيه بما يفعلونه في يوم كسر الخايج وهو ما
 حصلتان من خصال فرعون بقية في آله وهم القبط فسرى ذلك منهم الى
 المسلمين ثم جر ذلك الى امر عظيم وهو ان بعض السفلة اذا كان له عدو يخفي
 له ذلك لا احد اليومين المذكورين فياخذ جلد او غيرها فيجعل فيها حجر او
 شيئاً مما يمكن القتل به فيضرب به عدوه على جهة الالعاب فيهلك فيذهب
 دمه هدر لا يؤخذ له بشئ لا جل هذه المحصلة الفرعونية وليت ذلك
 لو كان في عامة الناس بل سرى ذلك الى بعض من ينسب الى العلم فتري
 المدارس في ذلك اليوم لا تؤخذ فيها الدروس البتة ولا يتكلمون في مسألة
 بل تجد بعض المدارس مغلفة فياعبون فيها حتى لو جاءهم المدرس او غيره
 وتبوا عليه واساءوا الادب في حقهم وربما اخرجوا المحرمة والقوه في الفسقية
 او قاربوا ذلك او صالحهم على ترك الاخلاق به بدراهم ياخذونها منه
 تقرب من الغصب الذي يبحثون فيه في مجالسهم انه محرم اجماعاً فبما كلونه
 في ذلك اليوم من تلقاء انفسهم لا اصل له ولا فرع وهذه خصال مستهجنة
 من العوام فكيف يفعلها من ينسب الى العلم او من يزعم عند نفسه
 انه من يقتدى به في الدين والعلم ولو ان هذا المشار اليه حصلت له غيره
 اهل الدين كما يزعم لغير عليهم ما فعلوه من ذلك وزجرهم عنه اذ هو قادر عليه
 ولو بكامة ما فلو قال امنعوا هذا ان يدخل المدرسة او اخرجوه منها
 او لا يحضر في مجلسي او قال لا احد منهم ما كنت اظن ان فيك قلة هذا الادب
 او انتم لا تتأذبون باداب اهل العلم واهل المروعة من العوام او من له حسب
 ونسب يرجع اليه او مثلكم لا يصلح ان يكون من طلبة العلم اولا كثر الله
 منكم او آداب بعض اكابرهم بشئ من هذه الالفاظ لا ترجح من دونه عن تلك
 الافعال القبيحة واقبح من هذا انه يرى ان ذلك من حسن الخلق وحسن
 التاني والتواضع في العشرة وان ذلك من الرياسة ويحصل بذلك الثناء عليه
 هيئات هيئات ليست الرياسة بما تسول النفوس وانما هي بالاتباع للشرعية
 المطهرة وآدابها الحسنة وأخلاقها الجميلة ولو تأمل هذا من وقع فيه لمحق له
 البكاء على ما اتى به من قبيح فعله اذ انه خرج بذلك عن اقل مراتب الانكار
 والتغيير وهو التغيير بالقلب وقد تقدم في معنى الحديث ان التغيير باليد

للأمراء ومن شايهم وباللسان للعالم ومن شايهم وبالقاب للعوام وهذا
قد نزل عن رتبة التي هي التغيير باللسان بل ترك رتبة العوام التي هي التغيير
بالقاب وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام وليس وراء ذلك مثقال حبة
من خردل من إيمان أم (فاتنظر) رحمتنا الله تعالى وإياك إلى بلية هذه العوائد
الريثة وقوة سريان سمها في القلوب كيف أوقعت هذا العالم في هذه الورطة
العظيمة فترك التغيير وكان سهلا عليه بأدنى إشارة كما تقدم وهذه خصال
ذميمة كما ترى وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لعاب المؤمن في ثلاث
وهذا عرى عنها كلها (ثم) أن من يفعل ذلك من العوام جمعوا فيما يفعلونه من
ذلك مفسدات مستهجنة فمن الخرافة حرمه المسلمين في ذلك اليوم بادخال
التشويش عليهم ووقوع الضرر بهم ومنعه من قضاء ضروراتهم
وحوائجهم سيما إن كان عند أحد منهم مرض يحتاج إلى شيء يلاطفه به
أو ميت يحتاج إلى المبادرة إلى تجهيزه أو غريب لا يعرف عاداتهم الذميمة
أو ناس لما يفعل في ذلك اليوم فاشهر بنفسه حتى حصل بينهم فأوقعوا به
ما تقدم من أفعالهم القبيحة (فاتنظر) رحمتنا الله وإياك إلى الخصال الفرعونية
لا ينتج منها إلا مثل هذه القبائح (ثم) انضم إلى ذلك مفسدتان عظيمتان
باباهما الله تعالى والمسلمون أحداهما شرب الخمر في ذلك اليوم للنصارى
لا بد لهم منه وبعضهم يفعل جهارا وتعدي ذلك لبعض عوام المسلمين في ذلك
اليوم وبعضهم لا يستحيون في ذلك اليوم ولا يستخفون الثانية أن كثيرا
من النساء يلعبن في بيوتهن محتاطين نساء ورجالا وشيانا وبنات أبكارا وبنات
بعضهم بعضا فإذا ابتل ثوب أحدكم بقي بدنه متصفا بحكي الناظر أكثره
فيقع بسبب ذلك ما لا يحصى ولا يعد من القبائح الرديئة وهذا وما شاكله
أعظم فسادا وفتنة مما يفعلونه في المولد مما ذكرنا لأنهم في المولد محتاطون
ليكن بنياهم مستقرين بخلاف فعلهم في يوم النير وزفانهم فيه منهتكون لأنهم
نزعوا فيه ثيابهم وخضعوا فيه جلباب الحياء عنهم فتجد بعضهم عريانا عدا المثرر
وآخر عليه خاقعة أو قميص رفيع للحشمتش والمحشمة منهم فاذا أتى عليه المساء
صار كأنه عريان والغالب من عاداتهم الذميمة أن المجاورة لا تسقي من
المجاور أن الشاب إذا تربع بينهن لا يستحيين منه وإن صار رجلا ولا يستحيين

من ابن العم ولا من شابهه من الاقارب وكذلك أصـ رقاء الزوج وأصدقائه
الآب والأصهار وغير ذلك مما هو معلوم من عاداتهم الذميمة هذه أحوالهم
في غير هذا اليوم وزادوا في هذا اليوم من رفع برقع الحياء عنهم ما هو شنيع
في ذكره فكيف برؤيته فكيف بفعله وهو أن نساءهم كما تـ ذم من انفسا
لا تمنع النظر لـ كثر الـ بدن ولا تمنع نـومة الـ بدن ثم يأخذ بعضهم بعضا
على جهة انه يلعب معه ويـ ساطه في هذا اليوم فيستمتع بعضهم ببعض
ويتلذذون بذلك كأنهم في ذلك اليوم كلهم نساء لعدم حياء بعضهم من
بعض ويتصارع بعضهم مع بعض فـا قبح هذا وأشتهع عند من يعتد
الاسلام ويدين به كأنما كان فـن كان با كـا فليكن على غربة الاسلام وغربة
أهله ودنورا كثر معاملة ألا ترى ان بعض هذه المفاسد عند بعض من ينسب
الى العلم أو الدين فلم يبق في الغالب الا كما قال الامام رزين رحمه الله تعالى
اغماهي أسماء وضعت على غير مـيات فان الله وانا اليه راجعون

• (فصل) • وانظر رحمنا الله تعالى واياك الى هذا الفعل القبيح الذي
يفعلونه في هذا اليوم المذكور من انهم يأخذون انسانا منهم فيخالفون فيه
السنة اعنى في تغيير ظاهر صورته وخلقته فيدخلون بذلك في عموم قوله
عليه الصلاة والسلام لعن الله المغيرات والمغيرين مخلق الله او كما قال عليه
الصلاة والسلام فيغيرون وجهه يـجـر أو دقيق ثم يجعلون له تحمية من فروة
أو غيرها أو يلبسونه ثوبا احمر أو اصغرا يشهروه بذلك وقد ورد في الحديث
من ابس ثوب شهرة كساه الله يوم القيامة ثوب ذل وصغار ثم اشمه عليه نارا
اه ثم يجعلون على رأسه طرطورا طويلا ثم يركبونه على حمار دمى في نفسه
ويجعلون حوله الجريد الاخضر وشماريح البطح ويجعلون في يده شيئا يشبه
الدفترا كأنه يحاسب الناس على ما يريد ان يأخذ منهم من الصحة والحرام
فيطوفون به في أزقة البلد وشوارعها على الابواب وفي الاسواق على اثـ
الدكاكين والبيوت فيأخذون منهم ما يأخذون على شبه الظلم والغصب
والتعسف ربا كأنه ومن امتنع من ذلك آذوه بصب الماء عليه وربما كان
فيه التراب فيمينونه بالضرب والكلام الفاحش المذموم شرعا وان رضيه
بعضهم على سبيل البسط والمزاح فهو مذموم شرطا اذ شرط المزاح والبسط

ان يكون عقاومنا هم قلما يسلم من الكذب وذكر الفواحش ومن
 تحصن من اهل البيوت فاغلق بابا عليه ليسلم من اذاهم عظامت بابتهم
 عليه فربما كسروا بعض الابواب الضيقة وربما صبوا المياه الكثيرة
 في الباب حتى قد يمنع الداخل والخارج وربما اخرجوا صاحب البيت فان
 لم يدفع لم يمتدأرونه والاخرى واحرته وزادوا في اذيته ويحتجون بالنيروز
 ويقولون ليس فيه حرج ولا احكام تقع واما المشاقون فاكثروا قبحا وشناعة
 من ذلك كما هو مشهور بالحاجة لذكره لشهرته ومعاينة ما فيه من المثالب
 والمفاسد وهذا كله فيه من الرذائل والافعال الخبيثة ما لا يليق بذوى
 العقول فكيف باهل الشريعة من المسلمين وكل هذا في ذمة العالم اذ لم ينبه
 على تلك الاشياء وينبه عنها ويقبحها ويكثر التشنيع على فاعلها ولا يختص
 هذا بالعالم وحده بل في ارباب الامور اشد كالمحتسب والمحاكم ومن له امر
 نافذ لان من رأى شيئا من ذلك من المسلمين وعجز عن التغيير قالوا يجب عليه
 ان يرفع ذلك لولاة الامور فان غيروا وقاموا بالواجب عليهم اجر وان
 تركوا ذلك اثموا وقد برئت ذمة من باغهم وذمة المسلمين لان تغيير غير الحاكم
 اثمها وبالكلام الحسن والردع الجميل او يوصل ذلك اليهم اعنى ولادة الامور
 (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى ما شغل عليه هذا الموسم الذي تشبهوا
 فيه باهل الكتاب من القبايح المستهجنسة والرذائل الفظيعة لو لم يكن
 في ذلك الاما تقدم ذكره من قتل النفوس ونهب الاموال لكان فيه ما فيه
 فكيف والامر على ما ترى وما بقى اكثر مما وصف فلو كان من معه علم يتكلم
 في شئ من ذلك او يتحقق منه لانسدت هذه المثل (وقد) كان سيدي ابو محمد
 رحمه الله تعالى اشتكى عليه بعض اولاده شهوة وصكانت تلك الشهوة
 مما يفعل في المراسم التي لاهل الكتاب فامتنع من ذلك وكان من عادته رحمه
 الله ان لا ياكل الا بشهوتهم امتثالا للامة لقوله عليه الصلاة والسلام
 المؤمن يا كل بشهوة عياله وذلك محمول على ما يجوز شرعا اعنى بذلك ان
 يهرز من عوائد الوقت من الاشياء المحككة وغيرها مما لا يجوز بيعه شرعا
 وذلك مع علمه منهم انهم لا يعرفون موسم اهل الكتاب ولا ما يفعل فيه
 فلم يجبه في ذلك لما ارادوه فعزم واعاياه فلم يفعل وترك اجابتهم رحمه الله

تعالى لأمرين أحدهما موافقة أهل الكتاب في الصورة الظاهرة والثاني
 رعاياهم أحدا فية تدبى به في فعله فسم الباب بالمنع من ذلك فلو كان من
 ينسب إلى العلم يمشون على هذا الأسلوب لم يقع شئ من كل ما ذكرنا نادرا
 اذ أن العالم هو القدوة والناس كلهم جديدهم وورديتهم راجعون إليه أما
 بالطواعية أو بالجبور وفقنا الله تعالى لا تخس السنة بمنه وكرمه لأرب سواء
 * (فصل في خميس العدى) * وهو المرسوم الثمانى من مواسم أهل الكتاب
 التى شاركهم فيها بعض المسلمين (وق) اتخذت فيه أشياء لا تنبى (فها)
 خروج النساء فى ذلك اليوم لشراء البخور والخواتم وغيرهما فتجدهن
 فى ذلك اليوم فى الأسواق أكثر من الرجال فن يمر بالسوق من الرجال
 لا يقدرون على المشى فيه إلا بمشقة لزجة النساء وقد يراهن من لا خير فيه وقد
 تقدم فى غير ما وضع ما فى خروجهن واجتماعهن بالرجال من الفساد التى
 لا دواء لها فى الغالب ولو أن رجلا منع أهله من الخروج فى ذلك اليوم لوقع
 التشويش بينهما وقديورول الأمر إلى الفراق وقد قال مالك رحمه الله تعالى
 ينبغى أن يرفع إلى السلطان أمر ما أحدثه النساء من جلوسهن عند الصواغين
 حتى يمتنعن من ذلك انتهى وانما تكلم مالك رحمه الله تعالى على الصواغين
 دون غيرهم لأن النساء فى ذلك الوقت لم يكن يفعلن ذلك إلا عند الصواغين
 مع أنهن كن فى ذلك الزمان على ما ينبغى من الاستمرار الشرى والدين المتين
 وكذلك الصواغون اذ أنهم كانوا فى خير القرون المشهود لهم بالخيرية من
 صاحب الشرع الشريف ونحن اليوم فى هذا الزمان بضد ذلك لأن
 الصواغين وغيرهم من البياعين فى كل ما يتعاملونه الغالب أن النساء هن
 اللاتى يباشرن ذلك كله بل تجد المرأة فى الغالب تشترى لزوجها ما يحتاج
 إليه من لباسه لنفسه على ما تقدم فيتعين عليه أن يتقدم فى هذا لأرباب
 الأمور حتى يمتنعوا من ذلك والله الموفق (ومما أحدثوه) فيه استعمال
 البخور لهن ولغيرهن من الرجال فيخرون به ثم يتخطونه سبع مرات ثم
 ينفضون عليه أيديهم وأرجلهم ويتفلون عليه ويرغمون أن ذلك يمرض
 عنهم العين والكسل والوعكة من الجسد ويتكلمون بربى البخور بكلام
 لا يعرف ولعله كفر كما تقدم (ومن ذلك) استعمالهم فيه العدى المصطفى

وان كان جائزاً فالبدعة تحريرهم له في ذلك اليوم المعين موافقة لاهل الكتاب في مواسمهم فن لم يفعل منهم تشوش هو اهل كما تقدم (ومن ذلك) صبغهم فيه البيض الوانا لا ولادهم وغيرهم وتعدى ذلك في الكثرة الى ان صار المقامرون وغيرهم يلعبون به جهارا ولا أحد فيما علم ينكر عليهم (ومن ذلك) شراؤهم فيه السلاح ويزعمون انها تطرد الشيطان من البيت الذي تكون فيه وهيئات الهيئات الشيطان لا ينطرد الا بتداع واتباعه بالاتباع فكل ما يفعلونه من ذلك وما أشبهه انما هو من البدع المستحجة والعوائد الذميمة وفيه تعظيم واسم اهل الكتاب وتغييظهم بدينهم الباطل لانهم اذ اراوا المسلمين يتشبهون بهم اعنى في تعظيم مواسمهم بقوى ظنهم بان ما هم عليه هو الحق فانظر رحمنا الله واياك الى هذه التهمة ما أشد قبحها وقد تقدم قبح ما أحدثوه في النير وزما غنى عن ذكر مثله هنا اذ المعنى فيها ما واحد وهو تعظيم مواسم اهل الكتاب وارتكاب البدع ومخالفة السنن

سأل الله تعالى السلامة بمنه

(فصل في ذكر اليوم الذي يزعمون انه سبت النور) وهو لعمر الله بضد هذه التسمية ألبق آيت ذلك لو كان في عوام الناس لكان يجذب بعض الخاصة من ينسب الى طرف علم أو صلاح أو هماما يسمونه به هذه التسمية وذلك تعظيم منهم له في الظاهر ويشاركونهم في أفعالهم الذميمة المتقدمة ذكرها وفي تشبههم بهم في ذلك تعظيم لمواسمهم وتغييظ لهم بدينهم فيظنون انهم على حق بسبب تعظيم المسلمين لمواسمهم في الصورة الظاهرة يشاركتهم لهم في أفعالهم فيه كما تقدم (وقد تقدم) ما يفعلونه في يوم النير وزما فيه من القبائح والذائل المتعددة وفي ذلك غنية عن عادة مثله هنا (لكن) نشير الى بعض ما يفعلونه في هذا اليوم الخاص وما يظهرون فيه من العورات المخالفة لشرع الشريفة (فن ذلك) ما يفعلونه في سحر ذلك اليوم وهو انهم يجتمعون في امسه ورق الشجر على أنواعه حتى الرياح وغيره فيبيتونه في اناه فيه ماء ويغتسلون به ثم يأخذون ما اجتمع من غسائهم وياقونه في طريق المسلمين وفي مفرق الطريق ويزعمون ان ذلك يذهب عنهم الامراض والاسقام والاكسل والعين والسحر وغير ذلك وان من يمر به تصيبه تلك العلل ويثقل

ما كان عليه الى من تخطاه من المارين وكذلك يفعلون في يوم النبر وزو هذا
لو كان صحبها ~~ال~~ كان قصدهم لذلك محرما اذ فيه قصد اذية المسلمين
وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال المؤمن يحب لاختيه
المؤمن ما يحب لنفسه ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من سافر لاختيه
المؤمن سفره أو فقه الله فيها وقوله عليه الصلاة والسلام من غشنا فليس
منا اه فأول ما يفعلونه في ذلك اليوم قصدهم المحرم المتفق عليه وقد قال
عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار اه وهو لا قد قصدوا الضرر للمسلمين
وغيرهم ممن يمر على ذلك وقد أمر عليه الصلاة والسلام بالباطلة الاذى
عن الطريق وهؤلاء يزعمون ان في ذلك اذى ومع ذلك يرمونه في طريق
المسلمين اي صديهم وقد روى ابوداود في سننه عن جابر بن عبد الله قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال هو من عمل الشيطان اه على
انه نقل عن مالك رحمه الله الرخصة في النشرة بورق الاشجار اما ان سئل عن
ذلك فقال لا بأس به فعناه ان يجعل الورق في ماء يغمره فاذا أصبح اخذه
من يحتاج اليه فبيل يده منه ومشاهها على يده هـ ذاهوا النشرة المعروفة
عند العلماء واما الغسل به فلا سيما مع ما أضافوا اليه من تلك الافعال
القيحة المتقدمة ذكرها وهي لا تجوز في الشرع ولا من جهة المروءات (ومن
ذلك) اكتحالمهم في صبيحة ذلك اليوم بالسذاب أو الكحل الاسودا وغيرهما
وزعمون ان من اكتحل من ذلك يكتسب نورا زائدا في بصره يرى به
التحشاش في طول سنته ولا يخفى عليه منه شيء وذلك تحكم منهم والشاهد
يكذب ذلك حسا ومعنى (ومن ذلك) ما يفعلونه من شرب الدواء في ذلك اليوم
وزعمون ان شرب الدواء فيه ليس كغيره من الايام وفي ذلك تعظيم له كما
تقدم (ومن ذلك) ان من كان منهم يشتكى بحكة فانهم يخرجون في ذلك اليوم
الى ظاهر البلد على شاطئ النبل ويفعلون افعالا قيحة يستحي من فعلها أهل
الديان الباطلة ويعيبون على فاعلها وينسبونه الى عدم الحياء والخيرة
والمروءة وذلك ان النساء يتعربن في ذلك الموضع حتى انهن لا يبقين عليهن
من السكرة بالثياب شيئا لامترا ولا سراويل ثم يدهن بالكبريت ويضعن
في الشمس أكثر يومهن على تلك الحال والناس يمررون عليهن برا وبحرا ولا

النشرة بالضم
سكة الرقبة وزنا
ومعنى اه

يستحبين وكذلك يفعل بعض الرجال أيضا بمكان آخر فإذا كان آخر النهار
دخلوا في البحر واغتسلوا فيه ثم بعد ذلك يلبسون ثيابهم ويستترون كأن
كشف العورة والنظر اليها من كل جهة مباح في ذلك اليوم ومن يخرج إلى
ظاهر البلاد في ذلك اليوم دخل الحمام في الغالب فاستل فيه أو اغتسل في
بيته لأنهم يزعمون أن الغسل في ذلك اليوم نشرة حيث كان وكل ما تقدم ذكره
من واسداهم المستهجنة ليس فيها قبح ولا أشنع من هذا الموسم المذكور إذ
كل ما ذكر ليس فيه كشف العورة ولا عدم الحياء من النظر إليها فإن كان
قد جرى في يوم النيروز جرى السكن على عورتهم شيء من السيرة بخلاف
كشفهم في هذا اليوم (وقريب) مما يفعله في هذا الموسم ما يفعله في
كل يوم من المناسبات التي يوضع التي يغسلون فيها الثياب فيجتمع فيها نساء
ورجال وأجانب والنساء على ما يعلم من قصر الثياب فكانت المرأة هناك مع
زوجها بل هذا أشد مما تقدم ذكره لأن هذا يفعل في كل يوم وما تقدم بفعله
مرة في السنة وأما اجتماعهم في الموضع الذي يسكنونه بالسامية فلا حاجة إلى
ذكر حالها وتصل أمرها إذ أن الأقلام تنزه عن كتب ذلك وينزه أهل العلم
عن ذكر ما يفعل فيها بينهم ثم مع ذلك تعددت مواضعها وكثرت وقيل من
تحصل له حجة الاسلام وبغير ما تدينه الله تعالى به ولو بالسكلام وإشاعة
ما فيها من القبح والرداء على أن يتبعه لذلك بعض من له قدرة من المسلمين
فيغيرون ذلك أو بعضه إلا أن كثيرا منهم كمال السائر كان الجميع شربوا من
منهل واحد في كان باكا فليبيك على ذهاب أكثر اعلام الاسلام لكثرة
ما يحدث فيه ومن يسكت عما أحدث فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل في مولد عيسى عليه الصلاة والسلام) ومن ذلك ما يفعله في موافقة
النصارى في مولد عيسى عليه الصلاة والسلام مع أنه أخف مما تقدم ذكره
لكن اتخاذ ذلك عادة بدعة وهو أنهن يعمن صبيحة ذلك اليوم عسيدة لا بد
من فعلها الكثيرة منهن ويزعمن أن من لم يفعلها أو يأكل منها في ذلك اليوم
يشته عليه البرد في سنته تلك ولا يحصل له فيها دفء ولو كان عليه من الثياب
ما عسى أن يكون ومع كون فعلها بدعة فالشاهد يكذب ما فترينه من قولهن
الباطل والزور فكانت يشرعن من تلقاء أنفسهن نعوذ بالله من الضلال

اللام في قوله
تدينه الخ للتعليل
هـ

(فصل في موسم الغطاس) ومن ذلك ما يفعله في موسم الغطاس وهو اليوم الذي تزعم النصارى ان مريم عليها السلام اغتسلت فيه من الغطاس فاتخذ النصارى ذلك سنة لهم في كونهم يغتسلون في تلك الليلة كبريهم وصغيرهم وذكريهم وانثاهم حتى الرضيع فتشبه بهم بعض المسلمين في كونهم يتخذون ذلك موسم المعنى انهم يزيدون فيه الذمعة ويدخلون فيه السرور على اولادهم باشياء يفعلونها فيه وهذا فيه من التعظيم او اسم اهل الكتاب ما سبق في غيره فاعنى ذكر بعض من الغطاس في الجبل من المسلمين يغطس في تلك الليلة في سجون (ومن اشنع) ما فيه انهم يرفون فيه بعض عيدان القصب وعطبان الشيوخ المرقودة والفاكهة وغير ذلك مما هو معلوم وبعضهم يمدى ذلك للقبالة ويتهادون فيه باطنان القصب وغير ذلك

(فصل في عيد الزيتونة) ومن ذلك ما يفعله بعض المسلمين في اعياد القبط الذي يسمونه عيد الزيتونة يخرج النصارى في ذلك اليوم في موضع يقال له المطرية الى بئر هناك تسمى ببئر الباسم وهي معروفة مشهورة فيجتمع اليها في ذلك اليوم في الغالب جمع كثير من القبط وغيرهم من بلاد كثيرة يأتون اليها للغسل من مائها ثم ان بعض المسلمين يفعلون ذلك ويمرعون اليه كما تفعل النصارى ويغتسلون كغسلهم ويكشفون لذلك في الغالب وهذا فيه مائة ذم ذكريهم من كشف العورات فيهم واسم اهل الكتاب كما تقدم ويزيد هذا انهم يسافرون اليها من المواضع البعيدة نساء ورجالا وشبابا ويحتمون هناك وينهتكون فيه كغيره وفي اجمة عنهم من المفساد مائة ذم ذكره اكن في هذا زيادة فساد اخرى وهي نظار الذمبة الى جسد المسلمة وهو حرام وقد منعه العلماء رجة الله عليهم هذا وان كان الغسل من ذلك الماعب باحافه له اكن في غير وقت اجتماعهم وفي التسليح ما يغنى عن التصريح

(فصل) في بعض عوائد اتخذها بعض النصارى المسلمين آلا امر فيها الى الاخلاص ببعض الفرائض فمن ذلك ما يفعله بعض النسوة من افطارهن في شهر رمضان الماعظم قدره لغير عذر شرعي وذلك ان المرأة اذا كانت مبدنة

وتخاف انها ان صامت اختل عليه حال مماتها فمفطر لاجل ذلك وكذلك
 بعض البنات الابكار يفطرهن أهلهن خيفة على تغيير أجسامهن عن
 الحسن واليمن وكذلك من كانت ممن قد عقد عليها زوجها ولم يدخل
 بها بعد فترك الصوم خيفة على بدنها أن ينقص وكل هذا محرم اتفاقا بين
 الأئمة لا يختلف فيه وعلى من فعل ذلك ثلاثة أشياء القضاء والكفارة
 لكل يوم أفطاره والأثم والكفارة في ذلك عتق رقبة ثم رخصة أو صيام
 شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا وهذا الفعل القبيح مشهور بينهن
 لا يرمي أنهن الساخفن الشرع وأرتكبن هذه الحرمات لمتى عليها المصالح
 الله يدينهم توفيقا في الغالب إذا التوفيق انما ينتج عن الامتثال وذلك بعيد منهن
 في الغالب فقد أصرهن يشتمكين ويبكين ويكابدن المموم وكذلك
 أزواجهن وإذا كن بالعرض بعد المشاورة أو الوقوف إلى الحكم أو هما معا
 وكشف الستر عنهن بدخول الأجانب يدينهما من جسد دار وكيل وأب
 وقريب وجار وغير ذلك حتى ان الغالب منهن يقع الطلاق عليها إلى منتهاه
 ثم يتعاقب خاطر كل واحد منهما بصاحبه ويفعلون ما هو مشهور واليوم بينهم
 من الاستحلال المحرم البين القدرم الذي يستحي المرء ان يحكيه فكيف يفعله
 المسلمون ثم يردوها إلى العصمة على ما يرضون ثم يرجعون به ذلك إلى ما اعتد به
 من المضاررة والمضاربة وسوء العشرة وقد قال مالك رحمه الله ان ذلك
 لا يحلها زوجها الا قول وهم آثمان مادام على تلك الحال وكذلك من عقد
 لمسماعلى تلك الحال اه كلامه بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى جزاء وفاقا
 ولو لم يكن فيه من القبح والذلة الاشئ واحد كان ينسفي لكل عاقل ان
 يهرب منه اذ ان ذلك عقر به محجلة لأم مؤخرة وهو ان التعجربة قد مضت على
 ان كل من فعل ذلك ساء عليه الفقر المدقع في الوقت وفي ذلك مقنع ان خاف
 عقوبة الدنيا وأما خوف الآخرة فذلك لامة لمحين وفيه وجه آخر من المفسد
 المتفق عاينها وانها لا تحمل بذلك اجاعا وذلك ان الغالب عندهن ان الشخص
 الذي يتحلان به رجل معلوم فتجنى المرأة التحل به ثم تأتي ابنتها تتحل به
 وكذلك أمها وجدتها وهي لا تحل بذلك اجاعا ولا يحل للأجداد وطا ابنة من
 تحللت به ولا أمها ولا جدتها ولا خلاف في ذلك فلو كان العالم يتكلم في

المدقع بالضم
 كالمالك وزنا
 ومعنى اه

هذا المعنى وما أشبهه ويشنع على فاعل ذلك ويقبح فعله ويشنع ذكر هذه
 الاشياء ويأمر من حضره بإشاعتها لا تحسمت هذه المادة وقل فاعلها
 * (فصل في صوم أيام الحيض) * ومن ذلك ما اتخذته بعضهن من انهن اذا
 حاضت في شهر رمضان تصوم ولا تفطرن ثم لا تقضى تلك الايام التي كانت
 فيها حائضا ويعلى بعضهن ذلك بأن الصوم يصعب عليهن في حال كون
 الناس مفطرين وهذا ايضا من الاختلاف فيه انها آئمة وان قضاء مدة الحيض
 عليها واجبة وان التوبة واجبة عليها (ومنهن) من تفطرا اذا جاءها الحيض
 ثلاثة ايام وتصوم بعد ذلك مع وجود ما أدى الدم بها ويرى عن ان الدم الذي
 لا يصام فيه انما هو اثلاثة الايام الاول وما بعد ذلك فالصيام فيه واجب
 ويحزى وهذا ايضا من الاختلاف فيه انه محرم وان القضاء عليها واجب
 والتوبة واجبة (ومنهن) من تصوم مدة الحيض وتقضيهما بعده وفاعلة ذلك
 منهن آئمة في صومها في ايام حيضها مصيبة في القضاء بعده (ومنهن) من
 تفطرن في ايام الحيض لكنهن يحقن عن أنفسهن فيه فتفطرا احداهن على الفرة
 ونحوها ويرى عن ان لمن في ذلك الثواب وهذا بدعة وهي آئمة في التسدين
 بذلك وانما حاطها في ايام حيضها في رمضان كالحائض في غيره من الشهور والجب
 المحيىب في صوم بعضهن في ايام حيضها بخافطة منها على صوم رمضان على
 زعمهن ثم ان بعض من يفعل ذلك في الغالب منهن يترك الصلوات الخمس
 بغير عذر شرعى الا انهن اتخذن ذلك عادة حتى لو امرت احداهن بالصلاة يعز
 عليها ذلك وتقول الجوزار ايتنى فكأن الصلاة ليست بواجبة على الشابة
 والمرض انما يتوجه على من طعن منهن في السن فانظر رحمنا الله تعالى
 واياك أى نسبة بين الاحتياط في الصوم حتى صامت ايام حيضها وبين ترك
 الصلوات الخمس التي هي عماد الدين وبها فوامه وقد قال عليه الصلاة
 والسلام موضع الصلاة من الدين موضع الرأس من الجسد وقد اختلف
 العلماء في ترك الصلاة متعمدا وقد قدم ذلك بما فيه كفاية فأغنى عن اعادته
 * (فصل في الوطء في مدة الحيض) * ومنهن من يزعم ان الدم الذي يمنع نرجل
 من الوطء معه انما هو اثلاثة الايام الاول وما بعد ذلك بخائزله ان يطأ فيه
 وهذا افتراء وكذب على الشريعة المطهرة (ومنهن) من يزعم ان الصفرة

والكدرة والغبرة يجوز للرجل وطء المرأة في تلك المحال وهذا يخالف
للإجماع أيضا (ومنهن) من يزعم جواز وطء المرأة إذا انقطع عنها الدم
وقيل أن تغتسل وهذا شنيع يخالف للآية الكريمة الدالة على وجوب
الغسل وهي قوله تعالى حتى يطهرن أي ينقطع عنهن الدم فإذا طهرن
أي اغتسلن بالماء فعند ذلك أباح الله عز وجل وطءها فقيل تعالى فأتومن
من حيث أمركم الله

(فصل فيما يتعلّق بطهارة بعض النسوة من أسباب السمن) ومنهن من يفعل
في علامتهن ما يقبحها جمع بين خمسة أشياء من الرذائل (أحدها) مخالفة الشرع
الشريف (الثاني) إضاعة المال (الثالث) الصلاة بالانجاسة (الرابع) كشف
العورة الغير ضرورة شرعية وذلك أن بعضهن اتخذ عادة موروثة وهي أن
المرأة إذا أتت إلى فراشها بعد أن كانت تعشت وملأت جوفها فتأخذ عند
دخولها الفراش أسباب الخبز فتعتم مع جلة حواشي آخر فتبتاع ذلك بالماء إذ
أنهم لا تقدر على أكله لكثرة شبعها المتقدّم وربما تعيد ذلك بعد جزم من الليل
يمضي عليها وقد وقع النهي عن الزيادة في الأكل على ما يحتاج إليه المرأة
وهي قد زادت في عشاها حتى لم تترك مرضها السلوك المذموم في الغالب ممن يريد
السمن منهم وهذا زيادة على زيادة وذلك مما يحدث الأمراض والأعمال
والإسقام ضد ما مراده أو قد قتل عن بعض السلف رضي الله عنهم أن ولده أكل
وزاد على أكله المعتاد فمرض لأجل ذلك فقيل والدم لومات ما صليت عليه
وما ذاك إلا أنه رأى أنه قد تسبّب في قتل نفسه ومن له فضل ودين لا يصلي
على من اتصف بذلك (فهذان) وجهان أعني فيما تقدم ذكره مخالفة
الشرع وإضاعة المال أما مخالفة الشرع فلما أخرجه أبو داود في سننه عن
عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير
القوم قرني الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والله أعلم
أذكر الثالث أم لا ثم يظهر فيهم قوم يتهدون ولا يستشهدون
وينذرون ولا يوفون ويخونون ولا يؤتمنون ويظهرون فيهم السمن أم لا
إضاعة المال فلا يخفى على أحد أن الزيادة على الشبع من باب إضاعة المال
إذا أنه يفعل غير فائدة شرعية وقد أدى الأمر بسبب تعامل السمن إلى أمر

شبيع فطبيع وذلك ان بعضهن يأكلن مرارة الاذى لاجل ان من استعملها
منهن ~~يكثرا~~ كثر أكلها وقل ان شبيع فتسبب ذلك على زعمهن وهذا
امر لا يختلف أحد من العلماء في تحريمه أعادنا الله تعالى من بلائه بمنه
(الثالث) ان بعضهن يعيان بكثرة السمن والشحم حتى ان يدها لا تقصر عن
الوصول لغسل ما على الحبل من النجاسة لاجل ما تسببت فيه من عالة البدن
وهن في ذلك على قسمين الاول ان تكون فقيرة لا تقدر على شراء من يزيل
ذلك عنها فتصل بالنجاسة اذ انما لا تقدر على زوالها كما تقدم القسم الثاني
وهو الوجه الرابع ان تقدر على تحصيل من يباشر ذلك منها او يزيله عنها فتفتح
في كشف العورة لغير ضرورة شرعية وقد لا تكفيها التجارية الواحدة
فتحتاج الى زيادة فتزيد المحرمات بكثرة من يكشف عورتها لغير ضرورة
شرعية وهي لوصلت والنجاسة معها لكان أخف من كشف عورتها لان
ازالة النجاسة مختلف في رايين العلماء وكشف العورة وكذا مره ثم انهن
يرتكبن مع ذلك أمرا قبيحا محرما أقيح وأشنع مما تقدم وذلك انهن اعتدن
على ما يزعم ان المرأة لا تنظف من النجاسة حتى تدخل يدها في فرجها
فتنظف ما تصل اليه بالسامع يدها وذلك محرم اتفاقا ثم انهن انجذرت عن
ذلك اقصريدها كما سبق وتولى غيرها من اذلك احتساج أن يدنسل يده
في داخل فرجها ليغسل لها هناك من الاذى وهذا قبيح على قبيح وضم الى
مذمومات وهو من فعل قوم لوط وهو أشد تغال النساء بالنساء ولو كانت
صائما أظفرت بذلك في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى سواء كان ذلك من
فعلها بنفسها او من فعل غيرها بها (الخامس) وهو أشد مما تقدم ذكره وذلك
انها تسببت في إسقاط فرض من فروض الصلاة وهو القيام لان بعضهن
لا يقدر على القيام في الصلاة وكذلك الركوع في الغالب فتصل جالسة وهي
التي أدخلت ذلك على نفسها (فانظر) رحمة الله تعالى وإياك الى شناعة
ما أحدثته من هذا الفعل القبيح وقد تقدم من زادي كلمة واحدة فرض
من ذلك فقال والد لومات لم أصل عايه هذا حاله ولم يتعمد ذلك ولم يفعل
الامر واحدة كما تقدم فكيف الحال فيمن اشغله ذلك عادة مستمرة حتى
وصل به السمن الى ما تقدم ذكره سيما وهي اذا وقع لها مرض أو موت فالغالب

انها هي المتسببة في جاب ذلك لنفسها بسبب زيادة الاكل الكثير على ماضى
 بيانه ولا فقه قد يبالغ بها السمن الى ان يصل النحيم الى قلبها فيطغىها ففوت به
 وقد يصعد الى دماغها فيشوش على الدماغ فيه - ذهب عقاها وقد يصعد الى
 عينها فيحجبها فتكون هي المتسببة في ذلك كله وقد وقع ذلك كثيرا وقد
 ورد من قتل نفسه بشئ عذب به يوم القيامة (واقبح) من هذا تعاطى ما ذكر
 من بعض الرجال ادهو عرى من المقاصد جلة اذان المرأة تفعل ذلك ليزيد
 حسنها في زعمها او يغتبط الرجل بها بخلاف الرجل فان السمن فيه يقيح
 وتعاطى ذلك بأسبابه من الرجال اقبح واقبح (وقد) خرج مسلم رحمه الله في
 صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه
 لبأى الرجل العظيم السمن يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقربوا
 ان شئتم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا اه اللهم الا ان يكون السمن فيه خلة
 لم يتسبب فيه فلا حرج اذن لان الله تعالى خلقه على ذلك وليس من صنعه
 في شئ (فانظر) رحمنا الله تعالى واباك الى موافقة الشرع ما أكثر بركتها
 الا ترى ان المرأة اذا ترك شيئاً من الغذاء الشرعى الذى لا يقوم البدن بدونه
 فانه يتضرر ويضعف لذلك وكذلك لو زاد على الغذاء الشرعى زيادة بينة فان
 القوة تضعف بحسب ما زادوه - ذام شاهد مجرب فالحخير للقلب وللقلب
 وللذين وللروية وللعقل وللروح وللسر انما يحسن ذلك كله باتباعه عليه
 الصلاة والسلام وموافقة سنته وضد ذلك كله أعنى من الزيادة في الشبع
 والنقص منه أو غير ذلك يحدث ضد ما ذكر من الحسن وهو القبح وقد تقدم
 أكثر هذا المعنى فيما مضى (ثم المحجب) ممنون في ارضه - كما بين الزيادة في الاكل
 على ما تقدم الساتر عندهن ان ذلك يزيد في الحسن وتغبط الرجال بهن ثم
 يقع ان ما يحدث لمن ضد ذلك وهو كاهن الطفل والطيب وذلك يحدث عالا
 في البدن منها صفرة الوجه وتفتح الفؤاد الى غير ذلك من العلل التي يطول
 تتبعها وهو ما يذهب لون البدن وعافيته ويضطررها الى أخذ الادوية مع
 انه اختلاف في أكله بين العلماء فمنهم من قال انه محرم وهو المعروف والمشهور
 ومنهم من قال انه مكروه ومنهم من قال انه مباح وعلى القول بالاباحة يحدث
 ما ذكره من له عقل لا يتسبب فيما يضرب منه أو عقله ثقل معناه ابن رشد رحمه

الله في كتاب الجسامع من البيان والتفصيل أعني في تحايل ذلك وكراهته ونقل
ابن بشير وغيره التصريم وهو المشهور كما تقدم (ومن ذلك) ما يفعله بعضهم
من افطارهم في شهر رمضان جهارا والناس ينظرون اليهم مثل بعض
التراسين وغيرهم ولا أحديث كراهية في ذلك فيدعون في عموم قوله تعالى
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه والنهي عن هذا كدوا ووجب من النهي
عن ترك الصلاة اذ ان الصلاة في الغالب لا يتحقق تركها الا باقرار من فاعل
ذلك بخلاف الافطار في نهار رمضان فانه ظاهر جلي بين ايس فيه تأويل
اذ ان ذلك لا يجوز الا لاحدا من امراض او سفر او لاء يفطرون وليسوا
بمرضى ولا مسافرين (ومن ذلك) ما اعتاده بعضهم من انه اذا كان به ألم
لا يقدر ان يغتسل معه او يتوضأ تركوا الصلاة لاجل ذلك كان ذلك رجلا
أو امرأة ولا قائل به من المسلمين لان المانع اذا كان في عضوين أو أكثر وكان
الواجب الغسل أو الوضوء مسح ما عذر غسله بالماء وهذا على مذهب
مالك رحمه الله تعالى ولا يعرف في مذهبه جمع بين الماء والتيمم وأما على
مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فيجمع بين غسل ما صح والتيمم على ما عذر
وان كان لم يبق الا عضو واحد أو كان لا يقدر على استعمال الماء البتة فيقيم
وهم بترك كون التيمم حتى كانه لا يعرف لقلة اشاعة ذلك بين الناس وما ذلك
الا لان المعلم في الغالب محبوب عن عامة المسلمين بالتوايين والنقباء على
ما سيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى (وعما) أحدثوه من البدع
ما يفعله بعضهم من انهم يتركون تنظيف البيت وكذبه عقيب سفر
من سافر من أهله ويتشاءمون بفعل ذلك بعد خروجه ويقولون ان ذلك
ان فعل لا يرجع المسافر (وكذلك) ما يفعلونه حين خروجهم معه الى توديعه
فيؤذنون مرتين أو ثلاثا ويرغمون ان ذلك يرده اليهم وهذا كله مخالف للسنة
المطهرة ومن العوائد التي أحدثت بعدها (فان) قال قائل قد توجد هذه
الاشياء التي يذكر الناس انها ان فعلت أو لم تفعل يجري فيها من الامور
ما يكره وقوعه (فالجواب) ان ذلك انما وقع لاجل شؤم مخالفه السنة
والتدين بالبدعة فعملوا بالضرر والذي هم يتوقعونه وقد شاء المحكم
سبحانه وتعالى ان المكرهات لا تندفع الا بالامتناع فكان وقوع ذلك لهم

بسبب مخالفتهم لما أمروا به جزاء وفاقا (وما أحدثه) بعض النساء أن المرأة
منهن إذا كانت حائضا لا تكال القمح ولا غيره من الطعام ولا تحضر موضعه
لاجل حيضها وهذا من فعل اليهود ومنهن) من يرى أن من شرب الدواء
لا يغسل إلا نيسة التي كان فيها الدواء حتى يخرج منه وهذا كالمخالف
للسنة المطهرة وبدع اختر عنها من قبل أنفسهن نعوذ بالله من الضلال

• (فصل في خروج العالم إلى قضاء حاجته في السوق واستنابته غيره في
ذلك) ثم ترجع لذلك كراحتنا إلى العالم في تصرفه فينبغي له بل يجب عليه
أن إذا اضطر إلى قضاء حاجته في السوق أن يباشر ذلك بنفسه فإن فعل ذلك
فقد أتى بالسنة على وجهها وبركتها من الكبر في حمل سلعته بيده أن قدور على
ذلك وإن عاقبه عن ذلك عائق شرعي فله أن يستنيب في ذلك من له العلم
بالأحكام في حياته أطاه من ذلك (وايحدث) من هذه العوائد الرديئة التي
يفعلها بعض من ينسب إلى المسلم وغيرهم فتجد بعضهم يبحث في مسائل
السوق والأحكام في الروايات وغير ذلك في الدروس ويستدل ويحيز ويمنع
ويكفر فإذا قام من مجلسه ذلك أرسل إلى السوق من يتولى له الحاجة صديقا
صغيرا كان أو كبيرا أو عبدا أو جارية أو بحورا أو غيرهم من لا علم عنده
بالأحكام الشرعية وفي السوق اليوم ما عهد وعلم من جهل أكثر البياعين
بالأحكام الشرعية فيعاسيها ولونه في سلعهم وقد تقدم بعض ذلك وفي
الأسواق من الأشياء التي لا يجوز شراؤها جلة (فن ذلك) بيع الكشكك
والحبيبة لأن فيها ما وجوها من الموانع الشرعية فن ذلك أن اللحم الذي فيه ما
أن كان لحم البقر اليوم فهو مكس لأنهم لا يقدرون على شرائه إلا من المكس
وذلك لا يجوز لا عانة المكس بالشراء منه على ما لا يجوز شرعا إذا نه لواء منع
الناس من الشراء منه فمن ذلك ولو كان العالم يتحرى ذلك لا قد يبه غيره
وفسد على المكس مراده (هذا) أن كان شراؤه في غير النيروز (وأما) في
النيروز فيتأكد المنع لشراء لحم البقر مطا القس الزيادة تعظيم شعيرة من شعائر
الكفار على زعمهم وقد تقدم بعض ذلك في فسادهم في النيروز والله تعالى
أعلم هذا وجه (الوجه الثاني) ما يدخل على البائع والمشتري من الجهالة
والغشابة وذلك أن المشتري يريد أن يأخذ اللحم والدهن أكثر من القمح

والبائع يريد أن يعطى القمح أكثر من اللحم والدهن (الوجه الثالث) أنه قد دخل على وزن معلوم والوجه الثاني في ذلك حاصله لأنه لا يدرى كم وزن اللحم والدهن ولا كم وزن القمح لا مكان اعطاء أحدهما أكثر من الآخر بخلاف المريسة فإن ذلك لا يمكن فيه إلا أن اللحم والقمح صار معا كالأشياء الواحدة لا يمكن أن يعطى أحدهما أكثر من الآخر ولا أقل وذلك جائز وإن كانا منع من جهة اللحم لأنه مكس كما تقدم فإن سلم اللحم من المكس فهي جائزة إلا أن يكون ذلك في يوم النسيء وفيمنع لأنه مختص بالنصارى فيحذر العالم من التشبه بهم إذ أنه قدوة لغيرهم من سائر المسلمين وإنما ذكر العالم دون غيره وإن كان هذا لا يختص به وحده لأنه قدوة لغيره كما تقدم (وقد صار هذا الأمر اليوم بين الناس كأنه مشروع فتراهم يوم النسيء والصغير والكبير منهم بالزبدية في يده اشراء المريسة ومن فاتته في ذلك اليوم فكأنه فاتته خير عظيم وقد تقدم في ذلك ما فيه الكفاية فأعني عن عادته (فإن) قال قائل أنا اشتري الكس كالك والمجبية على الوصف الماتقدم فاذا حصل في الوعاء وعايذته أخذته منه جزافا فإنه قد تعين (فالجواب) أن من شرط الجزاف أن يكون مجهول الوزن والكيل عند البائع والمشتري ولما ان دخله الوزن قبل شرائه منه جزافا انتفت الجبهة التي علمها ما يجملته وزنا وبقيت الجبهة والمغابنة في كل جزء من أجزائه فيمنع شراؤه والمخالة هذه فلو قدرنا أنه اشتراه منه جزافا ابتداء فيمنع لأن البائع عالم بذلك في الغالب وإن لم يكن لأن المعرفة التي بيده يعلم بها مقدار وزنه فليس هذا لا يجوز شراؤه جزافا ابتداء اللهم إلا أن يعرف له بغيرها ما لم يعلم قدره والله أوفق (ومن ذلك) بيع لحم السميط نيسا ومطبوخا والشواء وما شابه ذلك قال الله عز وجل في كتابه العزيز قل لا أجد فيما وحي إلى محرمات على طاعم بطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا قال تعالى رضي الله عنها لولا أن الله تعالى قال أو دما مسفوحا لتبغ الناس ما في العروق من الدم ولقد كنا نطبخ البرمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الصفرة لتهلوها من الدم اهـ تعني بتلك الصفرة فضلة ما في العروق من الدم وهو غير الدم المسفوح وهم اليوم يذبحون فيخرج الدم المسفوح فتخبط الذبيحة

فيه ويمتلي رأسها وبعض جلدها فاذا اجتمعت لمسم ذبايح جملة القوا ذلك
في دست واحد فيه ماء يغلى فيحل الدم المسفوح فيه فيصير الماء كله كأنه
دم عبيط وهم يفعلون ذلك لكي ينتف لمسم الصوف وهو لا يزول الا بعد ان
تتلي الاضياء الباطنة من ذلك الماء فتسرى النجاسة الى باطن الذبيحة مع
ان حلقها مفتوح ودبرها فتدخل النجاسة من أحدهما وتخرج من الآخر
فاذا أخذوا الصوف وعلقوا الذبيحة في موضع وقد كانت النجاسة المتفق
عليها منها ظاهرا وباطنا فيطهرونها على زعمهم بالماء البارد فتخس النجاسة
بالماء البارد فتجهد في باطن الذبيحة والمسام فيبقى متنجسا في الشاهد
الضروري الذي لا يحصى عنه ثم يخرجون ذلك الى سوق المسلمين فيبيعهونه
فيه بناء منهم على انه قد طهر من تلك النجاسات ولو كان الماء الذي يغسلونه
به ماء قرا حال كان فيه شبه ما في التطهير فكيف والماء الذي يغسلونه به في
الغالب تراه متغيرا عما في أيديهم من الدماء وغيرها (والشوا) مثله في ذلك لانه
سميط فكيف يجوز لأحد أن يشتري ذلك أو يبيعه فانا لله وانا اليه راجعون
على انه لو غسل ذلك عوام الناس لكان مذموما ولو كان قد دعت البلوى
حتى ان بعض من ينسب الى العلم والخير يجلس في بيته ويرسل من يشتري له
ذلك مع علمه به هذا الامر الفظيع بل يباشر بعضهم شراء ذلك بنفسه ولو
وقع الكلام في ذلك مع من له أمر لكان يغيره بأيسر شيء اذ انهم ايسر عليهم
كلفة في أن يغسلوا المنحر وغيره مما أصابه من الدم المسفوح او غيره من
النجاسات ثم بعد ذلك يدلون في الدست وهذا ليس فيه كبير مشقة مع انه لو
كانت المشقة موجودة لوجب فعلا لكي يسلم من الوقوع في المحرم فكيف
ولا مشقة ولا ضرورة تدعو الى التساهل في ارتكاب ما يتعين على المكاف
تركه الا انها عادة اتخذت ووقع التساهل فيها الغفلة بعض من غفل من أهل العلم
وعدم السؤال لهم في هذه النازلة وما أشبهها مع انه قد ذهب بعض العلماء الى
انه يطهر بالغسل وهذا بعيد لقوله هو وغيره من ان البيض الكثير اذا صاق
ووجدت فيه بيضة فيها فرخ فان البيض كله يتنجس ولا يؤكل اذ أنه لا يمكن
تطهيره مع ان قشرة البيض ليس لها مسام حتى يدخل من ذلك الماء فيها شيء
ويخرج فبالاك باللحم الذي باشر الدم العبيط وقد تقدم في صفة غسلهم له

انهم يغفلون عنه بالماء المتغير وفيه مفسدة أخرى وهي مما تعم في الغالب
وذلك ان الموضع الذي يذبحون فيه مستدير فالليل منهم الذي يكون ذبحه
الى القبلة ومن تعمده الذبح الى غيرها فقد ترك سنة مؤكدة يكره **أكل**
المذبح بسبب تركه او سبب وجوده هذه المفسدة كلها ترك السؤال
من العامة وترك تفقد العلماء بالنتيجة على هذه المفسدة عند مبداء امرها
فاستحكمت المفسدة ومضت عليها العوائد الرديئة فيطعمون الناس
الطعام المتنجس وأجازوا بيعه بينهم بسبب ما تقدم من العوائد الرديئة
والسكوت عن علم ذلك ولا عذر لاحد منهم في ذلك أما العامة فيالسؤال كما
تقدم وأما العلماء فيالسؤال كلام على ما تقدم وليس في هذا كبير أمر ويتعين
ذلك خصوصاً على أرباب الامور وعلى من له شوكة يبيده أو يأسانه بحسب
استطاعته (ثم انهم) يزيدون على ما تقدم ذكره انهم يبخنون التراب الذي
يسدون به النور الذي فيه الذبايح بالماء الذي صار كانه دم عبيط فيتنجس
التراب به ان كان طاهراً وان كان نجساً فيضيغون نجاسة الى مثله افاذا
احس بحرارة النار عرق وقطر منه على الشواء وغيره ما ينجسه ظاهر ان
لو كان طاهراً فكيف وباطنه متنجس كما تقدم به انه وكذلك يطر في نفسه هو
والشواء على المجذابة التي تحته فتتنجس بذلك فيصير الجميع متنجساً وهذا
مشاهد محسوس مرئي ثم بعد ذلك يخرجونه الى سوق المسلمين يبيعهونه
والحالة هذه (وكذلك) تعدت هذه النجاسة الى امر آخر وهو ان كثير من
الناس يذبحون الدجاج وغيره ويأتون به الى المسعط فيدلونها في المساء الذي
تقدم ذكره فيتنجس كل ذلك (وهذا) مع ما فيه من المفسدة انضم اليه محرم
آخر اتفاقاً وهو اضاءة المسال لان ما تنجس من ذلك كله لا يجوز اكله ولا بيعه
وكذلك كل ما عمل به تلك الدجاجة المسمومة على تلك الحال وغيرها من
السعط من ألوان الطعام في البيوت أو عند الشرائح أو عند الطباخين
فيصير ذلك كله متنجساً لا يجوز اكله ولا بيعه ولا شراؤه ويجب غسل
الأوعية التي جعل فيها شيئاً كان أو مطبوخاً وغسل ما اصاب ذلك من بدن
أو ثوب أو مكان أو وعاء أو غير ذلك وقد كان بعض العلماء يقول النجاسة
مثل السم يعني في سرعة سرعانها وانت ترى ذلك فيما نحن بسبيله ومن وقع

له شيء من ذلك فلا يجوز له أن يستنج شيئاً منه إلا بعد تطهيره واللحم والاطعمة
لا يمكن تطهيرها فلا يجوز أكلها ولا بيعها (فان) قال قائل ان اللحم بعد
خروج الروح منه لا يقبل شيئاً عمل فيه ولا تسرى النجاسة الى باطنه (الجوابه)
ان ما ذكره الشاهد لا نك اذا عملت اللحم في ماء ليس فيه شيء من ملح
أو غيره بقي على حاله فان كان في الماء ملح أو زعفران أو فلفل أو غير ذلك تجوز
طعمه في اللحم ويكون ذلك في قلب القطعة من اللحم (فان قيل) ان طعم ذلك
لا يوجد الا بعد النضج (فالجواب) ان دخول هذه الاشياء في اللحم لم يكن مرة
واحدة وانما يقبله شيئاً فشيئاً وهو اذا ألقى في الماء المذكور وهو يغلي فقد
سرى الى باطنه شيء من النجاسة في القلة والكثرة سواء فهو ذليل واضح
شاهد مرئي على انه يقبل ما ألقى فيه اللهم الا أن يكون اللحم قد وقعت
النجاسة فيه بعد نضجه وطبخه فيكفي فيه التطهير بالماء لان النجاسة لم تدخل
في المسام على قول بعضهم قياساً على ما قاله سحنون في زيتون ملح ثم وقعت
فيه نجاسة فان كان قد نضج في الملح فيطهر بالغسل وان كان لم ينضج بعد فهو
متنجس لا يطهر بالغسل ولا يؤكل لانه يقبل ما وقع فيه قبل نضجه وكذلك
هو في اللحم سواء ولا عذر ان يدعى الاضرار الى استعمال السمط والشواء
لوصف طبيب اريض أو غيره اذ ان لحم المساعز وجوده للاصحاء نياراً وشواياً
لائهم يملونه سائخاً لاسميطة اللهم الا أن يصيبه شيء من السميط ان جعل
عنه في التنوير أو سقط عليه شيء من التراب أو الطين المتنجس الذي يستدبه
التنوير كما تقدم مع ان لحم الضأن الصغير السائخ موجود أيضاً وأما لحم
السميط اطهره وجوده للرضى ولان احتاجه من الاصحاء فن أراد ذلك وجده
عند أهل الكتاب من اليهود فانهم يملون الشواء سائخاً من كل ما ذكر مما
يسترى المسلمين في سمط ذلك فكان المسلمون بتطهير ذلك أجدر وأولى
فما أفصح هذا وأشتهر ان يمتاز اليهود بتطهير ذلك عن المسلمين والله الموفق
للرشاد بمنه (فاذا) تقرر ذلك وعلم فلا يقتصر به على ما ذكر بل هو يمتد
الى كل من تناول ذلك فانه يجب عليه غسل ما تناوله به مثل الجزر يكون
عذره سائخ أو سميط فانه اذا لمس السميط بيده أو مسكه تنجس ما أصابه منه
وكذلك يتنجس الموضع الذي يكون فيه واللحم الذي يتناوله أو مسكه

التي يقطع بها من السميطة وبعض من يجتزئ من أكل لحم السميطة قد يقع في هذا وهو لا يشعر ثم تعدى ذلك إلى تنجيس الوعاء الذي يجعل فيه إلى البيوت وغيرها وكذلك يتنجس ما يطبخ فيها أو يؤكل فيها فظهر ما قاله بعضهم من أن النجاسة كالهم أسرع سرابها (وأما الرأس) فهي جائزة إذا سلمت من كل ما ذكر في السميطة وقد جعلت المفاسد التي في السميطة وزادت عليه المكس الذي اختصت به دون السميطة إذا أنه لا يقدرا أحد على شرائها من غير المكاس والأكارع كذلك تنجيسها ومكسها كما تقدم (وأما النفاق ٣) فلا يجوز بيعها ولا شرائها والله تعالى بما في باطنها هذا على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلا أن يشق كل واحدة ويرى داخلها كلها وعلى مذهب مالك رحمه الله تعالى يجوز إذا رأى واحدة منها واطلع على ما في باطنها وأخذ الباقى على ذلك الوصف كما تقدم في بيع الخشكان هذا الوصل من المكس وهي الآن مكسة فلا يجوز بيعها ولا شرائها كما تقدم في غيرها وهذا إن كان بيعها بعد نضجها وأما إن كان يبيعها نيئة ويزن المشتري ثم يأخذها بعد ذلك منه ويقايها الله فذلك لا يجوز (وكذلك) ما يفعله في السمك لأن المشتري يشتريه منه وزنا معلوماً وإن كان متقواً ببعض قلى فإن ذلك لا يخرج عن كونه نيئاً لأنه لا يؤكل كذلك (ففيها وجوه) من الموانع الشرعية لأنه إذا قلاه بعد وزنه كما تقدم لا يعرف كم وزنه بعد القلى فهو مجهول هذا وجه (الوجه الثاني) أنه قد اشتري منه الدهن الذي قلاه له به وهو مجهول (الثالث) ما أورد به تحته كذلك مجهول (الرابع) أجره عليه له مجهولة (الخامس) أنه مجهول في الأصل لأنهم إن علموا عليه الدقيق كثير المبيع لم كم وزن الدقيق ولا كم وزن السمك الذي يؤخذ فعلى هذا لا يجوز شرائه ولو قلاه قبل الوزن إذا أنجه الله موجودة فيه قبل القلى وبعده فهذه خمسة وجوه من الموانع فكيف يرتكب ذلك (والتوصل) إلى أكله على الوجه الجائز شرعاً سهل يسير بأن ينضجها البائع بالقلى وهو على ملكه ثم يبيعه للمشتري وزناً أو جزاً فاشترط أن يكون الدقيق الذي عليه يسيراً محتاجاً إليه (وأما الكبود) فإن سلمت من المكس لمكان جائزة وهي الآن مكسة فيمنع شرائها وكذلك يمنع كل ما هو مكس ويستغنى بغيره عنه مثل النشا

٣ اتفاق شهرة عند أهل الغرب بالكلية وأشد بعضهم
لا كل الكازدهوى ولو تنفعه كفى بروض الجنان
لأنه يشبهه فيما يرى أصابع الصليب والقرآن

والسهم المقشور ولحم الحجل ولحم النعام وأما اللسان البادى والقذور
 الملبدة والكيزان البيض أيضا إلى غير ذلك مما قد علم فكما تقدم من أن
 الشرائع منهم أمانة لهم على المحرم الذى ارتكبوه وفيه وجه آخر وهو أن من
 اشترى منهم فقد اتصف بترك التغيير بالقلب وقد تقدم أن ذلك أضعف
 الايمان وقد سمعت سيدى أباجم درجة الله تعالى ينقل عن العلماء أن صورة
 المكس أن يحتكر شخص واحد أو أكثر منه ساعة أو ساعة لا يبيعه أحد
 غيره أو غيرهم أو من يختاره أو يختارونه وإن كانوا بشرط أن لا يأخذوا
 الساعة إلا من جهة فهو ذاهب والذى لا يجوز الشراء منه والظلم هو الذى
 تقر فى بعض الاشياء أن من اشترى شيئا أو باع فعليه كذا وكذا فهو ذاهب
 لا يمنع من شرائه ولا يبيعه إذا ليس فيه أمانة اهـ وقدنا الله تعالى لما يرضيه
 عنه لا رب سواه (وأما المنفوش) فبيعه جائز إذا اشترى الفطير على حدة
 بمن معلوم واللاطوخ مثله وأما أن اشتراه على غير هذا الوجه فيمنع لما يدخله
 من الجهالة لأن غرض المشتري والبائع مختلفان فى ذلك فالمشتري يريد أن
 يأخذ من اللاطوخ أكثر من فطير المنفوش والبائع يريد أن يعطى من فطير
 المنفوش أكثر من اللاطوخ وهذا من باب بيع المغالبة مع ما فيه من الجهالة
 بالوزن لأنه لا يعرف كم وزن الفطير ولا كم وزن اللاطوخ والبياعات تنقسم
 على ثلاثة أقسام مكيل وموزون وجزاف وهذا غير مكيل وقد اشترى على
 الوزن وأخذ منه بجه ولا ولو أخذ بجزاف من غير وزن بعد تعيين ذلك له مانع ذلك
 أيضا لأن البائع يعرف مقدار ما يأخذ من اللاطوخ غالباً وإن لم يزنه كما
 تقدم فى بيع الهبة والله الموفق (وأما بيع الفقاع) فهو جائز أيضاً وذلك
 إذا صلب ما فى الكوز فى وعاء وعائنه المشتري وعلم قدره وصفته (وأما) على
 ما يبيعه يومه فهو غير جائز لوجه (الاول) أن كوز الفقاع من الاواني
 التى نهى عن الاتباذ فيها مثل الدباء والمزقة والختم والنقير بسرعة التخمير
 الذى يسرى اليها بسبب سد مسامعها وكوز الفقاع كذلك وقد بينت منها
 شئ عند البائع فيبيعه للناس بعد ذلك ولا يتفقد وقد يسرع اليه التخمير
 فيشتريها المشتري وقد صارت خرا هذا وجه (الوجه الثانى) انه مجهول
 وذلك انه يسد قم الكوز بعود أو غيره ثم يضعه على فيه فقد يكون فيه
 لم يسد كله فينزل ما فى الكوز أو بعضه فان أخذ المشتري لا يعلم مقدار

ما فيه فيطنه ملائنا وقد يكون بعضه وذلك مجهول (الوجه الثالث) انه
لا يجوز بيعه على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى الا بعد الايجاب والقبول
لانه اوجب ذلك في المحقرات وهذا منها فلا يصح بيعه الا بعد ان يقول البائع
بعثك واشترى قد اشترى او ما يقوم مقام ذلك مما نقلوه وذلك مفقود
بينهم ما واما على مذهب مالك رحمه الله فيجوز على مقتضى قوله في بيع
المعاطاة اذا فرغ من الشك وزوعا به كما تقدم (الوجه الرابع) ان الشرب
من موضع سؤر الكفار مكره والفقاع يشربه النصراني وغيره من يكون
فيه متنجس فينجسه وقد لا يغسله بعد ذلك الغسل الشرعي قبل ما يشربه
يا في المسألة لم يوضع فاه موضع فم النصراني وغيره من لا يتحرز من النجاسة
وليس هذا الوجه خاصا بالفقاع وحده بل هو عام في كل ما يشربه
مثل السقاء وغيره لان الممهور من بعضهم انهم يسمون من لا يتحفظ من
النجاسات ومن تعافه النفوس مثل الصبي الصغير والابرص والمجذوم
واليهودي والنصراني ثم يأتي غيرهم من المسلمين الاصحاء فيضع فاه موضع فم
من تقدم ذكره وهذا فيه من القبح ما فيه ثم مع هذا قد عرى عن اقسام
البياعات الثلاث المتقدمة ذكرها الا ترى انه ليس بمكيل ولا موزون
ولا جزاف اذ ان الجزاف من شرطه ان يكون مرثيا محزوا ومحيطا بالبائع
والشترى بقدره وصفته وهذا غائب لا يعرف قدره ولا صفته ولا يأخذه
خزفه هذه وجوه عديدة تمنع صحة بيعه ولا عذر ان يقول انه من المحقرات
فيجوز بيعه كذلك لان المحقرات وغيرها في شرط صحة البيع وفساده سواء
الابا اغتفر في ذلك من شرط الايجاب والقبول عند بعضهم فيها اذ المحذر المحذور
من الميل الى فتوى مفت يطرأ عليه ما يطرأ على البشر فيأنس بالعوائد
المتخذة فيخرج بسببها عن قواعد مذهبه بسبب استمرار تلك العوائد والله
الموفق (ومن ذلك) شراء المخبز وغيره وقد تقدم رحمنا الله تعالى واياك ان
البياعات تنقسم على ثلاثة اقسام: شراء المخبز يشترط فيه ان يكون وزنا او
جزافا وكلاهما جائز وانت ترى بعضهم يخرج ذلك عنهما بسبب انه يزن المخبز
فيجده يشح عن الوزن فيخرج منه من كفة الميزان ويعطيه للشترى ويدفع له
عوضا ناقصا من وزنه كسرة جزافا فقد خرج بسبب ذلك عن الوزن لانه

لا يعلم قدر وزن الاول الذي دفعه اليه ناقصا ولا قدر الكسرة التي دفعها اليه جزافا فقد دخل على وزن معلوم وأخذ بجهولا وذلك لا يحل فلو زاد الكسرة أو الخبز في كفة الميزان ولم يبرح حتى حقق كمال الوزن لمكان جائزا وان رجح لان الزائد هبة مجهولة وهي جائزة في مذهب مالك رحمه الله تعالى وكذلك لو دفع له الوزن ودفع له الكسرة جزافا لم يجاز وليس ما ذكر في وزن الخبز وما يفعل فيه مما يصير به مجهولا خاصا به بل ذلك عام في أكثر البياعات كالسمن والزيت واللحم وغير ذلك مما يفعل فيه ما يفعل في الخبز من المحذور فاحذر من هذا واشباهه فإنه قد يكسب الانسان الثمن من حله ويدا كله حراما بتصرفه والله الموفق (ومن ذلك) الشراء من النصراني وغيره ممن لا يتحفظ من النجاسة (وينبغي له) أن يتحفظ من شراء المائعات وما أشبهها من هذا حاله لان النصراني يتدينون بأن النجاسة اغماهى دم الحيض وحده وكل ما عدا ما ظهر على زعمهم فتجد أحدهم يقول في دكانه ويتناول المسامح وغيره بيده ولا يطهرها وكذلك الجبن المفلو وغيره مما يكثرون مباشرة له حتى قد يصل ذلك الى تعيين النجاسة يقينا فالشراء منهم على هذا مكره فان فعل ذلك فلا يأكله حتى يغسله ان كان مما يمكن غسله هذا وجه (الوجه الثاني) ان شراءه من أهل الذمة مكره ولو كان طاهرا بلا شك لان في الشراء منهم منفعة لهم والمسلمون أحق بالنفع منهم لان المسلم مأمور بإعانة أخيه المسلم مهم المكنه (ومن) مختصر الواضحة ان مال الكاذب أن عمر بن الخطاب كتب الى أهل البلدان ينهاهم عن أن يكون اليهود والنصارى في أسواقهم صيارفة وخازين أو في شئ من أعمال المسلمين وأمر أن يخرجوا من أسواق المسلمين (قال مالك) رحمه الله وأرى للولاة أن يفعلوا في ذلك فعل عمر (قال) ولا بأس أن ينصب اليهود والنصارى لأنفسهم ولا أهل دينهم بحزرة على حدة وينهون أن يبيعوا من المسلمين وينهى المسلمون أن يشتروا منهم ومن فعل ذلك فهو رجل سوء لا يفسخ شراؤه وقد ظلم نفسه الا ان يكون الذي اشتراه من اليهودي مثل الطريقة وشبهها مما لا ياكلونه فيفسخ على كل حال اه والطريقة هي ما يوجد من الرثة ملصوقة بالشحم (وقد) اختلف في تذكبتهم لهذه وكل ذي ظفر والشحوم التي حرمت عليهم (فحكي) اللخمي

في ذلك أقوالا قول بالجواز وقول بالمنع وقول بالكراهة وقول بالفرق بين
ما حرمه الله تعالى عليهم وبين ما حرموه على أنفسهم واختلاف في هذا القول
على أقوال ثلاثة فقليل يؤكل ما حرمه الله عليهم وما حرموه على أنفسهم وقيل
لا يؤكلان وقيل يؤكل ما حرموه على أنفسهم ولا يؤكل ما حرمه الله تعالى عليهم
انتهى (فإذا) ترك أهل الذمة واشتري من المسلمين فينبغي له أن يتحرر زمن
الشراء ممن لا يتحفظ منهم من النجاسة لأن كثير منهم يشترون الخرق عن
بجدها من الطرق والسكيمان وغيرها من المواضع المستقرة بالنجاسة
وغيرها سواء كانت من أثر الخبيث أو من أثر من يعاف أثره من أهل البلاد
فيستعدون بها أيديهم وغيرها من الأوعية وذلك حرام لما فيه من أذى المسلمين
(وإذا) اشتري من المسلمين فينبغي له أن يختار منهم من يظهر عليه سيما الصلاح
فإن يحجز عن معرفة ذلك فيختار من يصلح منهم فإن يحجز عن معرفة ذلك فيختار
من هو أنظف وبها لأن النظافة والوضوء غالبهما لا تكون إلا من الوضوء
بخلاف غير الوضوء فالغالب فيه عدم ذلك والله الموفق (ومن ذلك) الشراء
من أصحاب الطبلات والدكاك المستديمة في طريق المسلمين ومن يتعدى
طريقهم يبيع ويشترى لأن ذلك غصب الطريق المسلمين وليس لأحد في
طريق المسلمين إلا أن يمر في حاجته أو يقف فدر ضرورته ولا يجعله كأنه
دكان يبيع فيه ويشترى لأن في ذلك تضيق على المسلمين في طرقاتهم ولو كانت
متسعة فذلك لا يجوز لاسيما والطرق في هذا الوقت قد ضاقت عن العاريق
التي شرعت للناس وذلك على ما قاله العلماء أن يمر جملان مع الحملان يتنافى
الطريق لا يمر أحدهما إلا آخر فانظر رحمنا الله تعالى وإياك إلى حد
الطريق المشروع وإلى ما عليه الطريق اليوم فكيف يجوز والحال هذه
شيء مما قدم ذكره لاسيما إذا انضاف إلى ذلك أن يكون يوم الجمعة أو في وقت
منصرف الناس إلى الخمس صلوات أو إلى تفقد أحوالهم في البيع والشراء
(وأشد) من هذا كله ما يفعله بعضهم من الجلوس بالطبلات على أبواب
الجوامع فيضيقون على الناس طريقهم إلى بيت ربهم فهم غاصبون لذلك
في وقت الحاجة إليه وكل من اشتري منهم فقد اعانهم على ما فعلوه من
الغصب فهو شريك معهم في الاتم سيما إن كان فيها الشيء الذي يسمونه

بالجملقة فانه يضاف الى هذه المقاسد مفسدة كبريتها اذ قد قدم مثاها في
السقاء والفقاع وهي أن تلك الملعقة التي يغطها للناس لا يرد عنها أحد ممن
كان كالآدم والأبرص والصبي الصغير والنصراني واليهودي وينبغي له
أن لا يشتري اللفت والألوية لأنهم يعملون فيها النشادر حتى يخضر ابذلك
وهو نجس على ما سبأني بيانه ان شاء الله تعالى فان كان عند البائع غيرهما
من المائعات فكل ما يباشره منها تنجس كما تقدم في السعيط سواء بسواء سيما
ان كان البائع نصرانياً فمن باب آخر اذا نه لا يتحرز من بول نفسه في طعامه
فضلا عما يعمل للمسلمين وينبغي أن لا يشتري من يجلس في المقاعد التي في
طريق المسلمين اذ أن ذلك غصب لما كما تقدم وقد فشا هذا الامر واستمر الحال
عليه حتى قد رجع بعضهم يذكرى تلك المقاعد التي تلي بيته او ملكه او ما هو
حاكم عليه وبعضهم يأخذ ابوة ذلك حتى كأنه مشروع بينهم فلا ينكر بعضهم
على بعض وذلك حرام متفق عليه وان رضيا بما بذلك فالشرع يأتي ذلك كله
لما تقدم بيانه وایس ذلك مخصوصا بالمقاعد ليس الا بل كل من غصب
شيئا من الارض فلا ينبغي معاماته الا من ضرورة داعية الى ذلك ولم يوجد
منه بد كنه هذه الدكاكين التي يعملون بها مساطب يقطعونها من طريق
المسلمين خارجة عن حوائثهم قد ضاق الطريق بها من الجانبين وسبب هذا
كله عدم النظر الى ما كلفه المرء من مراعاة الشرع وغفلة من غفل من بعض
العلماء وترك السؤال من العامة كما تقدم بيانه غير مرة الا ترى ان المعنى
الذي لاجله منع الشراء من المسكاس موجود في الشراء من اتصف بشيء مما
ذكر انه لو تحامى المسلمون الشراء منه لاجل ما اتصف به من غصب طريق
المسلمين لنزع عن ذلك واذا كان ذلك كذلك فالشراء منهم اعانة لهم على
ما يفعلوه وذلك لا ينبغي لان المشتري يصبر بشرى كالحلم في انهم غصبهم لطريق
المسلمين (الآثرى) الى مائة قبله الامام ابو طالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه
من الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى انه كان عنده شيخ من الصالحين يحضر
بجلسه وكان الامام يعظمه تحيره وبركته ثم بلغه ان الشيخ ليس جدار بيته
بالطمين من خارج فتركه الامام وكان من عادته انه اذا جاء اليه اجلسه الى
جانبه ورحب به فلما ان بلغه عنه ذلك تركه ولم يقبل عليه واعرض عنه

فبقي كذلك أيا ما فسأل الشيخ أصحاب الإمام عن سبب اعراضه عنه فأخبروه
أنه بلغه أنك أيت جدار بيتك بالطين من خارج فساء الشيخ إلى الإمام
فسأله عن موجب هجرانه له فأخبره الإمام بذلك فقال له الشيخ لى ضرورة
فى تلييس الجدار وليس فيه كبير أمر فى حق المسارين فقال له الإمام ذلك
غصب فى طريقهم فقال له الشيخ هو نزيير فقال له الإمام اليسير والكثير
سواء فى حق المسلمين فقال له كيف افعل فقال له الإمام أهدأ من أمان
تزيل التلييس وأمان تنقص الجدار وتدخله فى ملكك قدر التلييس
فتبنيه على ذلك ثم تليسه بعد ذلك فلم يكلمه الإمام حتى امتثل ما أمر به أو كما
قال (وقد) حكى عن بعض الأكارم من المتأخرين أنه مر هو وأصحابه بجانب
قم قد سبيل فجعل بعض أصحابه يده على السبيل ثم نزعها فى الوقت فرآه
الشيخ فأمره أن يسأل عن صاحب القمح ويستعمل منه ذلك فقال له
الفقيه يا سيدي اليس السبيل قد وقف كما هو وما ضربه ما فعلت به فقال له
الشيخ أرايت لو مر به ألف رجل أو أكثر ففعلوا ما فعلت أكان يرقد قال نعم
فقال له لك فى ذلك حصة من الظلم فلم يكلمه ولم يهجه حتى استعمل منه
(فانظر) رحمة الله تعالى وإياك إلى بركة تفقد العلماء للحوادث التى تحدث
فى زمانهم كيف يتأقون بها هذا التلقى الحسن المجل فلو بقي العلماء على طرف
من ذلك لكانت هذه المواد تخسّم أو يقل فاعلموا ولكن السكوت من
العلماء وعدم السؤال من العامة لهم أوجب ذلك وصار مترايدا وفقنا الله
لرضائه (قال) الشيخ الإمام أبو الحسن اللخمي رحمه الله تعالى فى تبصرته وأما
ما يكون بين الديار من الرحاب والشوارع فيما أخذ كل واحد منهم منها إلى
دأره فإن كان ذلك مما يضر بالمسارين وبأهل المواضع منع وإن فعل هدم عليه
واختلف إذا كان لا يضر فروى عن مالك الجواز والكراهة واحتج من قال
بهدم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع من طريق المسلمين
وأفنيهم قيد شبر من الأرض طوّقه يوم القيامة من سبع أرضين وإن عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه مر بكير حذاء بالسوق فأمر بهدمه وقال تضيقون
على الناس واحتج من أجاز ذلك بحديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تشاحوا فى الطريق فسد بعة أذرع
أخرجه البخارى اهـ (فهذا الكلام) على بعض ما فى الأسواق من المفاصد

وفي التلويح ما يغني عن التصريح (فإذا) كان ذلك كذلك فيتعين على العالم أن
يتصرف بنفسه في قضاء ما آربه أن قدر عيفة من المفساد أن تدخل عليه
ولوجود آخره كبريها وإن كانت بيعة جلية لغير العالم فكيف للعالم (فنها)
إذا خرج من بيعة ثم شئ مما ذكر فينبوي بذلك أقبع السنة في الخروج إلى
السوق واتباع السنة في قضاء حاجته بيده لأن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يباشر ذلك بنفسه الكريمة (ثم) يضيف إلى ذلك نية التواضع مع أخوانه
المسلمين ونية الاقتداء بهم وإرشادهم وتعاليمهم وتهذيبهم ودفع المضار عنهم
وسلامتهم من دخول الربا عليهم إذا كان ذلك دخل على أكثرهم في جلب أرباحهم
(الأتري) أن السلف تجر المنفعة غير جائز وأنت ترى كثرة ذلك بينهم فتجد
أحدهم يعامل الآخر فيشتري منه السلع التي في مكانه ثم إن أعوزه شيء لم يكن
عنده استقرض منه ثمن ذلك وذلك سلف جرم منفعة لأن الغالب أنه لو لم يعامله
ما اقترضه حتى أنه لو أراد أن يشتري من غيره السلعة التي هي عنده لتشوش
من ذلك وقد لا يقرضه ثمن ذلك إلا بكرة فقد تبين أنه سلف جرم منفعة
(وكذلك) ما يدخل عليهم من المفساد مثل عدم الإيجاب والقبول على
مذهب الشافعي رحمه الله تعالى وكذلك على مذهب مالك رحمه الله من
دخول البيع والمصرف عليهم والسلف والصرف وغيرهما وهذه المعاني
وغيرها كثيرة بينهم فإذا كان العالم يباشرهم في ذلك انحصرت مادة الفساد
وقل وقوعها ببركة العلم الذي يدور بينهم (وينوي) مع ذلك ترك التكبر وترك
التعبر وترك الفخر والخيلاء إذا كان من دخل الأسواق وحمل سلعته بيده فقد
برئ من ذلك كله (وقد ورد) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل إلى السوق
في خلافته فلم يرفيه في الغالب إلا النبط فأغتم لذلك فلما ان اجتمع الناس به
أخبرهم بذلك وعذلهم في تركهم السوق فقالوا إن الله عز وجل قد أغنانا عن
الأسواق بما فتح به علينا فقال رضي الله عنه والله أشفق علىكم أحتاجن
رجالكم إلى رجالهم ونساءكم إلى نساءهم (وقد) كان بعض السلف رحمه الله
إذا رأى النبط يقرءون العلم يبكى إذا ذلك وما ذاك إلا أن العلم إذا وقع لغير أهله
يدخله من الفساد ما أنت تراه والله يرشدنا لما فيه السداد بمنه (وينوي) مع
ذلك اتباع السنة من إرشاد الضال وتشجيع العاطس والسلام على أخوانه

من المسلمين ورد السلام عليهم - ثم ذكر الله تعالى في السوق ان شاء سرادان
 شاء جهر افا السرفيه فائدة كبرى وهى ذكر الله تعالى في موضع الغفلة والجهر
 فيه ذلك وزيادة تلييه الناس على ذكر ربهم وحدا الجهر ان يسمع نفسه ومن
 يلبه وفوق ذلك فلا ولا يرفع صوته بحيث انه يعمر حلقه كما يفعله بعض
 الناس ويضيفون اليه التلحين والترجيع وذلك من محذورات الامور
 ولم يكن من فعل السلف رضوان الله عليهم وحدا السر تحريك اللسان بما
 يريد وهو ان يقتسمه فيقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
 يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير واليه المصير وهو على كل شئ قدير ثم
 يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة التامة ثم يقول اللهم انى اسألك من
 خير هذا السوق واعوذ بك من الكفر والافسوق بذلك ورد الحديث فيه فتتم
 بركة الامتثال والله الموفق واذا رأى شيئا يعترف به (وقد) كان عبد الله بن
 عمر رضى الله عنه يخرج الى السوق وليس له حاجة الا ان يذكر الله تعالى
 فيه ويسلم على اخوانه من المسلمين وكذلك سالم بن عبد الله وغيرهما
 (والخروج) الى السوق من شعار الصالحين والاولياء والعلماء المتقدمين رحمة
 الله عليهم اجمعين (قال) مالك رحمه الله تعالى كان ذلك من شأن الناس
 يخرجون الى السوق ويقعدون فيه اه وما سعى السوق سوقا الا لتفاق
 الساع فيه في الغالب واكبر ساع المؤمن التى يطالب ربه بها تعلمه وتعلمه
 وارشاده لنفسه واخبره وذلك في الغالب موجود في الاسواق لكثرة وجود
 اخوانه فيها وفيهم العالم بما يحاوله والجاهل بذلك (الأتري) ان اصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في الاسواق يقفون وفي حوائطهم
 يعملون وعلى هذا استقر علماء الامة وسلفها (فان) قال فائل كيف يمكن
 تعاليم العلم في الاسواق وذلك امتهان لحق العلم ونقص محرمه العالم واستهانة
 بقدرهما واهل الاسواق مع ذلك لا يسألون في الغالب وبذل العلم انما يجب
 اذا سئل عنه لقوله تعالى فاستلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (فالجواب)
 ان يقال ان العالم يتعين عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يخفاه
 في ان ترك السؤال وترك التعاليم من المنكر البين فيتعين على العالم ان ينهى
 عن ذلك وان ينصح اخوانه المسلمين مع التلطف لهم وامتنال أمر الله تعالى

تفاق بوزن رواج
 وممتناه اه

فيهم ومن جملة ذلك تعاليم جاهلهم والتعليم في الاسواق أكثر بياناً من غيرها
لوجود العلم والعمل مع العلم الذي يتعلمه البائع اغماض وفي الغالب في السلع
التي في دكانه والغالب انه لا ينسأه (فان) اخنوخ محتج بحديث الاعرابي الذي
قال عليه الصلاة والسلام فيه ارجع قصص فانك لم تصل وكرر ذلك ثلاثاً حتى
قال له الاعرابي والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فعلمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهذا صريح في ان العالم لا يجب عليه أن يعلم حتى يسأل
(فالجواب) ان الحديث دليل لما قدمناه من وجوب الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد انكر عليه أولاً ولما ارجع
فصل فانك لم تصل لان صلاته تلك لا تحيى زفغير صلى الله عليه وسلم ذلك عليه
وهذا الذي ذكرناه في انه يجب على العالم أن يغير على الناس ما هم فيه
من مخالفة السنة فاذا غير عليهم ذلك سألوهم فاجابهم وانما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك مع الاعرابي ثلاثاً لوجهين أحدهما أن يسأل كما
تقدم والثاني ان يثبت له العلم لانه اذا وقع التنبيه مراراً قبل الالتقاء ثبت
العلم بعده كما قال صلى الله عليه وسلم اعاذن جيل يامعاذ ثم سكت ثم قال له
يامعاذ ثم سكت ثم قال له في الثالثة يامعاذن جيل فالتقى اليه صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك الحديث الى آخره وحكمة تنبيهه صلى الله عليه وسلم
في الحديثين ثلاثاً اعني حديث الاعرابي وحديث معاذ المتقدم ذكرهما
لان عليه الصلاة والسلام كان اذا وقع له امر له قدر وبال كرره ثلاثاً ولما
كان حديث معاذ في الاعتقاد وحديث الاعرابي في الصلاة ومحل الصلاة
من الدين محل الراس من الجسد كررهما صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وكذلك
كررماناسيهما وما لم يتأكد أمره يكتب في فيه من التنبيه مرة واحدة لمن عقل
ومن لم يعقل يزيله في التنبيه حتى يعقل ولم يزل على هذا شان العلماء
والصلحاء اذان المؤمن يجب لاحبيه المؤمن ما يجب لنفسه والمؤمن مرآة
المؤمن (وقد ورد) عنه عليه الصلاة والسلام ما أكد هذا الامر وبينه
وابنه بقوله عليه الصلاة والسلام ترى المؤمنين في تراجمهم وتوادهم كالجسد
اذا اشتكى بعضهم تداعى له ساثر الجسد بالسهر والحى وعلى هذا استمرت
الامة الى هلم جرا (الآثرى) الى ماجرى للامام الطرمطوشي رحمه الله تعالى

قوله شاغرة أى
خالية اهـ

وكان من المتأخرين لما أن ورد الديار المصرية ليحج فلما ان حج ورجع وجد
الديار المصرية شاغرة من العلم ولا يتكلم أحد في مسألة جوار ولا يقدرون
بمسئلت في يد كتاب الغلبة الامر من السلطنة على ترك ذلك لبدعة كانت فيهم
تدينوا بها فلما ان رأى الامام الطرطوشي رحمه الله هذا الحال ودع رفيقه
من الاسكندرية وأرسل السلام الى ولده بالمغرب وقال هذه بلاد لا يحل لي
ان اخرج منها ما غاب فيها من الجهل فجعل رحمه الله يقعد على دكان بيع
فيه علم ما يحتاج اليه في عقيدته وفرائض وضوئه وسننه وفضائله وكذلك
تعليمه وغسله وصلاته ثم ينتظر لما عنده من الساع فيه علم ما فيها من الاحكام
التي قلزمه واقضية تعاطيه بيعها وشراؤها وكيفية دخول الرباعية والسلامة
منه ان كان مما فيه الربا فاذا فرغ منه يقول له علم جارك ثم ينتقل الى دكان
آخر حتى قام العلم على مناره وزال الجهل في حكاية يطول ذكرها وهذا هو
المقصود منها فكان السبب لانتشار العلم وظهوره في الاسواق الا ترى انه
لو قعد في بيته حتى يطلب منه التعاليم لم ينتفع به أحد ممن في الاسواق ولا غيرها
وانما حصل ذلك الخبير العظيم ببركة التواضع وامتنال السنة وسلوك
طريق الساق في دخول الاسواق ومراجعة العوام في ما يحاولونه مما لا ينبغي
(فعلى) هذا ينبغي للعالم أو يتعين عليه انه اذا رأى الناس قد أعرضوا عن
العلم عرض نفسه عليهم لتعليمهم وارشادهم وان كانوا معرضين لان العلماء
ورثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين كان الناس معرضين كان يعرض نفسه المكرمة على قبائل العرب
ليقبلوه وينصروه اذ ان الغنيمة عندهم ارشاد شارده عن باب ربه أو ضال
لا يعرف الطريق فيردونهم الى باب مولاهم ويوقفونهم على بساط كرامته
ياتبع امره واجتناب نهيه (وقد) كان سيدي حسن الزبيدي رحمه الله
يقول اني لا أريد أهدأ من الصالحين ولا من العلماء يأتياني اذا حاجتهم بي
ولا حاجة لي بهم وانما أريد من ه وشارده عن باب ربه فأرده اليه أو كلاما
هذا معناه ولا شك في ان من قعد في السوق ولم يأت العلماء والصالحاء ولم يكن
منهم ورضي لنفسه بتلك الحال انه شارده عن باب ربه فيمتدح على العالم سياسة
من هذا حاله حتى يوقفه بباب ربه كما تقدم (فانظر) رحمتنا الله تعالى واياك

الى نية العلماء اذا صلحت كيف يبذلون أنفسهم في الاسواق والمجوس فيها
مع الباعة ومن هو متصف بالبعد والجهل فيردونهم بالعلم الى اسنى الاحوال
وارفعها الاجرم انه لما كان العلماء على هذا الاسلوب المبارك اتفقهوا ونفعوا
وعمت بركتهم لاهل الاسواق وغيرهم بخلاف ما يعهد من احوالنا اليوم مع
انه والمجد لله لم يعد ذلك البتة اذ ان علماء المغرب اكثرهم على ما وصفنا لم يغير
عليهم بعد الزمان ولا خصاله غير المجنس من الاعاجم وغيرهم فاتفقوا
بانفسهم واتفقه الناس بهم وعمت بركتهم على الناس كافة ولو ~~كان~~هم
وامرائهم وصلحاتهم وعلمائهم وعامتهم (وقد) نص عليه الصلاة والسلام
على ذلك بقوله لا تزال طائفة من هذه الامة قائمة على امر الله لا يضرهم من
خالفهم حتى ياتي امر الله وفي رواية تعيين جهتهم بقوله عليه الصلاة والسلام
طائفة بالمغرب وفي رواية لم لا يزال اهل المغرب فاجمده الله الذي بقي الخير
متصلا وبسبب وجودهم وتصرفهم بالسنة المطهرة على ما تقدم ذكره
ارتدع كثير من اهل البدع وقل ظهورها واهلها ونزات البركات وجاءت
الخيرات وبقي الناس في خفارتهم محمولين في ارغد عيش عكس ما هو عليه
الحال اليوم في الغالب في الوقت فتجد بعض المنتسبين الى العلم يتشبه بالملوك
في البوابين والحجاب ومن يشي بين يديه من الطرادين حتى قل من يصل اليه
من المضطرين والمحتاجين الى مسألة واحدة من العلم فيتحيلون في الوصول
اليه بوسائط كما يفعل الملوك وهذا الحال لا يليق باهل العلم بل هو من فعل
الجبابة المذمومين والغالب من بعض العوام اليوم الشرود عن العلم
والنفور عن اهل الخير لغلبة الجهل وقلة المهتم لغير سبب فكيف بهم اذا
وجدوا السبب ويعسر عليهم امر السؤال الابعث فيقع الفرار والشرود
اكثر فكان ما يتعامونه جميعه مما لا يجوز فعله في معاملاتهم في ذمة من
انصف بما تقدم ذكره مما منعهم به عن تعلم العلم (ثم نرجع) الى ما كنا بسبيله
من بقية فعل العالم في السوق وادبه فاذا مشى في السوق فيضع بصره حيث
يريد ان يضع قدمه ويحفظ على نفسه من رفع بصره لئلا يقع على ما لا يحل
رؤيته (وقد) كان سيدي ابو محمد رحمه الله تعالى يقول ان الانسان اذا رفع
بصره في الاسواق او في الطريق التي بالديار المصرية ما رفعه الا وينظر الى

حريم المسلمين وان لم ينوه اذان من عادة بعض نسا them المجلس في الطاقات
وابواب الریح وذلك على الاسواق والطرق في الغالب (وقد) كان الساف
وجههم الله تعالى يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام (وقد)
دخل بعض الناس ومعه ولده على بعض الساف فقال الصبي لصاحب المنزل
يا سيدي امانتخاف ان تقع في هذا البيت وهو على السقوط فقال له من اين
علمت ذلك فقال له خشية مكسورة في سقفه فقال له الشيخ ما اكثر فضولك
اليوم اربعون سنة في هذا البيت ما رايت سقفه وانت من حينك رايتها
او كما قال وقد مكث بعضهم اربعين سنة ما ينظر الى السماء فعلى منوالهم
فانصح ان كنت لهم محبا ان المحب لمن يحب مطيع (وينوي) مع ذلك ان
يامر بالمعروف وينهى عن المنكر سيما ان كان مما قد عمت به البلوى فينا كد
الكلام على ذلك والتنبيه عليه لكونه صارا عندهم من باب القرب مثل
قراءة القرآن في الاسواق ومواضع اللغو ومواضع النجاسات فينبه العالم
على هذا وما شاكله اذ الكلام قد يكون فرض عين عليه في الغالب والله
تعالى اعلم ويصلح ذات البين ويبسط الاذى عن طريق المسلمين كل ذلك مع
الرفق بهم والتجاوز عن مساويهم وتوقير كبيرهم ومن كان من اهل العلم
والصلاح منهم وزيارة اخوانه المؤمنين وتفقد احوالهم بالسؤال وغيره في
امر دينهم ودنياهم والدين اهم (وينوي) مع ذلك عيادة المرضى على وجهها
ان وجد لذلك سبيلا وقد يجد بعضهم في سوقه فتحصل له النية والعمل
(وينوي) مع ذلك ان يصلى على جنازة ان وجدها على السنة ولاجل هذه
الطوائف يستحب للعالم والمريد ان يكون على وضوء في كل الحالات لان المؤمن
بصلاحه فاذا وجد شيئا لا يمكن عمله الا بطهارة وجد السبيل الى ذلك فلا
يقوته شيء من القربات غالبا (وينبغي) له ان لا يفارق عدة تكون معه اذ
انه قد يجد في السوق او في الطريق شاة او غيرها تريد ان تموت ولم يكن
مع صاحبها ما يذبحها به فيجبرها عليه بسبب العدة التي خرج بها وقد يجد
دابة قد انضخت بحبل فيقطعها بمامعه من تلك الآلة فان وجد شيئا من هذا
حصل له اجر النية والعمل وان لم يجد حصل له اجر النية (وكذلك) ينبغي له
ان يخرج بنية السؤال عن احوال اخوانه المسلمين وعن جيوشهم وما يجري

لهم فيسر تخير ان سمعه عنهم ويحزن لضده فيكون له مثل اجرهم وكذلك
يسأل عن غاب من اخوانه المسلمين فيسر ويحزن كما تقدم فيكون شريفا
للاواقع له ذلك في الاجر والثواب من غير تعب ولا عمل فيه مشقة على ما تقدم
(وينبغي) له اذا خرج من بيته الى السوق او غيره ان يسلم على اهله اذا خرج
وايس السلام الاول اولى من الاخير (وقد ورد) ان من سلم على قوم فكأنوا
مشقة غلبت في خير كان شريكاهم فيه وان خاضوا في غيره لم يكن عليه شيء من
ذلك (ثم) يقدم رجلا له اليمنى في خروجه ويؤخر اليسرى ثم يستعيد فيقول
اللهم اني اعوذ بك ان أضل أو أضل أو ازل أو ازل أو أعظم أو أعظم أو أجاهل أو
أجهل على ٣ (ثم) يقرأ آية الكرسي حين خروجه فان كان للسوق طريقان
فليختر أقربهما يمشي فيه لان الخطأ الزائدة لا ضرورة تدعو اليها وكونه في بيته
أو في المسجد لا لقاء العلم أو غيره من القربات أفضل من تلك الخطأ الزائدة ومع
ذلك يريح بدنه من زيادة التعب (وكذلك) ينبغي له أن يحفظ من المشي
في بنايات الطريق لان غيره يقتدي به وقد يكون ذلك سببا لهلاك بعضهم
فيها بل يمشي في الطريق المجادة فان فيها السلامة وان بعدت (وينبغي) له اذا
خرج لقضاء حاجة أن يتربص قليلا في البيت حتى يفكر أهله في كل
ما يحتاجون اليه لكي يكون مشيه الى السوق مرة واحدة لا يحتاج أهله
الى حوائج اخر فيحتاج أن يتذكر الى السوق مرارا فيكون ذلك ضياعا لعالم
وغيره من القربات التي هي اولى من حضور الاسواق فان كانت الطريق
الى السوق بعيدة يصعب عليه المشي لبعدها أو كان ضعيفا يشق عليه المشي
وان قرب فله أن يركب ولا يخرج به ذلك عن التواضع (فاذا) ركب فينبغي
له أن يمثل السنة في الذكر الوارد في الحديث وهو ما رواه أبو داود في سننه
عن علي بن ربيعة قال شهدت عليا أتى له بدابة يركبها فلما وضع رجلاه في
الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي
سخرنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا المنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات
ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانه
لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقالت له يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكك
قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت ثم ضحك فقالت يا رسول

٣ أول الحديث
كما في الجامع
الصغير بسم الله
توكلت على الله
لا حول ولا قوة
الا بالله اللهم الخ
وتعاضد كما فيه
أوابني أوبني
على اه

الله من أي شيء ضحك فقال إن ربك لي يحب من عبده إذا قال رب اغفر لي
ذنوبي بعلم أنه لا يغفر الذنوب غيره اهـ (ويعتبر) عند ركوبه عليها إذا ن
الدابة لا تحمل نفسها فكيف تحمل غيرها إن الله يمكس السموات والأرض
أن تزولا فالأرض مكية بقدرة الله سبحانه وتعالى فهي عاجزة عن إمساك
نفسها فكيف تمسك غيرها فيستصحب هذا النظر في كل أحواله فيشهد
بذلك رؤية أعمال الله تعالى دون واسطة فيقوى بذلك إيمانه ويقينه
ويرجع له الإيمان حالا بعد أن كان مقالا (لكن) بشرط أن يمشى بالدابة على
رفق ولا يزعجها القوله عليه الصلاة والسلام ما كان الرفق في شيء إلا زانه
ولأن ذلك أبلغ في إيصال العلم لأن الناس يتوصلون بذلك إلى سؤاله
وجوابه مع تعليمه وإرشاده والجملة من الشيطان (ثم) يفعل ذلك في رجوعه
فإن كانت الدابة للكارى فيشترط أن لا يمكن الكارى من هذا الضرب
العتيف الذي اعتادوه في هذا الزمان بل على ما تقدم وصفه (وينبغي) له أن
ينوى إذا رأى قرطاسا في سكة الطريق رفعه وأزاله عن موضع المهنة إلى
موضع طاهر يصونه فيه ولا يقبله ولا يضعه على رأسه إذا ن فعل ذلك بدعة
كما تقدم وسواء كان مكتوبا أو غير مكتوب فإن كان مكتوبا فقد لا يخجلون
أن يكون فيه اسم من أسماء الله تعالى أو اسم من أسماء الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام أو اسم من أسماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وفي ذلك من
الثواب ما فيه وقد تقدم وإن لم يكن فيه شيء مكتوب فيكون أخذه لذلك
توقيرا وتعظيما لنعم الله تعالى إذا ن الورقة لا يد فيها من النساء وإن قل
(وكذلك) ينوى إذا وجد خبزا أو غيره مما له حرمة مما يؤكل فإنه يزيله عن
موضع المهنة إلى موضع طاهر يصونه فيه ولا يضعه على رأسه ولا يقبله تحريزا
من البدعة أيضا كما تقدم (وقد) كان سيدي أبو محمد المرحوم في رحمة الله
تعالى إذا جاء القمع لم يترك أحدا من الفقهاء في الزاوية في ذلك اليوم يعمل
عمله حتى يلقطوا ما وقع من الحب على الباب أو على الطريق فإذا فعلوا
ذلك حينئذ يرجعون إلى ما كانوا يعملون وهذا الباب يحرب كل من عظم
نعمه الله تعالى لطف الله تعالى به وأكرمه وإن وقعت الشدة بالناس
جعل الله لمن هذه صفته فرجا ومخرجا فعلى منوالهم فأنصح أن كنت ذا حرم

(وينبغي) له أنه إذا قدر أن يحمل الحوائج كلها بنفسه أو على دابته فهو به أولى لا تباع السنة والاقتداء به في ذلك وإن كان راضيا عنه لأنه من باب التواضع والامتنان وترك البدعة (وينبغي) له أن كانت له حاجة واحدة يمتنى معه إلى السوق أن يردفه خلفه ليكمل امتثال السنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يردف خلفه في بعض الأحيان وفيه فائدة أخرى وهي التواضع فيذهب عنه ما يتعاطاه بعض أهل الوقت ممن يتحاشى ذلك وهو خلاف السنة فإن احتاج إلى من يحمل له شيئا من الحوائج فيستأجر على ذلك ولا يعطى لغيره أن يحمل بالأجرة اللهم إلا أن يخاف أحدا على ذلك فيتعين عليه إبرار نفسه لكن بشرط أن يعلم أن لا يخلف بعد (وينبغي) أن لا يستعين بأحد ممن يقرأ عليه خوفا أن يتجمل أجر ذلك في الدنيا (وكان) الساف رضا أن الله عليهم يتحرزون في هذا الباب كثيرا (وقد) رأيت الشيخ الجليل أبا السحق إبراهيم القنيسي رحمه الله تعالى من أهل تلمسان وكان فاضلا في العلم والدين وذلك أنه خرج يوما مع بعض أصحابه إلى خارج البلد فعطشوا واشتد عطشهم ولم يكن هناك ماء فأرأوا عمارة فجاؤا إليها يطلبون الماء فإذا برجل من أهل تلك القرية كان قد قرأ على الشيخ أبي السحق فذهب فأتى بابن فيه سكر فاعطاه للشيخ ليشرب فأبى عليه فقال له ولم وهو من وجه حل فقال له لاني قرأت على ولا يمكنني أني آخذ منك شيئا فلا تجمل ثواب ذلك في الدنيا فرغبه في ذلك فلم يفعل (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله تعالى لا يستعصى حاجته من قراء عليه في الغالب وذلك خيفة مما تقدم ذكره (وقد) كان رحمه الله تعالى خرج إلى السوق لقضاء بعض حوائجه في وقت فأخذ جلة حوائجه فأشغل يديه معا فنزل البياع من الدكان وسأله أن يحمل له بعض الحوائج فأبى عليه فلم يزل به حتى أعطاه شيئا حمله له ثم قص عليه البياع رؤيا رآها فسكت رحمه الله تعالى ولم يقل شيئا فقال له الرجل يا سيدي أمانتها لي فقال له لا يمكنني ذلك وأنت تحمل لي شيئا فيكون ذلك أجرة على العلم فرغبه فأبى عليه إلا أن يعطيه حاجته بحماها بنفسه فن رغبة الرجل في تعب يترك الرؤيا أعطاه حوائجه فحماها بنفسه ثم بعد ذلك عبر له رؤياه

وهضى لسبيله (فانظر) رحمة الله تعالى وإياك الى تحرفهم على أعمالهم
واخلاصهم فيها فإين الحال من الحال فيكون العالم متيقظا لهذه الاشياء
وليس هذا خاصا بمن قرأ عليه ليس الا بل هو عام في كل من حصل له منه
ارشاد ما أو تعلم ما فيتحفظ من هذا جهده ودين الله يسر (فان) كان العالم له
عذري التخلف عن قضاء حاجته بيده اما الضعف من كبر أو غيره أو شغل مع
طبيعة العلم أو من يسأل عن أمر دينه الضرورى الى غير ذلك من الاهدثار
الشرعية فالنبي اذ كان له أفضل بحسب ما يراه في وقته اذان القاء العلم
لاهل لا يرفقه غيره وقد تقدم ان اهل العلم هم الذين يطالبونه للاهل به لا غيره
ومع هذا التواتر به الاشتغال فلا ينبغي له ان يخفى نفسه من احياء هذه السنة
اعنى الخروج الى السوق ولومرة في وقت ما فان لم يجد سبيلا ~~كثيرة~~
الاشتغال عليه فليخرج الى ذلك وهم يشتغلون عليه وليس هذا من باب
المذموم الذى تقدم ذكره في وطء الامعاء لان هؤلاء ما خرجوا معه
الا ضرورة تعليمهم ونخرج هؤلاء ارسنة ولا يعكر على هذا ما تقدم ذكره من
النهي عن قراءة القرآن في الاسواق اذ ان ذلك كلام الله تعالى وهذا كلام
البشر نعم ينبغي له ان لا يقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه
اذ انه ليس بكلام الله تعالى افضل من كلامه صلى الله عليه وسلم فيتعين
احترامه وتعظيمه وكذلك لا يقرأ في الاسواق وما ذكر من المشى معه لهذه
الضرورة انما هو ما لم يخف على نفسه من فتنة وطء عقبه فان وقع له خوف ما
من هذه البيئة فترك هذه السنة اولى به اذ يخرج لفعائها وحده وان كان
له عذري التخلف عن قضاء حاجته بيده فيستغيب من يقضى له ذلك لىكن
بشرط ان يعلم ما يحتاج اليه في محاولة ما خرج اليه بسبب ما تقدم ذكره من
البياعات الفاسدة في الاسواق وما لا يجوز بيعه وما يكره الى غير ذلك مما تقدم
ذكر بعضه (بجملة) ما تحصل في خروجه الى السوق من النيات والآداب
ينوب عن خمسة من خصاله وهى على سبيل التنبيه لمساعدتها فليتنبه من
يتنبه من يوفق لذلك والله يوفق الجميع عنه وان كان قد تقدم أكثرها
في الخروج الى المسجد فالمحصل ان ما خرج به من النيات الى المسجد
يخرج به الى السوق وما يخص بالمسجد وحده فهو معلوم مذكور قبل هذا

في موضعه ومن دقق النظر وجد أكثر من ذلك ان شاء الله تعالى بحسب ما يكون عنده من النور والحضور

(فصل في رجوع العالم من السوق الى بيته وكيفيته نيته في ذلك) فاذا رجع الى بيته فينوي في رجوعه كل ما تقدم ذكره في خروجه من بيته الى السوق ومنه تعليم حاهلهم والتعلم من عاهلهم وينوي في رجوعه الى بيته نيته الخلو عن الناس فيكون مأجورا في خطاه الى الخلو واذا وصل الى بيته فلا يتأخر من الاستئذان على أهله بنية امتثال السنة في ذلك ثم يسلم عليهم ويقدم رجله اليمنى حين دخوله ويؤخر اليسرى وكذلك يفعل عند خروجه ولا تقع التفرقة في التقديم والتأخير الا بين المسجد وبيت الخلاء وما أشبهه من حمام أو غيره من مواضع الفضلات ويسمى الله تعالى حين دخوله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويمتثل السنة في الدعاء الوارد حين الدخول الى البيت وهو ان يقول اللهم اني أسألك خيرا موجبا وخيرا مخرجا بسم الله وبحمنا وبسم الله نخرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم يقرأ قل هو الله أحد الى آخرها وينوي حين دخوله الى بيته نيته الخلو عن الناس كما تقدم لكن ينوي بذلك ليسلم الناس من شره وشراسانه ونظره وسمعه وبطشه وسعيه وحسده وبغيه وما أشبه ذلك من الخصال الرديئة اذ ان كل من قرب من باب ربه تعالى كان أسوأ ظنا بنفسه كما قد حكى عن بعضهم لما انزل في خلوته عن الناس وانفرد بنفسه انه قال وجدت اساني كلبا عقورا قل ان يسلم منه من خالطه فحبست نفسي ليسلم الناس من شره وآفته وفي هذه النيات من الخيرات أشياء متعددة منها انها تحتوى على عدم الدعوى وعلى عدم التكبر والتعبر والتخلاء وغير ذلك من الخصال الرديئة في نفس هذه النية تندفع كلها وفي الخلو من الخيرات أشياء متعددة تحصل له دون كافة نيته كافها وسياتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر حال المرء يد والله ينفع بالجميع بمنه ولينحذر ان ينوي بالخلوة سلامته من الناس فان ذلك داء عضال والعطوب فيه موجود اذ ان فيه تحسين الظن بنفسه واساءة الظن بغيره من اخوانه المسلمين وقد تقدم ذكر هذا حين رجوع العالم من المسجد الى بيته فأغنى عن اعادته وانما ذكر بعض ذلك هنا زيادة تنبيه والله تعالى الموفق

فان احتاج اهله الى حاجة أخرى أو نسي شيئاً مما خرج اليه فلا يعود الى السوق ويترك ذلك وان كان ضرورياً لله ثم الا ان يكون يخاف فوات أمر مثل مريض يحتاج الى فصادة أو غيره من غذاء أو دواء أو ما أشبه ذلك لا يلقى عليه الزمان في الاسواق كما سبق لان الاهل اذا علموا انه مما أعوزهم شيء يقضى لهم تكثر حوائجهم ويضيع عليه وقته فاذا علموا من عادته انه لا يخرج الا مرة واحدة جمعوا له الحوائج كلها في خروجه فيحفظ عليه وقته واذا قعد في بيته مع اهله وبنيه فأجر الخلوة حاصل له فان عمل شيئاً من القرب بحضورهم أو مع علمهم فذلك لا يخرجهم عن عمل السر وله تضعيف الثواب فيه اذ ان العلماء قد قالوا ثلاثة من أعمال البر لا تخرج عن عمل السر وان مات في الجهر وهي سجود التلاوة اذا امر التالى بسجدة وهو يقرأ في سره فيسجد لها بسجدة غيره واذا كان صائماً فدعى الى طعام فقال اني صائم واذا كان مع اهله يعمل عملهم معه فان ذلك كله لا يخرجهم عن عمل السر ولا عن الخلوة اما سجود التلاوة فلا تهمه ما اذا امر بسجدة يسجد لها فاذا كان معه غيره فلا يتركها لاجل الغير اذ ان ترك العمل لاجل الناس رياء والرياء ممنوع فعليه واما الصوم فيحتاج الى ذكره اذا خاف التشويش على من دعاه حتى يرفع عن أخيه المسلم ما يتوقع من تشويش خاطره واما العمل بسجدة أهله فلو كلف أن لا يعمل العمل الا بغيبته عنهم لمكان في ذلك حرج ومشقة وفتح باب ترك العمل (اذا كان) اذا اراد جمع خاطره وقد ران يكون بمنزل عن الاهل فهو وارلى به وهذا يشترط في حق الضعيف الذي يخل بحاله الاجتماع ولهذا المعنى قال مالك رحمه الله تعالى في التنفل في البيت انه افضل من التنفل في المسجد يعني لفضيلة عمل السر فان كان في البيت اولاد او من يقرق خاطره في عبادته ففي المسجد افضل اهـ واما اهل التمكين فلا يحتاجون الى ذلك وقد كان بعض السلف رضي الله عنهم اذا كان في بيته في غير وقت الصلاة وقرء اهله واحترموه كثيراً فاذا دخل في الصلاة كثر لغطهم ويتكلمون بما يحتاجون فسهل بعضهم عن ذلك فقالوا اذا كان في الصلاة لا يسمع ما نقول فن هذا حاله كيف تنصرف همته لرؤية الاولاد وما زجتهم او غيرهم (وقد) سمعت سيدي ابا محمد رحمه الله تعالى يقول ان

هذه الحالة تكون في وقت دون وقت ففي بعض الاوقات تكون في البيت
 المحركة الكثيرة والبكاء الكثير من الاولاد وغير ذلك مما يشوش الخاطر فلا
 أسمعه ولا أعرف به وكل ذلك راجع الى حالى وبعض الاوقات أشعر به وما
 ذلك الا بحسب المحضور والتفرقة وكذلك كان يقول في تلاوته كتاب الله
 تعالى فبعض الايام أصلى الصبح ثم استفتح سورة البقرة فراحى بعد طلوع
 الشمس بقليل الا وانا قد ختمت وبعض الايام لا أقدر على ذلك بحسب
 المحضور فان كنت حاضرا كان ذلك وبحسب التفرقة يكون البطء في الختم
 فقد تبين ان القوى والضعيف لا يستويان (فعلى) هذا فالحلوة عن الاهل
 مشرطة في حق الضعيف وفي وقت التفرقة ومع ذلك فلا بد ان يعطيم
 -ظهم منه في وقت ما ويؤاكل أهله وبنه وجواريه وعبيده من صحفة
 واحدة ولربما كان هذا أفضل من كثير من خلواته لان في ذلك وجوها
 من الخير منها امثال السنة والتواضع وادخال السرور عليهم وقد قال
 بعض اهل التحقيق من رأى انه خير من الكلب فالكلب خير منه وقوله
 هذا بين واضح الا ترى ان الكلب مقطوع له بانه لا يدخل النار وغيره من
 المكافين محتمل لدخولها الا من استثنى فالكلب والمخالطة هذه أفضل
 منه وفي الاكل مع من تقدم ترك رعونته النفس وترك رياستها والتعاظم
 والفخر واتصافها بالخوف والوجل ورؤية الفضل لغيرها مما هو بين واضح
 فيقوى الرجاء ان تصف بذلك أنه من الناجين نسأل الله تعالى ان ينجينا من
 جميع المهلك بفضل اجمعين وما تقدم ذكره من الخلوة مع وجود الاهل فهو
 على جادة مذهب العلماء راحة الله عليهم ومذهب بعض اهل التحقيق ان
 عمل السر هو الذي لا يعرف به المالك كان عليه السلام على ما سألني ان شاء
 الله تعالى (وقد) تقدم بعض آداب العالم في اخذه الدرس في المسجد (وبقي)
 الكلام على اخذه الدرس في بيته او في المدرسة فان كان في بيته اضرورة ما
 اعنى لا يمكنه الخروج لاجلها فاخذه الدرس في البيت اولى بل اوجب لان
 تركه فيه ضرر في الغالب عليه وعلى اخوانه المسلمين (فاذا) فعل ذلك فالادب
 كما تقدم في المسجد كن مختص البيت ببعض الآداب وان كانت مطلوبة في
 المسجد كن في البيت تنأكد (فمنها) كثرة تواضعه للداخلين عليه اعنى

مطلب
 اخذ الدرس في
 البيت والمدرسة

في تأقيهم ببشاشة الوجه وحسن التلقى اذان البيت محل انقباضهم بخلاف
 المسجد لانهم وغيرهم فيه سواء فان لم يبسط لهم الاثس والا كان سببا
 لانقباضهم او عدم مجيئهم او يقل فهم بعضهم لبعض ما يلقيه اليهم (ومنها)
 ان ياذن للطلبة وغيرهم عن محتاج الى الاستفتاء او التعليم او ليسمع الا
 ترى الى قول مالك رحمه الله تعالى للخليفة ادركت العلماء وهم يقولون ان
 هذا العلم اذا منع عن العامة لم تنفع به الخاصة اه ويحتمل عدم الاتفايع به
 من ثلاثة اوجه احدها انهم لا يوفقون للعمل به والثاني ان ثواب العلم يكثر
 بانتشاره فكما انتشر زاد الثواب للمعلم وحصل ان عمل به واذا وقع
 الاختصاص به امتنع انتشاره واذا امتنع انتشاره ذهب بعض ثوابه
 والثالث ان يحرم الخاصة فهم تلك المسائل ومعانيها لان في اختصاصهم
 بذلك نوع تكبر وتجب ويخل بما امرهم الله تعالى ان ينفقوه من العلم الذي
 من به عليهم فخرموا الفهم فيه قال الله تعالى سا صرف عن آياتي الذين
 يتكبرون في الارض بغير الحق الآية ومعلوم بالضرورة ان بعض المتكبرين
 يحفظون القرآن والعلم والكنهم منه وافادته وهي الفهم فيه والعمل به وذلك
 هو المطلوب فبقى العوام احسن حالا منهم في ذلك والله تعالى المستعان (ومن
 آدابه) ان يكون الاذن مشهورا معلوما لان عدم اشتهاره سبب لقله انتشار
 العلم او يكون فيه بعض كتم له (ومن آدابه) ان يكون موضع اخذ الدرس
 في البيت بحيث لا يسمع فيه لاهل البيت حس ولا كلام خيفة مما يترتب على
 ذلك من المفساد التي لا يشمر بها (ومن آدابه) ان يكون الوقت معلوما لانه
 ان لم يكن معلوما وقع الضرر به وعن ياتي اليه اذان وقت الاذن بقي غير
 مضبوط لهم (ومنها) انه اذا سمع الاذان وهو في جماعة في انشاء الدرس قطع
 وقام هو ومن معه لمتابعة والاصلاة في المسجد في جماعة اذان ذلك من اكبر
 اظهار شعائر الاسلام فاذا خرج هو ومن معه الى المسجد ظهرت بذلك الشعائر
 واقتدى به الناس في ذلك وحصل لهم بركة امتثال السنة لما في الخروج الى
 المسجد من البركات والخبرات والثواب المرتب على ذلك كما تقدم الا ترى
 لي وصف الواصف لبعض حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سمع
 الاذان خرج فيحصل للعالم بركة الامتثال والاقتداء بالنبي صلى الله عليه

وسلم في المبادرة الى الخيرات وان كانت صلاة العالم في البيت في جماعة مع طابته أو غيرهم يحوزون بها فضيلة الاجتماع لكن يذهب عنه وعنهم اذا صلوا في البيت الفضائل والاجور المذكورة في المشي الى المسجد ويكون ما وقع منه ومنهم من الافعال المكروهة كراهة شديدة اذ ان الناس يقتدون به وبهم في ذلك وقد يؤول الامر الى تعطيل المساجد أو بعضها من الجماعات اذ الغالب على الناس انهم لا يعدون من يصلي معهم في البيوت فيجدون السبب لاقدوة بالعالم في ترك هذه الشعيرة اللهم الا ان تكون له ضرورة لا يقدر على الخروج الى المسجد لاجلها فأرباب الضرورات لهم احكام تخصهم لكن ينبغي له ان يذكر ان حضره أنه مضرور وترك ذلك و ليس عليه ان يبين الوجه الذي لاجله ترك وقد قال مالك رحمه الله تعالى ما كل الاعتذار بدي (وقد كان) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحافظون على آداب الشريعة كما يحافظون على الواجبات منها الا ترى ان أحدهم كان لا يقدر ان ياتي الى المسجد لشدة مرضه ثم يخرج اليه يتهادى بين اثنين لاجل شهود الصلاة في جماعة ليشهد دعوة المسلمين واغتنام بركتهم والصلاة معهم وخلفهم اذ الغالب ان فيهم من هو مغفور له ومن صلى خلف مغفور له غفر له (ولاجل) هذا المعنى كان بعض السلف ياتي الى المسجد في اول الوقت رغبة منه في فضيلة الصف الاول فاذا امتلأ الصف الاول انتقل منه الى الصف الذي يليه وهكذا الى أن يصلي في آخر الناس ف قيل له في ذلك فقال أما سبق في أول الوقت فلا حوز فضيلة الصف الاول مع أول الوقت وأما انتقالي الى ما سواه فاعل ان أصلي خلف مغفور له فيغفر لي سيما ان كان المغفور له اماما فبني على منخ (فالمحافظة) على الصلوات في المساجد في جماعة من أعظم شعائر الدين ومهماته (وقد كان) عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما اذا فاتته تكبيرة الاحرام مع الامام اعتق رقبة (فاذا) كان ذلك كذلك وكان للعالم عذر في التخلف في البيت عن المسجد فلياذن ان معه في البيت من الطلبة وغيرهم في الخروج الى المسجد لاجل اظهار شعيرة الجماعة ولا يحسبهم لاجل الصلاة معهم ويصلي هو مع من حضره من أهل البيت ان أمكن فاذا قضاوا صلاتهم في المسجد رجعوا اليه

ان كان بقي لهم شيء من وظيفة ثم ان شاؤوا وان لم يجد من يصلي معه
في البيت صلى فذا فهو أفضل له وأبرك لأجل امثال السنة في اذنه لم
في الخروج الى المسجد لافها را السنة والشعيرة كما سبق (وقد ورد) ان من
أشراط الساعة كثرة المساجد وقلة المصلين فيها (قال) الامام ابو طالب
المكي رحمه الله تعالى في كتابه وقد كانوا يكرهون كثرة المساجد في المحلة
الواحدة (روى) ان أنس بن مالك لما دخل البصرة جعل كلما خطا خطوتين
راى مسجدا فقال ما هذه البدعة كلما كثرت المساجد قل المصلون أشهد
أقدم كانت القبيلة بأسرها ليس فيها الا مسجد واحد وكان أهل القبيلة
يقنأون المسجد الواحد في الحى من الاحياء (واختلفوا) اذا اتفق
مسجدان في محلة في أيهما يصلى (فمنهم) من قال في أقدمهما واليه ذهب
أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضى الله عنهم قال وسكانوا يجاوزون
المساجد المحدثه الى المسجد العتيق اتمنى (فاذا كان) العالم يتعطف من هذا
انسدت هذه الثمة فلم يوجد تعطيل ببركة الاتباع ووقفنا الله تعالى لذلك
عنه (والحذر) أن يميل أو يعتز ببعض عوائد بعض أهل الوقت بالديار
المصرية وما أشبهها وذلك انك تجد بعض من ينسب الى العلم والفتوى
يسمع الاذان وهو في بيته فلا يزعزعه ذلك ولا يتحرك للخروج الى المسجد
ولو كان على طهارة وينتظر حتى ياتيه أحد من الطابة أو غيرهم فيصلى معه
الفرض ويرى أن ذلك من حسن السياسة بأن يحصل لهم فضيلة الجماعة
دون خروج وحركة الى المسجد ودون مخالطة العوام فان لم يات أحد في
الوقت ونشئ خروجه صلى مع أهله ان كان له أهل والاصلى فذا وقد يكون
المسجد على بابه أو بجواره ولم يصل فيه أحد وقد يصلى فيه من لا يؤبه له من
لا يعرف العلم ولو كان المسجد بعيدا له كان العالم أولى من يهرع اليه حين
قرع سمعه انه داء لانه اعلم بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان أكثركم
اجرا بعدكم دارامع علمه بما في الجماعة واطهارا الشرائع من الثواب
والبركات والحمد لله في الغالب لا يبادر اليها الا من يعرفها وقد ورد
في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن ثلاثا رجلا ام قوما وهم له
كارهون وامرأيات وزوجها عليهم ساخط ورجل سمع حى على الفلاح

قوله يؤبه بوزن
ينظر ومعناه اه

فلم يجب انتهى (ثم) مع هذه المعرفة والعلم تجدد الجسم مع الاعظم في غالب
الآوقات اذا صلى الامام يستتره عوام الناس ممن لا يعرف العلم وقد يطرأ
عليه سهو ولا يجب دمن يسبح له ولا من يستخافه ان يجرى عليه امر محمود
للخروج من الصلاة فيكون سبباً لافساد صلاة المأمومين ثم انك اذا نظرت
الى النصف الاول لا تجد فيه في الغالب من يقتدى به عكس ما كان عليه
الالف والخاف رضى الله عنهم اجمعين وقد قال عليه الصلاة والسلام ليأيني
منكم اولوا الاحلام والنهى انتهى والسنن الماضية انهم كانوا يصلون
في النصف الاول الا مثل فالامثل منهم ثم الثاني ثم الثالث على هذا المنهج
الى آخرهم لان الا مثل فالامثل منهم كانوا اسرع سبباً لتلك المواضع في
المسجد من غيرهم عن تاخير عن مواضعهم وهذه سنة قديمة تترك
في الغالب في هذا الزمان لكن والمحمد لله قد بقي منها بقية خير قائمة به هذه
الشعيرة في بلاد المغرب فانك تجد بها المساجد مصانة مرفعة معظمة لا ترفع
فيها الاصوات ولا تدخل الا للصلاة أو لمجالس العلم وما قدمناه من الترتيب
في النصف الاول وغيره فهم ماشون على ذلك الاسلوب او قريب منه ولم
عادة حسنة قدمضى ذكرها وهي ان الذين يعمررون الصفوف الامثل
فالامثل لكن الذين يستترون الامام هم اكثر امتيازاً من غيرهم في الفضل
والدين وهم معلومون قل ان يغيب أحدهم فان غاب لضرورة قدموا
موضعه من هو مثله أو يقارب به فيصلى الامام وهو مطمئن القاب مما يطرأ
عليه في صلاته اذ انهم في الفضل والعلم بحيث لا يغفلون عن حركاته واحواله
وهذا عكس ما الحال عليه اليوم حتى انه لو حضر أحد من يقتدى به اليوم في
المسجد لرأيت به بعيداً من الامام وقد لا يصلى في النصف الاول ثم مع ذلك
تقدمه السجادة وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية فاغنى عن اعادته (فهذا)
بعض الآداب التي تختص بالعالم اذا أخذ الدرس في بيته (وأما) اذا كان
ياخذ في المدرسة فأدابه على ما تقدم ذكره في المسجد لكن المسجد له آداب
تخصه قد تقدم ذكرها والمدرسة لها آداب تخصها سند ذكرها قريباً ان شاء
الله تعالى لكن أخذ الدرس في المسجد أفضل لاجل كثرة الانتفاع بالعلم ان
قصده ومن لم يقصده بخلاف المدرسة فانه لا يأتى اليها غالباً الا من قصد

العلم أو الاستفتاء فأمده في المدرسة أقل رتبة في الانتشار منه في المسجد كما
تقدم وأخذ في المدرسة أكثر انتشاراً منه في البيت والغالب أنه لا يقصد
أخذ الدرس في المدرسة إلا لأجل المعام فإذا كان ذلك كذلك فيأتي له
إذا أخذ الدرس في المدرسة أن يأخذ بتلك النيات التي وصفت في المسجد
وتلك الآداب بل ينبغي له أن يزيد في اخلاص نيته ويدفع الشوائب عن
نفسه ثم لا يتعاقب خاطره بالمعام أو يلهث إليه بظلمه بل يكون ذلك على
سبيل الامتثال لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم (قال) الله تعالى
في كتابه العزيز وإذا أخذتم من عند الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه لأمنس ولا
تمسكوه (وروى) البخاري وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معاشر بني أدولأية (وروى) الترمذي عن
عبد الله بن مسعود وروى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول تضرعوا لله فإني أسمع مناشيئته فبلغه كما سمعته قرب مبلغ أوعى من سامع
أه (فإذا) جاءه المعلوم دون سؤال ولا استشراف فغس قلأ بأس بأخذه إذا
كانت الحاجة داعية إليه هذا على حارة أهل العلم بشرط أن يكون
أتم لهم قدرته من علمه وعلامته صدقة فيمأوسع من تعاليمه لله تعالى أنه إذا
قطع عنه المعلوم لا يترك تعاليمه ولا ما مستكأن عليه من الاجتهاد ولا يتبرم
ولا يتضجر بل يمسك في وقت قطع المعلوم أكثر تأملاً واشد حرصاً عليه
لأنه قد حضر لله تعالى وقد يكون المعلوم قد قطع عنه انتبه وأمن لله تعالى
لكي يرى صدقه وأعلم بحال به فان رزقه معلوم له مطامع لا يخسر ذلك في
جهة دون أخرى (قال) عليه السلام تكفل الله برزق طالب العلم
انتهى ومعناه أن الله تعالى ييسره له من غير تعب ولا مشقة وإن كان الله
تعالى قد تكفل برزق الخلائق أجمعين لكن الحكمة تقتضي تخصيص طالب العلم
بالذكر أن ذلك ييسره له بلا تعب ولا مشقة كما سبق فيجعل تعذيبه من
التعب والمشقة في الدرس والمطالعة والتفهم للمسائل والقائم بذلك من الله
تعالى على سبيل اللطف به والاحسان إليه وهذا من كرامات العلماء أني فهم
المسائل وحسن القائها والمعرفة بسياسة الناس في تعاليمها كما أن كرامات
الاولياء في الأشياء أخرى يطول تعدادها مثل المشي على الماء والسيران في الهواء

وينبغي له أن يصون هذا المنصب الشريف من التردد أن يرجي أن يهين
على اطلاق المعلوم أو التحدث فيه أو انشاء معلوم عوضه (وقد) حدثني من
أثق به أنه رأى بعض العلماء المتأخرين وكان يدرس في مدرسة فانقطع
المعلوم عنه وعن طلبته أو نقص منه فقالوا للدرس أهلك أن تمشي إلى فلان
وكان من أبناء الدنيا القهقهة به عسى أن يأمر باطلاق ذلك المعلوم فقال نعم
مرار إلى أن عزم وأعليه فقال والله اني لا أستحي من ربي عز وجل أن تكذب
هذه الشيبة غداة فقالوا وكيف ذلك فقال اني أصبح كل يوم أقول اللهم
لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت فاقول هذا وأقف بين يدي مخلوق
أسأله ذلك والله لا فعلته فلم يمش اليه (وينبغي له) أن لا يذكر قطع المعلوم
بين الناس ولا يشهره اذ أن ذلك من الضجيرة وقلة الثقة بما في يد الله تعالى
والتمرض إلى اطلاع بعض الناس على شيء من ضروراته والعالم أدنى من
يثق بربه في المنع والعطاء بل المنع من الله تعالى في كثير من المواضع هو عطاء
لان اختيار الله تعالى لعبده أحسن وأدنى من اختيار العبد لنفسه اذ أنه
سبحانه وتعالى هو العالم بمصالح عباده (وينبغي له) أن يكون في المدرسة على
ما وصف في المسجد من التواضع والقرب من حضره من الطلبة وغيرهم
ولا يمنع أحدا من عامة الناس لان العلم اذا منع عن العامة لم تنتفع به الخاصة
كما تقدم واغلاق باب المدرسة فيه الاختصاص عن العامة ومنعهم عن
الاستماع للعلم والتبرك به وبأهله وكذلك البواب لان ذلك حجاب عن العلم
أيضا واختصاص به كما تقدم بل يفتح الباب ولا يمنع أحدا من علق الله تعالى
الدخول كما هو في المسجد سواء بسواء (فان) قال قائل انما جعل البواب لاجل
أن كثيرا من العوام اذا دخلوا المدرسة تشوشوا الموضع وكشفوا عوراتهم
عند الفسقية وقد يسرق بعضهم بعض أقدام الفقهاء وقد يكثرون لغتهم
(فالجواب) ان البواب الذي يتعد على الباب أو غيره يكون واقفا عند
أخذهم الدرس فلا يترك أحدا ممن يهتم بشيء من هذا أن يقرب من ناحية
أقدامهم وان رأى أحدا يريد أن يكشف عورته نهائا وزجروا ومنعه من ذلك
(وينبغي له) أيضا ان لا يتخذ تقيما بين يديه قائما كان أو جالسا ولا يفعل شيئا
عاهو معلوم اليوم من العوائد التي ليست من ماضي لان علماء السلف رضوان

الله عليهم لم يكن فرق بينهم وبين سائر المسلمين في مجالسهم وفي مجالس علمهم
في غالب احوالهم وما يعرفون في هذا الزمان من اقتضاها لحاجب والقباب
والنقيب الخافعة احدى ثلاثة اشخاص امامة كبر في نفسه متجبر وان كان
ظاهره الاتسام بالعلم وهو منسوب اليه فهو مدود في التكبيرين واما رجل
جاهل يريد العلو في الارض بجهله لانه لو علم حال علماء الساق في تواضعهم
لتشبه بهم ان سلم عما ذكر من التكبر والتجبر والاشااث وهو اشد من
الوجهين المذكورين واعظم ثبوتنا في الصدور وهي العوائد المستمرة حتى انه
قد يدرك بعض العلماء الوهم في تلك العوائد المستمرة فقد يجعلها من قبيل
المدوب ان سلم من القول بوجوبها مستند في ذلك الى ما انست به نفسه من
تلك العوائد كونه نشأ فوجد هامها ولا بها والعلماء برءاء من ذلك كله وفي
فعل من يسكت الطالبة الخجالة لم لانه قريب كون بعض الطالبة لم تظهر له
المسئلة ويريد ان يبحث فيها حتى يتبين له او عنده سؤال وارد يريد ان يلقيه
حتى يزيل ما عنده فيسكت اذ ذاك فيمنعه من المقصود وكذلك المدرس
ينبغي له ان لا يسكت احدا الا اذا خرج عن المقصود او كان سؤاله وبجته ما
لا ينبغي فيسكته العالم برفق ويرشده الى ما هو اولى في حقه من السكوت او
الكلام فكيف يقوم على الطالبة شخص سيما اذا كان من العوام النافرين
من العلم فيؤذيهم ببذاءة لسانه وزجر بعنف فيكون ذلك سببا الى نفور
العامة أكثر سيما ومن شأنهم النفور في الغالب من العلم لانه حاكم عليهم
والنفوس في الغالب تنفر من الحكم عاينها فاذا رأى العوام ذلك الفعل
المدوم يفعل مع الطالبة امسكت السؤال عما يضطرون اليه في امر دينهم
فيكون ذلك كتمال العلم واختصاصه كما سبق وشأن العالم سعة الصدر وهو
أوسع من أن يضيق عن سؤال العامة وجفاء بعضهم عاينه اذ انه محل الكمال
والفضائل وقد علم ما في سعة الخلق من الثناء في الكتاب والسنة ومناقب
العلماء ما لا يأخذه حصر اما الكتاب فقوله تعالى فيها رجة من الله لنت لهم
ولو كنت فظا غليظا لقاب لانفضوا من حولك الآية وقوله تعالى انبيه
من الله عليه وسلم وانك اعلى خلق عظيم فتخصيصه سبحانه وتعالى الخلق
بالذكر فيه تخصيص عظيم وارشاد بليغ على تحصيل ذلك والاتصاف به في كل

الاحوال المندوحة شرعا (فان) قال العالم مثله لانه لا يقدر ان يسكتهم
فأدت الضرورة الى من يسكتهم عنه وهذا ليس من باب التكبر والتعبر
(فالجواب) ان هذا امر قد فعله النبي صلى الله عليه وسلم وفعل السلف والخلف
الى علم جبره افضل النبي صلى الله عليه وسلم فقد حج الى الله عليه وسلم لم حجة
الوداع ومعه خلق كثير وروايت على ناقته وهذا يسأله وهذا يبعثه وهذا
يناديه الى غير ذلك وليس ثم حاجب ولا حار ادوليك اليك وكان مع ذلك
يقول اللهم اجعله حجاجا مبرورا لاريا فيه ولا سمعة وانما قال عليه الصلاة
والسلام ذلك لتشرى مع لافته فانه صاحب العصمة الكبرى والمنزلة المنيفة
المطهر عند ربه عز وجل وقد كان عليه الصلاة والسلام يقسم للناس عموما
وبتسكام بما أنعم الله تعالى عليه به من التبايع وتعليم الاسكاف ثم مع ذلك
قال عليه الصلاة والسلام من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم
والله عطي اه فاخاف من صلى الله عليه وسلم العطية والهبة لله تعالى وحده
وكلامه حكاية عما اتم اختلافا في العطاء والمنع (واذا) كان ذلك كذلك
فليس له ان يخص قوما دون آخرين بالقضاء الاحكام عليهم اذن المسلمين
قد تساوا في الاحكام وبقيت المواهب من الله تعالى يخص بها من يشاء
من عباده والغالب انه اذا وقعت مخالفة السنة في أمر انه لا ينجح ومن
مخالفة السنة ان يختار قوما من المسلمين لتعليم دون غيرهم وانما فعل اصحابه
بعده رضي الله عنهم اجمعين فكثير في هذا الباب بحيث لا يأخذ منه حصر
(وينبغي له) انه اذا جاس ان ينوي بجلاوسه اظهركم الله تعالى وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم فادانوى ذلك عادت عليه وعليهم بركة تلك النية
السنية فيوفق ويسدد ويمان ويحمل ويذهب عنه ما يتوقعه غيره او يصيبه
من المال والسامة والفتور والكبر والفخر والخلاء ويحقهاهم كاحتمال الوالد
لولده بل هم اعظم عنده منزلة من اولاده لان جلوسه معهم انما هو والله تعالى
مجرد اعن حظ النفس وشفقة على اولاده له فيها حظ البشرية في الغالب
فكان احقاه لهم اكثر من اولاده واذا كان الامر كذلك فالبركة خاصة
واما ان كان ما تقدم ذكره من البواب والنقيب فلا فرق اذن بين باب
المدرسة وابواب الامراء لانه لا يتوصل الى ابوابهم في الغالب الا بالخاص

والزقيب فقد استويا في هذا المعنى فلو قدرنا ان احدا من عامة المسلمين
 جاء بفتوى الى باب المدرسة يحجب الحاجب والبواب وغيرهما عنه ونه بل
 يمنع بعضهم عذر رؤيته البغال والغلمان الذين على باب المدرسة ولا يتجاسر
 ان يصل لباب بل ينصرف ويتركه اجاب بسببه (ولا) يظن ظان ان الركوب
 على الدواب مكرره بل يكون في بعض الاحوال واجبا او مستحبا او جائزا فن
 بعد داره وهو صحيح البدن فركوبه من السهم الجسائر ومن كان ضعيفا
 لا يقدرك على المشي وكان اخذ الدرس يتعين عليه او كان يقدر على المشي
 ويريد مرضه به زيادة تضره شرطا فيكون ذلك في حقه واجبا وامام كان
 صحيح البدن قريب الدار فلا يمتنع العلماء ان المشي في حق هذا افضل اذ
 انه يمشي الى اصل العبادات فان كان المستفتي قويا في دينه وجاء الى بيت
 المدرسة وجدا لحجاب أغلق عذر بعضهم واذا وصل الى الباب وجد من يمنع
 وصول خبره الى العالم حتى انه قد يبذل بعضهم شيئا من الدنيا حتى يوصل
 الفتوى اليه من غير ان يراه او يكلمه فهذا فيه ما فيه من فعل المتكبرين
 والمتميزين فلو كان العالم اذا سمع الاذان خرج الى المسجد ~~كان~~ الناس
 يتوصلون الى قضاء غرضهم مما يضطرون اليه في دينهم ولو قدرنا ان احدا
 منهم خرج الى المسجد فيخرج في الغالب على صفة قديمة عذر على بعض العوام
 الوصول اليه الا بواسطة وقد يخرج بعضهم الى المسجد بغير زقيب ولا غيره
 وهو نادر والنادر لا حكم له عند الفقهاء وتفصيل هذا يطول وبالحجالة ففما
 اشير اليه غنية عن الباقي (ويأتي) للعالم اذا جاءته الفتوى ان يسأل عن
 وقعت له حتى يسمع ذلك من لفظه ان كان حاضرا او يسهل حضوره ويثبت
 في فهم الالفاظ التي يسميها منه لان الورقة قد يكتب فيها غير ذلك فيفتي على
 وهم او غلط وفي ذلك من الخطر ما فيه وان كان جوابه صوابا على ما رآه
 مكتوبا فان تعذر حضوره من وقعت له النازلة شأن العالم ان يثبت جهده
 وان يأمر من اتى بالفتوى انه يساود صاحب الواقعة ان تيسر ذلك عليه كما
 تقدم والمقصود والمطلوب ان لا يفتي الا بعد التحرز السكلي والتعقظ العظيم
 حتى يتبين له وجه الصواب في ذلك وينشرح صدره ثم يداشرح صدره
 لذلك والوقوف على حقيقة امر الفتوى لا يجعل بالكتب عليها بل يؤخر ذلك

الى وقت الدرس فيعرض المسئلة على من حضره من الفقهاء ويرى رايه
ورايهم فيها ثم بعد ذلك يتطرقان وافق ما عنده ما قالوه فيها وبعثت وان
خالفوه بحث معهم في ذلك وأبدى لهم ما يريد أن يفتي به في المسئلة فاذا فرغ
من البحث في ذلك كتب عليهم انما يتحقق أنه الصواب عنده وليحذروا من الجهلة
في ذلك لانه اغايتكم ويقتى بما يتحقق أو غلب على ظنه ان ذلك حكم الله تعالى
في هذه المسئلة فان الغلط في ذلك قل أن يستدرك (وقد) كان سيدي الشيخ
ابو الجليل أبو الحسن المعروف بالزيات رحمه الله تعالى جاءته امرأة فاستفتته
فأجابها ثم مضت لسيولها فها هو الاقليل واذا بالشيخ رحمه الله تعالى قد
تغير وجهه وأخذ ثوبه فحمله في فيه وخرج يجري حافيا الى أن محق المرأة
فأخذ الفتوى منها ثم رجع فسأله اصحابه عن موجب ذلك فقال ذكرت
أنى وهمت في جوابها فأسرعت لئلا تفوتني فقالوا له لو أمرتنا لفلنا ذلك فقال
ما هي في ذمة أحد منكم فلم يوفعت ذلك كان أحدكم يقوم على هيئته وحتى
يلبس نعليه وحتى يمشي المشي المعتاد واكثر منه قليلا ففقدت المرأة ولا
تعلم لم جهتها والذي تتعاق المسئلة بذمته هو الذي يعلم ما جرى عليه فيبادر
الى خلاص نفسه (وقد كان) رحمه الله تعالى اذا جاءته الفتوى يقول ان اتى
بها ما يمكنني ان اكتب عليها الان الخط قد مراد فيه وبه نقص فيقع محالها
المسئلة عليه فلا يفتي حتى يحضر صاحب النازلة فاذا حضر سألها عما وقع له
في خبره به فيقول له اذا كان من الغد يحضر الجواب ان شاء الله تعالى فاذا
جاء من الغد يسألها الجواب يقول له الشيخ اعد على المسئلة فاذا احادها عليه
فان كانت موافقة لما قاله بالأمس بحث فيها مع من حضر ثم افتاه او كتب له
عليها وان خالف ما قاله بالأمس قال له الشيخ انما هو الحق الذي بالأمس
والذي باليوم فبردها ولا يفتى له فيها بشئ ويقول له لاء لم الحق في ذلك
حتى أفتى عليه هكذا وطال العلماء في التحرز على ذمهم اللهم الا ان تكون
المسئلة مشهورة معروفة لا تحتاج الى بحث ولا تطويل نظر فلا بأس بالجواب
عليها في الوقت والله تعالى الموفق للسداد عنه فلم يمشي العالم على هذا
المنهاج القويم لحصل له فائدتان عظيمتان أحدهما براءة ذمته والثانية
انتفاع من حضره وتعليمهم في أقل زمان لان هذا الدرس سهل يسير في

الغالب اذ النباه من الطلبة قد اطاعوا عليه غالباً وهم قد عرفوا ما اخذوه
ومرادهم ومشكلاته والجواب عنها وحالها والفتاوى ليست كذلك
لانها نازل تنزل على غير تعبية ولا اهمية وفيها تظهر نباهة طابته وتحصل
لهم بها الفائدة الحجة والتثبت في المسائل التي تقع لهم منها (ومن) ابن يونس
قال ممن بن عيسى سمعت مالكا يقول لا يؤخذ العلم من اربعة ويؤخذ من
سواهم لا يؤخذ من مبتدع يدعوا الى بدعته ولا سفيه معان بسفه ولا من
يكذب في حديث الناس وان كان يصدق في حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا من لا يعرف هذا الشأن (وقال) مالك ليس يسلم رجل
يحديث بكل ما سمعه ولا يكون اماماً ابداً لم يقرأ ولا تابعه والحق بالباطل اه
ويحذر ان يتردد لاسد اريسي في طلب التدريس في اى موضع كان من
مدرسة او غيرها لانه انما يجلس لله تعالى فيعلم ويتعلم ويفيد ويستفيد لكي
يظهر ما اوجب الله تعالى اوجزه او كرهه على نفسه وعلى غيره فما كان
اصله لهذه المعاني وما جازها فيه ينبغي بل يجب ان لا يخط ذلك بشئ من اقدار
الدنيا او العالم اولى من يبادر الى معالي الامور واكملها اذ انه قدوة للاقتدين
وهدى للمهتدين فاذا رآه احد من الناس يتسبب فيما ذكر كان ذلك سبباً
للاقتداء به في طلب طام الدنيا والغالب ان النفوس تانس باقل من هذا
وان كان ذمه موجودا في الكتب واحوال السالف رضى الله عنهم امكن
شان الناس اليوم في الغالب الاقتداء بمن في وقتهم ولا يتعرضون لانظر في
حال من سبق ذكره اثاراً للتوصل الى اغراضهم (فاذا) كان ذلك كذلك
فالعالم اولى من يتحفظ على نفسه صيانة للعلم واقامة محرمته بل اذا عرض عليه
شئ مما ذكر فليترصد وليستخر الله تعالى ويستشير ولا يجهل فان الجاهل من
الشراة والشراة مذمومة لقوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المسال
حلوة خضرة فمن اخذه بسخارة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس
لم يبارك له فيه كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى اه
واذا فعل ما ذكر وكان اخذه لذلك بسخارة نفس يبارك له فيه وان كان
ذلك باشراف منه لم يبارك له فيه والبركة هي المقصود والمأمول لا البركة
اذا وقعت في القابل اغنت عن الكثير واعانت على طاعة المولى سبحانه

وتعالى (ووجه آخر وهو مذكور في الحديث وهو أنه إذا سأله كانت بيده
سفلى وليس هذا منصب العلماء لأن يد العلماء ينبغي أن تكون هي العليا
ولا عذر له في الطلب لما ذكر لاجل العائلة والملازم لأنه إذا ترك ذلك تفقد
على هذا المنصب الشريف لم يضيع الله الكريم قصده وأثابه أوفق عليه
من غيبه بما هو أحسن من ذلك وسد ثغراته وأعانته على ما شاء كيف شاء
أي رزقه بمخصر في جهة معينة وعادة الله تعالى أبدام استمرة على أنه
سيحانه وتعالى يرزق من هذا حاله من غير باب يقصده أو يؤمل بل الأمر على
عكس ذلك وهو أن من لله تعالى بداستنا فانه يتقطع به حصل في جهة يؤملها
أو يقصدها لأن مراد الله تعالى منهم إقامة هم إليه وتوكلهم في كل أمورهم
عليه ولا ينتظرون إلى الأسباب بل إلى مسبب الأسباب ومدبرها والقادر
عليها وكيف لا يكون العالم كذلك وهو المرشد للخلق والموضح للطريق
المستقيم له أولئك إليه سبحانه وتعالى ومن ترك جهة لله تعالى وقاصدا إلى
أخرى فيبدل عنها ما هو أفضل منها قال عليه السلام واللام من ترك شيئا
لله سؤضه الله خيرا منه من حيث لا يحتسب اهـ (الحاصل) من هذا أن
العالم ينبغي له أن يكون توكله على الله تعالى في أي موضع كان من بيت أو
مسجد أو مدرسة فيكون ذلك كله سواء في حقه لا فرق بين ذلك كله وإذا
كان ذلك كذلك فيجب ما تقدم ذكره من أنه إذا قطع عنه المعلوم لا يتخذ ولا
يتشجر ويبقى على ما كان عليه من الجد والاجتهاد بل يزيد في الاجتهاد لأنه
تحسن لله تعالى كما تقدم قبل

(فصل) وينبغي له بل يتعين عليه أكثر مما ذكر أن لا يتردد لا بد من
نسب إلى أحد من أبناء الدنيا وإن كان ظاهرا غير ذلك لأن العالم ينبغي أن
يكون الناس على باب لا يحسن الحال أن يكون حواشي أبوابهم ولا حجة
له في كونه يخاف من عدو أو حاسد وما شبههما من ينشئ أنه يشوق عليه
أو يرعوا أحد منهم في دفع شيء مما يشاء أو يرجعوا أن يكون ذلك سببا لقضاء
حوائج المسلمين من جلب ما فسد لهم أو دفع ضرر عنهم وهذا ليس فيه عذر
بفعله الأول فلا بد قد تقدم أنه إذا علم ذلك بأشرف نفس لم يترك له
فيه وإن كان خائفا مما ذكر ذلك أعظم من أشرف النفس وقد يساط عليه

من يتردد اليه في معلومه عقوبة له مججلة وأما الثاني فهو يرتكب أمرا
محذورا محققا لاجل محذور فانهم توقعه في المستقبل قد يكون وقد
لا يكون وهو مطلوب في الوقت بعدم ارتكابه ذلك الفعل المذموم شرعا بل
الاطاعة على قضاء حوائجه وحوائج المسلمين انفساها والانتطاع عن ابواب من
تقدم ذكرهم والتعويل على الله تعالى والرجوع اليه اذ انه سبحانه وتعالى
هو القاضي للحوائج والدافع للخسوف والمسخرات لبواب الخلق والاقبال اليها
على من شاء كيف يشاء قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز خطا بالسيئات الخلق
اجمعين لو انفق ما في الارض جميعا ما افقت بين قلوبهم ولكن الله أفيتهم
فذكروا سبحانه وتعالى هذا في معرض الامتنان على نبيه صلى الله عليه وسلم
والعالم اذا كان متبعاله عليه افضل الصلاة والسلام سيما في التعويل
على ربه سبحانه وتعالى والسكون اليه دون غيره لوقاته فانه سبحانه وتعالى
يعاملهم بهذه المعاملة العظيمة التي عامل بها نبيه صلى الله عليه وسلم ابركة
الاتباع له عليه الصلاة والسلام ويسلم بذلك من التردد الى ابواب من لا ينبغي
كالذي يفعله بعض الناس وهو سقم قاتل لانه لا خفاء في احوالهم باليتهم
لواقته مروا على ما ذكر لا غير بل يصفون الى ذلك ما هو اشد واشنع وهو انهم
يقولون ان ترددهم الى ابوابهم من باب التواضع او من باب ارشادهم الى الخير
الى غير ذلك مما يخطر لهم وهو كثير قد عمت به البلوى واذا اعتدوا ذلك
فقد قل الرجا من قلوبهم ورجوعهم اذنه لا يتوب احد قط من الخير وقد
نقل بعض علماء تارخة الله عليهم ان العدل اذا تردد الى باب القاضي فان ذلك
يجرحه في حقه وتردبه شهادته فاذا كان هذا في التردد الى باب القاضي
وهو عالم من علماء المسلمين سالم مجلسه مما يجري في مجالس من تقدم ذكرهم
فكيف التردد الى غير القاضي فن باب ادلى واوجب المنع من ذلك

(فصل) وليحذر ان يترك الدرس له وارضى ترض له من جنازة او
غيرها ان كان يأخذ على الدرس معلوما فان الدرس اذذاك واجب عليه
وحضور الجنازة مندوب اليه وفيل الواجب يتعين فان الذمة مذكورة به
ولا شيء آكد ولا اوجب من تخليص الذمة اذ تخليصها هو المقصود ثم بعد
ذلك ينظر في الواجبات والمندوبات فلو حضر الجنازة وابطل الدرس لاجلها

تعيين عليه ان يسقط من المعلوم ما يخص ذلك بل لو كان الدرس ليس له معلوم
لتعين على العالم المجلوس اليه اذ انه قد يحض لله تعالى والجماع مسألة واحدة
من العالم افضل من سبعين حجة مبرورة كما قال بعض العلماء بان هذا من
فضل المجتازة (وقد مات اجداد اولاد الحسن او الحسين فخرج مجتازته اهل
المدينة صلى ساكنها افضل الصلاة والسلام وبقي سبعين المديب فقبل له
الا تخرج الى جنازة هذا الرجل الصالح ابن الرجل الصالح ابن بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يحاوي بالم على ذلك صلاة ركعتين عندي افضل
من حضور جنازة هذا الرجل الصالح ابن الرجل الصالح ابن بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاد افضل رحمه الله تعالى صلاة ركعتين نافلة
على حضورها فاما مالك يا كثر من ذلك فاما لك بالقاء مسائل العلم لانه خير
متدس في زمانه هذا (وكذلك) لا يترك الدرس لاجل مريض يعود او ما
اشبهه من التعزية والتهنئة المشروعة لان هذا كله مندوب والقاء العلم
متعين ان كان ياخذ عليه معلوما وقد يتعين عليه وان لم يكن له معلوم بل لو
حضر عندهما معال كان افضل من غيره من المندوبات (فاذا) تقرر ذلك وعلم
من انه يترك ما ندب اليه لاجله فاما لك به طاعة الدرس لاجل بدعة نعوذ بالله
من ذلك (وقد) كثر مثل ذلك في هذا الزمان حتى صار كانه شعيرة من شعائر
الدين عند بعضهم فيبطلون الدرس لاجل الصبغة لاجل الميت او الثالث له
او تمام الشهر او السنة او الفرح كالعقيقة وغيرها كالسلام على الغائب
والتهنئة بولاية الى غير ذلك فاما كان من ذلك مندوبا فينبغي له ان يفعله في
غير وقت الدرس اذا سلم من الموانع الشرعية وما كان منها من المكرهات
او البدع فيتعين عليه تركه مع اظهار تقييده والتشجيع على فاعله والتحذير
منه بما يمكنه (واذا كان) العالم ماشيا على هذا المنهج انسدت به هذه الثمة
التي وقعت في هذا الزمان فتجد بعضهم يبطلون الدروس ابدعة الصبغة او
الثالث او التهنئة بولاية خطبة او السلام على غائب قدم الى غير ذلك مما تقدم
ذكره فيترك كون الواجب ويصير ما ياخذونه من المعلوم فيه من الشبهة
ما فيه ويضون الى بدعة ياليتهم لو فعلوها وهم مترفون بان ما فعلوه مكره
او حرام امكن بعضهم يرى ان ذلك واجب او مندوب اليه بحسب ما يخطر له

من التأويلات التي تأبىها قواعد الشريعة مثله ان يترك المدرس ويروح
الى تهنئة من يخاف منه ان يأخذ المنصب من يده أو يرجو المنصب آخر الى
غير ذلك من مقاصدهم

• (فصل) • وينبغي له أن ينظر أولا في المدرسة اذا عرضت عليه هل هي من
وجه حل أم لا فان كانت من وجه حل فلا بأس اذن وان كانت من غير
فلا يصلح له الاقدام عليها وان سكك انت من شبهة فالعلماء منزهون عن
الشبهات بل يتأكد الامر في حقهم وقد يصير ترك الشبهات في حقهم واجبا
لانهم القدوة والناس لهم تبع فاذا اقتحموا الشبهات اقتدى بهم الناس
في تناولها ومن حارم حول الحى يوشك ان يقع فيه (وكذلك) ينبغي له ان
يتبين عليه ان ينظر في المعلوم الذي قرر له بهذا الاعتبار وهذا كله ما لم
يتبين العصب وأما مع التعيين فلا يصلح (وقد كثرت) وقوع مثل هذا الامر
القطيع في هذا الزمان ففقد بعض الناس يغضب الموضع وكذلك الآلات
مثل الأعمدة والرخام والشبابيك وقد يأخذون بعض ذلك من بعض المساجد
وبعض البيوت وبعض الحمامات على يقين ثم بعد ذلك يغضبون الناس من
الصناع وغيرهم في بناءها بذلك ثم مع هذا الامر الجلى قلما يوضع الاساس
الا وقد وقعت الخيانة في طلب توبة تلك الاماكن ولا يصل الى توبتها الا من
له الشوك والقرية فكيف يقع السعي في موضع وقع بناؤه على ما تقدم
ذكره (الأتري) اندلونادى مناد فيقول كل من كان له في الموضع الفلانى
شىء فليات اقسام الناس يدعون ما لم فيه من الحقوقي الشرعية ويشدون ذلك
فيصير تصرف هذا العالم في ملك الناس بغير اذنهم وهذا أمر قبيح لو فعله
بعض العوام فكيف يقدم عليه من ينسب الى العلم (فان) قال قائل كثير
من المدارس بنيت على هذا الاسلوب (فالجواب) ان ما تعين فيه شىء مما ذكر
كان الاقدام عليه حراما بخلاف ما لم يتعين (الأتري) أنه لونادى مناد على
مدرسة قديمة فيقول كل من غصب له فيها شىء فليات يأخذ ما غصب منه
لم يات احد لا نقرض صاحبها وانقرض ورثته أو الجهل بهم في الغالب
(واذا) كان ذلك كذلك فقد صار ذلك بجهولا لا تعرف جهاته ولا اربابه
فيرجع اذ ذاك الى بيت مال المسلمين واذا رجع اليه فهو مرصوف فيه اصالحهم

ومن أحدها إقامة وظيفة العالم والعانة عليه وتخصيله فقد افترقا (فلا)
 حجة ان احتج بهذا على جواز التصرف في المحرام البين ولا عذر له في القول
 بأن ذلك قد صار في الذمة لأحد وجهين (أحدهما) ان ما كان من ذلك
 معينا فهو مستحق لصاحبه والغاصب له مأمور في كل زمن فرد برده لمستحقه
 (والوجه الثاني) ان ذمة هذا الغاصب مستغرقة لكثرة غصبه وكثرة
 الحقوق المرتبة فيها فصار ما في يده من الاموال وان كثرت مستحقة لأربابها
 وتبقى الفضلات الصكوك كثيرة عليه على ان ما في يده في الغالب من غير وجهه
 فتحصل من هذا انه لا يجوز الاقدام على تلك المواضع كما تقدم (ولا عذر) لمن
 يقول ان الضرورات ألجأت الى أخذ هذه الجهات والمواضع لكثرة العائلة
 والملازم (والجواب) عن هذا ما اخوذ مما نطق به القرآن العزيز وصرح به
 قال تعالى في محكم التنزيل واقدار سائرنا من قبلك وجعلناهم أزواجا
 وذرية ذكر سبحانه وتعالى ذلك في معرض اقامة الحجة على من عدا الرسل
 صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فانهم حجة الله تعالى على خلقه ومع كثرة
 عائلاتهم لم يمنعه ذلك من صفة الاقامة بأعباء النبوّة والرسالة فكل وفي ذلك
 على ما تقتضى ما أريد منه وقد كان عيشهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
 على ما قد علم واشتهر من شظف العيش وخشن الملبس وقلة الجدة تكريما
 لهم وترفع المنازلهم السنية (وقد كان) السلف رضوان الله عليهم يحبون الفقر
 ويعملون عليه ويهربون من الدنيا وأسبابها (لاجرم) انما أخذنا في
 الضد من أحوالهم جاء الخوف من الفقر والاعتلال بالعائلة فلا حجة لمن احتج
 بالضرورات لما تقدم من الجواب بذلك احوال الرسل صلوات الله وسلامه
 عليهم أجمعين وأحوال السلف رضوان الله عليهم أجمعين (وقد كان) سيدي
 أبو محمد رحمه الله تعالى يقول ما اتى على من أتى في هذا الزمان الا من
 الضرورات المعتادات غير المشرعيات فكان رحمه الله يقول هذه الضرورات
 تقطع من اصحابها ولا حاجة تدعو اليها مثال ذلك ان يقول الفقيه لا بد من
 فوقانية على صفة ولا بد من عمامة على صفة ولا بد من كتب ولا بد من دابة فاذا
 جاءت الدابة لا بد لها من غلام وكافة في الغالب ولا بد لبعضهم من بغلة وبعضهم
 يتخذ لغلامه بغلة أيضا وقد يحتاج الغلام الى زوجة فلا يزال هكذا في

ضرورات حتى يرجع في الدنيا امتسح الحال وهو عند نفسه انه مضرور حتى
لقد بلغني عن بعض من في الوقت من ارباب الدنيا المتسفة عليه انه يقول
استحق اخذ الزكاة نظرا منه الى ما قدمناه واشباهه من المسكن على صفة
والزوجة والملبس والطعام والاولاد والجواري والخدم والعلمان فتاتي
الدنيا بهذا فيراها للراحمين وهو موم يحده يشكون كثرة الضرورات
التي يدعيها فكان سيدي ابو محمد رحمه الله يقول هذه الضرورات تقطع
من اصاها فلا ضرورة الشرعية والضرورات الشرعية لا يحتاج فيها في
الغالب الى كلفة (فالحاصل) من هذان الضرورات التي لهم انما حدثت
من مخالفة الشرع والعالم اولى من يتبع الشرع ويبحث عليه فانه القدوة
وعلى احواله وافعاله واقواله يدور امر الناس في اقدائهم به في ذلك في
غالب الاحوال

• (فصل) • وينبغي له ان يكون آكدا لأمور وأهمها عنده القناعة لان بها
يستعين على ما اخذ بصدده فاذا عرض عليه منصب من حل وكان له غنية
عنه فلا حاجة تدعو الى اخذه وتركه افضل له عند الله تعالى من اخذه
والصدق بما يحصل منه من الرفق لان ترك طاب الدنيا اعظم عند الله تعالى
من اخذها او التصديق بها (ومن) كتاب القوت كان الحسن رحمه الله تعالى
يقول لاني افضل من رفض الدنيا (وقال) الفضل بن ثورقات للحسن
يا ابا سعيد درجلان طاب أحدهما الدنيا بخلاف الآخر فوصل بها رحمه
وقدم فيها نفسه ورجل رفض الدنيا قال أحبهما الى الذي رفض الدنيا
قلل فأعادت عليه القول بذلك فقال سبحان الله ما اعتدل الرجلان أحبهما
الى الذي جانب الدنيا انتهى (ومما) يوضح ذلك ويبينه ما أخرجه مالك في
موطائه عن أبي الدرداء رضي الله عنه انه كان يقول ألا ادلكم على خير اعمالكم
وازكاها عند مليكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان
تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله
تعالى اهوال العالم اولى من يبادر الى اعلى الامور واسئناها ولائ العلم من افضل
الاعمال واجلها فلا ينبغي له ان يأخذ عليه عوضا اللهم الا ان يأخذ بالنية
المتقدم ذكرها فنعلم وقد تقدم ما جرى الشيخ الجليل ابي اسحق التميمي

في شربة ابن من باب أولى ما هنا بل لو عرض عليه المنصب وأيسر له شيء
لسكان ينبغي له أن يتنزه عنه ويتركه إقامة محرمة العلم والكي يتصف
بصفات أهله اللهم إلا أن تكون له ضرورة شرعية على ما تقدم في أخذ من
ذلك بقدر الضرورة دون زيادة ويقتصر عليها وإذا كان ذلك كذلك
انصدت به هذه التلمذة التي وقعت في هذا الزمان فتجد بعضهم له في المدرسة
ثلاثة درهم مثلا وفي الأخرى دون ذلك أو أكثر فتجد بعض المدرسين له
دينا ككثيرة وهو يدعي الضرورات السابقة قدم من نظره إلى الضرورات
المعتادات (وينبغي له أيضا بل يتعين عليه أن ينظر في العلم الذي يأخذ عليه
المعلوم أن كان قد تمين عليه أم لا فإن كان قد تمين عليه فلا يجوز له أن يأخذ
على تعلمه عوضا وإن لم يتعين عليه فيجوز له أخذه مع أن التمرك أولى وأرفع
وإذا أخذه فافغا يأخذه على نية الإعانة على ما هو بصدده من التعلم والتعليم
لا على العوض والإجارة وإذا كان ذلك كذلك فيكون تعليمه لله تعالى
وأخذه الرزق لله لا غير ذلك والله الموفق

» (فصل في مواضع المجلس في الدروس وغيرها من مواضع الاجتماع) »
وقد تقدم أحسن الله تعالى إلى واليك القول في القيام للداخل في أوائل
الكتاب وتفصيله وما يجوز فيه وما يمنع منه وبقي الكلام على مواضع
المجلس وتبيين ما أحدثوا فيه من العوائد (فينبغي) للعالم أن يحذر من هذه
البدع المستهجنة التي أحدثت إذا لم تكن من مضي والخير كاه في الانباع
لهم وقد تقدم غير مرة أن العلماء أولى بالتواضع من غيرهم وإن كان كل الناس
مطالبين بذلك وطالب موضع معلوم للمجلس انما هو من باب الكبير والمخيلة
والأزدراء بمن دونه غالباً وذلك بعيد عن اتصف بالعلم سيما من هو جالس
للقائه أو لسماعه والعلم يطلب به بترك ما يتعاطاه من طلب المخطوطات الخسيسة
والاماني الفاسدة وقد تقدم في باب القيام أن سمع العالم انما هي بوجود
الفضل والدين والورع والتعشف والتواضع والتنازل لعماد الله تعالى
لا بضده وطالب موضع معلوم من باب التعظيم لا خفائه والعلماء برءاء من
ذلك (الأتري) أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى بشارب فشرب منه
وكان عن يساره أبو بكر وعمر تجاهه وأعراحي عن يمينه فلما فرغ قال عمر

رضي الله عنه هذا أبو بكر فأعطى الأعرابي فضله وقال الأفيمة والأفيمة نوا قال
 أنس ففي سنة ثلاث مرات أخرجه البخاري رحمه الله تعالى وبالضرورة
 أن جهة العجمين أنضل وقد كان الأعرابي في جهتها والصدديق رضي الله
 عنه على اليسار فلم يضربا بآبكر ذلك ولم يخرج من فضيلة التي أولا الله تعالى
 أياها إذ أن الفضيلة إنما هي بين العبد وربّه لا فيما بينه وبين الخلق فإن فاهرت
 الفضيلة للناس وأمر وابتعظيم صاحبها فإبكر ذلك على ما وردت به السنة
 الاترى أن الأعرابي لما أن استأذنه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقدم
 آيا بكر فقال الأعرابي لا أؤثر بنصيب منك أحدا فأقره النبي صلى الله عليه
 وسلم على ذلك (وكذلك) نقل عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لما
 أن أقرع النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى الجهاد بين رجل وولده
 (٣) فخرجت القرعة للولد فقال له أبوه آثرني بها يا بني فقال له ابنه الجنة
 هذه يا أبت لا يؤثر بها أحدا - دا (فانظر) رحمه الله تعالى وآياك كيف
 فعل هذا الصحابي هذا الفعل مع أبيه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فأقره
 عليه الصلاة والسلام على ذلك ومعلوم أن بر الوالد من مقتضى طاعة
 في الشرع يمكن على ما أحكمته السنة لا على ما يخطر على بال من في النفس
 (الاترى) إلى ما جرى لما لك رحمه الله تعالى في قصته مع الخليفة لما أراد
 الخليفة أن يقرأ عليه كتاب الموطأ وجلس الخليفة إلى جانب الإمام مالك وأمر
 وزيره جعفر أن يقرأ فقال له مالك رحمه الله تعالى يا أمير المؤمنين إن هذا
 العلم لم يؤخذ إلا بالتواضع وقد قال العلماء رحمه الله عليهم وإن تتواضعوا
 لن تعلمون منه فقام الخليفة وجلس بين يديه هذا وهو خليفة ذلك الزمان
 مع أنه في الفضيلة كان بحيث يعلم موضعه منها ولا جعل ما عنده من فضيلة
 العلم انقاد إلى الأدب والتواضع ولم يزد ذلك الارتفاع وهيبة بل ارتفع قدره
 بذلك وبقي يثني عليه بذلك في مجالس العلماء وغيرهم (ومن) كتاب القوت إذا
 جمع العالم ثلاثا تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق
 وإذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به على المعلم العقل والأدب وحسن الفهم
 اه (فن) أراد الارتفاع فليضع الله تعالى في العزة لا تتع الا بقدر التواضع
 (الاترى) أن المسلم انزل إلى أصل الشجرة معه إلى أعلاها فكان سائلا

(٣) هما سيدنا
 نجيعة وابنه سعد
 وكان ذلك يوم
 بدر اه

سأله ما صمد بك ههنا أهني في رأس الشجرة وأنت قد نزلت تحت أصلها
فكان إنسان حاله ية قول من تواضع لله رفعة الله (واذا) كان ذلك كذلك فمن
سبق إلى موضع فهو أحق به من غيره وكونه يقيم أحداً من موضعه فهو من
باب البدعة وارتكاب النهي والتكبر والتجبر وقد نهي عليه الصلاة
والسلام عن أن يقيم الرجل من مجلسه ويحاسب فيه آخر ولكن تفهموا
وتوسعوا انتهى وهذا الحديث في الصحيح وهو نص في عين المسئلة فعلى هذا
فيما بلغ بالإنسان المجلس جالس فهي السنة وغير ذلك من البدعة وارتكاب
النهي كما تقدم فالفضيلة عند السلف رضي الله عنهم إنما هي بالاتصاف بها
تقدم ذكره وليست بالمواضع ولا بالتحاج ولا بوجود المناصب ولكن كما تقدم
عنهم باتباع السنة في التواضع وغيره من الأخلاق الحميدة فلوجس من له
فضيلة عند الأقدام لصار موضعه صدراً وعكسه عكسه فليحذر من هذا
التنافس المذموم شرطاً فإنه سم قاتل لفاعله وإن يقتدى به وهو نوع قبيح كما
تقدم أول الكتاب في القيام واللباس بل هذا أشد قبحاً لأنه مصادم للنهي
(فإن) قال قائل إن غاية فعل ذلك من باب الترفيع مع العلم والتوقيف له (فالجواب)
ما تقدم من السنة في ذلك بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وغيرهم من
السلف الماضين رضوان الله عليهم أجمعين ولا يتبع غيرهم ولا يرجع إلا إليهم
لأن في ذلك حظوظ النفوس ومخالفات السنة قال الله تعالى في محكم التنزيل
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فلا شيء أعلى ولا أرفع من اتباعه
عليه الصلاة والسلام واتباع أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين (فإن) قال
قائل إن هذا الزمان لا يشبه ذلك الزمان لتعظيم الصدر الأول بعضهم بعضاً
ولا جل علمهم العزيز وديانتهم (فالجواب) إن الكتاب العزيز والسنة الشريفة
ورداً جليلاً لا أهل كل زمان ولم يخص النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قرن نادون
قرن ولا قوماً دون آخرين بل أتى بذلك هو ما قال الله عز وجل في محكم
التنزيل وأوحى إلى هذا القرآن لا تذكركم به ومن بلغ وقال عليه الصلاة
والسلام ألا فليبلغ الشاهد الغائب فاعمل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له
من بعض من سمعه أي أعمل به فالمنزلة التي يراد بها في الشرع إنما
هي بالعلم والاتصاف بالعمل به كما تقدم وتقدم بعضهم ببعض في هذا الزمان

في الغالب انفسهم واتعظيم الدنيا في قلوبهم فمن كانت له خلعة أو هيئة قدومه
في المجالس ومن كان رث المحال انروه عكس حال الاناف كما هو شاهد من
عوائد أكثرهم فلا حاجة تدعو الى ذكر تفاصيل احوالهم ومقاصدهم
في ذلك والغالب من بعضهم انهم لا يراعون الانصاف في ذلك أن لو كان جائزا
في الشرع (فانما اصل) من هذا أن ذلك مجرد حظ مذكوم شرعا كما تقدم فلا
يتبني للمال ان يسكت عن ذلك بل يوضح الامر وينكره وينزج فاعله ويقبح له
فعله ويشنع القول في ذلك حسب استطاعته (اللهم) إلا أن يكون ذلك
الشخص من محتاج الناس اليه لا فتوى وهو مقصود في ذلك المكان في أمور
الدين وكان له مكان يعرف به فهذا ليس من ذلك الباب للضرورة الداعية
الى ذلك كما تقدم بخلاف غيره اذ لا ضرورة تدعو اليه والضرورات لها
احكام تخصها والله الموفق

بسم الله الجزء الاول من تجزئة ثلاثة اجزاء
وبالله الجزء الثاني اوله فصل في ذكر
آداب المتعلم وصلى الله على سيدنا
محمد النبي الامي وعلى
آله وصحبه
وسلم